موسوعة الإمام علي (ع)

مناقب علي والحسنين وفاطمة الزهراء (ع)

المجلد الخامس

المركز الثقافي اللبناني

موسوعة
الإمام علي(ع)

موسوعة الإمام علي(ع)

مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٣٦٩٦
التاريخ ٢٠/١٥/٢٠١٢

المركز الثقافي اللبناني

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

الطبعة الأولى

1427 هـ 2006 م

المركز الثقافي اللبناني
للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع

Lebanese Cultural Center
For Printing, Publishing, Translation & Distribution

الإدارة العامة:
بيروت - الحدث، هاتف: ٩٦١-٥-٤٦١٨٨٨
فاكس: ٩٦١-٥-٤٦١٧٧٧ . خليوي: ٩٦١-٣-٦٤٠٤٩٠
Web site: www.lccpublishers.tk

General Management:
Beirut - Hadath, Tel: 961-5-461888
Fax: 961-5-461777, Mobile: 961-3-640490
E-mail: lcc_ pub @ yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آل بيته الطاهرين وعلى صحبه الأخيار المنتجبين.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]. عندما نزلت هذه الآية المباركة، دعا الرسول ﷺ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وألقى عليهم بُرده قائلاً: «يا رب، هؤلاء هم أهل بيتي وخاصتي».

وعن أبي ذر الغفاري (ره) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « . . .أوحى الله تعالى إلى حجب القدرة: انكشفي. فانكشفت فإذا على ساق العرش الأيمن مكتوب: لا إله إلا الله محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله»[2].

وقال ﷺ: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي آل بيتي».

وخطب ﷺ في حجة الوداع ووعظ وذكّر قائلاً: «أذكّركم الله في أهل بيتي. أذكّركم الله في أهل بيتي. أذكّركم الله في أهل بيتي». قالها ثلاثاً.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) البحار، الجزء ١٦ ص٣٦٤.

أما بعد،

فليس من السهل لأي امرىء أن يتناول حياة السيدة الفاضلة فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، زوجة الإمام البليغ الفصيح الحكيم علي بن أبي طالب عليه السلام، ووالدة سيدا شباب أهل الجنة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

ففاطمة الزهراء عليها السلام كما وصفها الرسول صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني، ومن أذاها أذاني»، كانت أحب أهله إليه لحنوها وبرها وأدبها ورقتها وصبرها وعفة نفسها وعلمها وتفقهها في الدين، وحبها للخير وفعله. وكانت أكثر بناته شبهاً به، لازمته ولم تفارقه حتى وفاته. وكانت عليها السلام إذا دخلت عليه صلى الله عليه وآله قام إليها وقبّلها وأجلسها في مجلسه.

لقد أمدّها الله بعزيمة قوية جاهدت بها الكفار والمنافقين في غيّهم وأذاهم، وبصبر كبير على ما عانته من ظلمهم وتعسفهم.

وعن محمد صلى الله عليه وآله عندما سأله سلمان الفارسي عن فضل فاطمة عليها السلام عند الله عز وجل، قال: « ...يوحي الله عز وجل إليها: يا فاطمة، سليني أُعطكِ وتمنّي عليّ أُرضِكِ، فتقول: إلهي، أنت المنى وفوق المنى، أسألك أن لا تعذب محبّي ومحبّي عترتي بالنار، فيوحي الله إليها: يا فاطمة، وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أعذّب محبِّيك ومحبّي عترتك بالنار»[1].

رحم الله أم أبيها، خير الأباء، وأم الحسنين، فخر الأبناء، وزوج إمام الأئمة أبي الشهداء، ومن هي في الدارين سيدة النساء، فاطمة الزهراء.

وأما الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام، سيّدا شباب أهل الجنة، فهما

---

(١) كنز جامع الفوائد: ص ٢٥٣ـ ٢٥٤.

حبيبا رسول الله ﷺ ومهجتا فؤاده، ويقول فيهما: «هذان ابناي، وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما، فأحبهما، وأحب من يحبهما».

ويقول ﷺ في الحسن عليه السلام: «من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسن».

ويقول ﷺ في الحسين عليه السلام: «أحب الله من أحب حسيناً».

وكان ﷺ يقبّل الحسن عليه السلام في فيه، والحسين عليه السلام في رقبته، لعلمه أن الحسن عليه السلام سيُقتل مسموماً، والحسين عليه السلام مذبوحاً. وقال في ذلك: «إنهما سيُظلمان بعدي، ويُقتلان ظلماً».

لقد ورثا عليهما السلام عنه ﷺ وعن والديهما عليهما السلام سمو الخلق، ورفعة الأدب، والحكمة والعلم والورع والحلم والكرم والشجاعة وفصاحة اللسان وقوة الجنان.

أدعو الله مخلصاً أن ينتفع القارىء بهذا الكتاب، الذي يعرض لسيرة حياتهم عليهم السلام، وأن يستشعر من خلاله ما لهم من مكانة عظيمة وقدر رفيع عند الله عز وجل ونبيه محمد ﷺ، ليقتدي بهم ويفوز بشفاعتهم.

وأختم بالآية الكريمة: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾[1].

والله ولي التوفيق

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.



الفصل الأول

مناقب الزهراء عليها السلام

مولد الزهراء

لقد أقبل العام العاشر من زواج محمد وخديجة، ذلك الزواج المبارك لأشرف زوجين طاهرين، من الصادق الأمين، فتى قريش الأول، ومن الطاهرة، سيدة نساء قريش، أقبل هذا العام وهما يستعدان لاستقبال الثمرة الرابعة للزوجية المباركة.

وقد وقع في هذه السنة حدث جليل في تاريخ مكة والبيت العتيق، وفي التاريخ الناصع للأب الكريم، فقد أجمعت قريش أمرها على أن تعيد بناء الكعبة بعد أن طال ترددها في ذلك، تهيباً وخوفاً وتحرجاً.

وكانت الكعبة قد أخذت بها شرارة طارت من مجمرة إحدى النسوة، فأحرقت ستائرها وأوهت بنيانها، ثم انحدر سيل دافق من الردم الذي بأعلى مكة، فتصدعت الجدران المتأثرة بفعل الحريق، ووقفت قريش أمام حرمها المقدس مكتوفة الأيدي، لا تدري ماذا تفعل لتحتفظ بالبيت العتيق الذي جعل من «مكة» بمثابة حج العرب جميعاً ومهوى أفئدتهم، وأنزل قريشاً بحكم جوارها للحرم، منزلة لا تدانيها منزلة قبيلة سواها.

وتم الاستعداد لتجديد الكعبة، وقريش ما تزال تتهيب أن تهدم بناءَها الأول، حتى قام الوليد بن المغيرة المخزومي فأخذ[1] المعول وقال: «اللهم لم تُرَعْ! اللهم إنا لا نريد إلا الخير» ثم هوى بالمعول، والقوم ينظرون إليه مرتاعين، خائفين عليه وعلى أنفسهم جميعاً، فلما لم يصبه

---

(١) ابن هشام: ١: ١٩٥.

سوء قرّروا زيادة في الحرص أن يتربصوا ليلتهم تلك، ليروا ماذا يكون، وأصبح الوليد غادياً على عمله لم يمسه شر، فهدم وهدم الناس معه. وتنافست القبائل في جمع الحجارة لبناء الكعبة، وشارك «محمدﷺ» في ذلك العمل المجيد، فكان ينقل الحجر مع الناقلين، حتى إذا تم البناء اختصمت قبائل قريش في الحجر الأسود، كل قبيلة تريد أن تستأثر بشرف رفعه إلى موضعه، واشتدت الخصومة حتى أنذرت بحرب، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً، ونذر الخطر تزداد، حتى قام فيهم أبو أمية بن المغيرة زاد الركب المخزومي وهو يومئذٍ أسن قريش كلها، وهو والد أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، فقال:

«يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه، أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه».

فقبلوا، وتعلقت عيونهم جميعاً بالباب تترقب الداخل ومن سيكون وإنهم لكذلك إذ أقبل رجل شاب، تام الفتوة، متزن الخطا من غير تكلف رزين من غير فتور، بهي الطلعة مع جد ووقار، فهتفوا جميعاً لما رأوه: «هذا الأمين، هذا محمد بن عبد الله الهاشمي، رضينا بحكمه»[1].

وأقبلوا عليه فحدثوه بما شجر بينهم من خلاف، فطلب ثوباً ثم تناول الحجر فوضعه بيده الكريمة في الثوب وقال:

«لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً».

ففعلوا حتى إذا بلغوا به مكانه، وضعه محمدﷺ بيده ودعم بناءه، وكانت سنه يومئذٍ خمساً وثلاثين سنة، على ما روى ابن إسحاق. وعاد الأمين إلى بيته، حيث ترك زوجته في الغداة تعاني مقدمات الوضع، وإنها على وشك الولادة، فهرول من المسجد عائداً إلى بيته ليرى ما حدث لزوجته، وماذا عسى أن تكون قد وضعت.

---

(١) ابن هشام: ١: ١٩٧.

وكانت البشرى مولد ابنته الرابعة فاطمة في يوم الجمعة الموافق للعشرين من جمادى الآخرة، وقريش تبني الكعبة، وذلك قبل البعثة بخمس سنين.

واقترنت هذه البشرى، ببشرى نجاة قريش على يد الصادق الأمين، مما كان يتهددها من حرب ودمار، وإسالة دماء وعداوة بين الأهل والعشيرة، وأثار هذا الموقف الحكيم عاطفة الشاعر القرشي هبيرة بن أبي وهب المخزومي، فقال قصيدة كانت ترددها قريش في محافلها وأنديتها منها:

تشاجرت الأحياء في فصل خطة ... جرت بينهم بالنحس من بعد أسعد
تلاقوا بها، بالبغض بعد مودة ... وأوقد ناراً بينهم شرٌّ مُوقد
فلما رأينا الأمر قد جد جده ... ولم يبق شيء غيرُ سل المهنَّد
رضينا وقلنا العدل أول طالع ... يجيء من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هذا الأمين محمد ... فقلنا: رضينا بالأمين محمد
بخير قريش كلها أمس شيمةً ... وفي اليوم مع ما يحدث الله في غد
فجاء بأمر لم ير الناس مثله ... أعم وأرضى في العواقب والبَدِ
أخذنا بأطراف الرداء وكلنا ... له حصة من رفعها قبضة اليد
فقال: ارفعوا حتى إذا ما علت به ... أكفهم، وافى به غير مسند
وكلٌ رضينا فعله وصنيعه ... فأعظم به من رأي هادٍ ومهتد
وتلك يد منه علينا عظيمة ... يروح لها مر الزمان ويغتدي

ولو علم الشاعر القرشي هبيرة بمولد الزهراء في هذا اليوم الأغر لكان ضمن اسمها في تلك القصيدة التي رددتها قريش، وكان أفاض في أنها بشير خير عم وحل على تلك البلاد المباركة. حمل الأب الحاني ابنته المباركة يهدهدها ويلاطفها، وكانت فرحة خديجة كبيرة ببشاشته، وهو يتلقى الأنثى الرابعة في أولاده، ولم يظهر عليه غضب ولا ألم لأنه لم يرزق ذكراً وكانت فرحة خديجة أكبر حين وجدت ملامح ابنتها تشبه ملامح أبيها، فأدركت أن الله تعالى سوف يتعهدها برعايته وعنايته، لتكون مثلاً

لأبيها في خلقه وخلقه[1].

دخل العباس على علي وفاطمة عليهما السلام وأحدهما يقول للآخر: أينا أكبر؟ فقال العباس: ولدت يا علي قبل بناء قريش البيت بسنوات وولدت أنت يا فاطمة وقريش كانت تبني البيت.

ولهذا كانت مثار اهتمام أبيها، ولا سيما أنها كانت تشبهه كما تقدم ذلك. فقد روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أنس بن مالك، فقالت: كانت أشد الناس شبهاً برسول الله صلى الله عليه وآله، بيضاء، مشربة بحمرة، لها شعر أسود[2].

وعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أشبه الناس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله[3].

رضي الله عنها وأرضاها.. فقد كانت نطفة طاهرة ونسمة كريمة باهرة.. وسيدة فاضلة أشبه ما تكون بسيد الخلق وقد ورثت المجد من كل جانب وحازت الفضل.



(١) وقد اختلف في تعيين مولدها.. قيل: إنها ولدت بعد المبعث بسنتين. قاله الشيخ الطرطوسي في مصباح المتهجد. وقال في رواية أخرى: سنة خمس من المبعث، وروى الحاكم في المستدرك وابن عبد البر في الاستيعاب أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله أي بعد البعثة بسنة، وأكثر علماء أهل البيت يجزمون أنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين.

(٢) الحاكم ٣: ١٦١.

(٣) فتح الباري ٧: ٩٧.

مكان ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

وهو دار السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ـ رضي الله تعالى عنها ـ. تقع هذه الدار بزقاق الحجر بمكة المكرمة، ويقال له زقاق العطارين على ما ذكره الأزرقي وتعرف بمولد فاطمة عليها السلام لكونها ولدت فيها هي وسائر أولاد خديجة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وذكر الأزرقي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنى بخديجة فيها، وأنها توفيت فيها ولم يزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ساكناً بها حتى هاجر إلى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب. وهذه الدار لم تعد معروفة اليوم فقد اختفت في باطن الأرض وانهالت عليها الأنقاض.

وكانت هذه الدار قد ارتفع عنها الطريق في السابق حتى أصبح ينزل إليها بجملة درجات توصل إلى طرقة، وعلى يسارها مصطبة مرتفعة عن الأرض بنحو ٣٠ سم ومسطحها نحو عشرة أمتار طولاً في أربعة عرضاً، وفيها مكتب يقرأ فيه الصبيان القرآن الكريم، وعلى يمينها باب صغير يصعد إليه بدرجتين يدخل منه إلى طريق ضيقة عرضها نحو مترين.

وفيها ثلاثة أبواب: الأول على اليسار، لغرفة صغيرة يبلغ مسطحها ثلاثة أمتار طولاً في أقل منها عرضاً. وهذا المكان كان معداً لعبادته صلى الله عليه وآله وسلم وفيه كان ينزل الوحي عليه وعلى يمين الداخل إليه مكان منخفض عن الأرض يقال إنه كان محل وضوئه صلى الله عليه وآله وسلم.

والباب الثاني في قبالة الداخل إلى الممر يفتح على مكان أوسع منه يبلغ طوله نحو ستة أمتار في عرض أربعة وهو المكان الذي كان يسكنه

النبيﷺ مع زوجته خديجةعليها السلام.

أما الباب الثالث فهو عن اليمين لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار في طول نحو سبعة أمتار ونصف، وفي وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذي ولدت فيه السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام.

وفي جدار هذه الغرفة الشرقي رف موضوع عليه قطعة من رحى قديمة يقولون إنها من رحى السيدة فاطمةعليها السلام التي كانت تستعملها في حياتها.

وعلى طول هذا المسكن والطرقة الخارجية والمصطبة من جهة الشمال فضاء مرتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر متراً وعرضه سبعة أمتار وأظنه المكان الذي كانت السيدة خديجة رضي الله عنها تخزن فيه تجارتها.

وهذا وصف الدار على ما جاء في رحلة البتانوني[1] وهو ما شاهدناه ثم قال البتانوني بعد ذلك:

هذه الدار إذا أمعنت بها النظر لا ترى فيها إلا البساطة: تحتوي على أربع غرف: ثلاث داخلية منها: واحدة لبناته، والثانية لزوجه والثالثة لعبادة ربه، والرابعة بمعزل عنها له ولعموم الناس.

وقد جاء في شفاء الغرام للفاسي وصفه لدار خديجة غير هذا قال: غالب هذه الدار الآن على صفة المسجد لأن فيها رواقاً فيه سبعة عقود على ثمانية أساطين (أعمدة) في وسط جداره القبلي ثلاثة محاريب وفيه ست وعشرون سلسلة في صفين وأمامه رواق فيه أربعة عقود على خمس أسطوانات وبين هذين الرواقين صحن والرواق الثاني أخصر من الرواق المقدم لأن بقربه بعض المواضع التي يقصدها الناس للزيارة في هذه الدار وهي ثلاثة مواضع.

الموضع الذي يقال له: مولد فاطمةعليها السلام، والموضع الذي يقال له: قبة

---

(١) رحلة البتانوني ص ٥٣.

الوحي وهو ملاصق لمولد فاطمة عليها السلام، والموضع الذي يقال له المختبأ: أربعة أذرع وثلث ذراع من الجدار الذي فيه المحراب إلى الجدار المقابل له ثلاثة أذرع وثلثا ذراع وذلك من الجدار الذي فيه بابه إلى الجدار المقابل له.

وذرع الموضع الذي يقال له: قبة الوحي من الجدار الذي فيه بابه إلى الجدار المقابل له ثمانية أذرع وثلثا ذراع هذه ذرعه طولاً، وأما ذرعه عرضاً فثمانية أذرع ونصف بذراع الجديد المقدم ذكره (٥٧ سم).

والموضع الذي يقال له مولد فاطمة عليها السلام طوله خمسة أذرع إلا ثمن وعرضه من وسط جداره ثلاثة أذرع وثلاثة أثمان الذراع وفي هذا الموضع موضع صغير يشبه بركة مدورة وسعتها طولاً من داخل البناء المحوط عليها ذراع وعرضها كذلك وفي وسطها حجر أسود يقال: إنه مسقط رأسها عليها السلام.

وذرع الرواق المقدم من هذه الدار من وسط جداريه على الاستواء ثمانية وثلاثون ذراعاً هذا ذرعه طولاً وذرعه عرضاً سبعة أذرع وربع وذرع ما بين كل أسطوانتين منه خمسة أذرع وربع. وذرع الرواق المؤخر من هذه من جدار قبة الوحي إلى الجدار المقابل له ثلاثة وعشرون ذراعاً هذا ذرعه طولاً وذرعه عرضاً عشرة أذرع. وعلى باب الدار مكتوب عمرت في خلافة الناصر العباسي وفي زمن الملك الأشرف.. الخ وإلى جانب هذه الدار حوش كبير على بابه حجر مكتوب فيه أن هذا الموضع مربد مولد فاطمة عليها السلام وأن الناصر العباسي عمره ووقفه على مصالح دار خديجة التي إلى جانبه عام ٦٠٤هـ. وقد كان إلى وقت قريب من الآثار المهمة والمعروفة في مكة المكرمة شرفها الله.



الأصل العريق

هذه السيدة الفاضلة.. والنطفة الطاهرة.. والابنة البارة.. والمجاهدة الصابرة.. والدرة النادرة.. هي بنت من؟.. هي زوج من؟.. هي أم من؟.. من ذا يضاهي في الفخار هذا النسب الطاهر الشريف، والأصل العريق وسلالة العترة النبوية الكريمة.

الوالد هو: سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي العدناني رسول الله وخاتم النبيين ﷺ.

والجد الثاني للوالد هو: هاشم بن عبد مناف، وكان صاحب إيلاف قريش[1] ـ أي دأب قريش ـ وكان أول من سن الرحلتين لقريش، ترحل إحداهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة، وترحل الأخرى في الصيف إلى الشام وغزة.

واسم هاشم «عمرو» ثم غلب عليه اسم هاشم وسبب تسميته هاشماً أن قريشاً أصابتها سنوات ذهبت بالأموال، فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز كثير فخبز له، ثم حمله على الإبل حتى وافى مكة، فهشم ذلك الخبز ـ أي كسره ـ وثرده ـ صنع منه ثريداً ـ ونحر تلك الإبل التي حملته، ثم أمر الطهاة فطبخوا ثم كفأ القدور على الجفان[2] فأشبع أهل مكة، فكان ذلك

---

(١) وأصل الإيلاف حلف حالف عليه هاشم قبائل العرب أن تسير تجارة قريش حيث سارت في قبائل العرب لا يقربها أحد بسوء تعظيماً لقريش لأنهم سكان الحرم وسدنة البيت وأطهر العرب.

(٢) جمع جفنة وهي القصعة الواسعة يجتمع حولها مئات الآكلين.

أول الشبع بعد السنة[1] ـ التي أصابتهم، فسمى بذلك هاشماً وقال عبد الله بن الزبعري في ذلك:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون[2] عجاف[3]

وقال وهب بن عبد قصي في ذلك:

تحمل هاشمٌ ما ضاق عنه وأعيا أن يقوم به ابن بيض
أتاهم بالغرائر متأقات[4] من أرض الشأم بالبر النفيض
فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب الخبز باللحم الغريض
فظل القوم بين مكللات من الشيزى حائرها يفيض[5]

فهذا هو أحد أجداد الزهراء، كان رجلاً كريماً تضرب به الأمثال وتقرض فيه الأشعار، وخاصة حين الملمات والأزمات ذلك أن الشدائد هي التي تبين معادن الناس، وهذا معدن هاشم ينبع من الخير، ويفيض بالكرم، ويكفي أن الرحلتين اللتين استنهما قد ذكرهما الله تعالى في كتابه الخالد، في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

وكانت لهاشم السقاية والرفادة في الحج فإذا حضر موسم الحج قام في قريش فقال: «يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وإنه يأتيكم من هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم ضيف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به، وحفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزواره، يأتون شعثاً غبراً من كلّ بلد

---

(١) القحط والمحل.
(٢) السنة: القحط والجدب.
(٣) تاريخ الطبري ٢: ٢٥٢.
(٤) أي مترعات، ممتلئات.
(٥) تاريخ الطبري ٢: ٢٥٣.

على ضوامر كأنهن القداح، قد أزحفوا وتلفوا (أي أسرعوا) وأرملوا، فاقروهم واسقوهم. فكانت قريش ترافد على ذلك حتى إن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم، وكان هو يخرج مالاً كثيراً، ويثرد للحجيج الخبز واللحم والسمن والسويق والتمر، ويجعل لهم الماء فيسقون بمنى ـ والماء يومئذ قليل ـ حتى تنقطع الضيافة ويتفرق الناس لبلادهم[1].

وفي المنتقى: «كان هاشم أفخر قومه وأعلاهم وكانت مائدته منصوبة لا ترفع لا في السراء ولا في الضراء، وكان يحمل ابن السبيل ويؤدي الحقائق، وكان نور النبيﷺ يتلألأ في وجهه يتوقد شعاعه ويتلألأ ضياؤه ولا يراه حبر إلا قبل يده، تغدو إليه قبائل العرب ووفود الأحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه أن يتزوج بهن حتى بعث إليه هرقل ملك الروم وقال:

إن لي ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجهاً فاقدم علي حتى أزوجكها فقد بلغني جودك وكرمك. وإنما أراد بذلك نور المصطفىﷺ الموصوف عندهم في الإنجيل فأبى هاشم[2].

وهكذا كان الجد الأكبر ـ لمحمد والد الزهراء ـ صاحب صفات نبيلة، وأخلاق فاضلة، وتنطوي نفسه على سمات إنسانية عالية، وعلى خصال عظيمة تفرد بها بين أهل مكة، وعرف بها بين أبناء جزيرة العرب.

أما جد[3] الزهراء لأبيهاﷺ فهو عبد المطلب، واسمه شيبة الحمد، ولتسميته عبد المطلب قصة وهي أن عمه المطلب بن عبد مناف لما توفي أخوه هاشم ولي بعده السقاية والرفادة، وكانت قريش تسميه الفيض لسماحته، وذات يوم جاءه خليل له هو ثابت بن المنذر وهو أبو حسان بن ثابت الشاعر، فقال له لو رأيت ابن أخيك شيبة فينا لرأيت جمالاً وهيبة وشرفاً، فقال المطلب: لا أمسي حتى أخرج إليه فأقدم به، فقالت ثابت: ما أرى سلمى تدفعه إليك ولا أخواله. فمن هي سلمى؟

---

(١) طبقات ابن سعد ١: ٧٨ ط صادر.

(٢) الزرقاني ١: ٣٧.

(٣) هو الجد الثاني أما الأول فهو عبد الله.

هي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد من بني عدي بن النجار وقد نزل هاشم في عير من قريش المدينة ووجدوا سوقاً تقام في هذا الوقت من السنة، فباعوا واشتروا ونظروا إلى امرأة على موضع مشرف ـ عال ـ من السوق، فرآها تأمر بما يشترى ويباع لها، وكانت امرأة حازمة جلدة مع جمال ووقار. فسألهم هاشم عنها: أأيم هي أم ذات زوج؟ فقيل له: أيم. وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها. فخطبها هاشم، فعرفت شرفه ونسبه فزوجته نفسها ودخل بها، وحملت، وولدت غلاماً في رأسه شيبة، وتوفي هاشم في رحلة من رحلاته في الشام ودفن في غزة وبقي شيبة في رعاية أمه وأخواله حتى أخبر ثابت عمه المطلب، فخرج إليه ليعود به، وأبت سلمى أن ترده إليه أول الأمر، ثم وافقت على ذلك، فعاد به إلى مكة ظهراً، فقالت قريش: هذا عبد المطلب، فقال ويحكم إنما هو ابن أخي شيبة بن عمرو. وظل معروفاً بعبد المطلب.

وخرج المطلب إلى اليمن فمات هناك، فولى عبد المطلب بن هاشم بعده الرفادة والسقاية، فلم يزل ذلك بيده يطعم الحجاج ويسقيهم في حياض من أدم ـ بمكة، فلما سقى من زمزم ترك السقي في الحياض بمكة، وسقاهم من زمزم حين حفرها، وهو أول من حفر زمزم[1]، وكان يحمل منها الماء إلى عرفة لسقيا الحجاج ما دام فيه حج وعمرة، وأنه يمنحها ذكريات عزيزة، وهي ذكريات نبي الله إسماعيل عليه السلام، يوم أن أودعهما نبي الله إبراهيم عليه السلام ـ الفلاة، وليس معهما من الزاد والماء إلا القليل، ودعا لهما إبراهيم عليه السلام، وحلت بركات الدعاء، وظهرت في بركة الغلام الصغير إسماعيل عليه السلام، فانبثقت من تحت قدميه عين مباركة، كانت فاتحة الخير عليه وعلى أمه، ثم ردمت مع الأيام، وحفرها عبد المطلب وحده بعد أن رفضت قريش معاونته، ونذر على نفسه إن رزقه الله عشرة من الولد أن يذبح أحدهم. ولقد حفر عبد المطلب بئر زمزم لتظل رافداً للماء وللذكريات إلى أن تقوم الساعة إن شاء الله.

---

(١) فقد دفنت جرهم عين زمزم حين أرغمت على الخروج من مكة.

وقد حكم الله تعالى له ولأبنائه بهذه المياه المباركة، ولم تحكم له الكاهنة، وهذا دليل على أن هذا الرجل قد أودع الكثير من الطهر والبركة، ففاضا في أفعال تنم عنهما، ولم لا.. وقد كان من المتألهين، الذين لم يعبدوا الأصنام قط، وكان يُعْظِم الظلم (أي يكرهه ويمقته)، ويكره الفجور، إنها سجايا فطرية ركبت في هذا الرجل المبارك عبد المطلب.

وتمضي الأيام ويرزق الله تعالى عبد المطلب عشرة ذكور، هم: الحارث، والزبير، وأبو طالب، وعبد الله، وحمزة، وأبو لهب، والغيداق، والمقوم، وضرار، والعباس. وجمعهم عبد المطلب وأخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله به، فما اختلف عليه منهم أحد وقالوا: أوف بنذرك وافعل ما شئت، فقال فليكتب كل رجل منكم اسمه في قدحه ففعلوا.

ودخل عبد المطلب في جوف الكعبة وقال للسادن اضرب بقداحهم فضرب، فخرج قدح عبد الله أولها ـ وكان عبد المطلب يحبه حباً شديداً ـ فأخذ بيده يقوده إلى المذبح ومعه المدية، فبكت بنات عبد المطلب، وقالت إحداهن لأبيها[1]: أعذر فيه بأن تضرب في إبلك السوائم التي في الحرم، وهبّت قريش من أنديتها فاجتمعت عليه تقول: والله لا تذبحه، فقال للسادن: اضرب عليه وعلى عشر من الإبل، وكانت الدية يومئذ عشراً من الإبل، فضرب فخرج القدح على عبد الله، فجعل يزيد عشراً عشراً، كل ذلك ويخرج القدح على عبد الله حتى كملت المائة، فضرب بالقدح فخرج على الإبل. فكبر عبد المطلب وكبر الناس معه، وقدم عبد المطلب الإبل فنحرها.

ونظن أن قصة نذر عبد المطلب أن يذبح أحد أبنائه ما هي إلا إلهام من الله تعالى، من أجل إبراز أن نسل الأطهار ممتد من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى عبد المطلب وعبد الله ومحمد ﷺ، فما قصة فداء عبد الله بن عبد المطلب إلا لمحة من الله تؤكد لنا إرهاصات النبوة في النسل الطاهر، وفي رجال اصطفاهم الله من بين عباده ليودعهم الأصالة

---

(١) وسوف يأتي تفصيل ذلك في (عبد الله).

والطهارة وحسن الخلق، والكرم والسخاء وغيرها من الخصال النبيلة التي تصب في نهر محمدﷺ نهر النبوة العظيم.

وافتُدي عبد الله بن عبد المطلب بمائة من الإبل، وهو أول من سن دية النفس مائة من الإبل، فجرت في قريش والعرب مائة من الإبل وأقرها رسول اللهﷺ على ما كانت عليه.

وجاء في طبقات ابن سعد أن عبد المطلب كان أحسن قريش وجهاً، وأمدهم جسماً، وأحلمهم حلماً، وأجودهم كفاً. وأبعد الناس من كل موبقة تفسد الرجال، ولم يره ملك قط إلا أكرمه وشفعه، وكان سيد قريش حتى مات[1].

وكان من مناقبه الوفاء بالعهد حتى بعد مماته، فقد جاءه نفر من خزاعة فقالوا: نحن قوم متجاورون في الدار هلم فلنحالفك، فأجابهم إلى ذلك، وأقبل عبد المطلب في سبعة نفر من بني المطلب، والأرقم بن نضلة والضحاك وعمرو ابني أبي صيفي أولاد هاشم، فدخلوا دار الندوة وتحالفوا فيها على التناصر والمواساة، وكتبوا بينهم كتاباً، وعلقوه في الكعبة، وقال عبد المطلب في ذلك:

سأوصي زبيراً إن تراخت منيتي ... بإمساك ما بيني وبين بني عمرو
وأن يحفظ الحلف الذي سن شيخُه ... ولا يُلحِدنْ فيه بظلم ولا غدر
هم حفظوا الإلَّ[2] القديم وحالفوا ... أباك فكانوا دون قومك من فهر

وقد أوصى عبد المطلب إلى ابنه الزبير، وأوصى الزبير إلى أبي طالب، وأوصى أبو طالب إلى العباس بن عبد المطلب.

وحفظ العهد والوعد من الشيم الكريمة، التي تكون مثار فخر وحديثاً حسناً بين القوم عن الذي يتصف بها، وهكذا كان عبد المطلب الجد الأكبر لفاطمة الزهراءعليها السلام. والصفات تتوارث وتتوالد في الأبناء والحفدة، لتمتد

---

(١) طبقات ابن سعد ١: ٥.

(٢) الإلّ: العهد.

الأصول إلى الفروع، وتنمو الفروع مستمدة صفاتها من الأصول وهكذا كانت الزهراء من نسل المصطفىﷺ الذي هو خيار من خيار.

ومما يروى ويدل على أن عبد المطلب كان رجلاً مباركاً وكان على صلة روحية بالله ما ترويه رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم، قالت: تتابعت على قريش سنون ذهبن بالأموال وأشفين على الأنفس، فسمعت قائلاً يقول في المنام: يا معشر قريش، إن هذا النبي المبعوث منكم، وهذا إبان خروجه وبه يأتيكم الحيا والخصب، فانظروا رجلاً من أوسطكم نسباً طوالاً عظاماً، أبيض مقرون الحاجبين، أهدب الأشفار جعداً، سهل الخدين رقيق العرنين، فليخرج هو وجميع ولده، وليخرج منكم من كل بطن رجل، فتطهروا وتطيبوا، ثم استلموا الركن، ثم ارقوا رأس أبي قبيس، ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون فإنكم ستسقون، فأصبحت فقصصت رؤياي عليهم، فنظروا فوجدوا هذه صفة عبد المطلب فاجتمعوا إليه، وخرج من كل بطن منهم رجل، ففعلوا ما قصصته عليهم، ثم علوا على أبي قبيس - وهو جبل بمكة - ومعهم النبيﷺ وهو غلام، فتقدم عبد المطلب وقال: لا هم - أي اللهم - هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك، وإماؤك، وبنات إمائك، وقد نزل بنا ما ترى، وتتابعت علينا هذه السنون، فذهبت بالظلف والخف، وأشفت على الأنفس، فأذهب عنا الجدب، وأتنا بالحيا والخصب، فما برحوا حتى سالت الأودية، وبرسول اللهﷺ سقوا، فقالت رقيقة بنت أبي صيفي[1]:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... وقد فقدنا الحيا واجلوّذ المطر[2]
فجاد بالماء جوني له سبل ... دان فعاشت به الأنعام والشجر
مَنّاً من الله بالميمون طائره ... وخير من بشرت يوماً به مضر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به ... ما في الأنام له عدل ولا خطر

إن صلة الإيمان كانت موجودة عند الجد الأكبر عبد المطلب بينه وبين الله، وكان يعبد الله على دين إبراهيم خليلهعليه السلام.

---

(١) طبقات ابن سعد، ١: ٥٤ ٥٥، «بتصرف».

(٢) ذهب وانقطع.

وذلك الهاتف الذي جاء في منام رقيقه إنما هو إشارة من الله تعالى ومؤشر إلى أن النبوة ستكون في نسل هذا الرجل الطاهر المبارك، وأنه حين استسقى ودعا الله وأجاب الله دعاءه إجابة فورية، إنما يدل ذلك على معدن القلب النقي الخالي من الشرك بالله، ويدل على صفاء النفس والسريرة، فقد اتجهت نفسه بكليتها إلى الله، فاستجاب الله لنفسه البريئة وحقق له ما أراد.

وكان عبد المطلب يسمع عن نبي سوف يأتي، ويتمنى لو كان من أهله، ويسارع في أداء أي عمل يطلب منه في سبيل ذلك، فذات يوم كان في رحلة اليمن، ونزل على أحد عظماء حمير، فوجد عنده رجلاً من أهل اليمن قد أمهل له في العمر وقرأ الكتب، فقال له: يا عبد المطلب: أتأذن لي أن أفتش مكاناً منك؟ قال: ليس كل مكان مني آذن لك في تفتيشه. قال: إنما هو منخراك قال: فدونك. قال فنظر إلى الشعر في منخريه، فقال: أرى نبوة وأرى ملكاً، وأرى أحدهما في بني زهرة.

فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة. فولدت محمداً ﷺ، فجعل الله في بني عبد المطلب النبوة والخلافة، والله أعلم حيث وضع ذلك الفضل وكانت الأسباب التي أخذ بها عبد المطلب فقادت إلى ذلك الشرف الذي أراده الله عز وجل وقدره.

ولعبد المطلب موقف يدل على ثقته الكبيرة بالله تعالى، وأنه هو القاهر فوق عباده، والقادر على أن يردي أي ظالم أو متكبر في لحظة هينة، وذلك الموقف هو موقفه من بيت الله الحرام، حين حاول الطاغية أبرهة الأشرم أنِ يهدمه، وأعد لذلك جيشاً جراراً ومعه فيل ضخم وقيل: اثنان وقيل غير ذلك، ولما اقترب بجيشه من الحرم ودنا منه أمر أصحابه أن يغيروا على نعم الناس فأصابوا إبلاً لعبد المطلب. ودخل عبد المطلب على أبرهة.

فقال له: ما حاجتك؟ قال: ترد عليّ إبلي. فتعجب أبرهة من طلبه

وقال: ظننت أنك تكلمني في بيتكم هذا الذي هو شرفكم؟! قال عبد المطلب: اردد عليّ إبلي ودونك والبيت فإن له رباً سيمنعه، أو سيحميه. فأمر أبرهة برد إبله عليه، فلما قبضها قلدها النعال وأشعرها وجعلها هديا وبثها في الحرم لكي يصاب منها شيء فيغضب رب الحرم، وصعد عبد المطلب على حراء وقال:

لا هم إن المرء يمنع رحله ... فامنع حِلالكَ
لا يغلبن صليبهم ومحالهم ... غدواً محالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا ... فأمرٌ ما بدا لك

فأقبلت الطير الأبابيل وهلك الجيش الغشوم، ونزل عبد المطلب من حراء فأقبل عليه رجلان من الحبشة فقبلا رأسه وقالا له: أنت كنت أعلم.

إنها الشفافية الروحية، والطاقة النفسية الإيمانية العالية، التي تجعل صاحبها يرى ما لا يراه الآخرون، وهذا ما كان يتمتع به عبد المطلب الجد الأكبر للزهراء عليها السلام. إنها أصول تمتد بسجاياها إلى الفروع، فتفرغ فيها شفافية وروحانية وطهراً ونقاء.

أما جد الزهراء عليها السلام لأبيها صلى الله عليه وآله فهو عبد الله بن عبد المطلب أحب الأبناء إلى نفس أبيه. أبوه عبد المطلب بن هاشم وفيه الشرف ولم يبق لهاشم عقب إلا منه، وقد شرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من أبنائه وأحبه قومه وعظم شأنه فيهم، وأمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية من صميم البيت القرشي، وقد أنجبت لعبد المطلب: أبا طالب، والزبير، وعبد الله، وأم حكيم البيضاء ـ توأمة عبد الله ـ وعاتكة، وبرة، وأميمة، وأروى. وجدة عبد الله لأبيه: سلمى بنت عمرو النجارية التي كانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها، حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها إذا كرهت رجلاً فارقته[1] وجدته لأمه: تحمر بنت عبد الله بن قصي القرشية.

إنها أشجار عريقة الجذور والأنساب، كلهم يتسمون بالشرف في

---

(١) السيرة الهاشمية ١: ١٤٥، وطبقات ابن سعد.

أقوامهم، وإن أبرزها ما في حياة عبد الله هي قصة الفداء، حين هم الأب بذبح ولده، حتى ثارت بنات عبد المطلب، وهبت قريش من أنديتها وقالت: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا[1].

وأقيمت الأفراح في أنحاء بلد الله الحرام وأضيئت المشاعل، ودارت الأحاديث حول قصة الذبيح الأول الجد الأكبر نبي الله إسماعيل عليه السلام حين مضى به أبوه إبراهيم عليه السلام إلى الجبل لكي يذبحه طاعة وتعبداً، فافتداه الله بذبح عظيم بعد أن كان من الموت قاب قوسين أو أدنى. إنها القصة التي تناقلها الآباء والأجداد جيلاً بعد جيل، تعود فتمثل في الموضع نفسه من البيت العتيق الذي رفع القواعد منه إبراهيم وولده إسماعيل عليه السلام الذبيح المفتدى عليه السلام.

والمفتدى هذه المرة هو حفيد أصيل من ذرية إسماعيل التي انتشرت في الأرض، وتوارثت مجد الأجداد. وغير مستبعد أن يخطر لبعض المتحدثين أن يصلوا ما بين الذبيحين: إسماعيل، وعبد الله، وربما ذهب بأحدهم الخيال فحاول أن يلتمس خلف ستار الغد المحجب، ما ينتظر عبد الله من أمر ذي شأن كذلك الذي كان لإسماعيل بعد الفداء.

وكان عبد الله هو ذلك الشاب الذي تحلم به كل فتاة في قريش بل في مكة كلها، فقد كانت بعض النساء يعرضن عليه أنفسهن، ولكنه كان يتأبى عليهن، ومنهن: قتيلة بنت نوفل بن أسد بن عبد العزى القرشية، أخت ورقة بن نوفل، التي استوقفت عبد الله قريباً من الكعبة فقالت له: أين تذهب يا عبد الله؟ قال: مع أبي.

قالت: لك مثل الإبل التي نحرت عنك إذا قبلت أن أهب لك نفسي الساعة. فقال: أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه.

ومنهن: فاطمة بنت مر، كانت من أجمل النساء وأعفهن، تقرأ الكتب

---

(١) السيرة ١: ١٦٢، والكامل لابن الأثير ٢: ٦.

كما جاء في طبقات ابن سعد، أو كانت كما ذكر الطبري وابن الأثير كاهنة من خثعم[1] دعته إلى نكاحها. وجاء في الطبقات أنها قالت: هل لك أن تقع عليّ وأعطيك مائة من الإبل، فنظر إليها وقال:

أما الحرام فالممات دونه ... والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تنوينه ... يحمي الكريم عرضه ودينه

وقد بلغ شباب قريش ما عرضت على عبد الله ـ وكان شباب قريش يتحدثون إليها ـ وتأبيه عليها، فذكروا ذلك فأنشأت تقول:

إني رأيت مخيلة عرضت ... فتلألأت بحناتم القطر
فلمائها نور يضيء له ... ما حوله كإضاءة الفجر
ورأيته شرفاً أبوء به ... ما كل قادح زنده يورى

إنه الجد الطاهر، الذي تأبى على الجميلات من نساء مكة، والبلد الذي تسبح فيه بحار الجاهلية، ويشيع فيه الكثير من الرذائل، ولكن عبد الله صاحب قلب يموج بالعفة والطهارة والنقاء، فكانت خطواته محسوبة بالطهر وتقاس بالعفة، وتمضي بالطهارة، إنها ذرية بعضها من بعض، وأهل يموجون في عبير الشرف والسؤود وكريم الأخلاق، ونبيل الخصال[2].

❀ ❀ ❀

(١) الطبقات ١: ٥٠، ٥١، الطبري ٢: ١٧٤ الكامل ٢: ٤.

(٢) وتذكر كتب السيرة ثالثة عرضت نفسها على «عبد الله» أيضاً وقد أبى، وهي «ليلى العدوية».

الزواج المبارك وثمرته

عم السرور أنحاء مكة حين ذاع خبر خطبة الأمين محمد بن عبد الله لخديجة بنت خويلد، وأصبحت أخبار هذا الزواج المرتقب تستأثر بمجتمعات مكة وأنديتها وغبطت النساء الثيبات والأبكار خديجة بهذا الزوج الكريم الذي كانت تتطلع إليه العيون وتهفو إليه القلوب من بنات قريش، فما كان في شباب مكة أنضر شباباً ولا أطهر قلباً، ولا أحزم رأياً ولا أصوب قولاً ولا أعلى مكانة ولا أكبر شرفاً من الأمين الذي استحوذ على القلوب بجميل صفاته وعظيم أخلاقه ورفعة نسبه وكمال صدقه وأمانته.

وحدد يوم الزفاف فأقيمت الأفراح ونحرت الإبل، ونصبت الجفان، وحضرت السادة والكبراء والشباب، وعمت المباهج والمسرات بيوت مكة التي كانت تعد محمداً أكرم أبنائها وأفضل شبابها، وحضر الاحتفال كبار مكة، وزعماء عشائرها وسادة بطونها، وخيرة شبابها وأبنائها، وتسابق القوم في نحر الإبل وذبح الذبائح وتهيئة الطعام ومدت الأسمطة ونثرت القصاع، وأكل الناس جميعاً حتى شبعوا، وطربوا وغمرهم السرور، وأشرقت السعادة في القلوب، فما في مكة رجل ولا امرأة ولا شاب ولا فتاة إلا شارك بهذه المناسبة العزيزة، وبلغ الفرح مداه، فأي حدث أعظم في نظرهم من هذا الحدث، وإذا لم تسعد مكة بهذا الزواج فبأي زواج غيره تسعد، وبأية مناسبة غيرها تطرب وتفرح وتلعب؟

ومضت الحياة بالزوجين الكريمين هانئة سعيدة طيبة ووجد محمد بن عبد الله في خديجة عطف الزوجة وحنانها وبرها ووفاءها فكانت له نعم

الزوج مودة ورحمة وكان لها خير الأزواج عطفاً وحناناً.

ولقد ملأ محمد عليها الدنيا وأحست بالسعادة تملأ البيت، وتفيض على قلبها ونفسها، وقد كانت تعلم أنها تزوجت رجلاً ليس كسائر رجال مكة، بل لا مثيل له ولا مشابه في الجزيرة العربية كلها، إنه رجل لا يأنس إلى خمر، ولا يلجأ إلى جوار صنم، ولا ينتظم به مجلس ميسر، ولا تستخف بعقله مباهج الحياة وإغراءاتها التي جذبت أكثر أبناء مكة من رجال ونساء.

وجدت خديجة نفسها أمام شخصية فذة محت ما علق بذهنها من خيال، إن ذكرت الأخلاق، وما يتحلى به الرجال من صفات فإن محمداً قد بلغ أعلى درجات الكمال الإنساني، وإن ذكرت الرجولة والحكمة، فليس في الوجود من هو أملك لها من زوجها.. لقد وجدت فيه من آيات الرجال وصفاتهم ما لم تره فيمن عرفت، بل ما لم تسمع بمثله أبداً عند أحد من الرجال.

إنه رجل راجح العقل، طيب القلب، نقي السريرة، له همة تعجز أن تقف في طريقها جبال مكة وبطحاؤها، بل همة تسع العالم كله، إنه شخص حين يعرفه من يتصل به يحس على الفور أنه رجل يعد لرسالة عظمى.

ولهذا كان في إحساس خديجة وشعورها إيمان قاطع بأن محمداً هو نبي هذه الأمة، ولكن متى سيكون ذلك، وكيف يكمل الاتصال بينه وبين ربه، وما هو الأمر غير العادي الذي سيكون على يديه؟!

كان الزوج يحب الخلوة، فما اعترضت الزوجة ـ وهي زوجة ـ على مثل هذه الخلوات، بل إنها هي التي كانت تعد له زاده ليستعين به على الخلوة، الخلوة إلى النفس، زاد كل إنسان عابد، متعلق بربه، إنه يخلو إلى نفسه ويخلصها من كل ما يشغله من مشاغل الحياة ويجلس وحده يتفكر في آلاء الله ونعمه، ويكثر من ذكره، ويعمر قلبه بزاد من الخوف والرجاء، الخوف من الله تعالى، القادر المقتدر، والرجاء في رحمته ورضوانه.

وكأن محمداً كان يعد نفسه لتلك الرسالة العظمى التي سوف تخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولكن الله عز وجل هو الذي كان يعده لهذا الدور العظيم وكانت عين الله ترعاه في كل خطوة من خطاه ليحمل شرف هذه الرسالة العظيمة التي كانت بانتظاره على أحسن ما يكون الحمل، وأكمل ما يكون عليه البلاغ. وكانت الزوجة الطاهرة الوفية المطيعة تعرف حجم ما يدور في فؤاد زوجها، وتقدر تلك المسؤولية المنتظرة، وتعرف مطالبها وتوطد نفسها لتعينه على أدائها.

وتنقضي الأيام وتتعاقب، وخديجة تحرص على ألا تشغله بصغائر الأمور وتهيىء له الجو المناسب لتعبده وخلوته.

ولاحت بوادر الحمل، ففرحت خديجة فرحاً شديداً فما كانت امرأة في قريش أشد لهفة على الحمل منها، وكيف لا تكون فرحتها عظيمة وهي زوجة للصادق الأمين زين شباب مكة، وقد ناهزت الأربعين، وزفت إلى زوجها الكريم بشرى حملها الذي استمرت متاعبه، واستخفت ثقله، فظلت طوال شهوره التسعة تعد دنياها لاستقبال الوليد، وتختار له المرضع قبل أن يولد كما جاء في الإصابة لابن حجر.

وجاءت اللحظة الحاسمة ومضت فترة من الوقت والأب الكريم في انتظار أن تزف إليه البشرى وكله شوق إلى رؤية الفلذة الحية من صلبه، يرى حبة القلب التي سوف تمشي على الأرض، ولم يمض وقت طويل حتى جاءته القابلة وبشرته بمولودته الأنثى، فخفق لها قلبه وفرح بالهبة الربانية الكريمة، وحمد الله على ما حباه من الولد وأجزل له الشكر على سلامة زوجته الغالية، ثم ما لبث أن سماها زينب[1].

---

(١) قيل إن أول مولود للرسول ﷺ هو ولده القاسم، وقيل إنه ولد ومات قبل المبعث، وفي هذا رواية في الروض الأنف عن الزبير بن العوام بن خويلد قال: ولدت خديجة له القاسم وعبد الله وهو الطاهر والطيب، سمي الطاهر والطيب لأنه ولد بعد النبوة واسمه الذي سمي به أولاً عبد الله، وبلغ القاسم سن المشي غير أن رضاعته لم تكن كملت عندما مات، وجاء في هذا المرجع نفسه أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة رضي الله=

ولم يحزن النبيﷺ لأن الله رزقه بأنثى كما كان يفعل الجاهليون، فقد استقبلها بفرح وسعادة، ونحرت الذبائح احتفالاً بمولودها، وقد أضفت على البيت مزيداً من الإشراق والبهجة على إشراقه وبهجته بالزوجين السعيدين.

ولم يطل المقام بزينب في البيت وحدها، فقد حملت أمها مرة أخرى، وما هي إلا شهور وقد استقبل البيت مولودة جديدة هي رقية واستقبلها الأبوان بنفس راضية مطمئنة فهما على صلة وثيقة بالوهاب المنان خالق الخلق، وقد عدوا ذلك هبة طيبة من الله تعالى وخيراً وبركة.

ثم جاءت الثالثة من بعدهما أم كلثوم وكان الظن أن يضيق الأبوان بمولد أنثى ثالثة في بيئة مفتونة بالبنين، ولكنهما يدركان أن الأمر في هذا لله وحده، وما كانا ليجحدا نعمته عليهما، ومن ثم أقبلا على طفلتهما الثالثة شاكرين لله ما أعطى، طامعين مع هذا في مزيد من كرمه. ومرت الأيام والزوجان الكريمان والبنات الثلاث يرفلن في حلل السعادة والنعيم وكانت الفتيات الصغيرات ينهلن من مناهل الحب، ويشربن من ينبوع السعادة الثر الفياض.

= عنها يوماً وهي تبكي فقالت يا رسول الله درت لُبينة القاسم ـ تصغير لبنة ـ تعني بها بقايا اللبن في ثديها، فلو عاش حتى يستكمل رضاعته. قالت لو أعلم ذلك لهون علي، فقالﷺ: «إن شئت أسمعتك صوته في الجنة». فأجابت بل أصدق الله ورسوله. وعلى هذه الرواية يكون القاسم مات رضيعاً في الإسلام كأخيه عبد الله ومما لا خلاف فيه بين أهل العلم أن القاسم كان ابن خديجةﷺ، وبه كان يكنى رسول الله. مما لا خلاف عليه أيضاً أن خديجة رضي الله ولدت أربع بنات كلهن أدركن الإسلام وهاجرن، وهن زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وأنكر بعضهم ولادتها لعبد الله ولكن أكثر الروايات في الاستيعاب والروض الأنف والإصابة وجمهرة أنساب العرب أجمعت على أن خديجة رضي الله عنها ولدت أربع بنات وولدين. ولكن متى ولد الولدان ومتى توفيا، ففيه اختلاف كبير.

بسم الله الرحمن الرحيم

علوت فلم تدرك مقاماتك الكبرى ... فغيرك لا تدعى - وإن عظمت - كبرى
وكم في نساء العالمين عظيمة ... ولكنها إن قورنت بك فالصغرى
تفرستِ في وجه النبي فراسةً ... عرفت بها ما كان من أمره سراً
رأيت به نور النبوة ساطعاً ... فأسرعت نحو النور فزت به مهرا
بميسرةٍ قد يسر الله كل ما ... تريدينه فاليسر قادك لليسرى
ربحت رسول الله حين خطبته ... فكنت له مأوى. شددت له أزرا
وأصبحت مهداً للرسالة حاضناً ... تلقيتها من حين ما نزلت إقرا
وأنت التي طمأنت طه بأنه ... تلق من الله الرسالة والذكرا
وزملته. دثرته، وورقة ... ذهبت به يتلو عليه الذي يقرا
ولما أتى جبريل قمت بخلعك ... النقاب فلم يمكث فأعلنتها بشرى
كتبت حروفاً من حياة محمد ... فأصبحت في أعلى صحائفها سطرا
وقد شكر المولى صنيعك إنه الشكور ... وهذا الفعل يستوجب الشكرا
فأهداك - مولاك السلام سلامه ... وأعطاك في الفردوس من قصب[1] قصرا
مراتب لا يعلى عليها ورفعة ... لكم خصصت فالله أعلاكم قدرا
ترعرع هذا الدين في بيتكم كأنه ... التوأم الروحي لفاطمة الزهرا
فأوليته حباً وصدقاً وطاعة ... وأحببته نهياً وأحببته أمرا
وأول من صليت خلف محمد ... وغيرك لم يعرفن ظهراً ولا عصرا
وعاشرت خير الرسل عشرين حجةً ... وبضع سنين لا يلاقي بها عسرا
وكم لقي المختار بعدك من عنا ... هموم بعام الحزن قد أقبلت تترى
ولكن صدر المصطفى لم يضق بها ... فقابلها بالحلم وادرع الصبرا
وظل وفياً سيد الرسل. ذاكراً ودادك ... في الأصحاب حتى قضى العمرا
إذا ذكرت يوماً خديجة عنده ... تنهد مشتاقاً وأعجبه الإطرا
وعائشة لما ادعت أفضلية ... تغير وجه المصطفى الطهر واحمرا

---

(١) القصب: اللؤلؤ المجوف.

وشاهد في بدر قلادة زينب وقد ... أرسلتها تفتدي الزوج في الأسرى
فرق لها، سالت من الدمع عينه ... الشريفة لما حركت قلبه الذكرى
فحبك في قلب النبي ممكن ... هنيئاً فقد حُزتِ السعادة والفخرا
أرقته هذي انتهت بعد موته؟ ... ألم يك في الدنيا رحيماً وفي الأخرى؟
حنانيك يا أماه إن دموعنا ... تسيل من التفريط بلَّلت النحرا
ومن يمسح الدمع الغزير إذا جرى ... من الابن غير الأم فهي بذا أحرى
وصلى عليك الله بعد محمد ... وسلم ما حادٍ حدا أو تلا شعرا
مع الآل والأصحاب ما قال قائل ... علوتِ فلم تدرك مقاماتك الكبرى

عبد القادر جيلاني بن سالم بن علوي خرد.

رحلة الزهراء في الحياة

خرجت فاطمة الزهراء إلى الحياة في بيت من أعرق بيوت قريش، فالأب الصادق الأمين لا يدانيه أحد من قريش في شرفه وصدقه وأمانته، والأم ليس في مكة من تدانيها شرفاً وعزة ورفعة.

لقد ارتضى الله تعالى لزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة أن يخرجن إلى دنياهن في أكرم بيت، وأنبتهن سلالة قرشية عريقة أصيلة ما يعرف العرب أعز منها ولا أنقى. واستقبلهن البيت الكريم استقبالاً لم تظفر بمثله لداتهن، بخلاف معظم البيوتات في مكة المكرمة، فقد كان أهلها يستقبلون البنات بوجوه مسودة، وقلوب حانقة لأن الأنثى عندهم كانت بشرى سيئة.

أما في بيت الزهراء فقد عد الزوجان محمد وخديجة هذه البشريات الأربع ثمرة طيبة لزواج سعيد قام على المودة الخالصة، وأنه رزق من الله تعالى وهبه لهما، وكانا مضرب المثل الحسن في الرضى بما وهب الله تعالى، وبما منح. وقد رأى الأب الكريم في بناته الأربع اليانعات صورة لطيفة من زوجته الحنون التي أنسته بحنانها الفياض كل ما ذاق في طفولته من يتم، وكانت له عوضاً جميلاً عما قاسى من حرمان.

وتجد الأم في بناتها الأربع، فلذات حية من زوجها الحبيب الذي أخذت منذ عرفته بجلال طلعته، وأسرها بنبل شخصيته، وجميل خصاله، فتفتح له قلبها المغلق، وأقبلت على الحياة من جديد، تفتح شهيتها أكثر هذه الزهرات اللواتي ملأن البيت فرحاً وسروراً وحبوراً وحيوية.

وإذا كانت البنات الأربع قريبات من قلب الأم فكلهن فلذات من فؤادها إلا أن فاطمة اختصت بجزء أكبر من حبها لسببين:

الأول: أنها أصغر بناتها وهذا حق تفرضه العناية بالصغير.

الثاني: أنها أشبه بأبيها من حيث الجمال والجلال.

ودرجت ـ البنات الأربع ـ في حياتهن الأولى على ما نعرف من تقاليد البيوت القرشية العريقة، فالتمست لهن الأم ـ واحدة بعد الأخرى ـ خير المراضع حتى إذا أدركن سن الفطام عدن إلى حضانة الأم التي كانت لهن خير مربية.

أمضت فاطمة طفولتها سعيدة بحب أبويها وتدليل أخواتها، وبخاصة كبراهن زينب التي كانت لها بمثابة أم صغيرة. وفي عامها الرابع كانت إرهاصات النبوة تتبدى للأب فيكثر من رحلاته في الخلاء، الأم تعد له الزاد وتحنو عليه ما أقام معها وترسل قلبها في أثره إذا غاب، وقد انتزعته تأملاته من دنيا الناس ومضت به إلى عزلة متأملة.

وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له، ليعده لما ينتظره من الأمر العظيم، ولا بد لأي روح يراد لها التأثير في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى، لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت وانقطاع عن شواغل الأرض وضجة الحياة، وهموم الناس الصعبة التي تشغل الحياة.

وهكذا دبر الله للرسول ﷺ وهو يعده لحمل الأمانة الكبرى وتغيير وجه الأرض، وخط التاريخ، دبر له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنوات ينطلق في هذه العزلة التامة شهراً من الزمان، يتدبر ما وراء الزمان من غيب مكنون، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب عندما يأذن الله.

بدأت فاطمة ترقب ما يدور حولها، وتشاهد عزلة الأب الكثيرة، وها هي ذي قد اقتربت من تمام السنوات الخمس، وقد تكامل لأبيها أربعون سنة، وبدأت بشائر النبوة تلوح وتلمع له من وراء آفاق الحياة، وتلك

البشائر هي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. فلما كان رمضان من السنة الثالثة من عزلته، شاء الله أن يفيض من رحمته على أهل الأرض فأكرمه بالنبوة، وأنزل إليه جبريل بآيات من القرآن. «فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارىء، فأخذه الملك فغطه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال: اقرأ. فقال ما أنا بقارىء، ثم قال له في الثالثة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾.

فرجع إلى بيته وهو يرتجف، فدخل على زوجته وهو يقول: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع. وشاهدت الزهراء ما أصاب الوالد الحبيب، وسمعت أمها تسأله: ما له؟ فأخبرها الخبر وقال: خشيت على نفسي. فقالت الزوجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتَكسِبُ المعدوم وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتى ورقة بن نوفل فقال له: هذا الناموس الذي نزله الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أَوَ مخرجي هم؟

قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»[1].

عاد الحبيب مع زوجته، وجلس في بيته وسمع أولاده ما قاله له ورقة بن نوفل وتعجبت الصغيرة فاطمة لمَ يخرجه أهله، ولماذا يعادونه؟ ماذا فعل؟ لقد كانت هذه الكلمة أكبر من تصوراتها، فقد بلغت الخامسة من عمرها، ونضجت نضجاً عظيماً، ولكنها ما زالت في ملابس الصبا لم تخلعها بعد، ولعل تلك الكلمات ترددت في ذهنها وأخذت عليها مجامع قلبها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي الحديث رقم (٣) فتح الباري ١: ٣١.

إلى أن عاد الأب مرة أخرى وهو يرتجف ويقول: «دثروني.. دثروني» ما الذي يحدث للأب، وأين يذهب ويعود هكذا مرتجفاً، أخذت هذه الأحداث البسيطة تأخذ فاطمة من طفولتها، وترغمها على الوحدة لتفكر في ما يدور حولها، وباهتمام الأم الأكبر بما يحدث للزوج والأب، وتلك الأحاديث التي تدور بينهم على لسان ورقة بن نوفل الذي يحترمه الجميع، وتسأل نفسها: من يكون النبي الذي يتحدثون عنه؟ ولماذا يؤذوه أهله؟!



فاطمة وسريّة الدعوة

بدأت مسيرة الدعوة إلى الله تعالى بالحيطة والحذر والسرية التامة، فمكة مركز دين العرب، وكان بها سدنة الكعبة والقوام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب، فالوصول إلى المقصود من الإصلاح فيها يزداد عسراً وشدة عما لو كان بعيداً عنها، والأمر يحتاج إلى عزيمة لا تزلزلها المصائب والكوارث، وكان من الحكمة تلقاء ذلك أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية لئلا يفاجأ أهل مكة بما يهيجهم.

وكان من الطبيعي أن يعرض الرسولﷺ الإسلام أولاً على آل بيته وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا من توسم فيهم الخير ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الحق والخير ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح.

وكان في مقدمتهم زوجة النبيﷺ خديجة رضي الله عنها التي لطالما انتظرت هذه اللحظة التي يختار فيها الله تعالى زوجها ليكون نبياً، فلم تتوان لحظة في قبول الإسلام، بل كانت مسرعة سباقة إليه، ثم أسلم علي بن أبي طالبعليه السلام، وكان صبياً يعيش في كفالة رسول الله رداً لجميل عمه في كفالته وتربيته، وتخفيفاً عنه أعباء الإعاشة فقد كان أبو طالب كثير العيال.

ثم أسلم أبو بكر الصديق وبلال بن رباح وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد العدوي، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وخَبّاب بن الأرت وعبد الله بن مسعود، وغيرهم من السابقين الأولين في الإسلام. أسلم هؤلاء سراً وكان الرسولﷺ يجتمع بهم

ويرشدهم، إلى الدين متخفياً لأن الدعوة كانت لا تزال سرية، وقد أدركت فاطمة عليها السلام هي وأخواتها الثلاث دعوة الإسلام في بواكيرها السرية.

وكان الوحي قد تتابع وحمى نزوله بعد نزول أوائل المدثر، وكانت الآيات وقطع السور التي تنزل في هذا الزمان آيات قصيرة ذات فواصل رائعة منيعة، وإيقاعات هادئة خلابة تتناسق مع ذلك الجو الهامس الرقيق، تشتمل على تحسين تزكية النفوس، وتقبيح تلويثها برغائب الدنيا، تصف الجنة والنار كأنها رأي عين، تسير بالمؤمنين في جو آخر غير الذي كان فيه المجتمع البشري آنذاك.

وتشربت فاطمة الزهراء عليها السلام هذا الجو الروحاني الطاهر، وامتلأ قلبها الغض ابن السنوات الخمس والمقبل على السادسة، امتلأ بخلال فاضلة على خلالها وحسن خلق على حسنها.

ومع أن الدعوة كانت سرية وفردية إلا أن أنباءها بلغت قريشاً بيد أنها لم تكترث ـ أي قريش ـ بها. يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه فقه السيرة[1] «قد ترامت هذه الأنباء إلى قريش فلم تُعِرْها اهتماماً، ولعلها حسبت أن محمداً أحد أولئك الموحدين الذين يتكلمون في الألوهية وحقوقها، كما صنع أمية بن أبي الصلت، وقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل وأشباههم، إلا أن قريشاً توجست خيفة من ذيوع خبره، وامتداد أثره، وأخذت ترقب على الأيام مصيره ومصير دعوته».

قريش ترقب الرسول صلى الله عليه وآله، وفاطمة عليها السلام تعب من رحيق الزاد الإسلامي، لقرب المنهل منها، فالرسول صلى الله عليه وآله أبوها، وأمها أول المؤمنين به.

وتتوالى الأيام وتمر ثلاث سنوات وتكون فاطمة عليها السلام قد بلغت من العمر السابعة، وتقبل على الثامنة، ولم تزل الدعوة سرية وفردية، وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون وتبلغ الرسالة وتمكنها من مقامها، ثم نزل الوحي يأمر النبي صلى الله عليه وآله بإنذار قومه

---

(١) فقه السيرة ص ١٧٦ بتصرف.

ومجابهة باطلهم ومهاجمة أصنامهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثم كان الحادث الأجل الذي هز الجزيرة هزاً، فانتزع فاطمة عليها السلام من شواغلها الخاصة وأيقظها في عنف من أحلام الطفولة، وألقى بتلك الأحلام في دوامة الأحداث الهائلة التي أعقبت المبعث.

وقد انتُزعت بهذا التحول الجديد من حياتها، ومن مرح الصبا، ولهو الطفولة، لكنها لم تأس قط على ما فاتها من ذلك المرح ولا عز عليها أن تتخلى هكذا سريعاً عما كانت تنعم به من راحة وخلو بال، بل حلت تمائم صباها راضية، وهجرت ملاعب أترابها من غير تردد، واستقبلت الحياة الجديدة بمصاعبها ومشاقّها وهي تدرك على صغر سنها معنى بنوتها للنبي صلى الله عليه وآله الذي أصبح رسولاً ونبياً، وأصبحت تعي ثقل العبء الذي يجب عليها أن تحمله لتكون جديرة بمكانها من المصطفى صلى الله عليه وآله الذي يلقى قريشاً مجتمعةً، أعزلاً إلا من إيمانه بالحق وحيداً إلا من فئة قليلة مضطهدة.

ودار في فكرها ما كان يردده خالها ورقة الرجل الطيب المبارك أن قومه سوف يخرجونه، وتساءلت على صغر سنها، لماذا هذه الضجة حول أبيها، وهو رجل يشهد له الجميع بالصدق، وحسن الخلق، وفضائل الأعمال؟!

وقد شدت هذه الأحداث المتلاحقة فاطمة من طفولتها ومن وحدتها الطارئة عليها. وأبوها في عزلته وتأملاته يقضي معظم الوقت، والأم مشغولة بالزوج الحبيب متتبعة أثره، مهيئة له جو الدعوة والعبادة، وفاطمة عليها السلام تقضي أوقاتاً مع لداتها، وأحياناً تمضي هي الأخرى إلى وحدتها.

فجاءت الأحداث لتنتزعها من تلك الوحدة لتدور في فلك الأحداث وترقبها عن كثب وتفاجيء الأيام فاطمة عليها السلام بما يقطع عليها وحدتها وساعات تأملها، ويقطع على أبيها وأمها تأملاتهما، فقد طلق عتبة وعتيبة ابنا عبد العزى (أبي لهب)، رقية وأم كلثوم.

وكانت قريش قد ائتمرت بسيدها محمد صلى الله عليه وآله في بناته قائلة:

إنكم قد فرغتم محمداً من همه، فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن. ومشوا إلى أصهار الرسول الثلاثة فقالوا لهم واحداً بعد الآخر: فارق زوجتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت. أما أبو العاصي بن الربيع فأبى مؤثراً زوجته على نساء قريش جميعاً، وأما ابنا أبي لهب فاستجابا على الفور، واختار عتبة زوجة من آل سعيد بن العاص بدلاً من رقية بنت محمد.

ولسنا في حاجة إلى القول أن ابني أبي لهب لم يكونا في حاجة إلى سعي من قريش في طلاق العروسين، فقد تكفلت به أم جميل بنت حرب الحاقدة، امرأة أبي لهب، فقد أقسمت ألا يظلها هي وبنتي محمد سقف واحد، ثم ما زالت بزوجها أبي لهب حتى أثارت حفيظته على العروسين، فقال لوالديه:

رأسي من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد. ولم يكن الظن أن يفعل الإبنان هذا، وما كان الظن أن يفعل العم هذا في بنات ابن أخيه الذي ابتهج لمولده وأعتق جاريته ثويبة الأسلمية حين بشرته بولادته.

لكنها أم جميل الحاقدة كانت وراء الجميع، ووراء زوجها تسلبه عقله وإرادته ونخوته وتتركه مضيع المروءة فاقد الإرادة، وتسمم دمه الهاشمي الذي يجري في عروقه، وتنسيه ما توجبه عليه قرابته لمحمد من نجدة وشهامة، لكنها الغيرة العمياء الحمقاء، فقد فاز الهاشميون واستأثروا بأكثر المجد والشرف، أما قومها بنو عبد شمس فلم يفوزوا بمثل ما فاز الهاشميون، خاصة وأن النبوة المنتظرة قد غدت حقيقة واقعة وسعد بها الهاشميون فسعت الحاقدة تفرق شملهم، مستغلة النخوة الجاهلية الحمقاء نحو الآباء وآلهتهم.

فاستغلت إعلان النبي ﷺ ما أرسل به من ربه، وأرادت أن تنتقم من خديجة عليها السلام حقداً عليها، فقد استأثرت هي الأخرى بالكثير من الشرف والمهابة والجلال، فقد كانت ملء الأسماع عزة ونبلاً، فراحت تؤجج بحقدها اللعين غضب القوم لتغيظ به خديجة عليها السلام وتعكر عليها صفو سعادتها

التي كانت مضرب الأمثال في قريش وغير قريش. وطار صواب الحاقدة زوجة أبي لهب، فلم تكتف أن ردت إلى البيت النبوي رقية وأم كلثوم بل خرجت في حرب سافرة، خرجت إلى صميم المعركة الشرسة بين قريش والجاهلية، وبين محمدﷺ والإيمان.

وكان موقف أبي لهب وزوجته من أشد المواقف العدائية للنبيﷺ ولم يؤذه أحد من بني هاشم مثلما آذاه أبو لهب وزوجته، على أنه كان هناك من الهاشميين وأعمام النبيﷺ، من وقف بجوار النبيﷺ وشد من أزره وشجعه مثل أبي طالب، الذي لم يكن على دين محمدﷺ، وموقف حمزة بن عبد المطلب الذي دفعه الغضب من أبي الحكم بن هشام (أبي جهل) حين آذى ابن أخيه أن ينتقم للنبيﷺ ويسلم. ولا شك أنها من معجزات القرآن الكريم ومعجزات المصطفىﷺ من ربه الذي علّمه وكرمه وأكرمه، فهذا القرآن ينزل على سيدنا محمدﷺ ويؤكد له أن أبا لهب وزوجته الحاقدة حمالة الحطب أم جميل بنت حرب سوف تكون في النار مع زوجها، فلو أن أبا لهب أعلن ولو كذباً إسلامه وزوجته وقال للناس: هذا القرآن ينص على أني في النار ومعي زوجتي وأنّا أسلمنا، ولكنها إرادة الله وقضاؤه، الذي لا يبدل القول لديه ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو سبحانه وتعالى يعلم أن أبا لهب سوف تغلب عليه شقوته هو وزوجته وأن مصيره إلى النار جزاء ما فعل بمحمدﷺ.

فلم يخذل أحد من بني هاشم وبني عبد المطلب محمداً سواء في ذلك الذين أسلموا منهم والذين لم يسلموا غير أبي لهب.

وعاشت الزهراءعليها السلام تشدها الأحداث المتلاحقة، وكانت أشد التصاقاً بأبيها، ووالدتها، وأخواتها، وربط الإسلام بينها وبين أخواتها المسلمات برباط أقوى من النسب وأغلى من الدم وأقرب من الرحم، ونسي كل فرد في البيت المحمدي شواغله الخاصة، منذ تلاقوا جميعاً حول دين واحد لا يدينون بغيره، ورب واحد يجثون له سجداً، لا يشركون به إلهاً آخر ولا يعبدون رباً سواه.

وقد آثر الله تعالى، فاطمة الزهراءعليها السلام بالحظ الأوفى من الألم والامتحان، ومن الابتلاء الكريم، والمعاناة العظيمة، فكتب لها أن تشهد المحنة وعظم البلاء منذ طفولتها الباكرة ومنذ نعومة أظافرها، وتعيش دون أخوتها جميعاً مع أبيها منذ بدء الوحي حتى يجود البطل الأسمى، والصابر العظيم والمعلم الكبير بأنفاسه ويلحق بالرفيق الأعلى، فقد كانت معه وبجواره لم تفارقه حتى بعد زواجها من عليعليه السلام وإلى حين انتقاله للرفيق الأعلى.

وقد أخذت فاطمةعليها السلام تتحرك نحو ميدان المعركة، وكان صغر سنها يتيح لها أن تخرج من البيت وتتحرك خارجة وتتبع أباها حيث ذهب، وتشاهده وهو يدخل إلى أندية قريش ومحافلها داعياً ومبشراً ونذيراً، ويلقى في سبيل دعوته ورسالته ما يلقى من أذى السفهاء وكيدهم.

كانت الزهراءعليها السلام خلف أبيها يوم مضى إلى الكعبة فاستلم الركن، فما أن لمحه المشركون حتى وثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ ـ وعدوا ما قال من تكفير آبائهم وعيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم.

فيقول عليه الصلاة والسلام في ثبات الإيمان، وشموخ الصدق: «نعم.. أنا الذي يقول ذلك».

وغادر محمدصلى الله عليه وآله البيت الحرام ومشى في الطريق، وفاطمة الزهراء خلفه عن كثب، حتى بلغ بيته، فتدثر في فراشه.

وجلست فاطمة الزهراءعليها السلام تسأل نفسها في حيرة: لقد كان والدي مضرب المثل في الصدق، باعتراف جميع الناس صغيرهم وكبيرهم، حرهم وعبدهم، فما الذي جعله الآن في نظرهم كاذباً؟ وقد كان السؤال أكبر من فؤادها، وأكبر من تخيلات عقلها الذكي الصغير، فتدثرت هي الأخرى في فراشها ونامت.

الرسول ﷺ يضرب بفاطمة المثل

عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ خرج النبي ﷺ ينادي بصوت عال، فخرجت قريش إليه لترى ما الخبر، ووقفت فاطمة ترقب أباها، وما سوف يدور بينه وبين القرشيين من أهله، فقال:

«يا معشر قريش اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس يابن عبد المطلب، يا عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية بنت عبد المطلب يا عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»[1].

وخفق قلب فاطمة حناناً وتأثراً، فهمست تقول: لبيك يا أحب والد وأكرم داع... ثم جمعت نفسها وسارت بين الناس بجرمها الصغير ـ أي بهيكلها وجسمها الصغير ـ اللطيف، مرفوعة الهامة، مشرقة الأسارير، وكأنما ازدهاها أن يختارها أبوها ﷺ من بين أخواتها جميعاً، بل من بين أهل بيته الخاص، ليؤكد للبشر أنه لا يغني من الله شيئاً عن أعز الناس وأحبهم إليه وأدناهم منه[2].

لقد بدأ بقريش قومه وقبيلته، ثم ببني عبد مناف عشيرته الأقربين، ثم بعمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، ثم بعمته صفية بنت عبد

---

(١) حديث متفق عليه أخرجه الشيخان من عدة طرق: البخاري في كتاب الوصايا، ومسلم في كتاب الإيمان، بروايات مختلفة.

(٢) تراجم سيدات بيت النبوة ص ٥٩٣.

المطلب رضي الله عنها، ثم كانت ابنته فاطمةعليها السلام هي آخر من يتخذه النبيﷺ مثلاً في ذلك الموقف الجليل، فعندها إذن ينتهي أقصى ما يبلغهﷺ في العظة والاعتبار، وإذا كان محمد لا يغني عن ابنته فاطمة الزهراءعليها السلام رضي الله عنها من الله شيئاً فهل يطمع غيرها، كائناً من كان في أن يغني عنه أحد من الله شيئاً[1].

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي يضرب بها المصطفىﷺ بابنته فاطمةعليها السلام المثل تأكيداً لما يريد نشره وترسيخه في أمته، من مبادىء وحدود وأخلاق.

فلقد حدث أن سرقت امرأة من قريش من بني مخزوم حلياً بعد أن أسلمت، وبلغ النبيﷺ أمرها، وأشفقت قريش أن تقطع يدها، فاستشفعوا النبيﷺ بغير واحد، ثم كلموا أسامة بن زيد حب رسول اللهﷺ وابن حبه، وكان المصطفىﷺ يشفعه، فلما أقبل أسامة ورآه النبيﷺ، قال: «لا تكلمني يا أسامة فإن الحدود إذا انتهت إلي فليس لها مترك، ولو كانت بنت محمد فاطمة سرقت لقطعت يدها» (متفق عليه). وفي رواية، قال رسول اللهﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله تعالى، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وهاجت قريش وماجت وأخذت تمعن في تعذيب من تعلم أنه مسلم، حتى إن النبيﷺ لم يسلم من أذى قريش والقرشيين، وكان أشدهم على النبيﷺ هو عمه عبد العزى أبو لهب ـ كما سبق ذكره ـ الذي كان كثيراً ما يقذف النبيﷺ بالحجارة، وكانت أم جميل الحاقدة تحمل الأشواك لتلقيها في طريق المصطفىﷺ وأمام بيته ليلاً، ولما أنزل الله تعالى فيها وفي زوجها قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

---

(١) تراجم سيدات بيت النبوة ص ٥٩٣، ٥٩٤.

وأخذ الكافرون يتفننون في تعذيب الرعيل الأول من المؤمنين، فيضعونهم على حر الرمضاء وقت الظهيرة، ويمنعون عنهم الماء، ويلبسونهم دروعاً من حديد حتى تكوي جلودهم، ولم يرحموا في ذلك النساء، فأول شهيدة في الإسلام كانت امرأة هي سمية بنت خُبّاط أم عمار بن ياسر رضي الله عنهم، وكل ألوان وصنوف العذاب التي كانت تراها فاطمة الزهراء عليها السلام، كانت امتحاناً لها ولإيمانها بأقسى ما يمتحن به مثلها، فقد كان تعلقها الشديد بأبيها يجعلها تتألم لما يلقى من فادح الأذى، وتروع بالذي يكابده من عنت الكافرين، وحرصهم على قتله، فقد حاول ذلك أبو لهب ـ في بعض الروايات ـ أن يقتله بخنجر، وحاول أبو جهل أكثر من مرة بحجر، وغيرهما.

وتعتصر ألماً لما يكابده المسلمون الأوائل، من المستضعفين والموالين، من اضطهاد سافر، حتى لتكاد تحس لهيب الشمس، ولسع الصخور الملتهبة التي كانت تلقى عليهم حين يحمى القيظ، وتتحسس على بدنها الرقيق أثر السياط التي كانت قريش تلهب بها ظهور من تقدر عليه من المؤمنين المستضعفين.

وتتعجب المؤمنة الصغيرة من عقول تلكم الفئة المعاندة، الذين لا يتدبرون الأمر بروية وتعقل، إن الذين يعذبون بأيديهم يزدادون إيماناً على إيمانهم، وهم يموتون كل يوم ـ في نظر الأعداء المجرمين ـ ولكنهم رغم ذلك لا يتراجعون، بل يتشبثون بدينهم أكثر وأكثر، وهذا دليل على ما يحسون من حلاوة الإيمان، وأثره في نفوسهم الطاهرة، وقلوبهم النقية، ولكن المعاندين لا يرجعون إلى رشدهم لحظة واحدة، ليقفوا مع نفوسهم وقفة تأمل تأخذهم إلى الحقيقة الناصعة.

أما المؤمنون فكانوا يردون ذلك إلى حكمة ارتضاها الله تعالى. نعم! إنها حكمة ارتضاها الله تعالى فكلما اشتد البلاء قوي إيمان المؤمنين، وهذه الفئة المعذبة كلما زاد عذابها، وزادت محنتها، واشتدت آلامها، وقويت في مواجهة الشدائد المقبلة، وإن أي شدة سوف تأتي

مهما تكن في شدتها لن تضارع أو تساوي ما مر بهم من شدائد، وهؤلاء الصفوة الذين اختارهم الله بسبقهم إلى الإسلام إنما هم الركائز القوية التي سوف يقام عليها بنيان الإسلام في دولته الجديدة، وهم بقوتهم الروحية والإيمانية إنما يمنحون تلك الدولة قوة مهيبة بين أقرانها ممن يتربصون بها السوء.

الزهراء ومحنة الحصار

صحبت فاطمة الزهراء أبويها عليهما السلام إلى شعب أبي طالب، ومعهم أم كلثوم، حيث عاشت هنالك معهم بين أسواء الحصار المنك.

وأقام القوم على ذلك ثلاث سنين[1] حتى جهدوا، فقد شددت قريش الحصار وقطعت عنهم الميرة والمادة، فلم يكن المشركون يتركون طعاماً يدخل مكة ولا بيعاً إلا بادروه فاشتروه، حتى أصاب الجهد بني هاشم واضطروا إلى أكل الأوراق والجلود، وكان لا يصل إليهم شيئاً إلا مستخفياً ومن أراد أن يصل قريباً له من قريش كان يصله سراً.

كان الرجل يخرج بالنفقة فما يُبايَع. لقد اشتدت بهم الحال، حتى إنه كان يسمع من وراء الشُعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضورون من أثر الجوع، وإذا خرجوا في الأشهر الحرم ليشتروا حوائجهم يشترون من العير التي ترد مكة من خارجها، وكان أهل مكة يزيدون عليهم في قيمة السلعة حتى لا يستطيعوا الشراء.

ولنا أن نتصور أثر الإيمان في نفوس المؤمنين ونأخذ مثالاً أم الزهراء خديجة رضي الله عنهما، فقد تربت في منابت العز والرفاهية ولكنها في داخل الشعب كانت تتحمل آلام الحياة وشظف العيش وهي صابرة محتسبة صامدة بجوار زوجها المصطفى صلى الله عليه وآله، تحرسه وترعاه ليلاً ونهاراً تراقبه

---

(١) وقيل سنتان. ولكن المرجح هو ثلاث سنوات. انظر طبقات ابن سعد ١: ١٤١ والرحيق المختوم ص ١٠٧.

مخافة أن تغدر به قريش أو يصيبه أي مكروه.

وعاشت فاطمة عليها السلام في مرحلة تأمل في تلك السنوات وقد دخلت الشعب وهي تخطو نحو الثانية عشرة من عمرها، وقد نضجت نضجاً فكرياً عظيماً، وكانت تشاهد بعض بني هاشم وبني المطلب، رغم الجوع والحصار والعذاب يفضلون الموت ويدخلون في دين الله تعالى، ويرفضون أن يخرجوا إلى قريش ويتمتعوا معها في نعيمها الزائل.

وكان كل يوم يمر على الزهراء عليها السلام أثناء هذه المحنة ـ التي دامت ثلاث سنوات ـ يُدخلها هي والمؤمنين في طور جديد من أطوار الصبر الجميل والجلد العظيم، فقد قاسى جميع المحاصرين الكثير من مرارة الجوع وآلامه ولكنهم آمنوا وصبروا وكان ذلك خير إعداد لهم ليتحملوا خوض الجهاد في سبيل الله وكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يمهد لهم من وراء هذا الجهاد أن يزداد المؤمنون الأول إيماناً مع إيمانهم حتى يصبحوا مهيئين لتحمل أعباء الجهاد ومشاقه وينهضوا مع النبي صلى الله عليه وآله في كفاح لبناء المجتمع الإسلامي الجديد الذي أنشأه بعد الهجرة الشريفة. وعلى الرغم من المعاناة والجهد الذي كان فيه المؤمنون إلا أن عين الله كانت تحرسهم على رغم أنف الكافرين كانت تمتد لهم يد الخير بالطعام والشراب. لقد كان بنو أسد يعرفون أن خديجة رضي الله عنها يؤذيها الجوع وهي التي كانت ترفل في أسباب الترف والكرم والنعمة والعز، فرتبوا أنفسهم أن يبعثوا لها ما تريده، فيعدون ما يظنون أنها تحتاجه، من متاع وغذاء وشراب، ثم يضعونه على بعير، أو راحلة ثم يؤتى بها إلى فم الشعب، ثم تضرب لتدخل الشعب، ولم تكن المؤمنة تستأثر بما يأتي، بل كانت تفرقه على من في الشعب فهو فضل ساقه الله تعالى، إلى عباد الله المؤمنين، فيشاركها الكل فيما أفاض الله.

ومن عجب أن ذلك السهم الذي أطلقته قريش، ارتد عن المؤمنين دون أن يزعزع إيمانهم مثقال ذرة، أو يزحزحهم قيد شعرة عن موقفهم من نصرة النبي صلى الله عليه وآله، وعاد السهم منطلقاً إلى معسكر قريش فأصاب منها مقتلاً.

ذلك أن نفراً من مشركي قريش روعهم الحصار الغاشم المضروب على المؤمنين فثارت ضمائرهم وسلطت عليهم سوط عذاب يُقِضُّ مضاجعهم. لقد بدأ الحصار يهتز ويتداعى تحت وطأة الندم وعذاب الضمير.

لقد سرى خبر حكيم بن حزم بعدما شنع به أبو جهل وبدلاً من مناصرة أبي جهل وإحكام الحصار، راح القوم يفعلون ما يفعل حكيم لعمته، لقد تحدثت بيوت قريش ونساؤها بذلك، وتناقله الناس، وعابوا على من لم يفعل مثله، بل واتهموهم بالضعف والبعد عن النخوة والرجولة فأخذتهم الحمية والشهامة.

فقد حدثوا أن هشام بن عمرو بن ربيعة العامري، وكان ابن أخي نضلة بن هشام لأمه، كان يأتي ليلاً بالبعير قد أوقره طعاماً، حتى إذا بلغ به فم الشعب، خلع خطامه من رأسه ثم ضربه على جنبه، فيدخل البعير على بني هاشم وبني المطلب بما يحمل[1].

واستمر هشام بن عمرو على ذلك وهددته قريش فقد أدخل في ليلة واحدة ثلاثة أحمال طعاماً، فقال لهم: إني غير عائد بشيء تحالفتم عليه، فقال لهم أبو سفيان بن حرب: دعوه، رجل وصل أهله ورحمه، أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان أحسن بنا[2].

لقد بدأت المحنة تنقشع كما انقشعت قبلها محن أخرى، ودار حديث بين خديجة رضي الله عنها وابنتيها أم كلثوم وفاطمة عليها السلام، حول فضلها على المؤمنين واستعبرت خديجة وبكت، وهال البنتين ما تريان من دموع أمهما صاحبة القلب القوي، والهمة العالية، وسألتها أم كلثوم:

ـ لماذا تبكين يا أماه؟

ـ فقالت: لقد نالت السنون مني يا بنيتي، ولا بد للأجل المحتوم أن يأتي قريباً.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٧.

(٢) اتحاف الورى بأخبار أم القرى ١: ٢٨٣، عن كتاب تراجم سيدات بيت النبوة.

ـ فقالت فاطمة: لا بأس عليك يا أماه؟

ـ فقالت: إي وربي لا بأس علي يا بنيتي.. ما من امرأة في قريش حظيتْ بما حظيتُ به من نعمة، بل ما من امرأة في هذه الدنيا نالت مثل الذي نلت من عز، حسبي من دنياي أنني زوج رسول الله ﷺ، وحسبي من آخرتي أنني المؤمنة الأولى بين المسلمات، ثم أسبلت الأم عينيها وتوجهت إلى الله قائلة:

اللهم لا أحصي ثناء عليك! اللهم إني لا أكره لقاءك، ولكن أطمع في مزيد من الجهاد لأكون أهلاً لما أنعمت علي!

وصمتت فاطمة الزهراء عليها السلام وصمتت أم كلثوم عليها السلام وكأن الكون كله كان صامتاً، وأرهف الليل سمعه لهذه النجوى المؤثرة، فما عاد يسمع فيه سوى أنفاس أم المؤمنين المجاهدة الصابرة، وخفقات قلبي ابنتين راحتا تدعوان لأمهما بالخير والصحة والعافية.

وقطع الصمت فتح الباب، فقد دخل المصطفى ﷺ، وما كادت خديجة عليها السلام ـ التي تحس بدبيب العلة في أوصالها ـ أن تراه حتى هبت للقائه، وقد سرى في جسدها المتعب فيض من القوة والعافية، وأصغت فاطمة وأم كلثوم عليهما السلام مع أمهما إلى ما كان النبي ﷺ يحمل من الأنباء، فأحست كل منهن كأن ظلام الليل ينقشع رويداً رويداً، كيما يفسح المجال لنور فجر جديد، وجاء بعده أبو طالب ليحكي ما يدور في مكة.

فقد سخّر الله تعالى المشركين لنقض تلك الصحيفة الظالمة، وكانوا من قبل يبذلون كل جهودهم لإحكام الحصار، فقد مضى هشام بن عمرو ليلاً إلى زهير بن أبي أمية، أخي هند ـ أم سلمة ـ بنت زاد الركب فقال له: يا زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب، وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت؟ أما أني أحلف بالله أن لو كان أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه من مقاطعتهم، ما أجابك إليه أبداً.

فأصغى زهير ملياً، وفكر ثم سأل:

- ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقض الصحيفة حتى أنقضها.

- قال هشام: قد وجدت رجلاً.

- فسأله زهير: من هو؟

- قال: أنا.

- قال زهير: ابغنا رجلاً ثالثاً.

فذهب هشام إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وأبي الختري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، فوافقوا جميعاً واجتمعوا ليلاً بخطم الحجون - بأعلى مكة - وأجمعوا أمرهم على القيام في أمر الصحيفة حتى ينقضوها واتفقوا على أن يبدأ زهير فيكون أول من يتكلم في مجتمع القوم.

وأخبر الرسول ﷺ عمه أن الله أطلعه على أمر الصحيفة، وأنه أرسل عليها الأرضة - دابة من دواب الأرض - فأكلت جميع ما فيها من ظلم وقطيعة إلا ذكر الله جل وعلا.

وذهب أبو طالب إلى المسجد الحرام وجلس حتى يرى ماذا يفعل المشركون مع هؤلاء النفر الذين أزمعوا وعقدوا العزم على نقض الصحيفة.

وتكلم زهير فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبو الحكم بن هشام وكان في ناحية المسجد: كذبت والله لا تشق.

فصاح زمعة: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت.

وثنى أبو البختري على كلام زمعة، وأيدهما المطعم، ثم تابعهم هشام بن عمرو.

فقال أبو الحكم بن هشام: هذا أمر قضى بليل تُشوورَ فيه بغير هذا المكان.

فقام أبو طالب إليهم وكان جالساً في ناحية المسجد فأخبرهم أن ابن أخيه قال إن الله أرسل على الصحيفة الأرضة فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله، فإن كان كاذباً خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن قطيعتنا[1] وظلمنا، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم، وما كان فيها من اسم الله لم تأكله[2].

ووجمت قريش، وأسقط في يدها، وأحست بالسهم الذي راشته إلى صدور المؤمنين المستضعفين قد ارتد إلى صدرها فيمزقه، وأنها كما سعت إلى الحصار هي التي سعت إلى فكه.

ونهض أبو طالب يسعى إلى الشعب بالبشرى، وكل من في الشعب ينتظر الفرج، وفي طريقه من البيت العتيق إلى الشعب تذكر الذين هاجروا إلى الحبشة فهتف منشداً لعله يبلغهم هناك صدى من صوته فقال:

ألا هل أتى بحريَّنا صنعُ ربنا ... على نأيهم، والله بالناس أرود
فيخبرَهم أن الصحيفَة مُزقت ... وأنْ كلُّ ما لم يرضه الله مُفسَد
تراوحها إفك وسحر مجمع ... ولم يلف سحر آخرَ الدهر يصعد
جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا ... على ملأ، يَهدي لحزم ويُرشِدُ
قعدوا لدى خَطم الحجون كأنهم ... مَقاوِلةٌ، بل هم أعز وأمجد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا ... على مهل، إذ سائر الناس رقد

ووصل صوته إلى كل من في الشعب، فهم من نومه من كان نائماً، وأخذ الكل يهتف بالبشرى، وصاح المسلمون منهم: الله أكبر، الله أكبر.

وباتوا ليلتهم وما تمس جنوبهم مضجعاً لفرط الفرح والانفعال، والكل يتهيأ للخروج صباحاً إلى الكعبة ثم إلى دورهم في مكة. وخرجت

---

(١) طبقات ابن سعد ١: ١٨٨، ١٨٩.

(٢) انظر حديث الصحيفة والحوار بين أبي جهل والآخرين في سيرة ابن هشام ٢: ١٤ـ ١٦.

فاطمة وأم كلثوم مع أمهما التي بدأت تحس بدبيب المرض يزحف إليها، خرجوا ومعهم المصطفىﷺ إلى بيت الله الحرام، وطافوا حول الكعبة ثم رجعوا إلى دارهم.

فاضجعت خديجة رضي الله عنها على فراشها وهي تحمد الله كثيراً، لقد حقق لها أملاً كان يراودها وهو أن يمهلها الأجل حتى تنجلي المحنة، وها هي المحنة قد انجلت، ولعل ما قد أصابها من المرض كان من أثر الجوع والحرمان الذي لاقاه كل المسلمين، فقد خرجت فاطمة كذلك هزيلة الجسم، نحيلة العود، مصفرة الوجه مثلها مثل باقي المسلمين فقد كانت المحنة لا تميز بين أحد منهم وكانوا يواجهون المحنة بالصبر والمصابرة ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

وبدأ الكل يسترد عافيته، وقريش في ذهول من أمرها، فكلما أبرمت أمراً وأحست أن فيه نهاية محمدﷺ وأصحابه، تجد فيه غير ما أرادت، وفي هذه الأيام، وقريش تتماوج في غيها الذي لا يبرح مكانه بينما استفاد المسلمون من الظروف الجديدة في الدعوة، وفي تعويض ما مضى من أيام الحصار.

واستردت أم الزهراءعليها السلام بعد عدة أسابيع صحتها، ولكنها ظلت تعالج أسباب الضعف الذي أصابها، وكانت قد ناهزت الخامسة والستين من حياتها.

وبعد فترة من الهدوء يسيرة مضت قريش مرة أخرى إلى أبي طالب ليعقدوا هدنة أو صلحاً، ليكف محمد عنهم، ويكفوا عنه، وليدع دينهم ويدعوا دينه، فقال لهم الرسولﷺ: «كلمة واحدة تقولونها، تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم» قالوا ما هي؟!

قال: «تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه».

فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن أمرك لعجب.

ثم قال بعضهم لبعض، إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما

تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرقوا.

وفي هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾[1].

❀ ❀ ❀

(١) انظر سيرة ابن هشام من ١: ٤١٧ ـ ٤١٩، والرحيق المختوم للمباركفوري ص ١١٠ـ ١١١.

هجرة المصطفى ﷺ والزهراء عليها السلام

ومرت الأيام سراعاً وبدأت هجرة المسلمين إلى المدينة تشتد على قدم وساق، إلى أن جاء الإذن للنبي ﷺ بالهجرة، ومضى في طريقه إلى المدينة.

ارتحل النبي الكريم ﷺ وترك خلفه الزوجة سودة بنت زمعة وابنتيه أم كلثوم وفاطمة عليها السلام. ورقية عليها السلام هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان. وزينب عليها السلام ما زالت في بيت زوجها أبي العاص بن الربيع إذ لم يكن الإسلام قد فرق بينهما بعد.

أخذت مكة كلها تتسمع أخبار المهاجر العظيم وصاحبه ومطاردة قريش المحمومة لهما تريد الظفر بهما. ووصلت الأخبار من يثرب بوصول النبي ﷺ بسلامة الله إلى هناك وقد استقبله أهلها استقبالاً عظيماً، بترحاب ينم عن حب كبير وشوق للقاء هذا النبي الكريم والرسول العظيم ﷺ.

وعلى أثره هاجر علي ابن أبي طالب عليه السلام، وكان قد تمهل ثلاثة أيام في مكة، ريثما أدى عن النبي المهاجر الودائع التي كانت عنده للناس.

ومضت الأيام في سيرها متباطئة مشحونة بالقلق واللهفة، ومضت الليالي مثقلات بالسهد والشجن، حتى جاءت البشرى، فقد جاء زيد بن حراثة وأبو رافع ومعهما راحلتان وخمسمائة درهم كي يحضروا سودة بنت زمعة وأم كلثوم وفاطمة الزهراء من بيت النبوة.

وأمضت ابنتا النبي ﷺ يومهما الأخير بمكة مع أختهما زينب زوج

أبي العاص، يذكرن الأمس السعيد، ثم أغلقن الدار التي شهدت ماضيهن الخلي، وسعين إلى الحجون فروين قبر الأم الطاهرة بدموعهن يودعن أمهن الراقدة تحت التراب، وأغلقت دار المصطفىﷺ بمكة كما أغلقت دور المسلمين فيها، فلم يعد فيها ساكن ولا أنيس.

وأمسكت أم كلثوم بيد أختها فاطمة الزهراء ومضت بها إلى حيث كان زيد ينتظرهما متهيئاً للرحيل.

لم تمض رحلتهما بسلام، فما كادتا تودعان أم القرى وينفصل بهما الركب مستقبلاً طريق المدينة، حتى طاردهما اللئام من مشركي قريش، وباء الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي ـ وكان ممن يؤذي أباهما النبيﷺ بمكة ـ باء بإثم اللحاق بهما حتى نخس بعيرهما فرمى بهما إلى الأرض[1]. فسارتا بقية الطريق متعبتين من أثر وقوعهما على أديم الصحراء إلى أن بلغتا المدينة وما تكاد ساقاهما تنهضان بهما، فلم يبق هناك من لم يلعن الحويرث. وتمر السنون وأبوهماﷺ لا ينسى هذه الفعلة الآثمة، ففي العام الثامن للهجرة، يذكر الحويرث يوم الفتح الأكبر ويسميه مع النفر الذين عهد إلى أمرائه أن يقتلوهم وإن وجدوهم متمسكين بأستار الكعبة. وكان الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام، أحق هؤلاء الأمراء بقتل الحويرث، وقد فعل[2].

قبل أن يبعث النبيﷺ في إحضار فاطمة الزهراءعليها السلام كان قد شرع في بناء مسجده ومنزله، حيث بركت ناقته القصواء عند وصوله إلى دار الهجرة، ونزلﷺ ريثما يتم البناء، في دار أبي أيوب الأنصاري، وهي الدار التي صارت من بعده إلى مولاه أفلح فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام بألف دينار، بعدما خربت وتداعت جدرانها، فأصلحها وتصدق بها على بعض فقراء المدينة.

---

(١) السيرة لابن هشام ٤: ٥٢.

(٢) السيرة لابن هشام ٤: ٥٢، وتاريخ الطبري حوادث السنة الثامنة للهجرة.

وكانﷺ يعمل في بناء مسجده وبيته الجديد، مما حفز همة المهاجرين والأنصار فأقبلوا يتنافسون على العمل.

ورئي المصطفىﷺ يومئذٍ وهو ينفض بيده الكريمة وفرة عمار بن ياسر وقد جاء مثقلاً بما يحمل من اللبن، وسمع علي بن أبي طالبعليه السلام ينشد مرتجزاً:

لا يستوي من يعمر المساجدا
يدأب فيه قائماً وقاعداً
ومن يرى عن الغبار حائداً

فأخذهما عنه عمار وجعل يرتجز بها حتى تم البناء.

وكان البيت يتكون من حجرات بسيطة مفتوحة على فناء المسجد النبوي، بعضها من حجارة مرصوصة، وبعضها من جريد يمسكه الطين، وكانت جميعاً مسقوفة بالجريد. وأما ارتفاعها فيقول الحسن بن علي سبط النبي وابن ابنته الزهراءعليها السلام: كنت أدخل بيوت النبيﷺ وأنا غلام مراهق، فأنال السقف بيدي.

وأما الأثاث فأقصى ما عرفت المدينة يومئذٍ قلة وخشونة وتواضعاً، وكان سريرهﷺ خشبات مشدودة بالليف.

إلى هذا المنزل الجديد المتواضع، جاءت فاطمة بنت محمد مهاجرة من مكة لترى أباهاﷺ في أعز موضع، ولتجد المهاجرين وقد اطمأن بهم المقام. وآخىﷺ بين المهاجرين والأنصار، ليذهب عنهم وحشة الاغتراب، ويشد بعضهم أزر بعض.

كانت فاطمة وقتئذٍ قد قاربت عامها الثامن عشر وما تزال منصرفة عن الزواج زاهدة فيه لتظل في رعاية الوالد الحنونﷺ ولتظل أم أبيها، ولكن مع توالي الأيام، أدركت حكمة الزواج، وأحست بفطرتها أنه أمر في طبيعة كل أنثى ولا تستقيم الحياة إلا به.

ما أجمل الصورة التي تراها الآن، الأخوة الظاهرة، والحب الظاهر بين المهاجرين والأنصار وما أروع ما تشاهد.. ما من مهاجر يأتي المدينة إلا ويسارع إليه العشرات من الأنصار. كل يرغب في استضافته.. وكل يرغب في أن يكون أخاه. ما العمل إذن وكيف يكون إرضاء الجميع؟

لا بد من إجراء قرعة بين الجميع فمن كانت من نصيبه ظهرت عليه السعادة والتهاني تزف إليه، فقد فاز بأخ حبيب..

وترتد فاطمة عليها السلام بخيالها إلى الأمس القريب.. في مكة المكرمة.. هناك حيث الإيذاء والفتنة والعداوة. وهنا في المدينة المحبة والخير والإيثار.

في مكة إذا أسلم مسلم أسرع أهلها إليه يكيلون له الإهانات والسباب والعذاب. وفي المدينة إذا هاجر مسلم فالكل يسارع إليه لإكرامه والسهر على راحته في ضيافة وكرم وحب.

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام محدثة نفسها: ما أهون الهجرة، إذا كنا قد تركنا الديار فقد وجدنا الأنصار. إذا كنا قد تركنا الأهل.. فقد وجدنا الأحباب.

وبدأ أهل الإيمان المهاجرون يستقرون، قد وسعتهم بيوت الأنصار، أعطاهم الأنصار نصف الدور، ونصف الأموال، حتى إن بعض الأنصار كان عنده امرأتان فخير أخاه أن يطلق له امرأة ليتزوجها.

إن المقارنة صعبة بين قريش وبين الأنصار، فقد آذتهم قريش في أبدانهم. وحاصرتهم في شعب أبي طالب، ومنعتهم أموالهم وصادرت أملاكهم، خرجوا منها خائفين يترقبون. والآن يحسون بكل معاني الأمن والاستقرار، ويجدون الكفاية من الحاجات.



زواج الزهراء عليها السلام

بعد أن تزوج والدها رسول الله صلى الله عليه وآله عائشة بنت أبو بكر الصديق، بدأ يصل إلى مسامعها تقرب علي بن أبي طالب عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مبدياً رغبته في الزواج بها، وهو ليس بغريب. فقد تربى معها في بيت واحد، بعد أن أخذه النبي صلى الله عليه وآله وهو صغير ليخفف مؤونة العيال عن عمه أبي طالب، وليرد له جميل صنيعه معه حين تكفل بتربيته بعد وفاة جده عبد المطلب.

وعلي بن أبي طالب عليه السلام صاحب تاريخ مشرف منذ أن وعى الحياة، فهو لم يسجد لصنم، وهو أول من آمن من المسلمين، وهو أول فدائي في الإسلام، فقد رضي أن ينام في فراش النبي صلى الله عليه وآله ليلة هجرته، وهو يعلم أن قريشاً قد أجمعت على قتله واختارت من كل قبيلة فتى جلداً. وقد أبلى بلاء حسناً في غزوة بدر، وأظهر من البطولات ما لم يظهره غيره في الإسلام.

ثم ما أن وصل علي بن أبي طالب عليه السلام مهاجراً إلى المدينة، حتى أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيده وقال قولته المشهورة: «هذا أخي»[1]. وبقوله هذا، قد منع الأنصار الأطهار أن يتسابقوا لشرف استضافته والفوز بأن يكون أخاً لأحدهم، وأي شرف هذا الذي ناله علي عليه السلام أن يكون أخاً في الله لأشرف الخلق أجمعين، ولماذا خصه النبي صلى الله عليه وآله بهذا الشرف دون غيره من كبار الصحابة والمؤمنين، وفيهم من يضرب المثل به في الإيمان؟

---

(١) ابن هشام ٢: ١٥٠، والاستيعاب ٣: ١٠٨٩ والترمذي (٣٧٢٠) وقال حسن غريب.

لعل في اختيار النبيﷺ لعلي أن يكون أخاً له، سراً سوف توضحه الأيام.

وكان لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه جارية، قالت له محفزة مشجعة: لقد علمت أن فاطمة تخطب. فما يمنعك أن تأتي ابن عمك رسول اللهﷺ فيزوجك.

قال عليعليه السلام مستنكراً هذا الأمر: وهل عندي ما أتزوج به؟

إنه يتمنى.. ولكن لا يمنعه إلا أنه لا يملك ما يقدمه لفاطمة.

وبعد تردد يتشجع عليعليه السلام ويأخذ طريقه إلى ابن عمه رسول اللهﷺ، ويحمل بين جنبيه الرغبة في طلب فاطمة الزهراءعليها السلام. حتى إذا جاء المصطفىﷺ حياه بتحية الإسلام. ثم جلس قريباً منه على استحياء، لا يذكر حاجته، ولم يستطع الكلام جلالة وهيبة لرسول اللهﷺ.

وأدرك النبيﷺ ما يعانيه ابن عمه وأخوه وصاحبه، فقد جاء لأمر لا يقوى على الإفصاح عنه، فأقبل عليه المصطفىﷺ يسأله في رفق وتلطف:

ـ ما حاجة ابن أبي طالب؟

ـ أجاب بصوت خفيض وهو يغض بصره:

ذكرت فاطمة بنت رسول اللهﷺ.

قالﷺ وما يزال على بشره وتلطفه: «مرحباً وأهلاً»[1].

وفي رواية قال: «هي لك يا علي»[2]. ثم أمسك الرسولﷺ ولم يزد.

وطال صمت الفتى، وطال صمت النبيﷺ، فعلي قد وقع بين فرط الخجل، وشدة الفقر، فليس عنده ما يتزوج به إلا عميق إيمانه بالله تعالى وحبه للمصطفىﷺ.

---

(١) طبقات ابن سعد ٨: ١٩، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤: ١٨٩١.

(٢) طبقات ابن سعد ٨: ١٩، ٢١.

والرسول ﷺ يريد منه أن يتكلم حتى ينهي الأمر معه، ويخرجه من القلق الذي يحيا فيه.

وطال صمتهما، فانصرف علي قلقاً، لا يدري بم يجيب أهله وأصدقاءه الذين كانوا في انتظاره، يترقبون عودته بكلمة أبي الزهراء ﷺ، فلما ألحوا عليه قال علي عليه السلام: ما أدري والله شيئاً. تحدثت إلى رسول الله ﷺ بالأمر، فما زاد على قوله «مرحباً وأهلاً».

فهتفوا جميعاً: يكفيك من رسول الله ﷺ إحداهما. ثم تركوه وقد اطمأنوا عليه[1].

ما قاله الأهل والأحباب لعلي عليه السلام جعله يترقب بزوغ الصباح بصبر نافد، وذهب إلى المصطفى ﷺ، وقد استجمع كل نفسه فقال عليه السلام:

فداك أبي وأمي يا رسول الله، إنك لتعلم أنك أخذتني من عمك أبي طالب، ومن فاطمة بنت أسد، وأنا صبي لا أعقل شيئاً، فهديتني وأدبتني وهذبتني، فكنت أفضل من أبي طالب وفاطمة بنت أسد في البر والشفقة بي، وإن الله عز وجل هداني بك، واستنقذني مما كان عليه آبائي وأعمامي من الشرك، وإنك يا رسول الله ذخري ووسيلتي في الدنيا والآخرة وقد أحببت مع ما شد الله عز وجل بك من عضدي أن يكون لي بيت وزوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً ابنتك فاطمة، فهل تزوجني يا رسول الله؟

فتهلل وجه النبي ﷺ، ثم تبسم في وجه علي عليه السلام وقال:

هل عندك شيء يا علي؟ وفي رواية: يا علي هل معك شيء تصدقها.

قال علي عليه السلام: لا يا رسول الله، والله ما يخفى عليك حالي، ولا شيء من أمري، غير سيفي وناضحي.

قال رسول الله ﷺ: «فأين درعك التي أعطيتك يوم كذا؟».

---

(١) انظر تراجم سيدات بيت النبوة ص ٦٠٥ـ ٦٠٦ بتصرف.

قال علي عليه السلام: تقصد درعي الحطمية[1]، هي عندي يا رسول الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فأعطها إياها»[2] فانطلق علي عليه السلام مسرعاً، وجاء بالدرع، فأمره صلى الله عليه وآله أن يبيعها ليجهز العروس بثمنها[3].

وتقدم عثمان بن عفان فاشتراها بأربعمائة وسبعين درهماً، حملها علي عليه السلام ووضعها أمام المصطفى صلى الله عليه وآله، فتناولها بيده الكريمة ثم دفعها إلى بلال ليشتري ببعضها طيباً وعطراً.

وفي رواية قال علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله حين سأله: وهل عندك شي؟

قال: ما أملك غير درعي وسيفي وناضحي.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما سيفك فلا غنى لك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وأما ناضحك فتنضح عليه لأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكن زوجتك على درعك».

وجاء في أنساب الأشراف للبلاذري: فباع عليٌّ بعيراً له ومتاعاً فبلغ من ذلك أربعمائة وثمانين درهماً، ويقال: أربعمائة درهم، فأمره أن يجعل ثلثيها في الطيب وثلثها في المتاع، ففعل.

كانت هذه هي خطبة فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الهاشمية القرشية، وكان هذا هو مهر فاطمة الزهراء عليها السلام رضي الله عنها، درع حطمية. وقد وفقها الله إلى هذا الفتى الشجاع البطل العالم النقي.

فالمرأة تنكح لأربع، لجمالها ولمالها ولحسبها ولدينها، ومن يظفر بذات الدين يجد ما ينبغي ويتمنى، والرجل يزوج لدينه وخلقه، فإذا جاء خاطباً من ترضى الفتاة دينه، وخلقه، فتتزوجه ولا ترده، بالمناسب من

---

(١) الحطمية: هي الدرع التي تحطم السيوف أي تكسرها، وقيل: هي العريضة الثقيلة، وقيل: هي منسوبة إلى بطن من عبد قيس يقال لهم: حطمة بن محارب كان يعمل الدروع.

(٢) طبقات ابن سعد ٢: ٢٠.

(٣) صحيح البخاري كتاب البيوع، ومسند أحمد ١: ١٤٢.

المهر، دون أن يستدين الشاب المقبل على الزواج، ولا يحس بإرهاق.

إنه مثل لا تدانيه أمثال، يضربه لنا المصطفىﷺ ليكون عبرة على مر الأيام والدهور، مثل يضربه بأعز بناته وأحبهن إليه بفاطمة الزهراء، سيدة نساء العالمين.

الوالد رسول اللهﷺ، يفاتح الشاب بما أدركه في نفسه، ويهون عليه صعوبة الموقف، والوالد يختار لابنته من هو كفء لها.

وفاطمة من هي في مكانتها، ومن هي في منزلتها، ومن هي في تربيتها تقبل الدرع مهراً لها.

وقد اختلفت الروايات في تعيين زمن الخطبة، وإن كانت معظم المصادر تجمع على أنها تزوجت وهي في سن الثامنة عشرة، فيكون زواجها في السنة الثانية من الهجرة إذا سلمنا أنها ولدت سنة بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنوات، ثم إن سنوات النبوة في مكة كانت ثلاث عشرة سنة بما فيها سنة الهجرة، فيكون زواجها في السنة الثانية من الهجرة، أما تعيين زمن الخطبة فمختلف فيه فقد قيل في شهر رجب من مقدمهم المدينة، وقيل بعد مقدم المدينة بخمسة أشهر، وتم الزواج بعد الرجوع من غزوة بدر بشهرين[1].

ولا بد أن نقف هنا لحظة عند موضوع استشارة الرسولﷺ ابنته فاطمةعليها السلام وأخذ موافقتها على هذا الزواج. فهل أخذ النبيﷺ موافقة ابنته الزهراء، أو اكتفى هو بتزويجها؟

إن السكوت عن هذا الأمر يفهم منه أن النبيﷺ قد استشارها، لأنه رد نكاح فتيات لم يؤخذ رأيهن في الزواج فكيف يشرع ولا يقضي بما شرع به؟

وكان من عادة النبيﷺ في زواج بناته كما جاء في مسند الإمام

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٨: ٢٣.

أحمد بن حنبل أن يقول لها: فلان يذكرك، فإن سكتت أمضى الزواج، وإن نشرت الستر علم أنها تأباه.

وهكذا تم الزواج المبارك الميمون بين أحب البنات إلى قلب الرسول الكريم وكل بناته حبيبات، وبين أحب الشباب المسلم إلى قلبه وهو محب لكل المسلمين وبالمؤمنين رؤوف رحيم.

وزفت الزهراء عليها السلام البتول إلى البطل المغوار علي بن أبي طالب عليه السلام، وأخرج الله منها الذرية الصالحة والعترة المباركة وكرمهم الله وأكرمهم وقال في حقهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وجعله نسباً متصلاً غير منقطع وأوصى به ووصى عليه، فهنيئاً لمن يكرم آل البيت الكرام فهم العترة الطاهرة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»[1].

---

(١) رواه مسلم.

فاطمة عليها السلام في بيتها

في ظل الرسول صلى الله عليه وآله انتظمت حياة الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، عيشة كفاف، وخدمة يتعاونان عليها راضيين بما آتاهما الله فرحين بهذا البيت الطيب الذي أخرج منه الله الأصلاب الطاهرة والذرية المباركة والعترة الكريمة فكان كشجرة طيبة مباركة.

ولم تكن حياتها عليها السلام مترفة ولا ناعمة، بل كانت أقرب إلى الخشونة والتقشف، وهي في ذلك تختلف عن حياة أخواتها اللواتي أتيح لهن حظ غير قليل من الثراء المادي.

فزينب عليها السلام تزوجت بأبي العاص بن الربيع، وهو معدود من أثرياء مكة، وتزوجت رقية وأم كلثوم عليهما السلام واحدة بعد الأخرى بعثمان بن عفان، وكان من أثرياء المسلمين.

أما علي بن أبي طالب عليه السلام، فلم ينل حظاً من المال المكتسب أو الموروث، إذ كان أبوه ـ أبو طالب ـ على عظم مكانته في قومه، وعلو شرفه في مكة كلها، قليل المال كثير العيال كريم الخصال جواداً ينفق ولا يبالي ويسارع إلى الخيرات ويسابق إلى المروءات، وقلة ماله دفعت ابن أخيه محمداً صلى الله عليه وآله أن يقترح على عمه العباس رضي الله عنه بأن يخففا من أعباء عمه أبي طالب فيأخذ كل واحد منهما أحد بنيه فيكفله، وكان علي عليه السلام من نصيب المصطفى صلى الله عليه وآله، بل كان من نصيب علي عليه السلام أن يختاره المصطفى صلى الله عليه وآله دون بقية إخوته.

وكان رزق علي عليه السلام من وظيفة الجندي وعطائه من الجهاد وفيئه، وكان يؤجر نفسه عند أهل المدينة، فيقوم بالسقي وغيره من الأعمال مقابل أجره.

والمعروف وكما ترويه كتب التراجم والسير أن الإمام علياً عليه السلام كان فقيراً في المال ولم يستطع أن يستأجر لها خادماً تعينها أو تقوم عنها بالعمل الشاق، فكان على الزهراء عليها السلام أن تنفرد بهذا العبء الثقيل[1].

لكن علياً عليه السلام لم يكن يهون عليه أن يراها هكذا كادحة مجهدة، فكان يحاول أن يساعدها في بعض أعمال البيت إذا ما مكنته ظروفه من ذلك. إذ كان يخشى عليها ويحرص على رعايتها، وخاصة أنها عانت كثيراً في سنوات الحصار في شعب أبي طالب ومشقة الهجرة، وكانت كما وصفتها كتب السير نحيفة الجسد.

وناءت بالزهراء عليها السلام، كما ناء بالإمام علي عليه السلام ما يحملان من مشاق الحياة ومتاعبها، فانتظر عليه السلام فرصة مواتية يفيض الله تعالى بها عليهما.

ودخل الليل على الزوجين الكريمين عليهما السلام، وكان البرد قاسياً قارساً ثقيل الوطأة، شديد الأثر، فرقدا عليهما السلام على فراشهما سعيدين قانعين بما أكرمهما الله به من عيش وقد تعلما أن العيش عيش الآخرة.

وسمعا صوت طارق يدق الباب ففتح علي عليه السلام وأقبل عليهما المصطفى صلى الله عليه وآله، فهبت فاطمة الزهراء عليها السلام للقاء الضيف الكريم صلى الله عليه وآله مع زوجها، فابتدرهما صلى الله عليه وآله قائلاً: «مكانكما».

ثم أضاف في رفق وهو يقدر حالهما: «ألا أخبركما بخير الذِّكر؟».

أجابا معاً: «بلى يا رسول الله».

قال صلى الله عليه وآله: «كلمات علمنيهن جبريل: تسبِّحان الله دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبّران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما تسبّحان ثلاثة وثلاثين، وتحمدان ثلاثة وثلاثين، وتكبّران أربعاً وثلاثين»[2].

ثم ودعهما المصطفى صلى الله عليه وآله بعد أن زودهما بهذا المدد الإلٰهي، ولقنهما هذه الرياضة الروحية التي تغلب المصاعب، وتخفف المتاعب.

---

(١) طبقات ابن سعد ٨: ١٥٩.

(٢) متفق عليه من حديث علي عليه السلام، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٨: ٢٥.

وهذا جانب من جوانب الطب النبوي للنفوس، وهو العلاج عن طريق الاهتمام بالإنسان، وإشعاره بأنه ذو قيمة وأهمية ربطه بالله عز وجل.

ولم تكن الزهراء، ولا علي عليه السلام، من الشاكين ولا المتذمرين، ولكن أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يشعرهما أنه مشغول بأمرهما، وفي قلبه حياتهما الشاقة. فأعطاهما النبي صلى الله عليه وآله تذكرة علاج روحية، تهون عليهما تلك المشاق، وتخفف عنهما المصاعب، إنه المدد الإلٰهي للروح التي إذا قويت، هانت متاعب ومشاق الجسد.

فما أجمل هذه الوصفة، وما أروع هذا الحنان الذي تمثل في هذه اللفتة التي تمتلىء رحمة وعطفاً وتربية توجيهاً ورابطة بالله عز وجل يسبحه الإنسان ويحمده ويشكره وهذه نعمة عظيمة وراحة كبرى.

وماذا يفعل التلميذان النجيبان إلا الطاعة للنبي صلى الله عليه وآله، فقد فعلا ما أمرهما النبي صلى الله عليه وآله ـ وقد سمع علي عليه السلام بعد أكثر من ثلث قرن يذكر كلمات النبي صلى الله عليه وآله ويقول: «فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن»[1].

وقد سأل رجل من العراق الإمام علياً عليه السلام وقال: «ولا ليلة صفين؟». ردعليه السلام مؤكداً: ولا ليلة صفين.

هكذا يفعل من تربى في مدرسة النبوة ومن حظي بشرف الانتساب إلى هذا الحبيب وأكرمه الله فزوجه بهذه السيدة العظيمة فكانت هذه الذرية المطهرة الكريمة عليهم السلام فهم قرابة المصطفى صلى الله عليه وآله الذين علمنا الله من فوق سبع سموات أن نوقرهم ونحترمهم ونكن لهم المودة فقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾.

وهذا رب العزة والجلال يتحدث عنهم من فوق سبع سموات ويؤكد طهارتهم وبعدهم عن الرجس بأمره عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾.

---

(١) كتاب الذكر والدعاء، صحيح مسلم جـ ٤ رقم (٢٠٩٤١) ورواه ابن سعد في طبقاته بلفظ مقارب ٨: ٢٥.

الزهراء تشارك زوجها الجهاد

لقد كان وجودها عليها السلام في صميم المعركة بين الكفر والإيمان، بين الباطل والحق، منذ طفولتها، وهو ما جعلها تميل إلى حياة الجد والاجتهاد أكثر مما تميل إلى المرح والابتهاج فقد نشأت نشأة جادة.

وكانت مشغولة البال بأبيها في القرب والبعد، وكثيراً ما كانت تتبعه في غزواته ومشاهده، وقد تأذن لها الظروف بمصاحبته إلى ميدان القتال.

وكانت أول مشاركة لها بعد الزواج الجهاد في غزوة أحد فقد تأكد لها عزم قريش على الانتقام من النبي صلى الله عليه وآله ومن آله وأصحابه وأن الحقد الدفين في قلوب الكافرين قد محا من نفوسهم أسمى ما كانت تحرص عليه العرب من العادات النبيلة، وكان الحقد والكراهية لرسول الله صلى الله عليه وآله قد استوليا عليهم بعد هزيمتهم المنكرة في موقعة بدر الكبرى وأزالا منهم ما كان العربي يكرم به المرأة فلا يتعرض لها، ولم يشعر اثنان منهم بالخزي والعار وهما يتعرضان لبعير زينب بنت محمد صلى الله عليه وآله بالأذى فجفل البعير قافزاً وسقطت زينب عليها السلام من هودجها فوق صخرة صلدة وكانت حاملاً فسالت منها الدماء وأجهضت.

وأعد الكفار العدة للقاء المسلمين، وخرج المسلمون في شوال سنة ثلاث من الهجرة. وخرج عدد من النساء ليس قليلاً مشاركة للرجال في الجهاد وكان من بينهن الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبدأت المعركة وقد أنزل الله تعالى نصره على المسلمين، وصدقهم وعده، فانكشف المشركون عن المعسكر، وولت النساء مشمرات هوارب -

نساء المشركين ـ وكان المصطفىﷺ قد أمّر على الرماة عبد الله بن جبير وهم خمسون رجلاً، وقال ادفع الخيل عنا بالنبل، لا يأتون من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، وأمرهم بأن يلزموا مراكزهم، وألا يفارقوها ولو رأوا الطير تتخطف العسكر.

ولما انهزم المشركون وولوا مدبرين، مال الرماة إلى العسكر، وهم موقنون بالفتح، وقالوا: يا قوم الغنيمة، فذكرهم أميرهم عبد الله عهد رسول اللهﷺ، فلم يسمعوا، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة، فأخلوا الثغر، وأخلوا ظهور المسلمين إلى الخيل، وكانت عيون المشركين ترمق الرماة فلما رأوهم يتركون أماكنهم جمعوا فلولهم وكروا على المسلمين وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل فتراجع المسلمون، ودارت الدائرة على المسلمين ولكنها كانت معركة نصر ولم تكن هزيمة وإنما كانت درساً للأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وخلص العدو إلى رسول اللهﷺ، وأصابته الحجارة حتى وقع لشقه، وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى، وشج في رأسه، وجرحت شفتهﷺ، ولا يعلم المسلمون بمكانه.

فأخذ علي بن أبي طالبعليه السلام بيد رسول اللهﷺ، ورفعه حتى استوى قائماً، ومص مالك بن سنان الدم عن وجههﷺ.

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول اللهﷺ فقال: «أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول اللهﷺ، ومن كان يسكب الماء، وبما دووى، قال: كانت فاطمةعليها السلام بنت رسول اللهﷺ تغسله، وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالمحجن، فلما رأت فاطمةعليها السلام أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصيرة فأحرقتها، وألصقتها، فاستمسك الدم»[1].

وهكذا نجد أن الزهراءعليها السلام كانت في موقع الأحداث وكانت أسبق

(١) انظر الجامع الصحيح للبخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد.

الناس إلى أبيها، رغم أن المعركة كانت على أشدها، وشاركت مع باقي النسوة المسلمات في تضميد الجراح، وسقى الجرحى من الشهداء. والحقيقة أن من يراجع تفاصيل غزوة أحد يدرك أنها لم تكن هزيمة بل كانت درساً للمسلمين الذين خالفوا أمر الرسولﷺ، وقد تعلمنا هذا الدرس عبر تاريخنا الإسلامي وأدركنا أن من يخالف أمر الله عز وجل وأمر رسولهﷺ فإنه يتعرض لعقاب الله، وأن النجاح والفلاح هو في الارتباط بهذا الدين ارتباطاً حقيقياً والوقوف عند أوامره ونواهيه. أما غزوة أحد فقد تحقق فيها النصر في النهاية وانسحب المشركون يجرون أذيال الخيبة فلم يحققوا شيئاً من أهدافهم، ولم يستطيعوا أسر رجل واحد من المسلمين بل عادوا والحسرة تملأ نفوسهم، وأيد الله رسولهﷺ بعد أن تعلم الذين خالفوا الأوامر الدرس وأدركوا خطورة عدم الامتثال لأمر النبيﷺ.

وعادت فاطمةعليها السلام مع العائدين من أحد وقد ودعت عمها حمزة بن عبد المطلب الوداع الأخير، وودعت معه إخواناً شهداء، أبلوا بلاء حسناً، ودافعوا عن دين الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريمﷺ دفاعاً مستميتاً حتى لقوا الله تعالى وهم يذودون عن دينه الحنيف ونبيه الكريم.



مولد الحسن والحسين عليهما السلام

مضت الحياة تسير بالزوجين الكريمين على ما يرجوان من التعاون والمودة والرحمة، وأسباب المعيشة ليست ميسرة.

فالماء يجلب بالسقاء، ويحمل في القرب، والخبز يحتاج الطحن والعجن والخبز، والأسواق متناثرة حول المدينة، والخروج إليها لشراء الحاجات متعب. ولا قدرة لعلي أن يستخدم خادماً، وعلي يسعى للحصول على رزقه، كما يقوم بواجبه نحو دينه.. والجهاد في سبيل الله تعالى، وعلى الرغم من كل هذا الكدح المعيشي، وهذا التعب من أجل ضرورات الحياة.. تحقق للبيت الصغير السعادة والاستقرار، وأدت فاطمة عليها السلام واجبها وأكرمت علي بن أبي طالب عليه السلام ولم تقصر في حقه وواجباته.

كل هذا وهي حامل بالحسن وما للحمل من مشاق تضاف إلى مشقات الحياة التي يحيونها بين قسوة الظروف وهجير الصحراء.

قالت أم الفضل زوجة العباس رضي الله عنهما: يا رسول الله رأيت كأن عضواً من أعضائك في بيتي، قال صلى الله عليه وآله: «خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فترضعيه بلبن قثم»، فولدت فاطمة الحسن فأرضعته بلبن قثم.

واقترب موعد الولادة، وبدأت الاستعدادات في منزل الزهراء عليها السلام ترقباً للمولد المنتظر، وفي النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، استقبلت الزهراء عليها السلام، مولودها الأول.

وسعى البشير إلى أبيها صلى الله عليه وآله بالنبأ السعيد، فمشى إليها صلى الله عليه وآله مشوقاً

فرحاً، وحمل وليدها بين ذراعيه، وتلا الأذان في مسمعه، ثم أقبل عليه يتأمله في غبطة وحنان.

يقول علي بن أبي طالب عليه السلام: لما ولد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟

قلت: سميته حرباً، قال رسول الله: لا بل هو حسن.

واحتفل النبي صلى الله عليه وآله بمولده، فصنع عقيقة في يوم سابعه، وحلق شعره وتصدق بزنة شعره فضة.

وكان الحسن عليه السلام أشبه خلق الله بالرسول صلى الله عليه وآله في وجهه. فقد روى الزهري عن أنس قال: كان الحسن بن علي أشبههم وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله:

وعن هانىء عن علي قال: الحسن أشبه برسول الله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله ما أسفل من ذلك[1].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبه حباً شديداً حتى كان يقبل زبيبته[2] وهو صغير، وربما مص لسانه، وعانقه وداعبه، وربما جاء ورسول الله صلى الله عليه وآله ساجد في الصلاة فيركب على ظهره، ويقره على ذلك ويطيل السجود من أجله، وربما أصعده على المنبر[3].

وملأ الحسن عليه السلام منزل علي عليه السلام، بهجة وسروراً، وامتلأت حياة فاطمة الزهراء عليها السلام نشوة وحبوراً، وكان يسعدها كثيراً أن ترى النبي صلى الله عليه وآله، يعني بمولودها الصغير عناية فائقة، ولا يصبر كثيراً على فراقه فكان يمر على بيت الزهراء عليها السلام صباحاً لرؤيتها ورؤية الحسن ومساء قبل أن يعود إلى بيته، ليكحل عينه برؤية طلعة الوليد البهية، شبيهه صلى الله عليه وآله وريحانته.

كان حب النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام، وكانت المودة بينهما مضرب المثل.

---

(١) رواه أحمد. وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٨: ٣٣.

(٢) الزبيبة: زبدة ترى في شدق الإنسان إذا أكثر الكلام، وقيل قرحة سوداء تظهر على الجبين.

(٣) البداية والنهاية ٨: ٣٣.

فعن أبي ثعلبة الخشني قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم ثنى بفاطمة، ثم يأتي أزواجه.

إن مكانتها عند أبيها كانت عظيمة، ويؤكد هذا أيضاً ما رواه ثوبان حين قال: كان رسول الله ﷺ إذا نوى سفراً يكون آخر عهده إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة.

وعظم هذه المكانة لا يأتي من فراغ، إنما لحب الرسول ﷺ لشخصها الكريم، وحب الرسول ﷺ هو مقدمة لحب الله تعالى، ففوزها بحب الله تعالى، يرفع من مكانتها درجة لا تدنو منها سيدة أخرى، وهذا يذكرنا بحديث المصطفى ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنه ـ مرفوعاً ـ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم»[1].

وعلى الرغم من هذه المنزلة العالية التي خص الله تعالى بها بنت نبيه ﷺ، فقد كان النبي ﷺ يتعهدها وأخواتها بالنصيحة والتوجيه، ويحثها على زيادة العبادة والتضرع إلى الله تعالى حتى يكون ذلك استزادة لمنزلتها.

فقد كانت عليها السلام وأرضاها صوامة قوامة، ترى كثيراً وهي قارئة للقرآن الكريم، ولسانها رطب بذكر الله تعالى، وفي يوم رآها النبي ﷺ جالسة صامتة، وهاله أنها هكذا، ولا ترطب لسانها بذكر الله تعالى، فعتب عليها المصطفى ﷺ عتاباً رقيقاً، وقد روى أنس بن مالك عنه ﷺ أنه قال:

يا فاطمة، ما يمنعك أن تسمعيني ما أوصيك به أن تقولي: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله»[2].

وهكذا كان الرسول ﷺ لا يفتأ يتابعها بالتوجيه النبوي الكريم، حثاً لها على كثرة العبادة والذكر. وكان يدفعها إلى ذلك بأسلوب رفيع

---

(١) رواه أحمد والترمذي بإسناد صحيح. وانظر سنن الترمذي. أبواب المناقب.

(٢) رواه البيهقي، ورواه الديلمي في الفردوس برقم ٨٦٥٣، وانظر جمع الجوامع ١: ٩٧٥.

السمات، يبعث الهمة في النفس الخاملة، فما بالنا بمن كانت نفسه تشتعل همة، ولا تفتر عن العبادة طرفة عين، وتحكي فاطمة الزهراء عن أبيها فتقول: قال لي رسول اللهﷺ: «يا فاطمة، أما ترضين أن تأتي يوم القيامة سيدة نساء العالمين»[1].

وهذا توجيه لطيف كريم من نبي اللهﷺ ليبعث الهمة في نفسها لتشتعل عبادة متواصلة حتى تحافظ على هذه المنزلة العالية عند الله تعالى.

وإننا لنتصور أن من زُحزح عن النار وأُدخل الجنة، فقد فاز فوزاً عظيماً، ولنا أن نتصور أيضاً أن من فازت بالجنة، ثم أصبحت سيدة نساء المؤمنين يوم القيامة، أي منزلة قد بلغت وأي عبادة تلك التي تصل بصاحبها إلى تلك المنزلة الرفيعة منه منازل الفرودس؟

ومضت الأيام سريعة وحملت الزهراءعليها السلام جنينها الثاني، وبدأ الحسنعليه السلام يدب على الأرض ويمشي، وجده المصطفىﷺ يحبه ويرعاه، ويدعو له.

وأوشك حمل الزهراءعليها السلام أن تكتمل أيامه، وبدأ بيت علي بن أبي طالبعليه السلام يستعد لاستقبال مولود جديد آخر.

وبدأ المخاض، وبدأت ساعة الوضع تقترب، وجلس عليعليه السلام وفي حجره ابنه الحسنعليه السلام. وفجأة سمع صوت الوليد الجديد، لقد بشروه بمولود ذكر، وطاف في ذهن أبيه سريعاً سؤال: هو ماذا يسميه؟ وعلى الفور أجاب على نفسه: أسميه حرباً حتى يكون حرباً على الكافرين!!

واستراحت نفس عليعليه السلام لهذا الاسم، وهو الاسم الذي كان قد اختاره لأخيه الحسن رضي الله عنه، ولكن الرسولﷺ سماه الحسن ولم يجزم لعليعليه السلام بتسميته لقد فوض الأمر للرسولﷺ في هذا الأمر مع احتفاظه بالاسم الذي أطلقه على وليده إذا سئل من الرسولﷺ أجابه به.

---

(١) رواه الديلمي، وانظر جمع الجوامع ١: ٩٧٤.

وذهب البشير إلى المصطفى ﷺ، ليزف إليه بشرى ولادة الزهراء لوليد يتلألأ نوراً ويفيض وجهه بشراً وبشاشة، وهرول المصطفى ﷺ مسرعاً إلى بيت ابنته، وحمل الوليد بين يديه، وأذن ﷺ في أذنه.

ثم سأل علياً عليه السلام: «ما سميتموه؟».

أجاب عليه السلام: سميته حرباً.

فقال المصطفى ﷺ بل هو حسين.

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما ولد الحسن سميته حرباً، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟!».

قلنا حرباً. قال: بل هو حسن، فلما ولد الحسين سميته حرباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سميتموه؟» قلنا حرباً، قال بل هو حسين[1].

أمّا عن مولده عليه السلام، فقد قال الليث بن سعد، ولدت فاطمة عليها السلام، الحسين بن علي عليهما السلام، في ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة[2].

وقال الزبير بن بكار: ولد الحسين لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة[3].

وابتهجت مدينة رسول الله ﷺ بمقدم الحسين عليه السلام كما ابتهجت من قبل مع الرسول ﷺ بمولد الحسن عليه السلام، وعق النبي ﷺ عنه يوم السابع، وتصدق بزنة شعره فضة كما فعل مع أخيه الحسن عليه السلام.

ومضت الأيام سراعاً، وكبر الحسن عليه السلام فقد بلغ من العمر حوالي سنتين وأصبح شبه ملازم لجده المصطفى ﷺ. وقد تجلى الكرم والحنان

---

(١) انظر أسد الغابة ٢:١٩.

(٢) المرجع السابق، وانظر الطبقات والاستيعاب والإصابة في ترجمتي الحسن والحسين عليهما السلام، وانظرهما في كتاب المناقب من صحيح البخاري، والفضائل من صحيح مسلم.

(٣) المرجع السابق.

والحنو الأبوي، وتجلت الرحمة والعطف في أبهى الصور، في مواقف النبيﷺ مع ابن ابنته الحسن وفيما بعد مع الحسينعليه السلام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول اللهﷺ يحمل الحسن على عاتقه فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام. فقال النبيﷺ: «ونعم الراكب هو».

وعن البراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول اللهﷺ واضعاً الحسن بن علي على عاتقه، وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»[1].

وهكذا نرى من حنان النبيﷺ أن يحمل على عاتقه الحسن دائماً، وكان يغدق عليهﷺ من عطفه الكثير. وكان يرى فيه أنه سيكون أمة من الأمم وحده، فقد قالﷺ: «الحسن سبط من الأسباط».

وتفتح قلب المصطفىﷺ لهذين الحفيدين الغاليين يملآن حضن أم أبيها الزهراءعليها السلام، ورأى فيهما امتداداً لحياته الخاصة على هذه الأرض، ومتنفساً لما يفيض به قلبه الكبير من عاطفة الأبوة، والحنو على الأطفال الصغار منذ أن ماتت خديجة رضي الله عنها، ومنذ أن كبرت بناته.

فقد مرت الأحداث سريعة، فما هي إلا أيام وقد جمعت قريش جموعها، واتجهت نحو المدينة المنورة لقتال المسلمين فقد أغراهم ما أصابوه من المسلمين في أحد من هفوة من الرماة رغم أنه في النهاية كان نصراً مبيناً. وكانت هذه الغزوة الجديدة التي سميت بالخندق أو الأحزاب في شوّال سنة خمس من الهجرة، وكانت من الحوادث التي لها أثر بعيد في تاريخ الإسلام والمسلمين، وفي المهد الإسلامي، وكانت معركة حاسمة، ومحنة ابتلي فيها المسلمون ابتلاء لم يبتلوا بمثله[2].

ولا تصوير أدق وأصدق من قول الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ

---

(١) أسد الغابة ٣: ١٤.

(٢) انظر تراجم سيدات بيت النبوة ص ٦٢٥.

وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾[1].

وقد تجلت في هذه الغزوة عبقرية عليعليه السلام الحربية لأول مرة في أروع مظاهرها وذلك حين طلب عمرو بن عبد ود مبارزاً فقام إليه يستأذن رسول اللهﷺ في مبارزته فقال له: إنه عمرو، فقال علي وإن كان عمراً فأذن له فبارزه فقتله، وكان الخندق ـ الذي حفره المسلمون بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه في السهل الواقع شمال غرب المدينة، والجانب المكشوف الذي يخاف منه اقتحام العدو ـ حائلاً بين المسلمين وبين قريش وغطفان الذين بلغ عددهم عشرة آلاف.

وأقبلت فوارس من قريش تسرع بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في أرض المعركة التي نزل بها المسلمون. ومنهم الفارس المشهور عمرو بن عبد ود الذي كان يقوم بألف فارس. فلما وقف قال: من يبارز؟

فبرز علي بن أبي طالبعليه السلام. فقال: يا عمرو، إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه.

قال عمرو: أجل.

قال علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام.

قال عمرو: لا حاجة لي بذلك.

قال علي كرم الله وجهه: فإني أدعوك إلى النزال.

فقال عمرو: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك.

قال علي: لكني والله أحب أن أقتلك.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ١٠، ١١.

فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي عليه السلام، فتنازلا وتجاولا، فقتله علي عليه السلام[1].

وجاء في رواية أخرى أن عمراً نادى على رجل يبرز، وجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها، أفلا تبرزون إلي رجلاً؟

وقام علي عليه السلام مرتين، فقال: أنا يا رسول الله، فقال له المصطفى صلى الله عليه وآله: اجلس.

ثم نادى عمرو الثالثة واستثار، فقام علي عليه السلام فقال: يا رسول الله أنا.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه عمرو.

فقال علي عليه السلام في تحد ظاهر: وإن كان عمراً.

فأذن له الرسول صلى الله عليه وآله فمشى عليه السلام إليه، فلما سمى علي نفسه لعمرو، قال عمرو: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهرق دمك.

قال علي عليه السلام: لكني والله لا أكره أن أهرق دمك[2].

فكانت المجالدة، واستطاع علي عليه السلام أن يقتل عمراً بن عبد ود[3] وكبر المسلمون وهللوا، فقد كان هذا بشير نصر مؤزر من الله تعالى.

وتعجب المشركون في ذهول مما حدث، أيقتل الفتى الشاب علي بن أبي طالب عليه السلام، عمرو بن عبد ود الذي قدمه المشركون للمبارزة لأنه أفضل الفوراس عندهم وأقواهم؟

وانتشر الخبر ـ خبر مقتل عمرو بن عبد ود ـ وتلقته الزهراء عليها السلام،

---

(١) المرتضى ص ٥٣.

(٢) البداية والنهاية. لابن كثير ٤: ١٠٠ (بتصرف).

(٣) المرجع السابق ٤: ١٠٦.

بقلب فرح، فقد خلص زوجها المؤمن، وأبو أولادها، خلص المؤمنين من شر فارس عتيد، وبرزت على ساحة المسلمين قوة زوجها وجلده وشكيمته.

ووضعت الحرب أوزارها بعد ما حدث خلاف بين بني قريظة ـ الذين حالفوا قريشاً ـ وبعد أن بعث الله على الأحزاب الريح العاصفة في ليال شاتية باردة، تقلب قدورهم، وتطرح أبنيتهم[1].

ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين، وقال رسول الله ﷺ: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم»[2].

عاد المسلمون في غزوة الأحزاب وسط تكبير وتهليل وخرج من في المدينة لاستقبال الأبطال العائدين، وكانت فرحة الزهراء عليها السلام لا توصف برجوع بطلها المغوار وبطل المسلمين زوجها الميمون علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعاد الزوج الحبيب إلى زوجته الطاهرة، وولده الحسن عليه السلام الذي اعتنقه وتعلق في رقبته، وحنا على ولده الرضيع الحسين عليه السلام وحمله بين يديه، وأخذ يقبله تقبيلاً حاراً، ثم أمضوا ليلة سعيدة مباركة احتفالاً بنصر المسلمين وببطولته الفذة.

وتمضي الأيام سريعة والمسلمون لا يألون جهداً في الدعوة إلى الله تعالى، وبدأ الإسلام دين الله الحنيف ينتشر انتشاراً سريعاً، وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

وذات يوم أخذت الزهراء عليها السلام، سنة من النوم، ثم هبت من نومها، وطيف أمها الرؤوم رضي الله عنها، يعانق نظرها أينما اتجه. فأخذت الحسن والحسين عليهما السلام ومضت إلى بيت أبيها ﷺ، فإذا بخالتها هالة قد جاءت لزيارة المدينة المنورة وزيارة صهرها المصطفى ﷺ وابنة أختها فاطمة عليها السلام.

وسمع النبي ﷺ صوتها في فناء بيته، وكان يشبه صوت السيدة أم

---

(١) المرجع السابق بتصرف.

(٢) اقرأ سورة الأحزاب وكتب السيرة في هذه الغزوة وأيضاً تفسير السورة في كتب التفسير.

المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فهش المصطفىﷺ قائلاً: «اللهم هالة أخت خديجة».

ووجدت الزهراءعليها السلام، كأن أباها يحدث أمها رضي الله عنها، ووجدت مدى الفرحة التي في عينيه حين رأى خالتها، ورأت حنينه لذكرى أمها رضي الله عنها، ووده لرحمها ووفاء لذكرها.

واطمأنت فاطمة الزهراءعليها السلام، حين رأت أن أمها الراحلة، ما زالت تملأ فكر أبيهاﷺ، وما زالت تحيا في خياله، وأحست أن أمها تركت في قلب أبيهاﷺ مكانة لم تملأها امرأة بعدها فلم تبلغ زوجة من زوجاته منزلتها.

وكانت الزهراءعليها السلام تفرح وهي ترى الوالد الحنون مقبلاً على سبطيه الحسن والحسينعليهما السلام يغمرهما بحبه ويفيض عليهما من عواطف الأبوة الحانية.

وكانت تفرح حين تراهﷺ يدعوهما ابنيه، فعن أنس ابن مالك: ادع لي ابنيّ.. فإذا ما جاءا إليه شمهما وضمهما.

وروى الترمذي في سننه عن أسامة بن زيد، قال: طرقت باب النبيﷺ في بعض الحاجة، فخرج رسول اللهﷺ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي قلت:

ما هذا الذي أنت مشتمل عليه يا رسول الله، فكشفه فإذا الحسن والحسينعليهما السلام، وقال:

هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما، وأحب من يحبهما[1].

وكان اسماهما ـ عليهما السلام ـ نغمة حلوة في فم أبي الزهراءﷺ يستعذبها ولا يمل من ترديدها، وفيهما كان أنسه ومسلاته عمن فقد من الأبناء.

---

(١) البداية والنهاية ٤: ١١٥.

وأحست الزهراء عليها السلام أن الله تعالى قد آثرها بهذه النعمة الكبرى، فحصر فيها وفي ولدها ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله، وحفظ بها أشرف سلالة عرفتها البشرية منذ كانت. كما اقتنعت بأن الله تعالى كرم وجه زوجها علي عليه السلام، فجعل في صلبه نسل خاتم الأنبياء، فكان له من هذا الشرف عز الأبد.

والحقيقة أن من ينظر في عاطفة المصطفى صلى الله عليه وآله نحو الأطفال يدرك أبعاد هذه الرحمة المهداة للعالمين وأن قلبه كان مليئاً بالحب والعطف والحنان وحب نبي الله صلى الله عليه وآله وشفقته على الأطفال كان عظيماً حتى إنه كان إذا سمع بكاء طفل أثناء الصلاة في المسجد يخفف من الصلاة رحمه بالأم وبالطفل ولا غرو فقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فما بالك بعطفه وحنانه ورأفته بحفدته.

حب الرسول ﷺ للزهراء وعلي وابنيهما عليهم السلام

لقد شغف النبي ﷺ بحب الصبيين الصغيرين، السبطين الحسن والحسين عليهما السلام، وما كان حبه لهما إلا امتداداً لحبه لابنته ولزوجها عليهما السلام، وكان عليه السلام يعرف منزلته عند ابن عمه وصهره ﷺ، ويعتز بهذه المنزلة التي جعلته يسأل المصطفى ﷺ ذات مرة وقد غمره فيض عطفه:

ـ أيهما أحب إلى رسول الله ﷺ: ابنته فاطمة الزهراء، أم زوجها علي؟!

ـ فأجابه المصطفى ﷺ إجابة يتضح منها لطفه وخلقه، ويتضح فيها إعزازه لعلي عليه السلام: «فاطمة أحب إليَّ منك، وأنت أعزّ عليَّ منها»[1].

وليس بمستغرب بعد هذا، أن يعي الزمن من آيات حب الرسول ﷺ للزهراء، وعلي وبنيهما عليهم السلام، ما نستطيع معه أن نتمثله ﷺ وهو يرنو إلى بيت صهره علي عليه السلام كلما مر به، وقلبه الكريم يخفق حباً وحنواً، فإذا وجد من وقته سعة، عرج على دار الأحبة، فأسعد أهلها بعطفه، وأسبغ على سبطيه فيضاً من حنانه:

ومما يظهر فيض حبه لهما ﷺ أن حدث في إحدى المرات أن ألفى ابنته وزوجها عليهما السلام قد غلبهما النعاس، والحسن عليه السلام يبكي ويطلب طعاماً، فلم يهن على الأب الكريم أن يوقظ العزيزين النائمين، بل أسرع إلى غنمة كانت تقف في ساحة الدار، فحلبها وسقى الحسن عليه السلام حتى ارتوى.

---

(١) فيض القدير ٤: ٤٢٢ (٥٨٣٦).

ومرﷺ بالبيت ذات يوم وهو متعجل، فبلغ مسمعه صوت بكاء حبيب القلب، الحسينعليه السلام، فدخل مسرعاً، وقال للزهراءعليها السلام معاتباً: «أو ما علمت أن بكاءه يؤذيني؟».

ولا نستطيع أن نصف ما كان لهذا الحب الأبوي المتدفق من أثر بعيد عميق في إسعاد فاطمة الزهراءعليها السلام التي أرهقها الحزن صغيرة، وأنهكها العبء شابة، كما لا نصف هنا مدى ما بعث في حياتها التي عرفنا خشونتها وقسوتها، من بهجة وأنس وإشراق. لقد أسعد فاطمة الزهراءعليها السلام، أن تكون أماً لهذين الولدين الأثيرين عند أبيهاﷺ، وأرضاها أن تستطيع بفضل الله تعالى، أن تهيىء لأبيها الحبيب ـ بعد أن انتقلت من بيته ـ هذه المتعة الطيبة التي يجدها في سبطيه الغاليين.

ولم يكن عليعليه السلام، أقل منها سعادة وغبطة، فلقد سره، بل أعزه، أن تتصل به حياة ابن عمه النبيﷺ هذا الاتصال الوثيق، فيمتزج دمه بدم النبي الزكي، لتخرج من صلبه ذرية سيد البشر، وبنو ابنته الزهراء، ويذهب دون الناس جميعاً بمجد الأبوة لسلالة النبيﷺ، وآل بيته الأكرمين.

وقد أخرج الطبراني بإسناد حسن عن فاطمة الزهراءعليها السلام أن رسول اللهﷺ أتاها يوماً فقال:

ـ أين ابناي؟ ـ يعني حسناً وحسيناًعليهما السلام.

قالتعليها السلام: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق.

فقال علي: أذهب بهما فإني أتخوف أن يبكيا، وليس عندك شيء. فذهب إلى فلان اليهودي، فتوجه إليه النبيﷺ فوجدهما يلعبان في شربة[1]، يلعبان وبين أيديهما فضل من تمر، فقالﷺ: «يا علي ألا تقلب ابني قبل أن يشتد الحر؟».

قال عليعليه السلام: أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلست يا رسول الله

(١) الشربة: حوض يكون في أصل شجرة النخيل وحولها يملأ ماءً لتشربه النخلة.

حتى أجمع لفاطمة فضل تمرات، فجلس رسول الله ﷺ حتى اجتمع لفاطمة فضل تمر، فجعله في خرقة، ثم أقبل النبي ﷺ فحمل أحدهما، وحمل عليٌّ الآخر حتى أقلباهما[1].

وكان علي عليه السلام لا يألو جهداً فيما يريح النبي ﷺ فقد كان الحب متبادلاً بين الطرفين، وخاصة أن كل المسلمين كانوا حريصين أن يتفرغ النبي ﷺ للدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله، فقد أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أصابت نبي الله ﷺ خصاصة، فبلغ ذلك علياً عليه السلام، فخرج يلتمس عملاً يصيب فيه شيئاً ليغيث به النبي ﷺ، فأتى بستاناً لرجل من اليهود، فاستسقى له سبعة عشر دلواً، على كل دلو تمرة، فخيره اليهودي على تمره، فأخذ سبع عشرة عجوة، فجاء بها إلى النبي ﷺ، فقال: «من أين لك هذا يا أبا الحسن؟».

قال علي عليه السلام: بلغني ما بك من خصاصة يا نبي الله فخرجت ألتمس لك عملاً لأصيب لك طعاماً، قال: حملك على هذا حب الله ورسوله، قال: نعم يا نبي الله، قال النبي ﷺ:

«ما من عبد يحب الله ورسوله إلا كان الفقر أسرع إليه من جرية السيل على وجهه، ومن أحب الله ورسوله فليعد للبلاء تجفافاً»[2].

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري ٥: ١٧١.

(٢) كنز العمال ١: ٣٢١، وعزاه إلى البيهقي وابن عساكر، وفي معناه أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي عن عبد الله بن مغفل ٤: ٤٩٨.

فاطمة الزهراء رأس آل البيت

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

في أسباب النزول قيل أن هذه الآية نزلت في خمسة: في النبي ﷺ وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام، والحسن والحسين عليهما السلام.

فقد روى الترمذي عن أنس بن مالك قال: إن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة عليها السلام ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً».

وقال ابن جرير عن سعد أن رسول الله ﷺ قام حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنه وفاطمة عليها السلام فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي.

وذكر ابن كثير: أن الحسن بن علي عليه السلام صعد المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذي قال الله تعالى عنا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يحن بكاء. وذكر أيضاً أن علي بن الحسين بن علي عليه السلام قال لرجل من أهل الشام أما قرأت في الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال نعم، ولأنتم هم؟ قال: نعم[1].

---

(١) ابن كثير جـ ٣ تفسير آية ٣٣ من سورة الأحزاب ـ بتصرف.

وجاء في أسباب النزول للواحدي النيسابوري: عن عطاء بن أبي رباح قال: حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبيﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمةعليها السلام ببرمة فيها خزيرة، فدخلت بها عليه فقال لها: ادعي لي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي وحسن وحسينعليهم السلام فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له، وكان تحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وقال: فأدخلت رأسي البيت وقلت: أنا معكم يا رسول الله، قال: إنك إلى خير، إنك إلى خير[1].

(١) أسباب النزول النيسابوري ص ٢٠٣ وانظر ابن كثير ٣: ٤٨٤.

حجة الوداع وبكاء فاطمة الزهراء عليها السلام

ها قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في سبيل الله، وتمت أعمال الدعوة، وبناء مجتمع جديد على أساس من التوحيد الخالص وإثبات الألوهية لله، ونفيها عن غيره، وعلى أساس رسالة محمد صلى الله عليه وآله، وكأن هاتفاً خفياً انبعث في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، يشعره أن مقامه في الدنيا قد أوشك على النهاية، حتى إنه حين بعث معاذاً إلى اليمن سنة ١٠ هـ وقال له: «يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري هذا». فبكى معاذ خاشعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله.

وتناقل بعض الناس هذا القول، فوقع على مسمع فاطمة الزهراء عليها السلام التي حزنت وتألمت واستشعرت قرب الرحيل، لأنها تعلم أن كل كلام أبيها حق، ولكنها تعللت بكلمته «لعلك»، فليس فيها جزم في هذا الأمر.

وشاء الله تعالى أن يرى رسوله صلى الله عليه وآله ثمار دعوته التي عانى في سبيلها ألواناً من المتاعب بضعاً وعشرين عاماً، فيجتمع في أطراف مكة بأفراد قبائل العرب وممثليها، فيأخذون عنه شرائع الدين وأحكامه، ويأخذ منهم الشهادة على أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة.

أعلن المصطفى صلى الله عليه وآله عزمه على الحجة المبرورة المشهودة فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي يوم السبت لأربع بقين من ذي القعدة تهيأ المصطفى صلى الله عليه وآله للخروج وخرج بعد الظهر، وخرج معه صلى الله عليه وآله معظم أهل بيته، وكان منهم فاطمة الزهراء عليها السلام.

لما عزمﷺ على الحج في السنة العاشرة أُذِّن في الناس أن الرسولﷺ يتأهب للحج فكان أول من علم بذلك بطبيعة الحال هم أهل المدينة ومن حولها فتجمعوا لهذه الغاية، فخطبهم المصطفىﷺ وبين لهم مناسك الحج ليسهل عليهم متابعته وهو يطبقها أمامهم عملياً في الحج منسكاً بعد منسك.

وفي يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة صلى بهم الظهر أربعاً ثم خرج وخرجوا معه قاصدين ذا الحليفة، وتسامع الناس به فتوافدوا من جميع الأصقاع، زرافات ووحداناً حتى بلغ عددهم مبلغاً لا يعلمه إلا الله فارقوا أوطانهم وخلفوا أولادهم وأسرهم وهجروا الراحات واستعذبوا المشقات فارين إلى الله يتدافعون رجالاً وعلى كل ضامر تهدهدهم الأشواق إلى البيت العتيق وتتساطع عليهم الأنوار من غار حراء وتصحبهم الملائكة من كل حدب وصوب وتنقلهم إلى حظائر الملأ الأعلى قسمات ذلك الوجه الأزهر والجبين الأنور كلما امتدت أعناقهم لتتملى برؤية من اصطفاه الله تعالى وفضله على جميع العالمينﷺ.

هكذا انطلق النبيﷺ ومعه هذا الموكب الذي لا تقف العين منه عند حد ولا يحيط به البصر مهما امتد، ساروا وكأنهم الأمواج في بحر لجي كلما هبطوا من عل أو عبروا ربوة تكاد الأرض ترتج تحت أقدامهم الطاهرة، وكأن الشمس تطلع من جباههم النيرة يحيطون بالنبي الكريمﷺ من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وأرواحهم معلقة به وقلوبهم تكاد تتفطر من حبه ولو استطاعوا حملوه على الأحداق فضلاً عن الأعناق ولو قدروا لحملوه مما للسفر من مشاق تقرباً إلى الكريم الحنان وابتغاء مرضاة الودود الرحمن وشكراً لله تعالى على هذه النعمة العظمى والرحمة المهداة إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ليخرجهم من الظلمات إلى النور يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض. اللهم صل وسلم وبارك عليه.

بات رسول الله ﷺ هو ومن معه تلك الليلة في ذي الحليفة، وبعد أن صلى بهم الصبح وبعد أن أشرقت الشمس شرعوا يتأهبون للدخول في أعمال الحج. وانطلق النبي ﷺ وهو على ناقته القصواء ومعه هذه الحشود الضخمة تردد خلفه ﷺ: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وتتجاوب جنبات الوادي معهم مؤوبة بإصداء هذا النغم العلوي الذي تهدر به هذه الألوف المؤلفة من الحجاج نابعة من قلوبهم المؤمنة به أقوى ما يكون الإيمان معزوفاً على أوتار عزماتهم المندفعة به أشد ما يكون الاندفاع.

وسار الموكب كما علمت والتلبية لها هدير يهز الآفاق وعبير يضمخ الأجواء وأنوار تشع من القلوب وتعود إلى القلوب: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. فمروا في طريقهم بالأبواء وهو المكان الذي وافت المنية فيه على أحد قولين والدة سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ وهي عائدة به إلى مكة المكرمة بعد زيارته لأخواله بني النجار وكان والده ﷺ قد توفي قبلها وهو في بطن أمه لتنفرد العناية الإلهية بتربيته ﷺ في كفالة جده عبد المطلب ثم عمه أبي طالب من بعده قال ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» (الحديث) ثم ما لبث الموكب أن مر بوادي عسفان ولم يكن سيدنا محمد ﷺ أول نبي يمر بهذا الوادي فقد تشرفت جنباته بأنفاس سيدنا هود وسيدنا صالح عليهما السلام في طريقهما إلى البيت العتيق محرمين متقربين إلى الله بالحج إلى أول بيت وضع للناس: فيه آيات بينات مقام إبراهيم. إبراهيم الذي ما أمره الله بشيء إلا وفي به حتى إنه لم يتردد لحظة واحدة في امتثال أمر ربه بذبح فلذة كبده وقرة عينه مثال البر مثال التقوى مثال الطهر، وقد رزقه عليه السلام في كبر وهرم وشيبة فلما أسلم وتله للجبين وأمر السكين على قلبه وكبده هو وقبل أن يمرها على عنق ولده ممتثلاً أمر الله راضياً بحكمه لما رأى في المنام أنه يذبحه ورؤيا الأنبياء حق فناداه أرحم الراحمين: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾.

ومضى الوفد الميمون حتى أمسك عن التلبية حين رأى سيدنا محمداﷺ يمسك عنها حين وصلوا أدنى الحرم ونزلﷺ هو ومن معه بذي طوى وباتوا فيه ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة.

وصلى بهمﷺ فجر ذلك اليوم وازدادت أشواقهم لدخول البيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً وشرفه على جميع الأماكن والبقاع ما عدا ذلك الجزء الذي يضم جسد سيد الأولين والآخرين فإنه أعظم بقعة على وجه المعمورة بإجماع المسلمين.

فما لبثوا إلا يسيراً حتى اغتسلﷺ واغتسلوا اقتداء به وأخذاً لمناسكهم عنه كما أمر بذلك عليه الصلاة والسلام ثم ساروا يتقدمهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حتى دخلوا مكة المكرمة من كدا الثنية العليا التي بالبطحاء المشرفة على المقبرة ليتمكن الناس من رؤيتهﷺ وسارﷺ يتبعه الركب الميمون حتى أتى المسجد الحرام ضحى فأناخ راحلته ثم دخل من باب بني شيبة ولما واجهﷺ البيت الحرام كبّر وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام حيناً ربنا بالسلام. اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبراً».

وجعل البيت عن يساره في الطواف ثم بدأ بالحجر الأسود فكبّر الله ثم قبّله ولم يزاحم عليه.

وفور دخولهﷺ إلى البيت العتيق ليؤدي تحية المسجد وتحية البيت الطواف.. نعم تحية البيت الطواف.

وقد اضطبع رسول اللهﷺ واضطبع أصحابه في كل أشواط الطواف ورملﷺ في الأشواط الثلاثة الأولى ومشى متمهلاً فيما تبقى. ويعلل الفقهاء الاضطباع والرمل أن الغرض منه هو إظهاره القوة أمام أعداء الإسلام من القرشيين الذين كانوا يجتمعون عادة في دار الندوة وينظرون إلى الطائفين من المسلمين.

وأتم الأشواط السبعة وكلما مروا بالركن اليماني استلموه في غير مزاحمة مكبرين ومبسملين اقتداء بالنبي ﷺ كما اقتدوا به في تقبيل الحجر الأسود مرددين فيما بين هذين الركنين: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ فإن الله تعالى رب الدنيا ورب الآخرة وعنده خزائن السموات والأرض من خير الدنيا والآخرة ونحن مركبون من جسد وروح ونطلب للجسد حسنة الدنيا وللروح حسنة الآخرة وما كان عطاء ربك محظوراً ثم توجه ﷺ خلف المقام فقرأ ﷺ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ ومقام إبراهيم هو الحجر الذي كان يقوم عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهو يرفع القواعد من البيت وإسماعيل عليه السلام وعلى نبينا أفضل السلام وأتم التسليم استمد هذا الشرف وهذه المزيّة من قيام إبراهيم عليه السلام عليه. وكان ﷺ يرفع صوته وهو يقول واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى بحيث يسمعه الناس. وصلى ﷺ ركعتي الطواف قرأ في الأولى الفاتحة والكافرون وفي الثانية الفاتحة والإخلاص، وفي سورتي الكافرون والإخلاص كل دعائم التوحيد، أما الفاتحة فهي قمة التبتل والمناجاة.

بعد الطواف أقبل النبي على الحجر الأسود فاستلمه وقام بين الركن والباب فوضع عليه صدره ووجه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطاً حتى لا يكاد جزء من جسده الشريف إلا ومس الملتزم ليعلم الناس كيف يبالغون في تعظيم حرمات الله، أدباً مع الله وحده وابتغاء مرضاته في حدود ما شرعه الله وما سنه أو بينه حبيبه الأعظم صلوات الله وسلامه عليه.

ثم أتى ﷺ زمزم وهي البئر التي فجرها الله تعالى لسيدتنا هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام فكانت خيراً لسيدتنا هاجر ولابنها الرضيع عليهما السلام.. وقد أقبل ﷺ يشرب منها ويعلم الناس إن هذا الماء مبارك فيه. ثم عمد ﷺ إلى السعي فخرج من باب الصفا وهو جبل في مكة المكرمة بقي منه محل صغير مرتفع قريب من باب الصفا حيث بدأ به عز وجل حين قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾. ولما أكمل ﷺ سعيه عند المروة أمر كل من لا هدي معه أن يتحلل من الإحرام سواء أكان قارناً أم مفرداً ويجعلها عمرة. ونزل ﷺ بالابطح من مكة المكرمة هو ومن معه وبقوا هناك من يوم

الأحد إلى الخميس يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة وسمي يوم التروية لأنهم كانوا يعدون فيه الماء اللازم لهم في أيام الحج.

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة ـ وهو يوم التروية ـ توجه إلى منى فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، خمس صلوات، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، فأجاز حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زالت الشمس أمر بالقصواء ـ ناقته ـ فرحلت له، فأتى بطن الوادي، وقد اجتمع حوله مائة ألف وأربعة وعشرون أو أربعة وأربعون ألفاً من الناس، فقام فيهم خطيباً، وألقى خطبة الوداع الجامعة التي جاء فيها:

«أيها الناس: اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً»[1].

إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ـ وكان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل ـ وربا الجاهلية موضوع ـ وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله.

فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله[2].

أيها الناس، إنه لا نبي بعدي، ولا أمة بعدكم، ألا فاعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، تطيب بها أنفسكم، وتحجون بيت ربكم، وأطيعوا أولي أمركم، تدخلوا جنة ربكم[3].

---

(١) الرحيق المختوم ص ٤٤٢ عن سيرة ابن هشام.

(٢) صحيح مسلم باب حجة النبي ﷺ ١ : ٣٩٧ عن المرجع السابق ص ٤٤٣.

(٣) المصدر السابق ص ٣٤٤.

وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد» ثلاث مرات[1].

وكان الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة، ربيعة بن أمية بن خلف.

وبعد أن فرغ النبي ﷺ من إلقاء الخطبة نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

وبعد يوم حافل في رحاب الله تعالى آب حجاج بيت الله إلى منامهم يهجعون، استعداداً ليوم ثان من أيام الحج المبارك، وآبت الزهراء عليها السلام إلى فراشها، ولكن النوم خاصم عينيها فقد دار في خيالها كل كلمة قالها المصطفى ﷺ ولكن ليست بحجمها، بل مضخمة تستولد منها المعاني التي بين حروفها، وتستنطق الحروف ما خبأت في طواياها واستعرضت تلك الجملة التي أوصى بها المصطفى ﷺ معاذاً حين أوفده إلى اليمن.

وها هو ذا المصطفى ﷺ يرددها مرة أخرى ولكن بصيغ مختلفة، فقد قال لمعاذ رضي الله عنه: إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، وقال للناس أجمعين في خطبته: أيها الناس اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. وشهادة الناس له أنه بلغ وأدى ونصح.

ثم قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

بكت فاطمة عليها السلام وسألت نفسها: هل أوحي إلى رسول الله ﷺ أنه سوف ينتقل إلى الرفيق الأعلى، ولكن لو أوحى إليه كان أعلن ذلك على الملأ، إنه لا يكتم شيئاً يوحيه الله إليه. هل يحس إحساساً أكيداً بهذا

---

(١) صحيح مسلم ١: ٣٩٧. عن السابق.

الأمر، ثم يتركه معلقاً لأن علمه عند الله تعالى ولهذا يتحدث ويعلق الكلام فلا يجزم به؟

وأحس علي عليه السلام ما تعانيه فاطمة عليها السلام، واستشف تلك المعاناة من عدم القدرة على النوم، ثم البكاء المتواصل. وسألها: ما بك يا أم الحسن؟! أجابته: أحس بانقباض يا أبا الحسن على رسول الله صلى الله عليه وآله، أخشى أن يكون هذا العام هو آخر حياته، كما يوحي بذلك من خلال أحاديثه.

وصمت علي عليه السلام، ولم يستطع الإجابة أو التعليق، لأن ما كان يدور في ذهن الزهراء عليها السلام كان يدور في ذهنه عليه السلام.

وطمأنها علي عليه السلام أن أباها بخير، ولن يمسه الله بسوء أبداً، وأن كل شيء عند الله تعالى بمقدار.

وفي اليوم الثالث عشر من ذي الحجة طاف النبي صلى الله عليه وآله بالبيت طواف الوادع، ولما قضى مناسكه حث الناس إلى المدينة المطهرة لا ليأخذ حظاً من الراحة، بل ليستأنف الكفاح لله وفي سبيل الله[1].

ففي صفر سنة ١١ هجرية جهز المصطفى صلى الله عليه وآله جيشاً كبيراً وأمر عليه الحب بن الحب أسامة بن زيد بن حارثة، لمقابلة الروم، ولكن هذا الجيش لم يتحرك إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله نظراً لمرضه، فقد تحرك إلى الجرف على بعد فرسخ من المدينة، ولكن تريث نظراً للأخبار المقلقة عن مرض الرسول صلى الله عليه وآله.

وكان تجهيز هذا الجيش مطمئناً لفاطمة الزهراء عليها السلام وموحياً لها أن النبي صلى الله عليه وآله ما زال ممتد الأجل، وإنه لم يستكمل الدعوة إلى دين الله تعالى، واطمأن قلبها شيئاً قليلاً، وهدأ البال إلى حد ما، وكانت تقضي معظم أوقاتها بجواره صلى الله عليه وآله ومعه.

❀ ❀ ❀

(١) انظر حجة النبي صلى الله عليه وآله في سيرة ابن هشام، وفتح الباري، وزاد المعاد.

حرص فاطمة عليها السلام على رضا أبيها

ما كانت فاطمة عليها السلام تتحلى بالكثير من الذهب مثل باقي مثيلاتها من الهاشميات أو القرشيات، فقد تعلمت إيثار الآخرة على الدنيا. لكن القليل من هذا المباح، ما كان يخطر على بالها أنه يغضب والدها صلى الله عليه وآله، وهي التي تحبه وتسعى لرضاه أكثر بكثير مما تحب النساء آباءهن ويسعين لرضائهم.

لقد اتسم بيت أبيها بالزهد، وشهدت معه أيام الحصار والصبر وكانت تعرف أحوال أهل الصفة، وما هم عليه من فقر، ليس لهم مساكن ولا أزواج ولا أموال، ينامون في المسجد ويعيشون على الصدقات.

ما كانت فاطمة عليها السلام تتمتع بالذهب الكثير ولكنها، قلادة من ذهب تتحلى بها في عنقها، إن مثيلاتها يلبسن الكثير، يهدى إليهن أو يشترينه من أموالهن. ولم يكن يخطر ببال الزهراء عليها السلام أن ذلك مغضب لوالدها صلى الله عليه وآله، وعلى عادتها.. ذهبت لزيارته.. فاستأذنت.. فأذن لها فدخلت وألقت السلام: وفرحت بلقاء الأب الكريم والله وحده يعلم مدى سعادتها بلقائه والقرب منه.. إنها لا تتركه إلا وتود القرب منه. إنها سعيدة ببشاشة وجهه، وطيب كلامه.. وعذوبة حديثة.. جلست إلى جواره صلى الله عليه وآله، ودار بينهما حديث المحبة، ونظرات العطف والحنان تجمع بينهما.

ويقع نظر النبي صلى الله عليه وآله على القلادة في عنق فاطمة ويكرر النظر إلى هذه القلادة.. وفاطمة تتابع هذه النظرات.. وتلمح آثارها على وجه أبيها صلى الله عليه وآله.

لاحظت تغيراً في وجه أبيها صلى الله عليه وآله وبدا عليه نوع من الغضب، وتسأل نفسها رضي الله عنها.. إلى أي شيء ينظر.. ما سبب هذا الغضب؟

وتدرك فاطمة عليها السلام بذكائها أن نظره وقع على القلادة الذهبية التي تدلت من عنقها.

ومضت لحظة صمت خرجت فاطمة عليها السلام والحزن يملأ قلبها.. لما بدا على وجه أبيها من آثار الغضب وعلاماته.. ما أشد حزنها، أن تكون سبباً لهذا الغضب، كم هي تحب أن تدخل على قلبه السرور ولو حرمت مباهج الدنيا كلها؟ بُعداً لكل ما يغضبه.. بعداً.. بعداً. ولم يغمض لها جفن، ولم تهدأ وفكرت كيف ترضي والدها صلى الله عليه وآله.

إنها تعلم أن لبس الذهب ليس حراماً ونساء المؤمنين يلبسن الذهب ولكن لا بد أن لها وضعاً خاصاً وهو الذي جعله يغضب... ولا بد من التخلص من هذه القلادة إذن.. لا لأنها حرام.. ولكن لأنها لا تطيق أن ترى الغضب في وجه أبيها من أي إنسان فكيف تطيق أن تقرأ في وجهه الغضب من فعلتها هي نفسها.

ماذا تفعل الزهراء الطاهرة كي يعود السرور والسعادة إلى وجه أبيها الكريم؟ لا شك أنها ستخلع هذه القلادة ولن تلبسها أبداً بعد اليوم، ستبيعها إذن لتخرج من سخطه وتسعد بمرضاته وطلاقة وجهه.. ولكن ماذا تفعل بثمنها؟ أتشتري خادماً يعينها فيما تلقى من تعب وكلال في أعمال بيتها؟ فكرة طيبة استقرت في ذهن الزهراء عليها السلام لكن ما لبثت أن تحولت عنها، فإنها سوف تبيع القلادة التي غضب النبي صلى الله عليه وآله حين رآها وتشتري بها عبداً، أن وجود العبد في بيتها سيظل يحمل ذكرى تلك القلادة في نفس أبيها، وفي نفسها أيضاً.

إنها تحب رضاه.. إذن ماذا تفعل؟ هي حريصة على رضاه، وهو يحب لها أعلى مكانة.. وأعظم منزلة يريدها للآخرة.. هي تعلم هذا.. يكفي أن تلمح في وجهه ما يريد فتسارع للخير الذي يرضيه.

وجاءتها فكرة جميلة تشتري بثمنها عبداً وتعتقه، تجعله حراً في سبيل الله. الإسلام يدعو إلى الحرية.. إلى الخير إلى عتق الرقاب وفكها من الرق..

وتدخل فاطمة على أبيها.. تستأذن.. وتسلم.. ثم تجلس إلى جواره.. فيسألها المصطفى ﷺ بنظره عن قلادتها وتجيبه قبل أن يقول شيئاً: لقد بعت القلادة واشتريت بثمنها عبداً واعتقته.. ويتهلل وجه النبي ﷺ بالبشر والسرور.

ما أروع ذكاء فاطمة عليها السلام وهي تلحظ أباها، ما أروع ذكاءها وهي تشعر بإحساسه الفياض دون أن يتكلم، وما أروع حسن تفكيرها وحرصها على إسعاده ﷺ. هكذا يكون الشعور المرهف والإحساس الرقيق، وما أجمل هذه العبارة التي تحمل كمال الوصف وحقيقة النسب حين يقول لها المصطفى ﷺ أنت بنت أبيك.

ما أسعدها وهي تترك المباح والزينة والحلال من أجل رضا أبيها الحبيب رسول الله ﷺ، ورضاه من رضا الله تعالى.

لقد لمحت غضب المصطفى ﷺ، وكان ذلك سبباً في فك رقبة وتحرير إنسان من ذل العبودية.. فما أجمل رضاه حين يرضى وما أبلغ غضبه حين يغضب. إنه يرضى لله ويغضب لله ويحب لله ويكره لله ويصل لله ويقطع لله ويعطي لله ويحرم لله، وكل عمل يعمله إنما هو لله وحده لا شريك له.

وهذه خصوصية أخرى هامة لبنت المصطفى ﷺ حيث إن لبس الذهب ليس بحرام على نساء المسلمين ولكنه في حق فاطمة قضية أخرى لأنها بنت رسول الله ﷺ ولأنها فاطمة الزهراء عليها السلام، وإذا كان القرآن يعلمنا أن نساء النبي لسن كغيرهن من النساء: «يا نساء النبي لستن كأحد من النساء»، فكيف بحب رسول الله ﷺ وبضعة منه.



أخلاق الزهراء

كانت عليها السلام كريمة الخلق، نبيلة النفس، جليلة الحس، سريعة الفهم، مرهفة التفكير، متوقدة الذهن، جزلة المروءة، غرّاء المكارم، لا يقترب منها الزهو ولا الخيلاء. وكانت سبطة الخليقة في سماحة وهوادة، إلى رحابة صدر، وسعة أناة، وسكينة ووقار، ورفق ورزانة، وعفة وصيانة.

عاشت قبل وفاة أبيها متهللة العزة، وضاحة المحيا، حسنة البشر، باسمة الثغر، وغربت بسمتها منذ وفاة أبيها صلى الله عليه وآله.

كانت عليها السلام لا يجري لسانها بغير الحق، ولا تنطق إلا بالصدق، ولا تذكر أحداً بسوء، فلا غيبة ولا نميمة، ولا همز ولا لمز، تحفظ السر، وتفي بالوعد، وتصدق النصح، وتقبل العذر، وتتجاوز عن الإساءة، صادقة في قولها، صادقة في نيتها، صادقة في وفائها، وهي تعرف أن زوجها علياً عليه السلام ما بلغ عند رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة.

وكانت عليها السلام أمينة، حافظة للسر، لا ترضى لنفسها أن تذيع لأحد سراً، أو تفشي له أمراً، وقد سمعت من زوجها قوله: «طوبى لعبد نُومة، عرفه الله ولم يعرفه الناس، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء، ليسوا بالمذاييع الذر، ولا الجفاة المرائين»[1].

وكانت في الذروة العالية من العفاف والتصاون، طاهرة الذيل، عفيفة المؤتزر، عفيفة الطرف، لا يميل بها هواها، بل إنها في حصانة وصيانة

---

(١) سنن الدارمي ١: ٩٣. المقدمة باب ١٧.

وطهر، فهي من آل بيت النبيﷺ الذي قال الله تعالى في حقهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

عن أنس بن مالك قال: قال النبيﷺ: «ما خير للنساء؟».

فلم ندر ما نقول، فصار عليعليه السلام إلى فاطمةعليها السلام، فأخبرها بذلك فقالت: فهلا قلت له: «خير لهن ألا يرين الرجال ولا يرونهن»، فرجع، فأخبر النبيﷺ بذلك، فقال له: من علمك هذا؟! قال: فاطمة، فقالﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني».

وكانتعليها السلام رمزاً يضرب في الحياء، فالحياء شعبة من شعب الإيمان، والحياء صفة الصالحين، وحلية الفتيات الصالحات.

والحياء لا يأتي إلا بخير، ولا يمنع من الحق، وطلب الحق.. ولا يشجع على باطل، الحياء خلاف الخجل.

وعند فاطمةعليها السلام نقف على حياء فريد، حياء لا مثيل له. كانتعليها السلام بجوار أسماء بنت عميس، وأخذت تبكي، وازدادت في البكاء وأسماء في دهشة من أمرها. فقالت لها أسماء: ما يبكيك يا فاطمة؟!

والإجابة تدهش العقول.

إن فاطمة شغلها الحياء فجعلها تفكر فيما بعد الموت، تفكر في أمر قلَّ أن يفكر فيه إنسان. إن الذي يبكي فاطمة أنها عندما يأتيها الموت، ويتم تغسيلها وتكفينها، وتحمل على تلك الآلة الخشبية، ويطرح عليها ثوب فيصفها، لقد استقبحتعليها السلام ما يصنع بالنساء عند حملهن لدفنهن، فيعرف الناس طولهن وعرضهن وسمنهن، تتذكر ذلك فاطمة فتبكي حياء، إنها الفطرة الطاهرة.

تتعجب أسماء بنت عميس، وتتذكر بسرعة ما رأته في بلاد الحبشة، تخبر فاطمة أنهم يحملون موتاهم على خشبة ذات جوانب، وتغطى بغطاء من قماش، وبهذا يستر الميت وهذا ما ترجوه فاطمةعليها السلام.

تسعد فاطمةعليها السلام بذلك، تستبشر خيراً وتوصي أن يصنع لها مثل هذا،

وتدعو فاطمة لأسماء «سترك الله كما سترتني». هل يوجد مثل هذا الحياء في الحياة وفي الممات؟!

وقد أوصت عليها السلام بهذا النعش يصنع لها حتى لا يتبين أحد وصفها بعد وفاتها غفة وتصاوناً[1].

كانت الزهراء عليها السلام قانعة بحالها، وكانت توقن أن الحرص يفرق القلب، ويشتت الأمر، وكانت تستمسك بما سمعته من أبيها صلى الله عليه وآله «طوبى لمن هُدي للإسلام وكان عيشه كفافاً أو قنع به»[2]. وسمعته صلى الله عليه وآله وهو يخطب في الناس ويقول:

«أيها الناس أجملوا في الطلب، فإنه ليس للعبد إلا ما كتب له في الدنيا، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له فيها وهي راغمة»[3]. وقد قال لها أبوها صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة، اصبري على مرارة الدنيا لتفوزي بنعيم الأبد»[4].

وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاها يوماً فقال: «أين ابناي»؟ يعني حسناً وحسيناً عليهما السلام. قالت:، قلت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، وإنا لنحمد الله تعالى، فقال علي عليه السلام: أذهب بهما فإني أتخوف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء».

هكذا كان حالها وهي صابرة على تلك المعيشة الشديدة، تستقبلها بقناعتها، وتكثر من حمد الله تعالى عليها، فهي قانعة بحالها راضية بعيشها، وهي التي أراها أبوها صلى الله عليه وآله ما خاطبه به ربه سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فكانت عليها السلام لقاء هذا

---

(١) راجع في ذلك التعليق على الحديث في كتاب «علموا أولادكم محبة آل البيت» للدكتور محمد عبده يماني. ص ٩٧.

(٢) وفي صحيح مسلم: (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه).

(٣) انظر فيض القدير ٣: ١٦٠ (٣٠١٢).

(٤) كنز العمال ٣٥٤٧٥.

راضية باليسير من العيش، صابرة على شظف الحياة قانعة باليسير من الحلال، فكانت نفسها راضية مرضية. فكانت لا تطمع إلى ما لغيرها ولا تستشرف ببصرها إلى ما ليس من حقها، فما كانت تطمع في حق أحد، فهي غنية بنفسها، قريرة بحالها، وقد قال أبوها ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس» (متفق عليه).

وقد قال ﷺ لأعرابي وهو يعظه: «إذا صليت فصل صلاة مودع، ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غداً، وأجمع اليأس عما في أيدي الناس، فإن اليأس عما في أيدي الناس هو الغنى الحاضر».

وقد سمعت علياً عليه السلام يقول: ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك، وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك، وبقاء عزك». ولهذا كانت عليها السلام منقطعة عن دنياها، عازفة عن زخارفها ومشتهاها، وما عُرِفَ عنها في حياتها أنها استشرفت لشيء منها طيب نفس وعزة وقناعة، تتسربل الصبر الجميل لأدواء الحياة، وتعاني شظف العيش في دنياها، ولسانها رطب بذكر مولاها.

لقد كان همّ الزهراء عليها السلام الآخرة، فلم تحفل بزخارف الدنيا، ولقد قال أبوها ﷺ: «من أصبح وهمّه الدنيا، شتّت الله عليه أمره، وفرّق عليه جمعه، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة، جمع الله له همه، وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».

وقد تأدبت عليها السلام بآداب أبيها المصطفى ﷺ وقد سمعته يقول: «إن ربي عز وجل عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكن أجوع يوماً، وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه، فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك»[1].

فنشأت عليها السلام للدنيا، عائفةً لمتعها، منصرفة عن زينتها، وشهواتها.

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥: ٢٥٤، والترمذي ٤: ٤٩٧ (٢٣٤٧).

فقه السيدة فاطمة عليها السلام

لا شك أن هذه السيدة العظيمة، سيدة نساء العالمين، هي سيدة فقيهة فاضلة، لها باع طويل لا ينكر في نقل الدين والدعوة والتفقيه بالقرآن والسنة. وإن كانت السيدة فاطمة عليها السلام قد شغلت بالمواقف العظيمة التي وقفتها، والبلايا العظيمة التي تصدت لها، وهي تقف إلى جوار المصطفى صلى الله عليه وآله في كل المحن التي مرت به، إلاّ أنها تولت قضية التربية في الدرجة الأولى، وكان لها دور كبير في رعاية والدها عليه أفضل الصلاة والسلام، وخاصة بعد وفاة أمها رضي الله عنها.

ولهذا فعندما نتحدث عن فقهها كنصوص، نجد أن هناك مواقف محدودة تعرضت فيها لبعض القضايا الفقهية، إلا أنها عليها السلام كانت تنظر بنور الله عز وجل الذي نور قلبها وأكرمها وجعلها من سيدات نساء العالمين.

ولقد شغلت الزهراء البتول بتلك الواجبات العظيمة من أول عمرها كما ذكرنا. ولعل الموقف العظيم الذي وقفته، كما يروي البخاري عن عبد الله بن مسعود، أن النبي صلى الله عليه وآله كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: «أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم (وهو عقبة بن أبي معيط)، فجاء به، فنظر حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه وآله وضعه على ظهره، وأنا أنظر لا أغني شيئاً لو كانت لي منعة قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعض (أي يتمايل بعضهم على بعض مرحاً وبطراً) ورسول الله صلى الله عليه وآله ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة عليها السلام فطرحته عن ظهره» (الحديث).

إلى جانب واجبها نحو زوجها وبنيها وبيتها، فقد أثرت الرحى في يديها الكريمة والجرة في كتفها. قال علي عليه السلام: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلق عليه الناضح بالنهار. وما لي ولها خادم غيرها، ولما زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله بي بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحائين وسقاء وجرتين، فجرت بالرحى حتى أثرت في يدها، واستقت بالقربة بنحرها، وقَمّت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها[1].

وكذلك في غزوة أحد لما استقر صلى الله عليه وآله في مكانه من الشعب، خرج علي بن أبي طالب عليه السلام حتى ملأ درقته ماء من المهراس (قيل هو صخرة منقورة تسع كثيراً وقيل اسم ماء بأحد)، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليشرب منه، فوجد له ريحاً، فعافه فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه[2].

وقال سهل: والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وآله ومن كان يسكب الماء»[3].

وهناك بعض الأمثلة التي تدل على نظراتها العميقة منها:

١ ـ قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خير للمرأة؟ فقالت: أن لا ترى الرجال ولا يرونها. فضمها إلى صدره وقال: «بعضهم من بعض»، فسر رسول الله صلى الله عليه وآله من تعبيرها ذلك التعبير الذي يدل على فقه ووعي واضح، عبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله بأحاديثه الشريفة: «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء» (متفق عليه).

٢ ـ ومن الحكايات اللطيفة التي تدل على فقهها أن السيدة عائشة

---

(١) رواه أحمد، ج ١، ص ١٠٦.

(٢) ابن هشام ٢: ٨٥.

(٣) روي: كانت فاطمة عليها السلام ابنته تغسله، وعلي بن أبي طالب عليه السلام يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة عليها السلام أن الماء لا يزيد الدم إلاّ كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فألصقتها فاستمسك الدم (صحيح البخاري ج ٢، ص ٥٨٤).

افتخرت أمامها بأن النبيﷺ لم يتزوج بكراً غيرها، فكلمت رسول اللهﷺ فقال لهاﷺ: «إن عادت فقولي: إن أمي تزوجت رسول اللهﷺ بكراً».

ويذكر أنها حرصت كل الحرص أن لا يظهر حجم جسمها على النعش عند حملها للدفن، وفهمها الدقيق لهذا وإعلانها جعل الكثير من فقهاء المسلمين يذكرون ندب ذلك.

وأخيراً، إن السيدة فاطمةعليها السلام كانت فقيهة النفس، دقيقة الفهم للإسلام وأحكامه، ولعل المتتبع لكتب السنة المطهرة يعثر على الكثير من الفهم الدقيق للسيدة فاطمة الزهراء البتولعليها السلام.

ومن هنا فإننا عندما نكتب عن فقهها، إنما نكتب عن إنسانة متفقهة في الدين، ولكنها بدلاً من أن تجلس للفتوى كانت حياتها كلها تعبيراً عن فقه النبوة الذي تلقته عن المصطفىﷺ، فجاءت نموذجاً للمرأة المسلمة الصالحة الكاملة التي أخذت من ذلك الينبوع العظيم، ومن أخلاق أبيها وأخلاق أمها، ونشأت وترعرعت في مدرسة النبوة، وقامت بتلك المهام الأساسية الكبرى التي تحدثنا عن بعضها. وكيف لنا أن نلم بكل تلك المواقف في كتيب كهذا نتعرض فيه للومضات من سيرة هذه السيدة الفاضلة ونحرص أن نبسط بعض جوانب حياتها لناشئة هذه الأمة، حتى يعلموا قدر السيدة فاطمة الزهراء البتول أم أبيهاعليها السلام.



وصية الزهراء عليها السلام

أوصت الزهراء عليها السلام علي بن أبي طالب عليه السلام بثلاث وصايا في حديث دار بينهما قبل وفاتها.

قالت الزهراء عليها السلام: يا ابن عم، إنه قد نعيت إليّ نفسي، وإنني لا أرى حالي إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي.

فقال عليه السلام: أوصيني بما أحببت يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت.

فقالت عليها السلام: يا ابن العم، ما عهدتني كاذبة ولا خائفة، ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال عليه السلام: معاذ الله! أنت أعلم بالله تعالى، وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله تعالى، وقد عز عليّ مفارقتك وفقدك إلا أنه أمر لا بد منه، والله لقد جددت عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، وجل فقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم بكيا، وأخذ عليّ عليه السلام رأسها بين يديه وقال: أوصيني بما شئت.

وقد أوصت الزهراء عليها السلام علياً عليه السلام بثلاث:

أولاً: أن يتزوج بأمامة ابنة العاص بن الربيع، وابنة أختها زينب رضي الله عنها[1].

---

(١) أسد الغابة ٧: ٢٢.

وفي اختيار الزهراء عليها السلام لأمامة رضي الله عنها لتكون زوجة لعلي عليه السلام قالت: إنها تكون لولدي مثلي في حنوتي ورؤومتي.

وفي رواية: إنها ابنة أختي وتحنو على ولدي.

وأمامة هي التي روي أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحملها في الصلاة.

ثانياً: أن يتخذ لها نعشاً وصفته له، وكانت التي أشارت عليها بهذا النعش أسماء بنت عميس، ووصفه أن يُأتى بسرير ثم بجرائد تشد على قوائمه، ثم يغطى بثوب.

ثالثاً: أن تدفن ليلاً بالبقيع.

وقد نفذ علي عليه السلام وصيتها، فحملها في نعش كما وصفته له، ودفنت بالبقيع ليلاً، وعمّي على موضع قبرها بقبور أخرى تجاورها.

وتزوج علي عليه السلام بأمامة بنت أبي العاص ولم ينجب منها[1].

❀ ❀ ❀

(١) المرجع السابق.

مرض الزهراء ووفاتها عليها السلام

لم يطل مرض الزهراء عليها السلام الذي توفيت فيه، ولم يطل مقامها في الدنيا كثيراً بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وآله، وقد اختلفت المرويات في تحديد تاريخ وفاتها، فقيل في الثالث من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة من الهجرة، وقيل توفيت لعشر بقين من جمادي الآخرة، وقيل ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر، وعن ابن عباس في الحادي والعشرين من رجب. أما الأرجح الذي قاله المدائني والواقدي وابن عبد البر في الاستيعاب أنها توفيت ليلة الثلاثاء يوم الاثنين من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة.

وتوفيت وهي بنت تسع وعشرين سنة. وقيل كانت قبل وفاتها فرحة مسرورة لعلمها باللحاق بأبيها الذي بشرها أن تكون أول أهل بيته لحوقاً به.

وسرى الخبر في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، واجتمع الناس مقبلين إلى علي عليه السلام وهو جالس، والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان، فبكى لبكائهما، والناس جالسون يسترجعون وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلوا عليها، فخرج أبو ذر الغفاري، وقال: انصرفوا، فإن ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخر إخراجها هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا.

وكانت وصيتها عليها السلام أن تدفن ليلاً بالبقيع كما ذكرنا. وحملت الزهراء عليها السلام إلى مثواها الأخير، في نعش صنعته لها أسماء بنت عميس، وهي أول من حملت في نعش، وأول من لحقت بالنبي صلى الله عليه وآله من أهله.

حملت فاطمة الزهراء عليها السلام بين دموع العيون، وأحزان القلوب، وصلى عليها علي عليه السلام، ونزل في قبرها، ثم وقف على حافة القبر يؤبنها بكلمات تنم عن قلب مفعم بالأحزان على فراقها.

فضم ثرى طيبة جثمان الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، كما ضم جثمان أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وأخواتها الثلاث: زينب ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهن.

وعاد علي عليه السلام، محزون القلب، دامع العين، بعد وداع الحبيبة الراحلة، رجع إلى البيت فاستوحش فيه، ثم أحس أن الدنيا على زوال، وقد أثرت فيه وفاة المصطفى صلى الله عليه وآله ثم وفاة الزهراء عليها السلام فأنشد قائلاً:

أرى علل الدنيا عليّ كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليل على ألا يدوم خليل



خصائص فاطمة الزهراء عليها السلام

لقد اختص الله عز وجل هذه السيدة الكريمة الطاهرة بخصائص تسمو بها على نساء العالمين، وتزهو بها حياة المسلمين، إنها المثل الأسمى في الدنيا للمرأة المسلمة، والإبنة البارة، والزوجة الكريمة، والأم المربية، والمتبتلة الزاهدة، والمهاجرة المجاهدة، والصابرة العابدة، وهي في الآخرة صاحبة الذكر الطيب، والاسم الوحيد الذي تسمع الخلائق من سيد الخلق وهو يتشفع الشفاعة العظمى، ويناشد ربه الرأفة والرحمة، وهي سيدة نساء العالمين، وفيما يلي عرض موجز لأهم خصائصها الكريمة.

١ ـ إنها ابنة سيد الأولين والآخرين، ورسول رب العالمين وخاتم النبيين، والرحمة المهداة للعالمين.

إنها ابنة صاحب المقام المحمود والحوض المورود والشفاعة الكبرى.

وأي شرف يداني هذا الشرف، وأي نسب يقارب هذا النسب.. وهل في آباء العالمين مثل هذا الأب، وهل في أبناء آدم مثل هذه البنوة، وإنها وأخواتها الطاهرات صاحبات هذا الشرف الوحيد الفريد، اللواتي يحق لهن أن يقلن مفاخرات: «أين في الناس أب مثل أبينا».

٢ ـ إنه سماها فاطمة تفاؤلاً بها، وإنها ستتزوج وتنجب وترضع وتفطم أولادها الكرام، وإن نسله الكريم سيمتد من خلالها دون سائر بناته.

وقد صح هذا التفاؤل، فإنها الوحيدة من أولاده التي عاش أولادها من بعدها فتزوجوا وأنجبوا، أما أمامة بنت زينب ـ رضي الله عنها ـ فإنها

تزوجت بعلي عليه السلام بعد وفاة خالتها فاطمة عليها السلام بوصية من خالتها، ثم تزوجت بعده بالمغيرة بن نوفل، وقد رزقت منه بولد، ولكن عقبها قد انقرض، فانقرض عقب زينب رضي الله عنها.

أما فاطمة عليها السلام فإنها ولدت الحسن والحسين ومُحَسّناً وزينب وأم كلثوم عليهم السلام، وقد امتد نسلها من بعدها بطريق السبطين الكريمين الحسن والحسين عليهما السلام.

٣ ـ إنها عليها السلام أفضل نساء هذه الأمة جميعاً، فقد روى الحاكم والطبراني عن أبي سعيد الخدري بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم»، وفي رواية صحيحة: «إلا ما كان من مريم بنت عمران».

وقال ابن حجر الهيثمي رحمه الله: ولوضوح ما قاله السبكي تبعه عليه المحققون، وممن تبعه عليه أبو الفضل ابن حجر فقال: هي مقدمة على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن مطلقاً. ومما يؤكد ذلك ما رواه ابن عبد البر عن ابن عباس مرفوعاً: سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية.

قال القرطبي: هذا الحديث حسن يرفع الإشكال من أصوله وذهب الحافظ ابن حجر أنها أفضل من بقية أخواتها لأن منها ذرية المصطفى صلى الله عليه وسلم دون غيرها من بناته، فإنهن متن في حياته، فكن في صحيفته، ومات في حياتها فكان في صحيفتها.

إنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري في مناقب السيدة فاطمة عليها السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فاطمة بضعة مني ـ أي جزء مني ـ فمن أغضبها فقد أغضبني».

وعن عبد الله بن الزبير قال: قال صلى الله عليه وسلم: «إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما يغضبها»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم والطبراني بأسانيد صحيحة.

قال السهيلي رحمه الله: «إن من سبها فقد كفر، ويشهد له أن أبا لبابة حين ربط نفسه وحلف أن لا يحله إلا رسول الله ﷺ، وجاءت فاطمة لتحله فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني».

وقال بعضهم: إن كل من وقع منهم في حق فاطمة شيء فتأذت به فالنبي ﷺ يتأذى به، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها.

٤ ـ ومن خصائصها عليها السلام أنها تكنى بأم أبيها، لأنها قامت برعاية أبيها وخدمته بعد وفاة أمها خديجة، وكان ﷺ يحبها حباً جماً، يكثر من زيارتها، ويجلس عندها ويلاعب أولادها، وكان إذا أراد غزواً، لا يخرج من المدينة حتى يكون آخر عهده رؤيتها، فإذا عاد من سفره بدأ بالمسجد فصلى ركعتين، ثم يذهب إلى بيت فاطمة يزورها ويؤنسها ثم يخرج من عندها إلى بيوت أزواجه.

٥ ـ ومن خصائصها عليها السلام تسميتها بالزهراء، لما زانها الله تعالى به من جمال وجلال وإشراق وجه وشبه برسول الله ﷺ الذي كان من أجمل الناس وجهاً وكان أبيض مستنيراً، وأنه كان أزهر اللون، أبيض مشرباً بالحمرة.

٦ ـ إنها تذكر يوم القيامة في الشفاعة العظمى عندما يقول النبي ﷺ في الموقف العظيم وهو يسأل الله تعالى: «أمتي.. أمتي..، لا أسألك نفسي، لا أسألك فاطمة ابنتي».

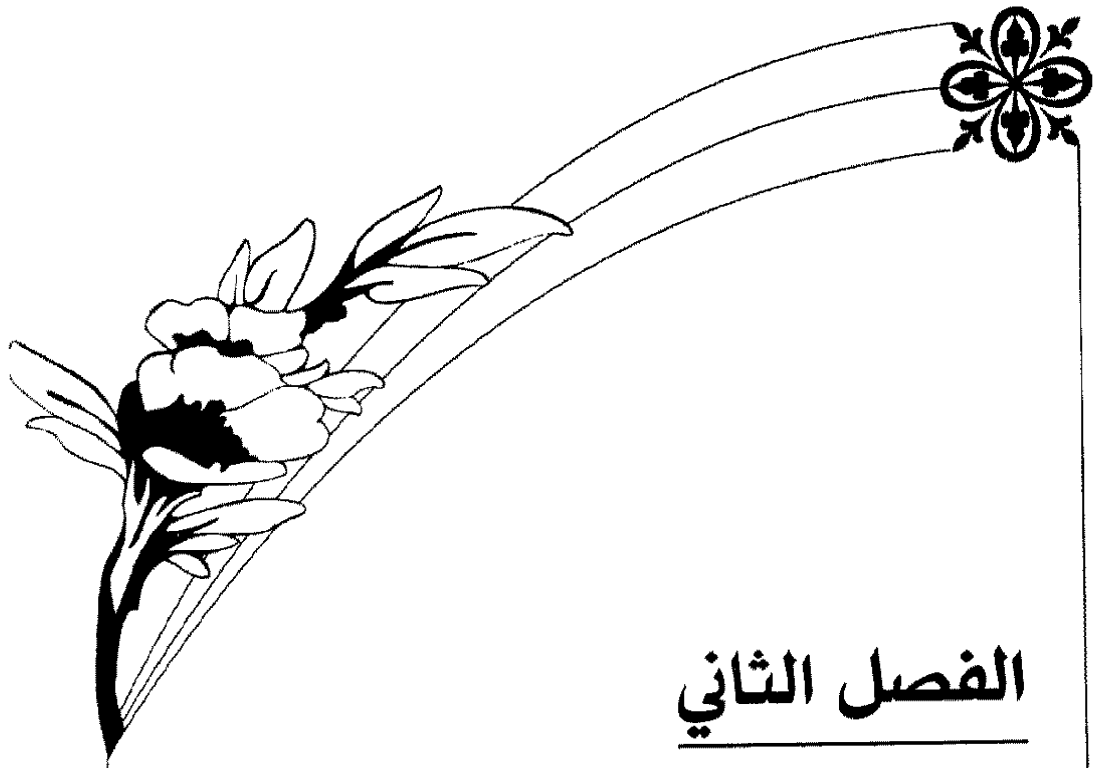
وقد ذكرها في حديث شفاعة أسامة بن زيد في المرأة المخزومية التي سرقت فقال: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». وذكره لها في هذا الموقف الرهيب المهيب دليل على عظيم رحمته بأمته، وشفقته عليها، وعلى شدة الأخطار في ذلك اليوم الذي يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، والذي يبلغ فيه الأمر أن أولي العزم من الرسل يعتذرون إلى الخلائق عن عدم الشفاعة ويخشون على أنفسهم قائلين: «نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري».

وأما ذكره لها في قضية المرأة التي سرقت، فلبيان مدى حرصه على حقوق الله، وإقامة حدوده، وأنه لا تأخذه في ذلك عاطفة حب ولا قرابة، حتى إلى أحب الناس إليه وأقربهن إليه، لتكتمل به الأسوة في عدل القضاة والحكام، وليس في ذلك انتقاص لقدر فاطمة عليها السلام ولا يفهم منه احتمال وقوعها في حد من حدود الله، فإنها كاملة مكملة في بعدها عن المعاصي والذنوب، وفي استقامتها وورعها وزهدها وتقواها.

كما اختصت بالنداء من بين أخواتها في قوله ﷺ: «يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً»؛ للترهيب من يوم القيامة، وعدم الاتكال على الأنساب، والدلالة على شدة شفقته عليها، وكمال تربيته لها، ليكون ذلك مثالاً للأمة كافة، ومثلاً أعلى لكمال خلق النبي ﷺ وكمال عدله في قضائه.

٧ ـ ومن خصائصها عليها السلام زهدها في الدنيا وزينتها وصبرها على لأوائها. فقد كان جهازها الذي زفت فيه في غاية التواضع، كما كانت حياتها مع زوجها في غاية التقشف لقلة ذات يده وشدة فقره، وكانت راضية بذلك صابرة عليه، تطحن بيديها الكريمتين حتى تعيا من التعب، وحين طلبت من أبيها ﷺ أن يعطيها امرأة من السبي تعينها أبى أن يلبي طلبها، وآثر لها الصبر وأوصاها وزوجها أن يسبحا ويحمدا ويكبرا قبل النوم ثلاثاً وثلاثين، ولم يرض رسول الله ﷺ أن يراها تلبس الحلي وأمرها ببيعها والتصدق بثمنها وما ذلك إلا لأنها بضعة منه وأنه يريدها مثلاً أعلى في الزهد والصبر والتقشف كما كان هو ﷺ، لتتبوأ بجدارة منزلة سيدة نساء العالمين يوم القيامة.

٨ ـ ومن خصائصها عليها السلام أنها آخر من توفي من أولاده ﷺ، وأنها أول أهل بيته لحوقاً به، فإنها لم تعش بعده إلا بضعة أشهر، وكان عمرها ثمانية وعشرين عاماً، وذلك دليل على حقارة الحياة الدنيا، وإن ما عند الله تعالى خير وأبقى للمؤمن والمؤمنة، وأن الله عز وجل قد أراد لهذه البضعة الكريمة أن تلحق بأصلها الكريم، وتلتقي به في الرفيق الأعلى وهو ابن ثلاث وستين.



الفصل الثاني

مناقب الحسن عليه السلام

الحسن بن علي عليه السلام
في بعض مناقبه وولادته عليه السلام

في المناقب قال واصل بن عطاء كان الحسن بن علي عليه السلام عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك قيل له إن فيك عظمة قال عليه السلام بل فيّ عزة قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفيه عن محمد بن إسحق في كتابه قال ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغ الحسن عليه السلام كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق فما مر أحد من خلق الله جلالاً له فإذا علم عليه السلام قام ودخل بيته فمر الناس ولقد رأيته في طريق مكة ماشياً فما من خلق الله أحد رآه إلا نزل ومشى حتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي ولله در القائل:

هو علة الدنيا ومن خلقت له ... لو لم يكن ما كانت الأشياء
من صفو ماء الوحي وهو مجاجة ... من حوضة الينبوع وهو شفاء
من أيكة الفردوس حيث تفتقت ... ثمراتها وتفيا الأفياء
من شعلة القبس التي عرضت على ... موسى وقد حارت به الظلماء
من معدن التقديس وهو سلالة ... من جوهر الملكوت وهو ضياء
هذا الذي عطفت عليه مكة ... وشعابها والركن والبطحاء
فعليه من سيما النبي دلالة ... وعليه من نور الإله بهاء

كان عليه السلام جميل الوجه حسن الصورة أبيض مشرباً بحمرة أدعج العينين سهل الخدين رقيق المسربة كث اللحية ذا وفرة وكأن عنقه أبريق فضة عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين ربع القامة لا بالطويل ولا بالقصير مليحاً

من أحسن الناس وجهاً وكان يخضب بالسواد وكان جعد الشعر حسن البدن قال في المناقب روى الحاكم في أماليه قال الحسن عليه السلام من كان يباء بجد فجدي الرسول أو كان يباء بأم فإن أمي البتول أو كان يباء بزور فيزورنا جبرائيل في المناقب وطاف الحسن عليه السلام بالبيت فسمع رجلاً يقول هذا ابن فاطمة الزهراء فالتفت عليها السلام إليه فقال قل ابن علي بن أبي طالب فأبي خير من أمي.

إليكم كل مكرمة تؤول ... إذا ما قيل جدكم الرسول
كفاكم من مديح الناس طراً ... إذا ما قيل أمكم البتول
وإنكم لآل الله حقاً ... ومنكم ذو الأمانة جبرائيل
فلا يبقى لمادحكم كلام ... إذا تم الكلام فما يقول

وكان روحي له الفداء وجهه أقمر وجبينه أزهر ولفظه أعذب من الشهد وأخير وأحلى من السكر إذا مشى كأنه البدر إذا بدر والوبل إذا مطر وله جمال ما هو غير معهود للبشر ومن النور والضياء ما تكسب عنه الشمس والقمر ومن صباحة وجهه ونضارة خده أن عشقته المرأة البدوية وروي في المناقب أنه دخلت عليه امرأة جميلة وهو في صلاته فأوجز في صلاته ثم قال لها ألكِ حاجة؟ قالت نعم قال وما هي؟ قالت قم فأصب مني فإني وفدت ولا بعل لي. قال عليه السلام: إليك لا تحرقيني بالنار ونفسك فجعلت تراوده عن نفسه وهو عليه السلام يبكي ويقول ويحك إليك عني واشتد بكاؤه فلما رأت ذلك بكت لبكائه فدخل الحسين عليه السلام ورآهما يبكيان فجلس يبكي وجعل أصحابه يأتون ويجلسون ويبكون حتى كثر البكاء وعلت الأصوات فخرجت الأعرابية وقام القوم وترحلوا ولبث الحسين عليه السلام بعد ذلك دهراً لا يسأل أخاه عن ذلك إجلالاً فبينما الحسن عليه السلام ذات ليلة كان نائماً إذ استيقظ وهو يبكي فقال له الحسين عليه السلام ما شأنك وما يبكيك قال عليه السلام رؤيا رأيتها الليلة قال عليه السلام وما هي قال عليه السلام لا تخبر أحداً ما دمت حياً قال نعم قال عليه السلام رأيت يوسف الصديق فجئت أنظر إليه فيمن نظر فلما رأيت حسنه وجماله بكيت فنظر إليّ وقال يا أخي بأبي أنت وأمي ما يبكيك فقلت رأيت حسنك وجمالك فذكرت امرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها

وما لقيت من السجن وحرقة الشيخ يعقوب فبكيت من ذلك وكنت أتعجب منه فقال يوسف فهلا تعجبت مما فيه المرأة البدوية بالأبواء (الأبواء بالموحدة والفتح منزل بين مكة والمدينة) وكان الحسن عليه السلام يشبه رسول الله في الخلق والخلق وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول يا حسن أنت أشبهت خلقي وخلقي والمشهور أنه عليه السلام أشبه رسول الله صلى الله عليه وآله من الرأس إلى الصدر والحسين عليه السلام من الصدر إلى القدم ولم يكن بينهما إلا الحمل وكان النبي صلى الله عليه وآله يحبهما حباً شديداً ويقول الولد ريحانة وريحانتاي من الدنيا الحسن والحسين ويقول عليه السلام الحسن والحسين اسمان من أسامي أهل الجنة ولم يكونا في الدنيا وأن الله تعالى حجب هذين الاسمين عن الخلق حتى يسمى بهما ابني فاطمة عليها السلام والحسين مصغر الحسن وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إني سميت ابني هذين باسم ابني هارون شبر وشبير في البحار قال أبو هريرة قدم راهب على ناقة له فقال دلوني على منزل فاطمة عليها السلام فدلوه عليها فقال لها يا بنت رسول الله أخرجي إلي ابنيك فأخرجت إليه الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يقبلهما ويبكي ويقول اسمهما في التوراة شبر وشبير وفي الإنجيل طاب وطيب ثم سئل عن صفة النبي صلى الله عليه وآله فلما ذكروه قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وفيه لما ولدت فاطمة الحسن عليه السلام جاءت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسماه حسناً فلما ولدت الحسين عليه السلام جاءت به إليه فقالت يا رسول الله هذا أحسن من هذا فسماه حسين. وفيه روي عن أم الفضل زوجة العباس أنها قالت قلت يا رسول الله رأيت في المنام كأن عضواً من أعضائك سقط في حجري فقال صلى الله عليه وآله تلد فاطمة عليها السلام غلاماً فتكفلينه فوضعت فاطمة الحسن عليه السلام فدفعه إليها النبي صلى الله عليه وآله فرضعته بلبن قثم بن ابن العباس وفيه لما ولدت فاطمة الحسن عليه السلام قالت لعلي عليه السلام سمه فقال عليه السلام ما كنت لأسبق باسمه رسول الله فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وقال يا أسماء هاتي ابني قالت فدفعته إليه في خرقة صفراء فقال صلى الله عليه وآله يا أسماء ألم أنهكم أن تلفوا المولود في خرقة صفراء ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ثم قال لعلي عليه السلام هل سميته؟ فقال عليه السلام ما كنت لأسبقك باسمه فقال صلى الله عليه وآله وما كنت لأسبق باسمه ربي عز وجل فأوحى الله

إلى جبرائيل أنه قد ولد لمحمدﷺ ابن فاهبط فأقرئه السلام وهنه وقل له إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى فسمه باسم ابن هارون قال فهبط جبرائيل فهنأه من الله تبارك وتعالى ثم قال إن الله يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون قال وما كان اسمه قال شبر قال لسان عربي قال سمه الحسن فسماه الحسن فلما كان يوم سابعه عق النبيﷺ عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذاً وديناراً وحلق رأسه وتصدق بوزن الشعر ورقاً وطلى رأسه بالخلوق وقال يا أسماء الدم من فعل الجاهلية وفي رواية هبط جبرائيل على النبيﷺ يوم السابع بالتهنئة وأمره أن يسميه ويكنيه ويلقبه ويحلق رأسه ويعق عنه ويثقب أذنه ففعل جميع ذلك وعق عنه بيده وقال بسم الله الرحمن الرحيم عقيقة عن الحسن بن علي وقال اللهم عظمها بعظمه ولحمها بلحمه ودمها بدمه وشعرها بشعره اللهم اجعلها وقاء لمحمد وآله وثقب أذنه في الأذن اليمنى في شحمة الأذن وفي اليسرى في أعلى الأذن فالقرط في اليمنى والشنف في اليسرى وترك له ذوابتين في وسط الرأس سماه وكناه ولقبه اسمه الحسن وكنيته أبو محمد لا غير وألقابه كثيرة التقي والطيب والمجتبى والزكي والسيد والسبط والولي والوزير والقائم والحجة ولكن أعلاها رتبة وأولاها به ما لقبه رسول اللهﷺ وهو السيد لأنه قال إن ابني هذا سيد وقالﷺ من أراد أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن عليعليه السلام وكان نقش خاتم الحسنعليه السلام العزة لله. وروى ابن بابويه في العيون عن أبي الحسن الرضاعليه السلام قال كان نقش خاتم الحسنعليه السلام العزة لله وكان نقش خاتم الحسينعليه السلام إن الله بالغ أمره وكان علي بن الحسن بن عليعليه السلام يتختم بخاتم أبيه الحسنعليه السلام وفي البحار كان للحسينعليه السلام خاتمان نقش أحدهما لا إله إلا الله عدة للقاء الله ونقش الآخر أن الله بالغ أمره ونقش خاتم علي بن الحسينعليه السلام عن محمد بن مسلم قال سألت عن الصادقعليه السلام عن خاتم الحسين بن عليعليه السلام عن محمد بن مسلم قال سألت عن الصادقعليه السلام عن خاتم الحسين بن عليعليه السلام عن محمد بن مسلم قال سألت عن الصادقعليه السلام عن خاتم الحسين بن عليعليه السلام إلى من صار وذكرت له أني سمعت أنه أخذ من أصبعه فيما أخذ قالعليه السلام ليس كما قالوا أن الحسينعليه السلام أوصى

إلى ابنه علي بن الحسين عليه السلام وجعل خاتمه في أصبعه وفعله الحسن عليه السلام بالحسين عليه السلام ثم صار ذلك الخاتم إلى أبي بعد أبيه ومنه صار إليّ فهو عندي وأني لألبسه كل جمعة وأصلي فيه. قال محمد بن مسلم فدخلت عليه يوم الجمعة وهو يصلي فلما فرغ من الصلاة مدّ إليّ يده فرأيت في أصبعه خاتماً نقشه لا إله إلا الله عدة للقاء الله فقال عليه السلام هذا خاتم جدي أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام (ومن هذا الخبر) يظهر أن هذا الخاتم من ودائع الإمامة وهو محفوظ يداً بيد إلى أن يتختم به خاتم الأوصياء صاحب العصر والزمان (عج) وهذا لا ينافي ما روي من أنه أخذ خاتم من أصبع الحسين عليه السلام يوم عاشوراء لأنه غير هذا الخاتم الذي كان من ودائع الإمام بأبي وأمي من شهيد مظلوم قال السيد بن طاوس (ره) وأخذ خاتمه بجدل بن سليم وقطع أصبع الحسين عليه السلام.

في حب النبي إياه

في البحار كان الحسن بن علي عليه السلام أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين الصدر إلى الرأس والحسين عليه السلام أشبه فيما كان أسفل من ذلك وفيه عن أنس بن مالك قال لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليه السلام وفيه أيضاً عن أبي جحيفة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الحسن بن عليّ يشبهه وفيه صلى أبو بكر صلاة العصر ثم خرج يمشي ومعه علي عليه السلام فرأى الحسن عليه السلام يلعب بين الصبيان فحمله أبو بكر على عاتقه وقال بأبي شبيهاً بالنبي ليس شبيهاً بعلي وعلي عليه السلام يضحك وفيه عن أبي هريرة قال ما رأيت الحسن بن علي إلا وفاضت عيناي دموعاً وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج يوماً فوجدني فأخذ بيدي فاتّكأ عليّ وطاف حتى رجع إلى المسجد فجلس فاحتبى فأتى الحسن بن علي عليه السلام وهو صغير يشتد حتى وقع في حجره فجعل يدخل يده في لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يفتح فمه ويدخل فمه في فمه ويقول اللهم إني أحبه وأحب من يحبه ثلاثاً وفيه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الجنة تشتاق إلى أربعة من

أهلي قد أحبهم الله وأمرني بحبهم علي بن أبي طالب والحسن والحسين والمهدي (عج) صلوات الله عليهم الذي يصلي خلفه عيسى ابن مريم وفيه قال جابر دخلت على النبيﷺ وهو يمشي على أربع الحسن والحسينعليهما السلام على ظهره ويقول نعم الجمل جملكما ونعم الحملان أنتما وفيه قال أبو هريرة كان النبيﷺ يصلي فسجد فجاء الحسنعليه السلام فركب ظهره وهو ساجد ثم جاء الحسينعليه السلام فركب ظهره مع أخيه وهو ساجد فثقلا على ظهره فجئت فأخذتهما عن ظهره فلما سلم أخذهما ومسح على رأسيهما وقال من أحبني فليحبهما ثلاثاً (في الدمعة) قال نقل أبو داود والترمذي والنسائي في صحاحهم كل منهم بسنده يرفعه إلى بريدة قال كان رسول اللهﷺ يخطب فجاء الحسن والحسينعليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول اللهﷺ عن المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما وفيه أيضاً قال روى الإمام الترمذي بسنده في صحيحه عن ابن عباس كان رسول اللهﷺ حامل الحسن بن عليعليه السلام على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبيﷺ ونعم الراكب هو وفيه أيضاً قال اتفقت الصحاح على هذا الخبر قال الراوي رأيت رسول اللهﷺ والحسن بن عليعليه السلام إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به فئتين من المسلمين عظيمتين وفي مسند أحمد بن حنبل وفي البحار عن أبي هريرة أن النبيﷺ أتى بتمر من الصدقة فجعل يقسمه والحسنعليه السلام بين يديه يتعفر فأخذ الصبي تمرة فجعلها في فمه فلما فرغ النبيﷺ من القسمة حمل الصبي وقام فإذا في فيه تمرة يلوكها فسال لعابه عليه فرفع رأسه ينظر إليه فأدخل أصبعه في فمه وقال كخ كخ أي بني قال الراوي وكأني أنظر لعاب فمه على أصبعه فانتزع التمرة ثم قذف بها وقال إنا آل محمد لا نأكل الصدقة فصاحت بهم أم كلثوم ويلكم يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام وروى البخاري قال الراوي خرجنا مع النبيﷺ دعينا إلى طعام فإذا الحسنعليه السلام يلعب في الطريق فأسرع النبي أمام القوم ثم بسط يده فجعل يمر

غير مرة هيهنا ومرة هيهنا يضاحكه حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه ثم اعتنقه فقبله وقال ﷺ الحسن مني وأنا منه أحب الله من أحبه الحسن والحسين سباطان من الأسبط في البحار قال مسهر مولى الزبير تذاكرنا من أشبه النبي ﷺ من أهله؟ فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال أنا أحدثكم بأشبه أهله إليه الحسن بن علي رأيته يجيء وهو ساجد فيركب ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ورأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر ويقول فيه هو ريحانتي من الدنيا إني أحبه وأحب من يحبه ويقول للحسن عليه السلام يا حسن أشبهت خلقي وخلقي نظم:

وشبيه النبي خلقاً وخلقاً ... ونسيب النبي جداً فجدا

في المناقب عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي عليه السلام وفيه عن ابن عباس قال انطلقنا مع النبي ﷺ فنادى على باب فاطمة ثلاثاً فلم يجبه أحد فمال إلى الحائط فقعد فيه فقعدت إلى جانبه فبينما هو كذلك إذ خرج الحسن عليه السلام وقد غسل وجهه وعلقت عليه سبحة قال فبسط النبي ﷺ يده ومدها ثم ضم الحسن عليه السلام إلى صدره وقبله وقبل في فيه وقال إن ابني هذا سيد لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين. في البحار عن أمير المؤمنين عليه السلام قال رأينا رسول الله ﷺ قد أدخل رجله اللحاف أو في الشعار فاستقى الحسن عليه السلام فوثب النبي ﷺ إلى نعجة لنا فمص من ضرعها فجعله في قدح ثم وضعه في يد الحسن عليه السلام فجعل الحسين عليه السلام يثب عليه ورسول الله ﷺ يمنعه فقالت فاطمة عليها السلام أبتاه أبتاه كأن الحسن أحبهما إليك قال ﷺ ما هو أحبهما إليّ ولكنه استقى أول مرة وإني وإياك وهذين وهذا المنجدل يوم القيامة في مكان واحد.

لم أنس يوم عميد الدين دس به ... لجعدة السم سراً عابد الوثن
كيما تهد من العليا دعامتها ... فجرعته الردى في جرعة اللبن
فقطعت كبداً ممن غدا كبدا ... لفاطم وحشى من واحد الزمن

في علمه وعبادته عليه السلام

في المناقب لابن شهراشوب روي أن الحسن بن علي عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أمه فيلقي إليها ما حفظه فلما دخل علي عليه السلام وجد عندها علماً فسألها عن ذلك فقالت من ولدك الحسن عليه السلام فتخفى علي عليه السلام يوماً في الدار وقد دخل الحسن عليه السلام وقد سمع الوحي فأراد أن يلقي إليها فارتج عليه فعجبت أمه من ذلك فقال عليه السلام لا تعجبي يا أماه فإن كبيراً يسمعني واستماعه قد أوقفني فخرج علي عليه السلام فقبله وفي رواية قال يا أماه قلّ بياني وكل لساني لعل سيداً يرعاني. وفي كتاب من لا يحضر عن الرضا عليه السلام أنه أتي عمر برجل وجد على رأس قتيل وفي يده سكين مملوءة دماً فقال الرجل لا والله ما قتلته ولا أعرفه وإنما دخلت بهذه السكين أطلب شاة لي عدمت من بين يدي فوجدت هذا القتيل فأمر عمر بقتل هذا الرجل وكان القاتل يسمع الكلام ويرى القصة فلما أمر عمر بقتل هذا الرجل قال القاتل إنا لله وإنا إليه راجعون قد قتلت رجلاً وهذا رجل آخر يقتل بسببي فشهد على نفسه بالقتل فعلم أمير المؤمنين عليه السلام القضية سئل ولده الحسن عليه السلام فتوى ذلك وقال له ولدي أبا محمد بين حكم هذه القضية فقال الحسن أبتاه يطلق كلاهما والدية من بيت المال قال عليه السلام ولم؟ قال لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فأدركهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال لا يجب القود عليه[1] إن كان قتل نفساً فقد أحيى نفساً ومن أحيى نفساً فلا يجب عليه قود فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول أقضاكم علي بن أبي طالب وأعطى ديته من بيت المال. روى الكليني في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل الحسن بن علي عليه السلام عن امرأة جامعها زوجها فقامت بحرارة جماعة فساحقت جارية بكراً وألقت النطفة إليها فحملت فقال عليه السلام أما في العاجل فتؤخذ المرأة بصداق هذه البكر لأن الولد لا يخرج منها حتى

(١) القود: بالفتح القصاص.

يذهب عذرتها ثم ينتظر بها حتى تلد فيقام عليها الحد ويؤخذ الولد فيرد إلى صاحب النطقة وتؤخذ المرأة ذات الزوج فترجم قال فاطلع أمير المؤمنين عليه السلام وهم يضحكون فقصوا عليه القصة فقال عليه السلام ما أحكم إلا ما حكم به الحسن عليه السلام لو أن أبا الحسن لقيهم ما كان عنده إلا ما قال الحسن عليه السلام. في كتاب من لا يحضره الفقيه أن الحسن عليه السلام استفتي عن جارية زفت إلى بيت رجل فوثبت عليها ضرتها وضبطتها بنات عم لها فافتضتها بأصبعها فقال عليه السلام التي افتضتها زانية عليها صداقها وجلد مائة واللواتي ضبطتها مفتريات عليهن جلد ثمانين. في المناقب سأل أعرابي أبا بكر فقال إني أصبت بيض نعام فشويته وأكلته وأنا محرم فما يجب عليّ فقال له يا أعرابي أشكلت عليّ في قضيتك فدله على عمر فلم يعرف فدله عمر إلى عبد الرحمن فلم يعرف فلما عجزوا قالوا عليك بالأصلع فقال أمير المؤمنين عليه السلام سل أي الغلامين شئت فتحول الأعرابي إلى الحسن عليه السلام فقال الحسن عليه السلام يا أعرابي ألك إبل؟ قال نعم قال فاعمد إلى عدد ما أكلت من البيض نوقاً فاضربهن بالفحول فما فضل منهما فاهده إلى بيت الله العتيق الذي حججت إليه فقال أمير المؤمنين عليه السلام إن من النوق السلوب ومنها ما يزلق فقال عليه السلام إن يكن من النوق السلوب ومنها ما يزلق فإن من البيض ما يمرق قال فسمع صوت معاشر الناس أن الذي فهم هذا الغلام هو الذي فهم سليمان بن داود في البحار. روي أن الحسن بن علي عليه السلام وعبد الله بن عباس كانا على مائدة فجاءت جرادة ووقعت على المائدة فقال عبد الله للحسن عليه السلام أي شيء مكتوب على جناح الجرادة؟ فقال عليه السلام مكتوب أنا الله لا إله إلا أنا ربما أبعث الجراد لقوم جياع ليأكلوه وربما أبعثها نقمة على قوم فيأكل أطعمتهم فقام عبد الله وقبل رأسه وقال هذا من مكنون العلم في البحار. وكتب ملك الروم إلى معاوية يسأله عن مسائل فلم يعلم معاوية واستغاث بالحسن بن علي عليه السلام فأجاب وهي هذه عن مكان بمقدار وسط السماء، وعن أول قطرة دم وقعت على الأرض، وعن مكان طلعت فيه الشمس مرة، وعن ما لا قبلة له، وعما لا قرابة له فقال عليه السلام اكتب وسط السماء الكعبة. وأول قطرة دم وقعت على الأرض دم حوا، وعن مكان

طلعت فيه الشمس مرة أرض البحر حين ضربه موسى، وما لا قبلة له، فهي الكعبة، وما لا قرابة له، فهو الرب تعالى وسأل شامي الحسن عليه السلام كم بين الحق والباطل؟ فقال أربع أصابع فما رأيت بعينك هو الحق وقد تسمع بأذنيك باطلاً كثيراً وقال كم بين الإيمان واليقين فقال أربع أصابع الأيمان ما سمعناه واليقين ما رأيناه وقال كم بين السماء والأرض قال دعوة المظلوم ومد البصر قال كم بين المشرق والمغرب قال مسيرة يوم للشمس.

وفي البحار روي أن علياً عليه السلام كان في الرحبة فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أنا من رعيتك وأهل بلادك قال عليه السلام لست من رعيتي ولا من أهل بلادي وأن ابن الأصفر بعث إلى معاوية بمسائل فأقلقته وأرسلك إلي لأجلها قال صدقت يا أمير المؤمنين إن معاوية أرسلني إليك في خفية وأنت قد اطلعت على ذلك ولا يعلمها غير الله فقال عليه السلام سل أحد ابني هذين قال اسأل ذا الوفرة يعني الحسن عليه السلام فأتاه فقال له جئت تسأل كم بين الحق والباطل وكم بين السماء والأرض وكم بين المشرق والمغرب وما قوس قزح وما المخنث وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض، قال الرجل نعم قال الحسن عليه السلام بين الحق والباطل أربع أصابع ما رأيت بعينك فهو الحق وقد تسمع بأذنيك باطلاً وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومد البصر وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس وقزح اسم الشيطان وهو قوس الله وعلامة الخصب وأمان لأهل الأرض من الغرق وأما المخنث فهو الذي لا يدري أذكر أم أنثى فإنه ينتظر به فإن كان ذكراً احتلم وإن كان أنثى حاضت وبدا ثديها وإلا قيل له بُل فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر وإن انتكص بوله على رجليه كما ينتكص بول البعير فهو أنثى وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض فأشد شيء خلق الله الحجر وأشد منه الحديد يقطع به الحجر وأشد من الحديد النار تذيب الحديد وأشد من النار الماء وأشد من الماء السحاب وأشد من السحاب الريح تحمل السحاب وأشد من الريح الملك الذي يردها وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك وأشد من ملك الموت الذي يميت الموت وأشد من الموت أمر الله الذي يدفع الموت فقام علي عليه السلام وقبل بين عينيه ولعله قد قبل بين شفتيه اللتان قد

اخضرتا من السم الذي سقته جعدة بنت الأشعث وخرج كبده قطعة قطعة الخ. وفيه قال عليه السلام أن الله تبارك وتعالى مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب عليهما سور من حديد وعلى كل واحد منهما ألف ألف مصراع وفيها ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف صاحبها وأنا أعرف جميع تلك اللغات وما فيها وما بينهما وما عليهما حجة غيري وغير الحسين أخي وفيه قيل طعن أقوام من أهل الكوفة في الحسن بن علي فقالوا إنه عي اللسان لا يقوم بحجة وبلغ ذلك علياً عليه السلام فدعا الحسن عليه السلام وقال يابن رسول الله إن أهل الكوفة قد قالوا فيك كلمة ومقالة أكرهها قال وما يقولون يا أمير المؤمنين قال يقولون إن الحسن بن علي عي اللسان لا يقوم بحجة وأن المنبر حاضر فاصعد عليه فأخبر الناس فقال يا أمير المؤمنين لا أستطيع الكلام وأنا أنظر إليك فقال أمير المؤمنين إني متخف عنك فنادى الصلاة جامعة فاجتمع المسلمون فصعد المنبر فخطب خطبة بليغة وجيزة فضج المسلمون بالبكاء ثم قال أيها الناس اعقلوا عن ربكم إن الله عز وجل اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم فنحن الذرية من آدم والأسرة من نوح والصفوة من إبراهيم والسلالة من إسماعيل وآل محمد نحن فيكم كالسماء المرفوعة والأرض المدحوة والشمس الضاحية وكالشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية التي بورك زيتها النبي صلى الله عليه وآله أصلها وعلي فرعها ونحن والله ثمرة تلك الشجرة فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن تخلف عنها فإلى النار هوى فقام أمير المؤمنين عليه السلام من أقصى الناس يسحب رداءه من خلفه حتى علا المنبر وضم الحسن عليه السلام فقبل بين عينيه ثم قال أثبت على القوم حجتك وأوجبت عليهم طاعتك فويل لمن خالفك.

وأما فضله وشرفه وعبادته وخوفه من ربه فهو فوق أن تحصى ونحن نشير إلى شيء منها بقدر ما يليق بهذا المختصر. قال الصادق عليه السلام حدثني أبي عن أبيه أن الحسن ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم وكان إذا حج حج ماشياً وربما مشى حافياً وكان إذا ذكر الموت بكى وإذا ذكر القبر بكى وإذا ذكر البعث والنشور بكى وإذا

ذكر الممر على الصراط بكى وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يغشى عليه منها وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربه عز وجل وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم وسأل الله الجنة وتعوذ به من النار وكان عليه السلام لا يقرأ من كتاب الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلا قال لبيك اللهم لبيك ولم ير في شيء من أحواله إلا ذاكراً لله سبحانه وكان عليه السلام إذا توضأ ارتعدت مفاصله واصفر لونه فقيل له في ذلك فقال عليه السلام حق على كل من وقف بين يدي رب العرش أن يصفر لونه وترتعد مفاصله وكان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول إلهي ضيفك ببابك يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز يا رب عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم. في البحار عن الفائق أن الحسن عليه السلام كان إذا فرغ من الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس وقال الصادق عليه السلام أن الحسن عليه السلام حج خمساً وعشرين حجة ماشياً وأن النجائب لتقاد معه وقاسم الله تعالى ماله مرتين، وفي خبر قاسم ربه ثلاث مرات حتى كان ليعطي النعل ويمسك الخف. وكان روحي له الفداء أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً ولقد قيل لمعاوية ذات يوم لو أمرت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام فصعد المنبر فخطب للناس ليبين الناس نقصه فدعاه فقال له اصعد المنبر وتكلم بكلمات تعظنا بها فقام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب وابن سيدة النساء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنا ابن خير خلق الله أنا ابن رسول الله أنا ابن صاحب الفضائل أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل أنا ابن أمير المؤمنين أنا المدفوع عن حقي أنا وأخي الحسين سيدا شباب أهل الجنة أنا ابن الركن والمقام أنا ابن مكة ومنى أنا ابن المشعر وعرفات فقال له معاوية خذ في نعت الرطب ودع هذا فقال عليه السلام الريح تنفخه والحرور تنضجه والبرود يطيبه ثم عاد في كلامه عليه السلام فقال أنا إمام خلق الله وابن محمد رسول الله فخشي معاوية أن يتكلم بعد ذلك بما يفتتن به الناس فقال يا أبا محمد انزل فقد كفى ما جرى فنزل.

في جوده وسخائه

كان الحسين بن علي عليه السلام أحد الأجواد وهو أسخى أهل زمانه نقل أنه كتب أعرابي إلى الحسن عليه السلام:

لم يبق لي شيء يباع بدرهم ... يكفيك رؤية منظري عن مخبري
إلا بقايا ماء وجه صنته ... أن لا يباع وقد وجدتك مشتري

فأجابه عليه السلام:

عاجلتنا فأتاك وابل برنا ... طلا ولو أمهلتنا لم نقصر
فخذ القليل وكن كأنك لم تبع ... ما صنته وكأننا لم نشترِ

فأعطاه معروفاً كثيراً واعتذر إليه في كتاب المحاسن والمأوى. أتاه رجل يوماً فقال يابن رسول الله إني عصيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام بئس ما صنعت فبماذا عصيته؟ قال سيدي قال رسول الله صلى الله عليه وآله شاوروهن وخالفوهن وإني أطعت صاحبتي فاشتريت غلاماً فابق قال عليه السلام اختر واحدة من ثلاث إن شئت ثمن الغلام قال بأبي أنت وأمي قف على هذه ولا تجاوزها قال عليه السلام أعرض عليك الثلاث قال حسبي هذه فأمر بثمن الغلام وفي البحار والمناقب مثله وفيه أيضاً كان مولانا الحسن عليه السلام أسخى أهل زمانه وذكروا أنه أتاه رجل في حاجة فقال عليه السلام اذهب فاكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا نقضها لك قال فرفع إليه حاجته فأضعفها له فقال بعض جلسائه ما أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله فقال عليه السلام بركتها علينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلاً أما علمت أن المعروف ما كان ابتداء من غير مسألة فأما من أعطيته بعد مسألة فإنما أعطيته بما بذل لك من ماء وجهه وعسى أن يكون بات ليله متململاً أرقاً يميل بين اليأس والرجاء لا يعلم لما يتوجه من حاجته أبكآبة الرد أم بسرور النجح فيأتيك وفرائصه ترتعد وقلبه خائف يخفق فإن قضيت له حاجة فيما بذلك لك من ماء وجهه فإن ذلك أعظم مما نال من معروفك في البحار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال إن رجلاً مر بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد فسأله فأمر له بخمسة دراهم

فقال له الرجل أرشدني فقال له عثمان دونك الفتية الذين تراهم وأومى بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر فمضى الرجل نحوهم حتى سلم عليهم وسألهم فقال له الحسن عليه السلام يا هذا إن المسألة لا تحل إلا في إحدى ثلاث دم مضجع أو دين مقرح أو فقر مدقع ففي أيها تسأل فقال في وجه واحدة من هذا الثلاث فأمر له الحسن عليه السلام بخمسين ديناراً وأمر له الحسين عليه السلام بتسعة وأربعين ديناراً وأمر له عبد الله بثمانية وأربعين ديناراً فانصرف الرجل فمر بعثمان فقال له ما صنعت فقال مررت بك وسألت فأمرت لي بما أمرت ولم تسألني فيما أسأل وأن صاحب الوفرة لما سألته قال يا هذا فيما تسأل فإن المسألة لا تحل إلا في إحدى ثلاث فأخبرته بالوجه الذي أسأله من الثلاثة فأعطاني خمسين ديناراً وأعطاني الثاني تسعة وأربعين ديناراً وأعطاني الثالث ثمانية وأربعين ديناراً فقال عثمان ومن لك بمثل هؤلاء الفتية أولئك فطموا العلم فطماً وحازوا الخير والحكمة. ومن سخائه ما روي أنه سأل الحسن بن علي عليهما السلام رجل فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال عليه السلام ائت بحمال يحمل لك فأتى بحمال فأعطى عليه السلام طيلسانه فقال هذا كري الحمال. وجاءه بعض الأعراب فقال عليه السلام أعطوه ما في الخزانة فوجد فيها عشرون ألف ديناراً ودرهم فدفعها إلى الأعرابي فقال الأعرابي يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي فأنشأ:

نحن أناس نوالنا خضل ... يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا ... خوفاً على ماء وجه من يسل
لو علم البحر فضل نائلنا ... لفاض من بعد فيضه خجل

في المناقب خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر حجاجاً ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فرأوا في بعض الشعوب خباء رثاً وعجوزاً فاستسقوها فقالت اطلبوا من هذه النعجة ففعلوا واستطعموها فقالت ليس إلا هي فليقم أحدكم فليذبحها حتى أصنع لكم طعاماً فذبحها أحدهم ثم شوت لهم من لحمها فأكلوا فلما نهضوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا انصرفنا وعدنا أقبلي إلينا فإنا صانعون بك خيراً ثم رحلوا فلما

جاء زوجها وعرف الحال أوجعها ضرباً ثم مضت الأيام فأضرت بها الحال فرحلت حتى اجتازت بالمدينة فبصر بها الحسن عليه السلام فأمر لها بألف شاة وأعطاها ألف دينار وبعث معها رسولاً إلى الحسين عليه السلام فأعطاها مثل ذلك ثم بعثها إلى عبد الله بن جعفر فأعطاها مثل ذلك. وسأل رجل الحسن بن علي عليهما السلام شيئاً فأمر له بأربعمائة درهم فكتب له الكاتب أربعمائة دينار فلما جيء إليه بالكتاب ليختمه قال هذا سخاؤه وعطاؤه وكتب عليه بأربعة آلاف درهم وسمع رجلاً إلى جنبه في مسجد الحرام يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف إلى بيته وبعث إليه بعشرة آلاف درهم. في البحار حيث جارية للحسن بن علي عليهما السلام طاقة ريحان فقال لها أنت حرة لوجه الله فقيل له في ذلك فقال هكذا أدبنا الله تعالى وقال إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها وكان أحسن منها إعتاقها. في البحار قال هذه الأبيات الحسن عليه السلام:

إن السخاء على العباد فريضة ... لله يُقرأ في كتاب محكم
وعد العباد الأسخياء جنانه ... وأعدّ للبخلاء نار جهنم
من كان لا يندى يداه بنائل ... للراغبين فليس ذاك بمسلم

وله عليه السلام أيضاً:

خلقت الخلائق من قدرة ... فمنهم سخي ومنهم بخيل
وأما السخي ففي راحة ... وأما البخيل فحزن طويل

في المناقب ومن علو همته عليه السلام قدم معاوية المدينة فجلس في أول يوم يجيز من دخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة ألف فدخل عليه الحسن بن علي عليهما السلام في آخر الناس فقال أبطأت يا أبا محمد فلعلك أردت أن تبخلني عند قريش فانتظرت يفني ما عندنا يا غلام أعط الحسن مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا يا أبا محمد وأنا ابن هند فقال الحسن عليه السلام لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن ورددتها وأنا ابن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله رسول الله. وفيه عن المبرد في الكامل قال مروان بن الحكم إني مشغوف ببغلة الحسن بن علي عليهما السلام فقال له ابن عتيق إن دفعتها إليك تقض لي ثلثين حاجة قال نعم قال إذا اجتمع الناس فإني آخذ في مآثر قريش وأمسك عن

مآثر الحسن عليه السلام فلمني على ذلك فلما حضر القوم أخذ في أولية قريش فقال مروان ألا تذكر أولية أبي محمد وله في هذا ما ليس لأحد قال إنما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر الأولياء والأنبياء لقدمنا ذكره فلما خرج الحسن عليه السلام ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن عليه السلام وتبسم في وجهه ألك حاجة قال نعم ركوب البغلة فنزل عليه السلام ودفعها إليه (إن الكريم إذا خادعته انخدعا) قيل هذه البغلة هي التي ركبها مروان يوم وفاة الحسن عليه السلام وأقبل إلى عائشة وقال لها أنت جالسة والحسين عليه السلام يريد أن يدفن أخاه الحسن عليه السلام عند جده فإنه إن دفن ليذهب فخر أبيك وصاحبه قومي والحقيه وامنعيه قالت فكيف ألحقه قال اركبي بغلتي هذه فنزل عن البغلة وركبتها إلى آخر القصة. وفي سفينة البحار قال روى المدائني عن جريرة ابن أسماء قال لما مات الحسن عليه السلام وأخرجوا جنازته وحمل مروان بن الحكم سريره فقال له الحسين عليه السلام تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ قال مروان نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حمله الجبال.

فيما جرى بينه وبين معاوية

في المناقب أن معاوية فخر يوماً والحسن عليه السلام كان حاضراً فقال معاوية أنا ابن بطحاء مكة أنا ابن أغزرها جوداً وأكرمها جدوداً أنا ابن من ساد قريشاً فضلاً ناشئاً وكهلاً فقال الحسن عليه السلام أعليَّ تفتخر يا معاوية أنا ابن عروق الثرى أن ابن مأوى التقى أنا ابن من جاء بالهدى أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالفضل السابق والحسب الفائق أنا ابن من طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله فهل لك أب كأبي تباهيني به وقديم كقديمي تساميني به تقول نعم أو لا قال معاوية بل أقول لا وهي لك تصديق فقال الحسن عليه السلام:

الحق أبلج ما يحيل سبيله والحق يعرفه ذوو الألباب

وقال معاوية يوماً للحسن عليه السلام أنا أخير منك يا حسن قال عليه السلام وكيف ذلك يا ابن هند قال لأن الناس قد أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك قال عليه السلام هيهات لشر ما علوت، المجتمعون عليك رجلان بين مطيع ومكره فالطايع

لك عاص لله والمكره معذور بكتاب الله وحاش لله أن أقول أنا خير منك فلا خير فيك ولكن الله برّاني من الرذائل كما برّاك من الفضائل. وتفاخرت قريش والحسن بن علي عليه السلام حاضر لا ينطق فقال معاوية يا أبا محمد ما لك لا تنطق فوالله ما أنت بمشوب الحسب ولا بكليل اللسان فقال الحسن عليه السلام ما ذكروا فضيلة الأولى محضها ولبابها. في المناقب أن الحسن بن علي عليه السلام مر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بحلقة فيها قوم من بني أمية فتغامزوا به وذلك عندما تغلب معاوية على ظاهر أمره فرآهم وتغامزهم به فصلى ركعتين فقال قد رأيت تغامزكم أم والله لا تملكون يوماً إلا ملكنا يومين ولا شهراً إلا ملكنا شهرين ولا سنة إلا ملكنا سنتين وإنا لنأكل في سلطانكم ونشرب ونلبس ونركب وننكح وأنتم لا تركبون في سلطاننا ولا تشربون ولا تأكلون ولا تنكحون فقال له رجل فكيف يكون ذلك يا أبا محمد وأنتم أجود الناس وأرأفهم وأرحمهم تأمنون في سلطان القوم ولا يأمنون في سلطانكم فقال عليه السلام لأنهم عادونا بكيد الشيطان وهو ضعيف وعاديناهم بكيد الله وكيد الله شديد (وفيه) أن الحسن بن علي عليه السلام دخل على معاوية يوماً فجلس عند رجليه وهو مضطجع فقال له يا أبا محمد ألا أعجبك من عائشة تزعم أني لست للخلافة أهلاً فقال الحسن عليه السلام وأعجب من هذا جلوسي عند رجليك وأنت نائم فاستحى معاوية واستوى قاعداً واستعذره وفيه أن سعيد بن سرح هرب من زياد بن أبيه إلى الحسن بن علي عليه السلام فكتب الحسن عليه السلام إلى زياد يشفع فيه فكتب زياد من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي وأنت طالب حاجة وأنا سلطان وأنت سوقة وذكر نحواً من ذلك فلما قرأ الحسن عليه السلام الكتاب تبسم وأنفذ بالكتاب إلى معاوية فكتب إلى زياد يؤنبه ويأمره أن يخلي عن أخي سعيد وولده وامرأته ورد ماله وبناء ما قد هدمه من داره ثم قال وأما كتابك إلى الحسن عليه السلام باسمه واسم أمه لا تنسبه إلى أبيه وأمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك أفخر له إن كنت تعقل وفيه أن مروان بن الحكم قال للحسن بن علي بين يدي معاوية أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ويقال إن ذلك من الخرق فقال عليه السلام ليس كما بلغك ولكنا معشر بني

هاشم طيبة أفواهنا عذبة أشفاهنا فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهن وأنتم بني أمية فيكم بخر شديد فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن إلى أصداغكم فإنما يشيب منكم موضع العذار من أجل ذلك قال مروان أما أن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء قال وما هي قال الغلمة قال عليه السلام أجل نزعت من نسائنا ووضعت في رجالنا ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت في نسائكم فما قام لأموية إلا هاشمي ثم خرج وفيه جلس الحسن بن علي عليه السلام ويزيد بن معاوية يأكلان من الرطب فقال يزيد يا حسن إني منذ كنت أبغضك قال الحسن عليه السلام إعلم يا يزيد أن إبليس شارك أبوك في جماعه فاختلط المائان فأورثك ذلك عداوتي لأن الله تعالى يقول وشاركهم في الأموال والأولاد وشارك الشيطان حرباً عند جماعه فولد له صخر فلذلك كان يبغض جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ابن حماد:

كم بين مولود أبوه وأمه ... قد شاركا في حمله الشيطانا
ومطهر لم يجعل الرحمن ... للشيطان في شرك به سلطانا

ولا شك أن هؤلاء أشقى وأخبث من إبليس لأن إبليس مع شقاوته لا يبغض علياً وأولاده بل يحبهم كما في الخبر الذي ذكره الصدوق (ره) في الأمالي، لما سألوا إبليس وقالوا له أنت من شيعة علي عليه السلام قال ما أنا من شيعته ولكني أحبه وما يبغضه أحد إلا وأنا شاركته في المال والولد الخ وهؤلاء يعني معاوية وأبو سفيان ويزيد كانوا في غاية العداوة وأشد البغضاء لعلي عليه السلام وأبنائه.

فيما جرى عليه بعد ارتحال أمير المؤمنين عليه السلام

في البحار خطب الحسن بن علي عليه السلام في الناس بعدما رجع من دفن أبيه أمير المؤمنين حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال أيها الناس فقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ولا يرجع

حتى يفتح الله على يديه ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم والتي قبض فيها يوشع بن نون وصي موسى وعند الله نحتسب عزانا فيه ولقد أصيب به الشرق والغرب والله ما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس من حوله ثم قال أيها الناس أنا ابن النذير أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه أنا ابن السراج المنير أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً أنا من أهل بيت فرض الله مودتهم في كتابه فقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ فالحسنة مودتنا أهل البيت أيها الناس حدثني جدي رسول الله أن هذا الأمر يملكه اثني عشر إماماً من أهل بيته وصفوته ما منا إلا مقتول أو مسموم وسمع هذا الكلام منه أيضاً يوم وفاته قال لجنادة ابن أبي أمية حين دخل عليه وتكلم بما تكلم وأجابه عليه السلام بما أجاب قال عليه السلام ولقد عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله أن هذا الأمر يملكه اثني عشر إماماً من ولد علي وفاطمة ما منا إلا مقتول أو مسموم إلى آخر القصة. وفي خبر آخر ذكره المجلسي في العاشر من البحار لما قبض أمير المؤمنين عليه السلام صعد الحسن بن علي عليه السلام على المنبر أراد الكلام فخنقته العبرة فقعد ساعة وبكى هو وجميع من في المسجد ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي وصلى عليه وقال أيها الناس إن الدنيا دار بلاء وفتنة وكل ما فيها فإلى زوال واضمحلال وعند الله نحتسب عزانا في خير الآباء رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده نحتسب عزانا في أمير المؤمنين والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت أيها الناس إني أبايعكم على أن تحاربوا من خاربت وتسالموا من سالمت ثم جلس فقام عبد الله بن عباس بين يديه وقال معاشر الناس هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه فاستجاب له الناس وقالوا سمعنا وأطعنا وما أحبه إلينا وأوجب حقه علينا فبادروا إلى البيعة بالخلافة وقالوا مرنا بأمرك يا ابن رسول الله فرتب الحسن عليه السلام العمال وأمر الأمراء ونظر في الأمور فلما بلغ معاوية بن أبي سفيان موت علي عليه السلام وبيعة الناس لابنه الحسن عليه السلام عزم على الإخلال والإفساد ودعا الناس إلى الطاعة له والانقياد ودس رجلاً من الحمير إلى

الكوفة ورجلاً من بني القين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن الأمور ولم يقنع بذلك حتى كتب ودس دسيساً إلى رؤساء أهل الكوفة وهم عمرو بن حريث والأشعث بن قيس والحجر بن الحجر وشبث بن ربعي وأفرد كل واحد منهم بعين من عيونه وكتب إلى كل واحد منهم أنك إن قتلت الحسن بن علي فلك مائتا ألف درهم وجند من أجناد الشام وبنت من بناتي فبلغ ذلك إمامنا الحسن عليه السلام وكان يحترز من هؤلاء ولبس درعاً وكفرها ولا يتقدم للصلاة بهم إلا كذلك فرماه أحد في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من الدرع فقام عليه السلام بينهم ووعظهم وقال يا قوم ويلكم والله إن معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي وإني أظن إن وضعت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين لدين جدي وإني أقدر أن أعبد الله عز وجل وحدي ولكن كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعل الله لهم فلا يسقون ولا يطعمون فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديهم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فجعلوا يعتذرون بما لا عذر لهم ولم يزل معاوية يسعى في إفساد الأمر على الحسن عليه السلام وطرح الحيل والمكائد وبذل الأموال من أهل العراق غريباً وحيداً بلا ناصر ولا معين فلما رأى ذلك اضطر إلى أن فعل ما فعل من الصلح ووادع إليه الأمر وعزل نفسه عن الخلافة وخرج عليه السلام من الكوفة إلى المدينة وأقام بها كاظماً غيظه لازماً ببيته منتظراً لأمر الله تعالى وما اكتفى معاوية بما فعل حتى عزم على أخذ البيعة لابنه يزيد وهم بقتل الحسن عليه السلام فما ذهبت الأيام والليالي إلا وأرسل إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس وكانت زوجة الحسن عليه السلام مالاً جسيماً وسماً قتالاً وضمن لها بأن يزوجها لابنه يزيد ويعطيها مائة ألف درهم لتسقي الحسن عليه السلام ذلك السم وكان عليه السلام صائماً في يوم شديد الحر فلما كان عند الإفطار أخرجت جعدة له شربة من اللبن وألقت فيها ذلك السم فشربها فبمجرد ما شرب أحس بالسم صاح آه يا عدوة الله قتلتني قتلك الله والله لا تصيبين مني خلفاً ولقد غرك وسخر منك والله يخزيه ويخزيك فبقي السم في جوفه حتى قطع جميع أحشائه وأمعائه فدعا بطشت وألقى بنفسه عليه ورمى بكبده في الطشت فملأ الطشت

من الدم ومما يخرج من جوفه قال عمرو بن إسحق دخلت عليه أنا ورجل في مرضه الذي توفي فيه فقال عليه السلام يا فلان سلني قال قلت لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله ثم نسألك قال ثم دخل ثم خرج إلينا وقال سلني قبل أن لا تسألني قال قلت بل يعافيك الله ثم لنسألك قال عليه السلام الآن ألقيت طائفة من كبدي وأني قد سقيت السم مراراً فلم أسق مثل هذه المرة قال فخرجت من عنده ثم رجعت إليه بعد ذلك فرأيته يجود بنفسه والحسين عليه السلام عند رأسه يبكي ويقول أخي كيف تجد نفسك قال أجدها في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة اعلم يا أخي أني مفارقك ولاحق بربي وقد سقيت السم ورميت بكبدي في الطشت وإني لعارف بمن سقاني ومن أين دهيت وأنا أخاصمه إلى الله تعالى فقال له الحسين عليه السلام ومن سقاك قال ما تريد به أتريد أن تقتله إن يكن هو هو فالله أشد نقمة وإن لم يكن هو فما أحب أن يؤخذ بي بريء وبحقي عليك إن تكلمت في ذلك بشيء وانتظر ما يحدث الله فيّ أخي فإذا قضيت نحبي فغمضني وغسلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله لأجدد به عهداً ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة فادفني هناك وستعلم يابن أم أن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيجلبون في ذلك ويمنعونكم منه وبالله أقسم عليك أن تهرق محجمة دم في أمري ثم وصى إليه بأهله وولده وتركاته فودع عياله وأولاده وإخوانه ثم عرق جبيبنه وسكن أنينه وغمض عينيه ومد يديه ورجليه نحو القبلة وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وقضى نحبه ومات مسموماً شهيداً مظلوماً وسيأتي باقي المصيبة آنفاً إن شاء الله.

في رحلته وشهادته
وقصته مع معاوية

فلما رأى الحسن عليه السلام خذلان أصحابه وفساد نياتهم وعدم ثباتهم في عهودهم ومواثيقهم وليس فيهم من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعة أبيه وهم جماعة قليلة ولا فيهم سن ينصره ويحارب مع جنود الشام إلا عدد

معدود وأنفذ معاوية إليه بكتب أهل العراق الذين ضمنوا فيه الفتك بالحسن عليه السلام أو تسليمه إلى معاوية وكتب معاوية إليه في الهدنة والصلح واشتد الأمر بالحسن عليه السلام واضطر إلى أن يصالح ويسلم الأمر إليه ويعزل نفسه عن الخلافة فأراد أن يعلم أولاً لأصحابه ويخبرهم بذلك ويمتحنهم ويستبر أحوالهم فأمر أن ينادي في الصلاة بالصلاة جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم وقال في خطبته الحمد لله كلما حمده حامد وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق وائتمنه على الوحي أما بعد فإني والله لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله لخلقه وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة إلا وأن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة إلا وأني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا على رأيي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا قال فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال قالوا نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه فقالوا كفر والله الرجل فقاموا بأجمعهم وشدوا على فسطاطه وانتهبوا ما فيه وأخذوا مصلاه من تحته ثم حمل عليه أحدهم ونزع مطرفه عن عاتقه فبقي جالساً بغير رداء ثم دعا ببغلته وركبها وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده وهم هموا بقتله فمن كل جانب يمنعوهم قصوده من جانب آخر فقال عليه السلام ادعو إلى ربيعة وهمدان فدعوا له وأطافوا حوله ودفعوا الناس عنه وساروا معه فلما مر في مظلم ساباط مدائن بدر إليه رجل يقال له الجراح بن سنان وأخذ بلجام بغلته وبيده مغول أي الخنجر وقال الله أكبر أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل ثم طعنه في فخذه فشقه حتى بلغ العظم فخر عليه السلام إلى الأرض فاجتمع إخوانه وخواصه حوله ورأوه مغشياً عليه فحملوه على سريره وجاؤوا به إلى المدائن وأنزلوه في دار سعد بن مسعود الثقفي عم المختار وكان قد ولاّه علي عليه السلام بالمدائن وأقره الحسن عليه السلام على ذلك واشتغل بنفسه يعالج جرحه فقال المختار لعمه تعال حتى نأخذ الحسن عليه السلام ونسلمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق فقال له عمه ويلك قبح

الله رأيك أنا عامل أبيه وقد ائتمنني وشرفني بالإمارة على البلد وهبني أنساً بلاء أبيه أنساً رسول الله ولا أحفظه في ابن ابنته وحبيبه وقيل إن الظاهر أن المختار لم يطمئن بعمه في نزول الحسن عنده وخاف أن يغدر به ويسلمه إلى معاوية أراد أن يمتحنه بذلك ويستبري أحواله فلما عرف منه صدق النية رضي ببقاء الحسن عليه السلام عنده ولعمري لقد استراح الحسن عليه السلام حين سُقي ذلك السم وخرج من الدنيا مسموماً وفارق هؤلاء والحاصل رجع عليه السلام إلى معسكره وعلى رواية إلى الكوفة وهو في غاية الضعف والانكسار من تلك الجراحة وعزم أن يصالح معاوية جمع خاصته وشيعته وأصحابه وخطب فيهم بهذه الخطبة أيها الناس إنكم لو طلبتم ما بين جابلقا وجابرسا رجلاً جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما وجدتموه غيري وغير أخي وأن معاوية نازعني حقاً هو لي فتركته لصلاح الأمة وحقناً للدماء وصيانتها وإشفاقاً على نفسي وأهلي والمخلصين من أصحابي وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وقد رأيت أن أسالمه وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الأمر وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين وكتب إلى معاوية أما بعد فإن خطبي قد انتهى إلى اليأس من حق أحييته وباطل أميته وخطبك خطب من انتهى إلى مراده وإنني أخليه لك وإن كان تخليتي إياه شراً لك في معادك ولي شروط اشترطها لا تبهضنك إن وفيت لي بها بعهد ولا تخففك إن غدرت وستندم يا معاوية كما ندم غيرك فمن نهض في الباطل أو قعد عن الحق حين لم ينفع الندم والسلام وكتب الشروط في كتاب آخر يمنّيه بالوفاء وترك الغدر وهي هذه الأول أن لا يسميه الحسن عليه السلام أمير المؤمنين ولا يقيم عنده شهادة وأن لا يتعرض معاوية لأحد من شيعة علي بسوء ويوصل إلى كل ذي حق حقه وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل ويوم صفين ألف ألف درهم والشرط الآخر أن لا يسب أمير المؤمنين على المنابر وفي قنوت الصلوات وأجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهد عليه وحلف له بالوفاء وكتب كتاب الصلح.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل

فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة خلفاء الصالحين بشرط كذا وكذا وشهد عليه فلان وفلان وكفى بالله شهيداً والسلام فلما استتم الصلح بينهما سار معاوية حتى نزل بالنخيلة وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فصلى بالناس ثم خطبهم وقال في خطبته أيها الناس إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون ألا وإني منيت الحسن عليه السلام وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها ثم صار حتى دخل الكوفة فأقام بها أيام فلما استتمت البيعة له من أهلها صعد المنبر فخطب الناس وبعد الخطبة أخذ يسب علياً والحسن عليه السلام وكان الحسن والحسين عليهما السلام حاضرين في المجلس فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه فأخذ الحسن عليه السلام بيده وأجلسه ثم قام عليه السلام وقال أيها الذاكر علياً أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر وأمي فاطمة وأمك هند وجدي رسول الله صلى الله عليه وآله وجدك حرب وجدتي خديجة وجدتك فتيلة ولم يزل معاوية يسعى في إيذاء الحسن عليه السلام وإظهار ما في قلبه من الضغائن والأحقاد حتى دس سماً قتالاً إلى جعدة وأشار عليها بقتل الحسن عليه السلام. في البحار عن أبي بكر الحضرمي قال إن جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سمت الحسن بن علي عليه السلام وسمت مولاة له فأما مولاته فقائت السم وأما الحسن عليه السلام فاستمسك السم في بطنه ثم انتفض به فمات، عن سالم بن أبي الجعد قال حدثني رجل منا قال أتيت الحسن بن علي عليه السلام فقلت يا ابن رسول الله أذللت رقابنا وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً لبني أمية وما بقي معك رجل قال ومم ذلك قال قلت بتسليمك الأمر لهذا الطاغية قال والله ما سلمت الأمر إليه إلا أني لم أجد أنصاراً ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه ولكني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ولا يصلح لي ما كان فاسداً إنهم لا وفاء لهم وذمة في قول ولا فعل إنهم لمختلفون ويقولون لنا أن قلوبهم معنا وأن سيوفهم لمشهورة علينا قال وهو يكلمني إذا انتجع الدم فدعا بطشت فحمل من بين يديه ملآناً مما خرج من جوفه من الدم فقلت له ما هذا يابن رسول الله إني لأراك وجعاً قال أجل دس إلي هذا الطاغية من سقاني سماً فقد وقع على كبدي

فهو يخرج قطعاً كما ترى قلت له أفلا تتداوى قال قد سقاني مرتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء ولقد رقي إلي أنه كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجه إليه من السم القتال شربة فكتب إليه ملك الروم أنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا فكتب إليه أن هذا ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة قد خرج يطلب ملك أبيه وأنا أريد أن أدس عليه من يسقيه ذلك فأريح العباد والبلاد منه ووجه إليه بهدايا والطاف فوجه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دس بها فسقيتها واشترط عليه في ذلك شروطاً روى أن معاوية دفع السم إلى الحسن عليه السلام جعدة بنت الأشعث وقال اسقيه فإذا مات هو زوجتك ابني يزيد فلما سقته السم ومات عليه السلام جاءت إلى معاوية فقالت زوجني من يزيد فقال اذهبي فإن امرأة لا تصلح للحسن عليه السلام لا تصلح لابني يزيد الخ أقول وجدت في كتاب قلمي في وفاة أبي محمد الحسن عليه السلام عن أبي مخنف كلمات فأحببت إيرادها بعدما غلب على ظني صحتها وساق الكلام في عزم الحسن عليه السلام على الخروج إلى معاوية من الكوفة قال أبو الحسن البكري فجردوا السيوف في الجامع ونادوا يا ابن رسول الله عليه السلام ارحل بنا نصادم عسكره ونقتل رجاله حتى نرده إلى الشام ذليلاً حقيراً إلى أن قال وقد اجتمع الناس اثنان وتسعون ألفاً وأمر عليه السلام بإخراج الرايات التي كانت لأبيه علي بن أبي طالب عليه السلام ثم عقد راية جده رسول الله صلى الله عليه وآله لأولاد المهاجرين والأنصار ورايات أبيه للهاشميين وكان قد اختص من الألوية العقاب وذات الرياض فأما العقاب فنشره رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة المشرفة وكان فيه رقعة من خمار فاطمة الزهراء عليها السلام وذات الرياض أهداها النجاشي سلطان الحبشة ولم ير في الدنيا مثله فعقده على رمح طويل له ست عذبات مختلفات الألوان وأوقفه بين يديه ودفع العقاب إلى إبراهيم بن مالك الأشتر وضم إليه المهاجرين والأنصار وكانوا يومئذ أربعين ألف فارس ما فيهم من خالطه الشيب أبداً عليهم الدروع السابورية وبأيديهم السيوف الهندية والرماح الخطية يقدمهم إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي وعليه درع أبيه مالك الأشتر الذي قتل فيه وهو درع داودي ظاهر فوق الدروع وعليه ديباج رومي وتقلد بسيف أبيه وهو سيف عجيب حسن

وعلى رأسه عمامة حسناء وأسبل لها ذوابتين فأخذ الراية من يد الإمام، قال: وسار مقدم الجيش ثم عقد ذات الرياض ودعا بأخيه محمد بن الحنفية وضم إليه أربعين ألف فارس من بني هاشم وغيرهم من الذين لم يأخذهم في دين جدهم لومة لائم عليهم الدروع الداودية قد أرخوا شعورهم إلى أكتافهم وأمرهم بالمسير وعلى رأسه عمامة رسول الله ﷺ وله نور شعشعاني كالقمر فلما هزه خفقت عذباته وأنشأ محمد بن الحنفية يقول:

يا عين جودي بالدموع السواكب ... على أحمد نجل الكرام الأطايب
ومن بعده فابكي لفاطمة التقى ... وابكي أبانا هازماً للكتائب
فإنا ليوث من سلالة هاشم ... أبونا علي خير ماش وراكب

قال وسار محمد بن الحنفية ثم عقد عليه السلام اللواء المنشور ثم نشره ففاحت منه رائحة طيبة ودفعه إلى سليمان بن صرد الخزاعي بيده وسار قال: ولم يزل جيش العراق يجد السير ليلاً ونهاراً حتى التقى بجيش الشام وهو كالغمامة السوداء وساق الكلام في محاربة عسكره مع عسكر زياد ولحوق عسكر الحسن عليه السلام بعسكر زياد وبقي الحسن عليه السلام فريداً ولم يبق معه إلا قليل من أهل العراق ولم ير حيلة إلا الرجوع لأنه لم يبق معه محارب إلى أن قال فرجع الحسن عليه السلام يطلب الكوفة وسار هو وأخوته حتى أشرف على المدائن فقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري ما هذه المواضع؟ فقال له: هذه مدائن كسرى وقد كان أبوك نزل بها لما رجع من قتال الشراة قال: فنزل عليه السلام عن فرسه وساق الكلام أن قال، قال عليه السلام: يا جابر إني أرى مسجداً عالياً من ذلك الجانب فقال له: هذا مسجد بناه أبوك أمير المؤمنين عليه السلام لما نزل بالإيوان وفيه قبر مولاكم سلمان الفارسي قال أبو مخنف: وقد تبع الحسن عليه السلام رجل من عسكر زياد يقال له الجراح بن سنان في أربعة آلاف فارس وخمسمائة راجل حتى إذا كان وقت السحر هجم بهم على الحسن عليه السلام فلما أشرف عليهم هبت ريح سوداء مظلمة مدلهمة يطير في وجوههم الغبار فلم يكن أحد يرى صاحبه فحمل الجراح وعسكره على الحسن عليه السلام وكانوا سادات عسكر زياد فقتلوا منهم أناساً كثيرة ولم يبق منهم إلا أحد عشر رجلاً وقتل من إخوته عليه السلام ثلاثة وهم يحيى وأبو الكرام وأبو

الطيب وأدرك الجراح الحسن عليه السلام وأخذ بلجام بغلته إلى أن قال وصاح الحسن عليه السلام قتلني عدو الله وعدو رسوله الجراح فعمد الجراح إلى عمامة الحسن عليه السلام فاقتلعها من رأسه وعلقها على رأس رمحه وصاح يا قوم لقد قتلت الحسن انصرفوا إلى أميركم زياد واطلبوا منه الجائزة السنية فرجع عدو الله وسكنت الريح وعاد الجراح حتى وقف بين يدي زياد وأخبره بذلك وعلى رمحه عمامة الحسن عليه السلام قال أبو الحسن البكري فبينما هو في افتخاره وإعجابه بنفسه إذ انتثرت عمامة الحسن من يده وخرجت منها نار فوقعت في لحيته فدبت النار إلى جسده وجواده فاحترقا معاً وصارا رماداً ووقعت العمامة إلى الأرض فلم يقربها أحد من أصحاب زياد قال فأرجعوها إلى الحسن عليه السلام ثم حمل الحسن عليه السلام على سريره وأدخل المدائن وإذا فيها قصر مبني بالرخام الأبيض وكان فيه المختار بن أبي عبيدة الثقفي وكان يومئذ صبياً مع عمه البقباق بن عبد الله فاطلع أصحاب القصر على أصحاب الحسن فقالوا لهم من أنتم؟ فقالوا: نحن أصحاب الحسن افتحوا لنا الباب ثم قال الحسن عليه السلام أنا الحسن ومعي إخوتي وأنا مجروح ومسلوب وزياد يريد قتلي وهو في طلبي وقد قتلوا أصحابي فأدخلونا قصركم هذه الليلة وفي غداة غد نرتحل عنكم فقال المختار: حباً وكرامة ثم نزل على عمه البقباق وقال له: يا عم قد أتتك الجائزة الكبرى والمسرة العظمى فقال له عمه: بماذا؟ قال المختار: جاءنا الحسن عليه السلام وهو واقف بباب القصر ومعه إخوته وشيعته وشيعة أبيه وقد سألوني الضيافة هذه الليلة وكان عامل البلد سعد بن مسعود عامل أمير المؤمنين عليه السلام وكان الحسن عليه السلام قد أمره على حاله فقال له عمه: وما تفعل بالحسن وإخوته وأصحابه؟ فقال المختار: نفتح لهم الباب فإذا دخلوا نقبض عليهم وندخلهم على زياد ونأخذ منه الجائزة السنية فقال له عمه: قبح الله وجهك يا لكع الرجال ووثب إليه عمه بسوط كان في يده وجعل يضرب به المختار على وجهه حتى خضبه بدمائه وقال: إياك أن تفعل ذلك فبأي وجه تلقى جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأباهم علياً عليه السلام غداً ثم نزل وفتح لهم الباب فدخلوا وأضافهم وأحسن إليهم الضيافة ثم دعا بطبيب نصراني فعالج الحسن عليه السلام واستخرج

سهماً كان في عضده قال جابر بن عبد الله الأنصاري فقام الحسن عليه السلام وأعطى النصراني بدرة دراهم وبدرة دنانير فلما نظر النصراني إلى ذلك المال ضحك حتى استلقى على قفاه فقال له الحسن عليه السلام يا أخا النصارى تضحك اليوم ونحن في ضيق ومطلوبون على طريق الحرب؟ فقال النصراني: أتدري يا مولاي أنا من متى أتوقع قدومكم؟ فقال الحسن: الله أعلم، قال إعلم منذ وقع فتح سعد بن عبد الله بن أبي وقاص لجزائر ففتحها وقد وقع في يدي كتاب بالسريانية من كتب تلامذة المسيح عيسى ابن مريم لولده وهو يقول له: سيقدم عليك غلام صبيح الوجه من أولاد الأوصياء أبوه وصي خير الأنبياء وأمه سيدة النساء فأقرئه مني السلام وإن مت فاستوص أولادك بذلك فإنه الحسن وأخوه الحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة فهذا جرى يا مولاي فجعلت أراقب الأيام والساعات وأنتظرك فلما كان وقت أوانك قلت إن كان الكتاب صحيحاً فالساعة يشرف الإمام على القصر فما استتم كلامي وإذا قد أتاني المختار وهو يقول: إن عمي يقول لك: قد نزل بنا أبناء رسول الله الأكبر منهم فيه جراحات فسر إليه لتداويه، فقلت: يا نفس ما بعد ذلك من شيء فأقبلت إليك أداويك وإني قد أسلمت وصدقت بجدك رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيك أمير المؤمنين عليه السلام ولي الله وهذا المال الذي دفعته إلي مقبول منك وعندي لك ألف دينار وهي مع هذا المال هدية مني إليك بحق جدك المصطفى وأبيك علي المرتضى وأمك فاطمة الزهراء وأخيك الحسين لا تردها علي واقبلها مني فإن جدك رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحب الهدية ويكره الصدقة فقال له الحسن عليه السلام: قد قبلتها منك وقد أخبرني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك وأنت هو المعروف ببطرس الأكبر فقال: نعم يا مولاي، ثم قال الحسن عليه السلام: قد رزقك الله تعالى عشرين ولداً ذكراً، فقال: نعم يا مولاي، ثم قال بطرس: ما اسم أبي؟ فقال له الحسن عليه السلام: اسمه شمعون بن أسباط، فقال: صدقت يا سيدي وابن سيدي، فقال له الحسن عليه السلام: لولا أني على طريق لأخبرتك بمولدك وشأنك وعجائبك وما جرى عليك، فمضى بطرس وأحضر المال على بغل وفرس فقبضه الحسن عليه السلام وأسلم على يده وودعه وودع المختار وعمه البقباق فقال

لهم الحسن عليه السلام: إني عازم على المسير إلى الكوفة أقول وساق الكلام في مسيره إلى الكوفة وأن الحسين عليه السلام دخلها قبل الحسن عليه السلام واستنصرهم فلم ينصره أحد وجاء الحسن عليه السلام وأخذوا عيالهم إلى القادسية فكتب كتاباً إلى المدينة إلى عائشة على يد صفوان وسار صفوان وأدركه أصحاب زياد إلى أن أوصل الكتاب إلى عائشة وأتى بالجواب أن أقدما إلى المدينة فسار عليه السلام بأهل بيته إلى المدينة وذكر حرباً عظيماً بين أصحاب زياد وأصحابه إلى أن دخل المدينة قال أبو مخنف وسار الحسن عليه السلام وإخوته وعشيرته وشيعته وحرمه إلى المدينة إلى حرم جده رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل بها وجلس في بيته كاظماً غيظه متصبراً منتظراً لأمر ربه لازماً بيته إلى أن صار لمعاوية في خلافته عشر سنين وكان معاوية في زمان خلافته يقتل شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ويستأصل شأفتهم وكل حق لهم وقد اعتجب بنفسه بعد أن دخل الحسن عليه السلام إلى المدينة وأجهر بسب علي والحسن والحسين عليهم السلام على المنابر والأذان والأسواق والمواسم وذكر أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده والإرسال إلى الحسن والحسين عليهما السلام بالوعيد والتهديد والتوعيد وأظهر الفساد والبغي والعناد لأهل البيت وتجبر وطغى وتمرد وغره ما ملك من الدنيا وأعجبه زخرفها لكنه خشي أن تخرج الدولة من يده إن مات وتنقلب دولته إلى الحسن عليه السلام فجعل يفكر في هلاك الحسن عليه السلام فصار لا يهنأ بطعام ولا يلتذ بشراب ولا برقاد لأجل حياة الحسن عليه السلام وبقائه وخشي إذا مات أن تخرج الدولة من يد ولده يزيد إلى أولاد الرسول فتصير الدولة لبني هاشم إلى آخر الدهر وترتفع الدولة من بني أمية فعند ذلك جمع خواصه وأصحاب دولته ومن كان يرجع إليه في الأمور المعضلات والأشياء المشكلات يشاورهم في هلاك الحسن عليه السلام بماذا يكون فأشار بعضهم بقتله جهراً في حرم جده رسول الله وبعضهم قال: أظهر له الإحسان واللطف وكاتبه وادفع إليه الهدايا واطلبه إلى الشام واقتله وقال بعضهم اقتله في المدينة سراً فلم يلتفت معاوية إلى كلامهم وقال لهم: يا ويلكم إن قتلته كما تقولون لا آمن على نفسي من بني هاشم وشيعتهم أن يقتلوني كما قتلت الحسن عليه السلام بل ويقتلون أهلي لأهله ويزول ملكي فقال بعضهم: اقتله بالسم

سراً بحيث لا يعلم به أحد من قتله ويضيع دمه هدراً فقال معاوية: هذا هو الرأي ونعم ما أشرت به علي فهان عليه ما يجده ثم قال: ولمن هذا الأمر؟ قال الأشعث بن قيس الكندي وكان حاضراً أنا يا مولاي لهذا الأمر ففرح معاوية فرحاً شديداً بذلك وأنعم على الأشعث أنعاماً كثيرة في الحال وأعطاه مالاً جزيلاً وكان معاوية ملياً من المال فقال للأشعث كيف تفعل وتعمل ذلك؟ قال: إن ابنتي جعيدة زوجة الحسن عليه السلام وهي أخص نسائه عنده وإذا رغبتها في المال تفعل ما أردت من سم الحسن، فقال: نعم ما ذكرت والصواب ما أشرت به ثم إن معاوية أحضر مئة ألف دينار وسلمها إلى الأشعث وقال له انفذها إلى ابنتك جعيدة وقل لها إذا قتلت الحسن عليه السلام أعطيتك مئة ألف دينار أخرى وأزوجك بابني يزيد فقال الأشعث: الرأي عندي أن تنفذ إليها أحداً غيري يدفع إليها سماً قاتلاً مع المال والعطايا لأنه إذا مضيت أنا إلى المدينة وعلم الحسن عليه السلام بمكاني استوحش من ذلك وأخاف أن يفوتك ما تريد ويتحذر الحسن عليه السلام من ذلك قال الراوي: فاستدعى معاوية من ساعته رجلاً ممن يثق به وعنده كتمان سره فأرسل معه مالاً جزيلاً وخلعة سنية تسوى مئة ألف درهم إلى جعيدة ووعدها بمال جزيل غير الذي أرسله إليها وذكر لها إن فعلت ذلك يزوجها بابنه يزيد وأمره أن يوصلها المال سراً لكي لا يشعر به أحداً، قال الراوي فتجهز الرسول للخروج وسار يجد السير ليلاً ونهاراً حتى دخل المدينة ونزل في الدور وأرسل إلى جعيدة بعض النساء سراً فجاءت إليه وأخبرها بالقصة من أولها إلى آخرها وضمن لها بمال جزيل إذا قتلت الحسن وأن يزوجها بولده يزيد بعد ذلك فاطمأنت لذلك وكانت على رأي أبيها الأشعث وكان السبب في تزويج الحسن عليه السلام بها أن أباها كان قد نفاه أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة فلما قبض أتى الأشعث إلى الحسن عليه السلام وبايعه وحلف له بالأيمان المغلظة أنه لا يخالفه ولا يفعل ما كان يكرهه أمير المؤمنين وأنه من شيعته ومواليه يوالي من يواليه ويعادي من يعاديه فقبله الحسن عليه السلام وكان له ابنة حسنة فائقة بالحسن والجمال موصوفة بالجمال والكمال يقال لها جعيدة فسأله الحسن عليه السلام أن يتزوجها لكي يتوصل إلى قبوله وتنفرش محبته في قلبه

فأجابه الأشعث إلى ذلك فتزوجها الحسن عليه السلام فلما استقر الأمر لمعاوية مضى إليه الأشعث ورجع إلى ما كان عليه من الجحود والطغيان وأظهر العداوة والبغضاء للحسن عليه السلام وأهل بيته وأشار على معاوية بما ذكرناه من قتل الحسن عليه السلام ولما علمت جعيدة بقصة أبيها مع معاوية وأنه هو الذي أشار عليه بقتل الحسن عليه السلام فرحت بذلك فرحاً شديداً وقالت للنساء اللاتي أتين إليها كفيتم شر ما تحذرون ثم أمرت بعض جواريها بقبض المال والخلع والهدايا سراً ثم إنها أخذت في خدمة الحسن عليه السلام وتوصلت إلى قتله بكل ما يمكن زماناً طويلاً حتى علمت وتيقنت ميل الحسن عليه السلام إليها فعمدت إلى السم الناقع القاتل المرسول إليها فجعلته في أطيب الطعام وقدمته إليه وصارت تمازحه وكان عليه السلام لا يأكل لقمة إلا وهي تروحه وتمازحه وتشاغله بالحديث والكلام اللين العذب الرطب حتى أمعن في أكله وبلغت مرادها من قتله ثم رفعت باقي الطعام من بين يديه ودفنته في حفيرة لئلا يأكل منه أحد غيره قال الراوي فمرض الحسن عليه السلام وكان كل يوم يزيد وجسمه ينقص وكانت تظهر له المحبة وتعمل له الأدوية وتريه الشفقة وتتوجع له وتبكي في وجهه وتخدمه في مرضه فبقي على ذلك أربعين يوماً قال أبو مخنف بعد أن قبض الحسن عليه السلام رحلت جعيدة إلى أبيها الأشعث بالشام وسألت معاوية بأن يزوجها بابنه يزيد فسألها معاوية عن صفات الحسن عليه السلام وإذا هي عكس صفات يزيد فقال لها إذا كنت قتلت الحسن عليه السلام وهو جامع لهذه الصفات الحسنة فكيف لا تقتلين يزيد وهو بعكس صفات الحسن عليه السلام ثم إنه أمر بقتلها في الحال فقتلت وخلد الله بروحها في النار وساق الكلام إلى أن قال أوصى إلى أخيه الحسين عليه السلام بما أوصى إليه أبوه وجده من أسرار الولاية والعلوم الربانية ونصبه علماً وخليفة للناس وأمر إخوته وأولاده وأهل بيته وشيعته ومواليه وأحبائه بمتابعة أخيه الحسين عليه السلام ثم قال أوصيك يا أخي بأهلي وولدي خيراً واتبع ما أوصى به جدك وأبوك وأمك عليهم أفضل الصلوات والسلام ثم إن الحسين عليه السلام بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه فلما أفاق قال له الحسن عليه السلام يا أخاه لا تحزن علي فإن مصابك أعظم من مصيبتي ورزءك أعظم من رزئي فإنك تقتل يا أبا عبد الله

الحسين بشط الفرات بأرض كربلاء عطشاناً لهيفاً وحيداً فريداً مذبوحاً يعلو صدرك أشقى الأمة ويحمحم فرسك ويقول في تحمحمه الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها وتسبي حريمك ويؤتم أطفالك ويسيرون حريمك على الأقتاب بغير وطاء ولا فراش ويحمل رأسك يا أخي على رأس القبا بعد أن تقتل ويقتل أنصارك فيا ليتني كنت عندك أذب عنك كما يذب عنك أنصارك بقتل الأعداء ولكن هذا الأمر يكون وأنت وحيد لا ناصر لك منا ولكن لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فعليك يا أخي بالصبر على البلاء حتى تلحق بنا وساق الحديث إلى أن قال فبكى الحسين عليه السلام بكاءً شديداً وقال يا أخي يعز علي فراقك ثم إنه بكى بأعلى صوته وانتحب باكياً فمنعه الحسن عليه السلام من البكاء بعدما كثرت الرنة عليه والصياح من إخوته وأخواته ونسائه وأولاده وجميع أهل بيته وشيعته ثم قال الحسن عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام احضر لي يا أخي أولادي وأهلي فأحضرهم عنده فأدار عينيه فيهم وقال لهم أيها الحاضرون اسمعوا وانصتوا ما أقول لكم الآن هذا الحسين أخي إمام بعدي فلا إمام غيره ألا فليبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد والحر والعبد والذكر والأنثى وهو خليفتي عليكم لا أحد يخالفه منكم فمن خالفه كفر وأدخله الله النار وبئس الفرار ونحن ريحانتا رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة فلعن الله من يتقدم أو يقدم علينا أحداً فيعذبه الله عذاباً أليماً وإني ناص عليه كما نص رسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين، كما نص أبي علي وهو الخليفة بعدي من الله ومن رسوله ثم التفت إلى الحسين عليه السلام وإلى أخوته وحرمه وأولاده وقال لهم حفظكم الله أستودعكم الله الله خليفتي عليكم وكفى به خليفة وأني منصرف عنكم ولاحق بجدي وأبي وأمي وأعمامي ثم قال عليكم السلام يا ملائكة ربي ورحمة الله وبركاته ثم إنه وجه وجهه إلى القبلة وغمض عينيه ومد يديه ورجليه بنفسه مستلقياً مصرحاً بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الخليفة من بعده بلا فصل علي بن أبي طالب ثم إنه قضى نحبه ولقي ربه ففاضت نفسه المقدسة فلما فاضت أخذها الحسين عليه السلام ومسح بها وجهه وصاح عليه معولاً ونادى وا أخاه وا خيبتاه

وا حسناه وا قلة ناصراه من لي عون بعدك يا أخي فضج الناس كلهم بالبكاء والنحيب وارتجت المدينة بأسرها وضجت عليه ضجة واحدة وعلا نحيب أولاده ونسائه وإخوته وإخوانه وكان فقده كفقد جده رسول الله ﷺ يوم مات فصاحت أم كلثوم ولطمت خدها ونشرت شعرها ونادت وا حسناه وا محمداه وا علياه وا فاطمتاه فراقك يا أخي أثكلني وانحلني وتركني عليك حزينة لا تنطفي حر زفرتي بالأمس على فقد جدي وأبي وأمي واليوم عليك يا أخي وصاحت زينب وا أخاه وا حسناه وا سنداه وا لهفاه وا قلة ناصراه يا أخي من ألوذ به بعدك وحزني عليك لا ينقطع طول عمري ثم إنها بكت على أخيها وهي تلثم خديه وتتمرغ عليه وتبكي عليه طويلاً وساق الكلام في أن العباس رثاه باكياً حزيناً يحثو التراب على وجهه ويصيح إلى أن قال وكان ابن الحنفية بالبادية فلما سمع بموت أخيه أقبل إلى المدينة وقال للحسين عليه السلام السلام عليك يا أخاه أحسن الله لك العزاء لقد عظمت رزيتك وجلت مصيبتك بفقد أخيك الحسن عليه السلام فوا أسفاه على بهجة القلب وثمرة الفؤاد وا حسرتاه بعدك لا تنقطع أبداً وقد صيرتنا عرضة للأحزان ثم خنقته العبرة فلم يملك نفسه دون أن سقط إلى الأرض مغشياً عليه. انتهى من أبي مخنف في ما جرى على السيد الممتحن أبي محمد الحسن عليه السلام.

في رحلته ووصاياه

في البحار عن الصادق عليه السلام قال إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام وابنه محمداً شرك في دم الحسين عليه السلام وفي رواية أن جعدة كانت بنت محمد بن الأشعث بذل لها معاوية عشرة آلاف دينار وقطاعات كثيرة من شعب سور أو سواد الكوفة وحمل إليها سماً فجعلته في طعام ووضعته بين يديه فلما أكله جرى السم في بدنه فيئس من نفسه وقال إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله على لقاء محمد سيد المرسلين وأبي سيد الوصيين وأمي سيدة نساء العالمين وعمي جعفر الطيار في الجنة وحمزة سيد الشهداء صلى الله عليهم فاستمسك السم

في بطنه حتى قطع كبده قطعة قطعة قال الدميري في حياة الحيوان فمكث شهرين يرفع من تحته في اليوم كذا وكذا مرة طشت من دم وكان يقول عليه السلام سقيت السم مراراً ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرة لقد لفظت قطعة من كبدي فجعلت أقلبها بعود معي.

في البحار لما حضرت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الوفاة بكى فقيل يا ابن رسول الله أتبكي ومكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله مكانك الذي أنت به وقد قال رسول الله فيك ما قال وقد حججت عشرين حجة ماشياً وقد قاسمت ربك مالك ثلاث مرات حتى النعل والنعل فقال عليه السلام أبكي لخصلتين هول المطلع وفراق الأحبة.

وفي بعض الأخبار أنه عليه السلام سُقي السم ست مرات وفي السادسة اشتد على الحسن عليه السلام المرض والوجع ووقع في فراشه وبقي مريضاً أربعين صباحاً حتى قطعت أحشاؤه وأمعاؤه. في البحار عن جنادة بن أبي أمية قال دخلت على الحسن بن علي عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طشت يقذف عليه الدم ويخرج كبده قطعة قطعة من السم الذي سقاه معاوية بن أبي سفيان فقلت يا مولاي لم لا تعالج نفسك؟ فقال يا عبد الله بماذا أعالج الموت؟ قلت إنا لله وإنا إليه راجعون ثم التفت عليه السلام فقال والله لقد عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله أن هذا الأمر يملكه اثني عشر إماماً من ولد علي وفاطمة صلوات الله عليها وعليهم ما منا إلا مسموم أو مقتول ثم رفعت الطشت وبكى فقلت له عظني يا ابن رسول الله قال نعم استعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول أجلك واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك ولا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك واعلم أن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيه وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر فأخذت كما أخذت من الميتة وإن كان العتاب فإن العتاب يسير واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً وإذا أردت عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل

معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك وإذا خدمته صانك وإذا أردت منه معونة أعانك وإن قلت صدق قولك وإن صلت شد صولتك وإن مددت يدك بفضل مدها وإن بدت منك ثلمة سدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن سألته أعطاك وإن سكت عنه ابتداك وإن نزلت بك إحدى الملمات واساك من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق وإن تنازعتما مقتسماً آثرك قال ثم انقطع نفسه واصفر لونه حتى خشيت عليه ودخل الحسين عليه السلام والأسود بن أبي الأسود معه فانكب عليه حتى قبل رأسه وبين عينيه ثم قعد عنده فتسارا جميعاً فقال أبو الأسود إنا لله وإنا إليه راجعون إن الحسن عليه السلام قد نعيت إليه نفسه وقد أوصى إلى الحسين عليه السلام قال المجلسي عطر الله مرقده روي في بعض تأليفات أصحابنا أن الحسن عليه السلام لما دنت وفاته ونفذت أيامه وجرى السم في بدنه تغير لونه واخضر جسده فقال له الحسين عليه السلام يا أخي ما لي أرى لونك مائلاً إلى الخضرة فبكى الحسن عليه السلام وقال يا أخي لقد صح حديث جدي في وفيك ثم اعتنق الحسين عليه السلام طويلاً وبكيا كثيراً فسأل عن ذلك فقال أخبرني جدي عليه السلام قال لما دخلت ليلة المعراج في روضات الجنان ومررت على منازل أهل الإيمان رأيت قصرين عاليين متجاورين على صفة واحدة إلا أن أحدهما من الزبرجد الأخضر والآخر من الياقوت الأحمر فقلت يا جبرائيل لمن هذان القصران؟ فقال أحدهما للحسن والآخر للحسين فقلت يا جبرائيل فلم لم يكونا على لون واحد؟ فسكت ولم يرد جوابي فقلت لم لا تتكلم؟ فقال حياء منك فقلت له سألتك بالله إلا ما أخبرتني فقال أما خضرة قصر الحسن عليه السلام فإنه يموت بالسم ويخضر لونه عند موته وأما حمرة قصر الحسين عليه السلام فإنه يقتل ويذبح ويحمر بالدم فعند ذلك بكيا وضج الحاضرون بالبكاء والنحيب.

إن الحسين عليه السلام رأى خضرة لون الحسن عليه السلام عند مماته فهل رأى الحسن عليه السلام حمرة وجه الحسين عليه السلام؟ نعم رأى ليلة الحادي عشر من المحرم فرآه مرملاً بدمه.. الخ).

ذا قاذف كبداً له قطعاً وذا في كربلاء مقطع الأعضاء

في تاريخ ولادته ومدة عمره وتاريخ شهادته وفضل زيارته وعدد أولاده وأزواجه عليه السلام

عن الصادق عليه السلام بينما الحسن عليه السلام يوماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال يا جداه ما لمن زارك بعد موتك؟ قال يا بني من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة وقال صلى الله عليه وآله من زار الحسن عليه السلام في البقيع ثبتت قدماه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام.

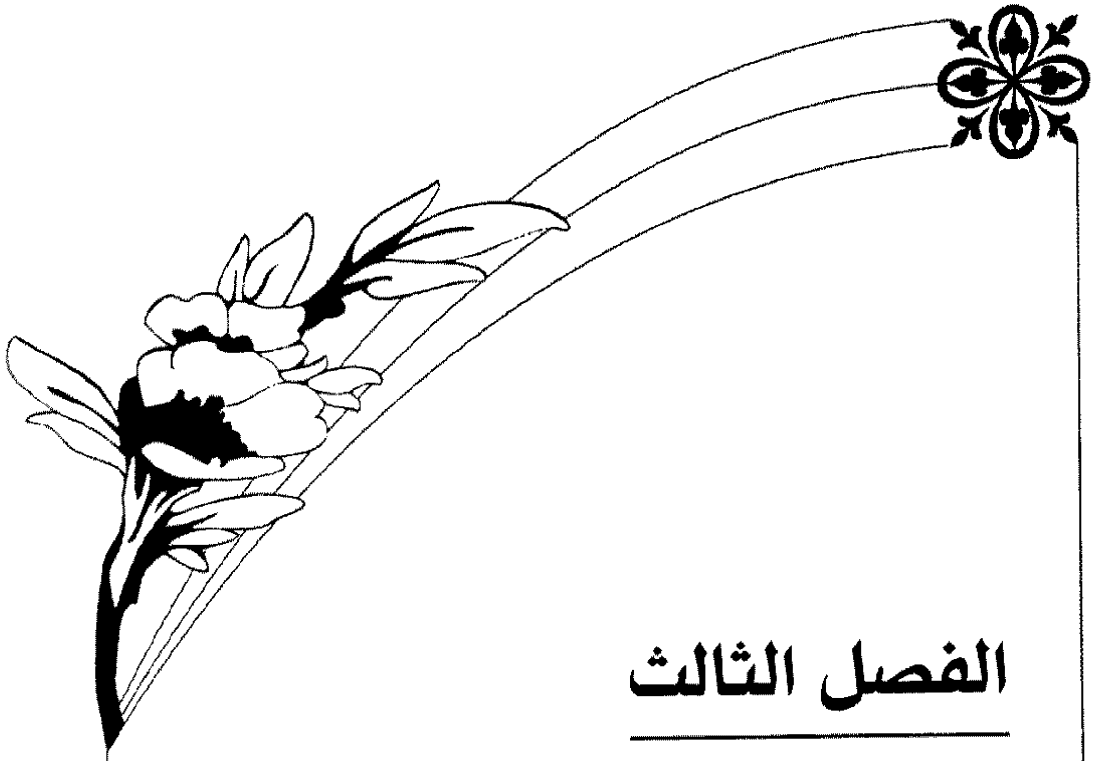
يعز على رسول الله صلى الله عليه وآله لو نظرت عيناه إلى الحسن عليه السلام الذي هو فلذة كبده حين رموا جنازته بالسهام حتى سل منها سبعون نبلاً يا موالي فلو عاينكم المصطفى وسهام الأمة معرقة في أكبادكم ورماحهم مشرعة في نحوركم وسيوفهم مولعة في دمائكم وأنتم بين صريع في المحراب قد فلق السيف هامته وشهيد فوق الجنازة قد شبكت بالسهام أكفانه وقتيل بالعراء قد رفع فوق القناة رأسه ومكبل في السجن قد رضت بالحديد أعضاءه ومسموم قد قطعت بجرع السم أمعاءه. الخ (قضى نحبه وله عليه السلام من العمر خمس وأربعون سنة وقيل سبع وأربعون سنة ولد في النصف من شهر رمضان المبارك سنة ثلاث من الهجرة وقبض عليه السلام في آخر صفر أو الثامن والعشرين من صفر أو سابع عشر أو في يوم السابع من شهر صفر المظفر وكان بينه وبين أخيه الحسين عليه السلام مدة الحمل وكان حمل أبي عبد الله ستة أشهر وقبره الشريف في البقيع دفن مع جدته فاطمة بنت أسد وفي خبر دفن وأمه فاطمة في قبر واحد).

وله زوجات كثيرات حتى قيل تزوج ثلاثمائة امرأة. في البحار أن الحسن بن علي عليه السلام طلق خمسين امرأة فقام علي عليه السلام بالكوفة فقال يا معشر أهل الكوفة لا تنكحوا الحسن عليه السلام فإنه رجل مطلاق فقام إليه رجل فقال بلى والله لننكحنه إنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابن فاطمة فإن أعجبه أمسك وإن كره طلق، في المناقب خطب الحسين بن علي عليه السلام إلى عبد الرحمن بن الحارث ابنته فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه

الأرض من يمشي عليها أعز علي منك ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني وأنت مطلاق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي عليك لأنك بضعة من رسول الله ﷺ فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن عليه السلام وقام وخرج فسمع منه يقول ما أراد عبدالرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقاً في عنقي وخطب عليه السلام إلى منظور بن ريان ابنته خولة فقال والله إني لأنكحنك وإني لأعلم أنك غلق طلق ملق غير أنك أكرم العرب بيتاً وأكرمهم نفساً فولدت منه الحسن ابن الحسن المثنى.

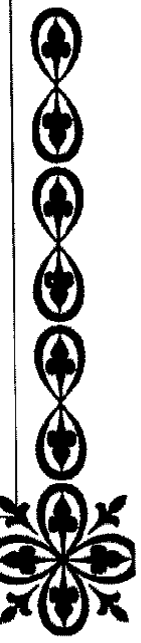
في البحار وكان الحسن بن الحسن حضر مع عمه الحسين عليهما السلام يوم الطف وقاتل في نصرة عمه حتى وقع جريحاً وبه رمق من الحياة فلما قتل الحسين عليه السلام وأسر الباقون من أهله جاء أسماء بن خارجة فانتزعه من بين القتلى وقال والله لا يوصل إلى ابن خولة أبداً فقال عمر بن سعد دعوا لأبي حسان ابن أخته فجاء به إلى الكوفة وهو جريح فداواه ورجع إلى المدينة وروى أن الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين عليه السلام إحدى ابنتيه فقال له الحسين عليه السلام اختر يا بني أحبهما إليك فاستحى الحسن عليه السلام ولم يحر جواباً فقال له الحسين عليه السلام فإني قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثرهما شبهاً بفاطمة أمي بنت رسول الله ﷺ فزوجها منه وكانت تشبه بالحور العين لحسنها وجمالها وقبض الحسن بن الحسن عليه السلام وله خمس وثلاثون سنة فلما مات الحسن بن الحسن حزنت فاطمة بنت الحسين عليهما السلام عليه حزناً شديداً بحيث ضربت على قبره فسطاطاً وكانت تقوم الليل وتصوم النهار إلى رأس السنة فلما كانت رأس السنة قالت لمواليها إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط فلما قوضوها سمعت قائلاً يقول هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر يئسوا فانقلبوا وأولاده عليهم السلام خمسة عشر ولداً ذكراً وأنثى زيد بن الحسن عليه السلام وأختاه أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشر بنت أبي مسعود بن عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية والحسن بن الحسن المثنى أمه خولة بنت منظور الفزارية وعمرو بن الحسن وأخواه القاسم وعبد الله أمهم أم ولد وعبد الرحمن بن الحسن أمه أم ولد والحسين بن الحسن عليه السلام الملقب بالأثرم وأخوه طلحة بن الحسن عليه السلام وأختهما فاطمة بنت الحسن عليه السلام أمهم

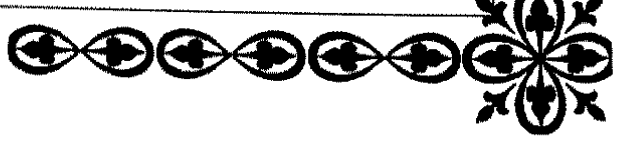
أم إسحق بنت طلحة بن عبد الله التميمي وأم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن لأمهات شتى قيل له من الأولاد ستة عشر وزيد فيهم أبو بكر بن الحسن عليه السلام وقيل قتل مع عمه الحسين عليه السلام ويحتمل أن اسمه أحمد بن الحسن عليه السلام.



الفصل الثالث

مناقب الحسين عليه السلام





الحسين بن علي عليه السلام
في بعض مناقبه وولادته عليه السلام

ولما فرغنا من ذكر ما يتعلق بسيدنا السبط الأكبر الحسن بن علي عليه السلام أخذنا وشرعنا بذكر ما يتعلق بالإمام الهام وقرة باصرة سيد الأنام سبط الرحمة وكاشف الغمة مهجة الزهراء وثمرة فؤاد علي المرتضى عليه السلام الذي حمله ميكائيل وناغاه في المهد جبرائيل الإمام القتيل الذي اسمه مكتوب على سرادق عرش الجليل الحسين عليه السلام مصباح الهدى وسفينة النجاع الشافع في يوم الجزاء سيدنا ومولانا سيد الشهداء عليه سلام الله.
وقيل لابن حمادة:

شربت من ماء الولا شربة ... فأورثتني النسك قبل الفطام
ولاح نجم السعد في طالعي ... إذ صرت مولى لأناس كرام
لآل يس الذي حبهم ... ينجو به المؤمن يوم الخصام
فمثل مولاي الحسين الذي ... بالطف مدفون عليه السلام
ابن علي بن أبي طالب ... سبط رسول الله خير الأنام
من شرف الله به مكة ... وزمزما والبيت بيت الحرام
من ظهر الإسلام طفلاً به ... وطهر الكفر بحد الحسام
هذا ابن من قد كان من ربه ... كقاب قوسين بغير احتشام
هذا ابن من أثر في قوته ... وبات بالأهل ثلاث صيام
هذا ابن من ساد بني هاشم ... إذ ظللته في الفلاة الغمام
هذا شهيد الطف هذا الذي ... حبي له يمحو جميع الآثام

هـذا الإمـام ابـن الإمـام الـذي مـنـه لـنـا فـي كـل عـصـر إمـام
هـذا الـذي زائـره كـالـذي حـج إلـى الـكـعـبـة فـي كـل عـام

قال في المناقب عند ذكر الإمام الثالث عليه السلام اسمه الحسين «وفي التوراة بشير وفي الإنجيل طيب»، وكنيته أبو عبد الله، والخاص أبو علي، وألقابه الشهيد السعيد والسبط الثاني والإمام الثالث، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، المتحقق بصفات الله، والدليل على ذات الله، أفضل ثقات الله المشغول ليلاً ونهاراً بطاعة الله الشاري بنفسه لله، الناصر لأولياء الله المنتقم من أعداء الله، الإمام المظلوم الأسير المحروم الشهيد المرحوم القتيل المزحوم الإمام الشهيد الولي الرشيد الوصي السديد الطريد الفريد البطل الشديد، الطيب الوفي الإمام الرضي ذو النسب العلي المنفق الملكي أبو عبد الله الحسين بن علي منبع الأئمة شافع الأمة سيد شباب أهل الجنة وعبرة كل مؤمن ومؤمنة صاحب المحنة الكبرى والواقعة العظمى، وعبرة المؤمنين في دار البلوى ومن كان بالإمامة أحق وأولى، المقتول بكربلاء ثاني السيد الحصور يحيى الشهيد ابن زكريا الحسين بن علي المرتضى زين المجتهدين وسراج المتوكلين مفخر أئمة المهتدين وبضعة كبد سيد المرسلين نور العترة الفاطمية وسراج الأنساب العلوية وشرف غرس الأحساب المرتضوية، المقتول بأيدي شر البرية سبط الأسباط وطالب الثأر يوم الصراط، أكرم العتر وأجل الأسر وأثمر الشجر وأزهر البدر معظم مكرم موقر منظف مطهر، أكبر الخلائق في زمانه في النفس، وأعزهم في الجنس أزكاهم في العرف وأوفاهم في العرف أطيب العرق وأجمل الخلق وأحسن الخلق قطعة النور ولقلب النبي سرور المنزه عن الإفك والزور، وعلى تحمل المحن والأذى صبور مع القلب المشروح حسور مجتبى الملك الغالب الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أبو الفضل الهمداني من أبوه الرسول وأمه البتول وشاهده التوراة والإنجيل وناصره التأويل والتنزيل المبشر به جبرائيل وميكائيل غذته كف الحق ورُبِّيَ في حجر الإسلام ورضع من ثدي الإيمان.

في ولادته ومعالي أموره

ولقد أحسن وأجاد السيد عباس بن علي بن نور الدين المالكي الموسوي الحسني في كتاب نزهة الجليس ذكره في القمقام:

مولده في عام أربع مضت ... في شهر شعبان بخمس انقضت ... يوم الخميس سيدي قد ولدا
قيل بل السابع كان المولدا ... يكنى بعبد الله وهو السبط ... لم يك مثله كريم قط
نسبه من أشرف الأنساب ... حسبه من أكرم الأحساب ... نص عليه بالإمامة النبي
فيا له من فضل مجد عجب ... خير الورى في العلم والزهادة ... والفضل والحلم وفي العبادة
كرمه وجوده قد بلغا ... ما لم يحط به مقال البلغا ... فاق الورى في الجود والسماحة
والمجد والكمال والفصاحة ... أولاده ست وقيل عشر ... وقيل تسع فانقدوه وادروا
وقتله بكربلا اشتهرا ... مضى شهيداً وبها قد قبرا ... أمر يزيد وعبيد الله
ابن زياد الخبيث اللاهي ... قاتله سنان وابن سعد ... تقوضوا بنجمهم عن سعد
إحدى وستين به حل البلا ... بقتله مع شهداء كربلا ... في عاشر المحرم المنحوس
في يوم سبت ما خلا من بوس ... أو يوم الاثنين وقيل الجمعة ... حل البلا به بتلك البقعة
وعمره سبع وخمسون سنة ... وبعده مضى وحل مدفنه ... وما جرى في قتله من عجب
من البراهين ففكر وأعجب ... وعند نبش قبره كم ظهرا ... من معجز له عجيب بهرا

ورأسه إذ صار يتلو الكهفا ... من فوق رمح أسفاً ولهفا

في الناسخ عن المقداد بن الأسود الكندي قال رسول الله ﷺ إن للحسين عليه السلام في بواطن المؤمنين معرفة مكتومة سل عنه أمه قال: المقداد فقلت لفاطمة ما منزلة الحسين عليه السلام قالت: أنه لما ولدت الحسن أمرني أبي أن لا ألبس ثوباً أجد فيه اللذة حتى أفطمه فأتاني أبي زائراً فنظر إلى الحسن وهو يمص النوى فقال عليه السلام: فطمته قلت نعم قال: إذا أحب على الاشتمال فلا تمنعيه فإني أرى في مقدم وجهك ضوءاً ونوراً وذلك أنك ستلدين حجة لهذا الخلق قالت: فلما تم شهر من حملي وجدت في سخنة فقلت لأبي ذلك فدعا بكوز من ماء فتكلم عليه وتفل، وقال اشربي فشربت فطرد الله عني ما كنت أجد وصرت في الأربعين من الأيام فوجدت دبيباً في ظهري كدبيب النمل في بين الجلدة والثوب فلم أزل على ذلك حتى تم الشهر الثاني فوجدت الاضطراب والحركة فوالله لقد تحرك وأنا بعيدة عن

المطعم والمشرب فعصمني الله كأني كأساً شربت لبناً حتى تمت الثلاثة وأنا أجد الزيادة في الخبر في منزلي فلما صرت في الأربعة آنس الله به وحشتي ولزمت المسجد لا أبرح منه لحاجة تظهر لي فكنت في الزيادة والخفة في الظاهر والباطن حتى تمت الخمسة فلما صارت الستة كنت لا أحتاج في الليل الظلماء إلى المصباح وجعلت أسمع إذا خلوت بنفسي في مصلاي التسبيح والتقديس في باطني فلما مضى فوق ذلك تسع ازددت قوة ذكرت ذلك لأم سلمة فشد الله بها أزري فلما زادت العشرة غلبتني عيني وأتاني آت في منامي وعليه ثياب بيض فجلس عند رأسي ونفخ في وجهي وفي قفاي فقمت وأنا خائفة فأسبغت الوضوء وأديت أربعاً ثم غلبتني عيني وآتاني آت في منامي فأقعدني ورقاني وعوذني فأصبحت وكان يوم أم سلمة فدخلت في ثوب حمامة ثم أتيت أم سلمة فنظر النبيﷺ إلى وجهي فرأيت أثر السرور في وجهه فذهب عني ما كنت أجد وحكيت ذلك للنبيﷺ فقال أبشري أما الأول فخليلي عزرائيل الموكل بأرحام النساء وأما الثاني فخليلي ميكائيل الموكل بأرحام أهل بيتي فنفخ فيك قلت نعم فبكى ثم ضمني إليه وقال: وأما الثالث فذاك حبيبي جبرائيل فنزل تمام الستة يعني ولدعليه السلام بعد تمام ستة أشهر ولم يولد مولود لستة أشهر فبقي إلا الحسينعليه السلام ويحيى بن زكرياعليه السلام ويحيى كان شبيهاً بالحسين في ما روي ومن أجل ذلك كان الحسينعليه السلام يذكر كثيراً يحيى وشهادته في المنتخب قال: لما أراد الله أن يهب لفاطمة الزهراء الحسينعليه السلام فلما وقعت في طلقها أوحى الله عز وجل إلى لعيا وهي حوراء من الجنة وأهل الجنان إذا أرادوا أن ينظروا إلى شيء حسن نظروا إلى لعيا ولها سبعون ألف وصيفة وسبعون ألف قصر وسبعون ألف مقصورة وسبعون ألف غرفة مكللة بأنواع الجواهر والمرجان، وقصر لعيا أعلا من تلك القصور ومن كل قصر في الجنة إذا أشرفت على الجنة نظرت جميع ما فيها وأضيئت الجنة من ضوء خديها وجبينها فأوحى الله إليها أن اهبطي إلى دار الدنيا إلى بنت حبيبي محمد فأنسي لها فهبطت لعيا على فاطمة وقالت لها مرحباً بك يا بنت محمد كيف حالك قالت لها بخير ولحق فاطمة الحياء من لعيا لم تدر ما تفرش لها فبينما هي متفكرة إذ

هبطت حوراء من الجنة ومعها درنوك من درانيك الجنة فبسطته في منزل فاطمة فجلست عليه لعيا ثم إن فاطمة ولدت الحسين عليه السلام في وقت الفجر فقبلته لعيا وقطعت سرته ونشفته بمنديل الجنة وقبلت بين عينيه وتفلت في فيه وقالت له بارك الله فيك من مولود وبارك في والديك وهنّأت الملائكة جبرائيل وهنّأ جبرائيل محمداً عليه السلام سبعة أيام بلياليها فلما كان في اليوم السابع قال جبرائيل: يا محمد آتينا بابنك هذا حتى نراه قال: فدخل النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام فأخذ الحسين عليه السلام وهو ملفوف بقطعة صوف فأتى به إلى جبرائيل فحله وقبل بين عينيه وتفل في فيه وقال: بارك الله فيك من مولود وبارك الله في والديك يا صريع كربلا ونظر إلى الحسين عليه السلام وبكى وبكى النبي صلى الله عليه وآله وبكت الملائكة وقال له جبرائيل: أقرىء فاطمة ابنتك السلام وقل لها تسميه الحسين فقد سماه الله جل اسمه وإنما سمي الحسين لأنه لم يكن في زمانه أحسن منه وجهاً فقال رسول الله يا جبرائيل تهنيني وتبكي قال نعم يا محمد آجرك الله في مولودك هذا فإنه يقتل فقال يا حبيبي جبرائيل ومن يقتله قال شر أمة من أمتك يرجون شفاعتك لا أنالهم الله ذلك فقال النبي صلى الله عليه وآله: خابت أمة قتلت ابن بنت نبيها قال جبرائيل: خابت ثم خابت من رحمة الله ثم خاضت في عذاب الله ودخل النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة فأقرأها من الله السلام وقال لها بنية سميه الحسين فقد سماه الله الحسين فقالت من مولاي السلام وإليه يعود السلام والسلام على جبرائيل وهنأها النبي صلى الله عليه وآله وبكى فقالت يا أباه تهنيني وتبكي؟ قال نعم يا بنية آجرك الله في مولودك هذا فإنه يقتل فشهقت شهقة وأخذت في البكاء وساعدتها لعيا ووصيفاتها، وقالت يا أبتا من يقتل ولدي وقرة عيني وثمرة فؤادي قال: شر أمة من أمتي يرجون شفاعتي لا أنالهم الله ذلك قالت فاطمة عليها السلام: خابت أمة قتلت ابن بنت نبيها قالت لعيا خابت ثم خابت من رحمة الله وخاضت في عذابه يا أباه أقرىء جبرائيل عني السلام وقل له في أي موضع يقتل قال في موضع يقال له كربلاء فإذا نادى الحسين لم يجبه أحد منهم فعلى القاعد من نصرته لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلا أنه لن يقتل حتى يخرج من صلبه تسعة من الأئمة ثم سماهم بأسمائهم إلى آخرهم وهو الذي يخرج

في آخر الزمان مع عيسى ابن مريم فهؤلاء مصابيح الرحمن وعروة الإسلام محبهم يدخل الجنة ومبغضهم يدخل النار قال: وعرج جبرائيل وعرجت الملائكة وعرجت لعيا فلقيهم الملك صلصائيل في السماء الرابعة وله سبعون ألف جناح قد نشرها من المشرق إلى المغرب وهو شاخص نحو العرش لأنه ذكر في نفسه فقال ترى الله يعلم ما في قرار هذا البحر وما يسير في ظلمة الليل وضوء النهار فعلم الله تعالى ما في نفسه فأوحى الله إليه أن أقم مكانك لا تركع ولا تسجد عقوبة لك لما فكرت فقال صلصائيل يا حبيبي جبرائيل أقامت القيامة على أهل الأرض قال لا ولكن هبطنا إلى الأرض فهنّينا محمداً بولده الحسين قال يا حبيبي جبرائيل فاهبط إلى الأرض فقل له يا محمد اشفع إلى ربك في الرضا عني فإنك صاحب الشفاعة قال: فقام النبيﷺ ودعا بالحسينعليه السلام فرفعه بكلتا يديه إلى السماء وقال اللهم بحق مولودي هذا عليك إلا رضيت على الملك فإذا النداء من قبل العرش يا محمد فعلت وقدرك كبير عظيم. قال ابن عباس: والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن صلصائيل يفتخر على الملائكة أنه عتيق الحسينعليه السلام.

أقول ذكر المجلسي قدس سره في البحار قصة صلصائيل وفيه يسير اختلاف مع ما ذكرناه آنفاً المنتخب قال في البحار عن الصادقعليه السلام كان ملك يقال له صلصائيل بعثه الله في أمر فأبطأ فسلبه ريشه وذق جناحيه وأسكنه في جزيرة من جزائر البحر إلى ليلة ولد الحسينعليه السلام فنزلت الملائكة واستأذنت الله في تهنئة جدي رسول اللهﷺ وتهنئة أمير المؤمنين وفاطمةعليها السلام فأذن الله لهم فنزلوا أفواجاً من العرش ومن سماء فسماء، فمروا بصلصائيل وهو ملقى بالجزيرة فلما نظروا إليه وقفوا فقال لهم يا ملائكة الله الرحمن إلى أين تريدون وفيم هبطتم فقالت له الملائكة يا صلصائيل قد ولد في هذه الليلة أكرم مولود ولد في الدنيا بعد جده رسول اللهﷺ وأبيه عليعليه السلام وأمه فاطمةعليها السلام وأخيه الحسنعليه السلام وهو الحسينعليه السلام وقد استأذنا الله في تهنئة حبيبه محمد لولده فأذن لنا فقال صلصائيل يا ملائكة الله إني أسألكم بالله ربنا وربكم وبحبيبه محمدﷺ وبهذا المولود أن تحملوني معكم إلى حبيب الله وتسألونه وأسأله أن يسأل بحق هذا المولود الذي وهبه الله له أن يغفر لي

خطيئتي ويجبر كسر جناحي ويردني إلى مقامي مع الملائكة المقربين فحملوه وجاؤوا به إلى رسول الله ﷺ فهنّأوه بابنه الحسين عليه السلام وقصوا عليه قصة الملك وسألوه مسألة الله والإقسام عليه بحق الحسين عليه السلام أن يغفر له خطيئته ويجبر كسر جناحه ويرده إلى مقامه مع الملائكة المقربين فقام رسول الله ﷺ فدخل على فاطمة عليها السلام فقال لها ناوليني ابني الحسين عليه السلام فأخرجته إليه مقموطاً يناغي جده رسول الله ﷺ فخرج به إلى الملائكة فحمله على بطن كفه فهللوا وكبروا وحمدوا الله وأثنوا عليه فتوجه به إلى القبلة نحو السماء فقال اللهم إني أسألك بحق ابني الحسين أن تغفر لصلصائيل خطيئته وتجبر كسر جناحه وترده إلى مقامه مع الملائكة المقربين فتقبل الله تعالى من النبي ما أقسم به عليه وغفر لصلصائيل خطيئته وجبر كسر جناحه ورده إلى مقامه مع الملائكة المقربين.

في البحار وقال ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن لله تبارك وتعالى ملكاً يقال له دردائيل كان له ستة عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح كما بين السماء والأرض فجعل يوماً يقول في نفسه أفوق ربنا جل جلاله شيء، فعلم الله تبارك وتعالى ما قال فزاده أجنحة مثلها فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح ثم أوحى الله عز وجل إليه أن طر فطار مقدار خمسمائة عام فلم ينل رأسه إلى قائمة من قوائم العرش فلما علم الله عز وجل أتعابه أوحى إليه أيها الملك عد إلى مكانك فأنا عظيم فوق كل عظيم وليس فوقي شيء ولا أوصف بمكان فسلبه الله جناحه وأخرجه من مقامه من صفوف الملائكة فلما ولد الحسين عليه السلام وكان مولده عشية الخميس ليلة الجمعة الثالث من شعبان أو الخامس أوحى الله إلى مالك خازن النيران أن أخمد النيران على أهلها لكرامة مولود ولد لمحمد ﷺ وأوحى إلى رضوان خازن الجان أن زخرف الجنان وطيبها لكرامة مولود ولد لمحمد ﷺ في دار الدنيا وأوحى إلى حور العين أن تزين وتزاورن لكرامة مولود ولد لمحمد ﷺ في دار الدنيا وأوحى الله إلى الملائكة أن قوموا صفوفاً بالتسبيح والتحميد والتمجيد والتكبير لكرامة مولود ولد لمحمد ﷺ في دار الدنيا وأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل أن اهبط إلى نبيي محمد ﷺ في ألف قبيل

وفي القبيل ألف ألف ملك على خيول بلق مسرجة ملجمة عليها قباب الدر والياقوت معهم ملائكة يقال لهم الروحانيون بأيديهم حراب نور أن هنئوا محمداً بمولوده وأخبره يا جبرائيل أني قد سميته الحسين عليه السلام وعزه وقل له يا محمد يقتله شرار من أمتك على الدواب فويل للقاتل وويل للسائق وويل للقائد قاتل الحسين أنا منه بريء وهو مني بريء لأنه لا يأتي أحد يوم القيامة إلا وقاتل الحسين أعظم جرماً منه قاتل يدخل النار يوم القيامة مع الذين يزعمون أن مع الله إلهاً آخر والنار أشوق إلى قاتل الحسين عليه السلام ممن أطاع الله إلى الجنة قال فبينما جبرائيل يهبط من السماء إلى الأرض إذ مر بدردائيل فقال له دردائيل يا جبرائيل ما هذه الليلة في السماء هل قامت القيامة على أهلها قال لا ولكن ولد لمحمد صلى الله عليه وآله مولود في دار الدنيا وقد بعثني الله عز وجل إليه لأهنئه بمولوده فقال الملك له يا جبرائيل بالذي خلقك إن هبطت إلى محمد صلى الله عليه وآله فأقرئه مني السلام وقل له بحق هذا المولود عليك إلا ما سألت الله ربك أن يرضى عني ويرد علي أجنحتي ومقامي من صفوف الملائكة فهبط جبرائيل على النبي صلى الله عليه وآله وهنأه كما أمره الله عز وجل وعزاه فقال النبي صلى الله عليه وآله تقتله أمتي قال نعم فقال النبي ما هؤلاء بأمتي أنا بريء منهم والله بريء منهم قال: جبرائيل وأنا بريء منهم يا محمد فدخل النبي على فاطمة وهنأها وعزاها فبكت فاطمة وقالت ليتني لم ألده تسمع بأنه يقتل تقول ليتني لم ألده فما حالها ليلة الحادي عشر من المحرم لما نظرت إليه فرأته بتلك الحالة الخ قالت يا أبتاه قاتل الحسين في النار وقال النبي صلى الله عليه وآله أنا أشهد بذلك يا فاطمة ولكنه لا يقتل حتى يكون منه إمام تكون منه الأئمة الهادية بعده ثم قال: الأئمة بعده الهادي علي، المهدي الحسن، الناصر الحسين، المنصور علي بن الحسين، الشافع محمد بن علي، النفاع جعفر بن محمد، الأمين موسى بن جعفر، الرضا علي بن موسى، الفعال محمد بن علي، المؤتمن علي بن محمد، العلام الحسن بن علي، ومن يصلي خلفه عيسى ابن مريم فسكنت فاطمة من البكاء ثم أخبر جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله بقصة الملك وما أصيب به قال ابن عباس فأخذ النبي الحسين وهو ملفوف في خرق من صوف فأشار به إلى السماء ثم قال: اللهم بحق

هذا المولود عليك لا بل بحقك عليه وعلى جديه محمد وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب إن كان للحسين بن علي عليه السلام عندك قدراً فارض عن دردائيل ورد عليه أجنحته ومقامه في صفوف الملائكة فاستجاب الله دعاءه وغفر للملك والملك لا يعرف في الجنة إلا بأن يقال هذا مولى الحسين بن علي بن رسول الله.

وكان دردائيل يفتخر على الملائكة بأنه عتيق الحسين عليه السلام وصلصائيل أيضاً يفتخر بأنه عتيق الحسين عليه السلام وكذا فطرس وستأتي قصته ولعيا أيضاً تفتخر على الحور العين بأنها قابلة الزهراء في ميلاد الحسين عليه السلام.

إن سنان بن أنس افتخر في مجلس عبيد الله بأنه قاتل الحسين وقال:

أملا ركابي فضة أو ذهباً ... إني قتلت السيد المحجبا

قتلت خير الناس أماً وأباً ... وخيرهم إذ ينسبون النسبا

في بعض ما يتعلق بولادته

ولد عليه السلام عام الخندق سنة الرابع من الهجرة يوم الخميس أو الثلاثاء لثلاث أو لخمس خلون من شعبان وولد عليه السلام لستة أشهر ولم يولد مولود لستة أشهر وعاش إلا الحسين عليه السلام ويحيى بن زكريا وقيل عيسى ابن مريم وزعم بعض أهل التحقيق من أبي علي بن سينا وغيره أن أقل مدة الحمل بحسب نص القرآن وبحسب التجارب الطبية ستة أشهر لأنه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهراً كما في قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وقال عز شأنه: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ فإذا أسقطت الحولين الكاملين وهي أربع وعشرون شهراً من الثلاثين بقي أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأما التجارب فقد قال جالينوس: إني كنت شديد التفحص عن مقادير أزمنة الحمل فرأيت امرأة ولدت في المائة والأربع والثمانين ليلة ولما حملت فاطمة بالحسين عليه السلام قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله عز وجل قد وهب لك غلاماً اسمه الحسين عليه السلام تقتله أمتي قالت لا حاجة

لي فيه فقال ﷺ إن الله عز وجل قد وعدني فيه عدة قالت ما وعدك قال: وعدني أن يجعل الإمامة من بعده في ولده فقالت رضيت وحملت به كرهاً وظهرت منه أيام حمله كرامات، منها كانت فاطمة تسمع من بطنها ذكراً وتسبيحاً وتقديساً، ومنها أنه ظهر نور الحسين على خد فاطمة وجبينها بحيث أن النبي ﷺ دخل عليها فرأى ذلك فقال يا فاطمة إني أرى في مقدم وجهك ضوءاً ونوراً وستلدين حجة لهذا الخلق قالت فاطمة عليها السلام لما حملت بابني كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلى المصباح وليس هذا بعجب لأن نور الحسين عليه السلام ما كان كسائر الأنوار مثل نور الشمس والقمر والمصباح حتى يمنع من إشراقه مانع بل يشرق ويسطع ولو كان من وراء سبعين حجاباً يضيء كالمصباح وهو في بطن أمه ويضيء ويشرق الأرض والسماء وهو تحت الإجانة في بيت شمر بن ذي الجوشن.

واسمه الشريف الحسين والحسين مصغر حسن كما أن شبير مصغر شبر وهذا التصغير لأجل التعظيم كما لا يخفى على البصير ولم يسم أحد بهذا الاسم قبله وألقابه كثيرة كما مضى في أول الكتاب عن المناقب ولكن أعلاها رتبة ما لقبه رسول الله ﷺ في قوله عنه، وعن أخيه عليه السلام أنهما سيدا شباب أهل الجنة فيكون السيد أشرفها وكذلك السبط فإنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال حسين سبط من الأسباط ولقد أحسن وأجاد من قال في ولادته ومعالي أموره عليه السلام:

فدت شهر شعباننا الأشهر ... فمن بينها يمنها الأشهر ... طوى الهم عنا وزال العنا
وبشر الهنا بيننا ينشر ... لثالثه في رقاب الانام ... أياد لعمرك لا تنكر
فصبح الولاء بميلاد سبط ... هادي الانام به مسفر ... وباب النجاة الإمام الذي
ذنوب العباد به تغفر ... وغصن الإمامة فيه سمى ... جنى هدايتها يثمر
وروض النبوة من نوره ... سنى ومن نوره مزهر ... لتهن بميلاده شيعة
لهم طاب في حبه عنصر ... غذاه النبي بإبهامه ... وما زال عن ريها يصدر
به الله رد على فطرس ... مقاماً به في السما يذكر ... أكان من النصف مثل الحسين
شفيع الخلائق إذ تحشر ... ومن هو ريحان قلب النبي ... ثلثاً على الترب لا يقبر
بميلاده بشر المصطفى ... وفي قتله حرب تستبشر ... وما زال يولمه إن بكى
وكان بتسكينه يأمر ... فكيف إذا ما رآه لقى ... وفي الترب خديه قد عفروا

تعادى عليه جموع ابن هند بأسيافهم جهرة ينحر وكف لها الوكف في المرملين
برفد يجل فلا يحصر غدت في النواويس مقطوعة لها مع خاتمه خنصر

قالت صفية بنت عبد المطلب لما سقط الحسين عليه السلام من بطن أمه كنت قد وليته قال صلى الله عليه وآله يا عمة هلمي إلي بابني فقلت يا رسول الله إنا لم ننظفه بعد فقال يا عمة أنت تنظفينه إن الله تبارك وتعالى قد نظفه وطهره فدفعته إليه وهو في خرقة بيضاء فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ووضع لسانه في فيه وأقبل الحسين عليه السلام بمصه قالت فما كنت أحسب رسول الله يغذوه إلا لبناً أو عسلاً. للشيخ عبد الحسين الأعسم:

بأبي الذي غذاه أحمد جده بلسانه فزكى الغذى والمغتذى
ما انفك يرشف ثغره مستنشقاً طيب الجان بطيب مرشفه الشذي
لا غرو إن شفعت بشاشته بمن بسوى انتشاق شذاه لم يتلذذ
الأم فاطم والأب الكرار لا أب في الانام كذا ولا أم كذي

ومن خصائص الحسين عليه السلام أنه لم يرتضع من فاطمة ولا من أنثى كان النبي يأتيه ويضع إبهامه في فيه وجعل الحسين عليه السلام يمص منها ما يكفيه اليومين والثلاث ويقول النبي صلى الله عليه وآله أيها يا حسين أيها يا حسين أبى الله إلا ما يريد هي فيك وفي ولدك، يعني الإمامة. نظم:

لله مرتضع لم يرتضع أبداً من ثدي أنثى ومن طه مراضعه
يعطيه إبهامه آناً فآونة لسانه فاستوت منه طبايعه
سر به خصه باريه إذ جمعت وأودعت فيه عن أمر ودائعه
غرس سقاه رسول الله نبعته وطاب من بعد طيب الأصل فارعه

فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله وعظمه من عظم رسول الله صلى الله عليه وآله ودمه من دم رسول الله صلى الله عليه وآله وشهد بذلك المخالف والمؤلف قال: معاوية في وصيته ليزيد. وأما الحسين فقد عرفت حظه من رسول الله وهو من لحمه ودمه، سود الله وجوههم ما صنعوا بلحم رسول الله ودمه:

ومن ارتبى طفلا بحجر محمد حتى اغتذى وحي الإله رضيعاً
يغذو غذاء المرهفات وبعد ذا منه ترض الصافنات ضلوعاً

قالت صفية: فقبل النبيﷺ بين عينيه ثم دفعه إلي وهو يبكي ويقول لعن الله قوماً هم قاتلوك يا بني يقولها ثلاثاً فقلت فداك أبي وأمي ومن يقتله قال: تقتله فئة باغية من أمية.

وفي المناقب أن الله هنأ النبيﷺ بحمل الحسينعليه السلام وولادته وعزاه بقتله في اللهوف ولم يبق ملك في السماوات إلا ونزل على النبيﷺ كل يقرئه السلام ويعزيه في الحسينعليه السلام ويخبره بثواب ما يعطى ويعرض عليه تربته والنبي يقول اللهم اخذل من خذله واقتل من قتله ولا تمتعه بما طلبه وكان النبيﷺ دعا على ذلك الذي طلب إيالة الري بقتل الحسينعليه السلام فاستجاب الله، لأن القاتل ما استمتع به رجع خائباً، في الكبريت الأحمر عن كتاب خزائن الأنوار عن مرآة الجنان روي أن فاطمةعليها السلام أقبلت إلى أبيها رسول اللهﷺ باكية في المسجد وهي تقول يا أبة وضعت الحسينعليه السلام في مهده وأخذت في طحن الحب ساعة فافتقدته ولم أجده في مهده فهبط الأمين جبرائيل وقال: يا رسول الله أبلغ فاطمة السلام وقل لها فلتقر عيناها فإن الحسينعليه السلام لم يصبه شيء وهو من المقربين فقال رسول اللهﷺ وأين الحسين قال جبرائيل: لما هبطت وهبط معي جماعة من الملائكة لنهنيك في ولادة الحسينعليه السلام وعرجوا إلى السماء افتخروا على سائر الملائكة بأنهم قد زاروا الحسين فقالت الملائكة يا ربنا ائذن لنا في زيارة الحسينعليه السلام فأمر الله تعالى إياي أن أرفع الحسينعليه السلام إلى السماء لتزوره الملائكة والآن رددته وهو في مهده، في مدينة المعاجز لما ولد الحسينعليه السلام هبط ملك من ملائكة الفردوس ونزل إلى البحر الأعظم ونادى في أقطار السماوات والأرض يا عباد الله البسوا ثياب الأحزاب واظهروا التفجع والأشجان فإن فرخ محمدﷺ مذبوح مظلوم مقهور.

لم يسمع بأن ينعى أحد قبل موته، وفي يوم ولادته وهذا مخصوص بالحسينعليه السلام نعاه ناع يوم ولادته ونعاه ناع يوم شهادته حين أن الشمر فرق بين رأسه وجسده قال المرحوم السيد حيدر:

نعى الروح جبريل بأن ذوي الغدر ... أراقوا دم الموفين لله بالنذر

نعى وانقلاب الكون في ضمن نعيه ... بأن ذوي الحجر استباحوا ذوي الحجر
نعى فغدى من في الوجود بدهشة ... هي الحشر لا بل دونها دهشة الحشر
نعى من بقلب الدهر من جرح جسمه ... جراحات حرق لا يعالجن بالسبر
نعى إن روح الكون بالطف أقلعت ... يد الموت منه وهي دامية الظفر
نعى من دعى بالدين حي على الهدى ... أناساً دعوا بالشرك حي على الكفر
نعى ساجداً صلى إلى الله روحه ... قضى رأسه المرفوع من سجدة الشكر
نعى من أعار الله بالطف هامه ... ومن قلبه فيها أقام على جمر
نعى ذات قدس يعلم الله أنها ... منزهة الأفعال في السر والجهر
نعى أن أسيافاً نحرن ابن فاطم ... نحرن بحجر الله كل أولي الأمر
نعى ظامياً أبكى السماء بعندم ... وحق لها تبكي بأنجمها الزهر

في حب النبي له ولأخيه الحسن

يا حبذا دوحة في الخلد نابتة ... ما مثلها نبتت في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة ... ثم اللقاح علي سيد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمر ... والشيعة الورق الملتف بالثمر
إني بحبهم أرجو النجاة غداً ... والفوز في زمرة من أفضل الزمر
هذا مقال رسول الله جاء به ... أهل الرواية في العالي من الخبر

في المنتخب أن النبي ﷺ خرج من المدينة غازياً وأخذ معه علياً عليه السلام وبقي الحسن والحسين عليهما السلام عند أمهما لأنهما صغيران فخرج الحسين عليه السلام ذات يوم من دار أمه يمشي في شوارع المدينة وكان عمره يومئذ ثلاث سنين فوقع بين نخيل وبساتين حول المدينة فجعل يسير في جوانبها ويتفرج في مضاربها فمر عليه يهودي يقال له صالح بن وهب فأخذه إلى بيته وأخفاه من أمه حتى بلغ النهار إلى وقت العصر والحسين عليه السلام لم يتبين له أثر فثار قلب فاطمة عليها السلام بالهم والحزن على ولدها الحسين عليه السلام فصارت تخرج من باب بيتها إلى باب المسجد سبعين مرة فلم تر أحداً تبعثه في طلب الحسين عليه السلام ثم أقبلت إلى ولدها الحسن عليه السلام وقالت يا مهجة قلبي وقرة

عيني قم فاطلب أخاك فإن قلبي يحترق من فراقه فقام الحسن عليه السلام وخرج من المدينة وأتى إلى دور حولها نخل كثير وجعل ينادي يا حسين بن علي يا قرة عين النبي أين أنت يا أخي قال فبينما الحسن عليه السلام ينادي إذ بدت له غزالة في تلك الساعة فألهم الله الحسن أن يسأل الغزالة فقال لها يا ظبية هل رأيت أخي حسيناً فأنطق الله الغزالة ببركات رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت يا حسن يا نور عين المصطفى وسرور قلب المرتضى ويا مهجة فؤاد الزهراء اعلم أن أخاك أخذه صالح اليهودي وأخفاه في بيته فصار الحسن عليه السلام حتى أتى إلى دار اليهودي فناداه فخرج صالح فقال له الحسن يا صالح أخرج إلي الحسين من دارك وسلمه إلي وإلا أقول لأمي تدعو عليك في أوقات السحر وتسأل ربها حتى لا يبقى على وجه الأرض يهودي، ثم أقول لأبي يضرب بحسامه لجمعكم حتى يلحقكم بدار البوار، وأقول لجدي يسأل الله سبحانه أن لا يدع يهودياً إلا وقد فارق روحه فتحير صالح اليهودي من كلام الحسن عليه السلام وقال له يا صبي من أمك فقال أمي الزهراء بنت محمد المصطفى قلادة الصفوة ودرة صدف العصمة وثمرة جمال العلم والحكمة وهي نقطة دائرة المناقب والمفاخر ولمعة من أنوار المحامد والمآثر خمرت طينة وجودها من تفاح الجنة وكتب الله في صحيفتها عتق عصاة الأمة وهي أم السادات النجباء سيدة النساء البتول العذراء فاطمة الزهراء فقال اليهودي أما أمك فقد عرفتها فمن أبوك فقال الحسن عليه السلام إن أبي أسد الله الغالب علي بن أبي طالب الضارب بالسيفين والطاعن بالرمحين والمصلي مع النبي في القبلتين والمفدي نفسه لسيد الثقلين أبو الحسن والحسين عليهما السلام فقال صالح يا صبي قد عرفت أباك فمن جدك فقال: جدي درة من صدف الجليل وثمرة من شجرة إبراهيم الخليل الكوكب الدري والنور المضيء من مصباح التبجيل المعلق في عرش رب الجليل سيد الكونين ورسول الثقلين ونظام الدارين وفخر العالمين ومقتدى الحرمين وإمام المشرقين والمغربين جد السبطين أنا الحسن وأخي الحسين فلما فرغ الحسن عليه السلام من تعداد مناقبه انجلى صدع الكفر عن قلب صالح وهملت عيناه بالدموع وجعل كالمتحير ينظر متعجباً من حسن منطقه وصغر سنه وجودة فهمه ثم قال له يا

ثمرة فؤاد المصطفى ويا نور عين المرتضى ويا سرور صدر الزهراء يا حسن أخبرني من قبل أن أسلم إليك أخاك الحسين عليه السلام عن أحكام دين الإسلام حتى أذعن لك وأنقاد إلى الإسلام ثم إن الحسن عليه السلام عرض عليه أحكام الإسلام وعرفه الحلال والحرام فأسلم صالح وأحسن الإسلام في يد الإمام ابن الإمام وسلم إليه أخاه الحسين ثم نثر على رأسيهما طبقاً من الذهب والفضة وتصدق به على الفقراء والمساكين ببركة الحسن والحسين عليهما السلام ثم إن الحسن عليه السلام أخذ بيد أخيه الحسين عليه السلام وأتيا إلى أمهما عليها السلام فلما رأتهما اطمئن قلبها وزاد سرورها بولديها قال فلما كان اليوم الثاني أقبل صالح ومعه سبعين رجلاً من رهطه وأقاربه وقد دخلوا جميعهم في الإسلام على يد الإمام ابن الإمام أخي الإمام عليهم أفضل الصلاة والسلام ثم تقدم صالح إلى باب الزهراء عليها السلام رافعاً صوته بالثناء للسادة الأمناء وجعل يمرغ وجهه وشيبته على عتبة دار فاطمة عليها السلام وهو يقول يا بنت محمد المصطفى عملت سوءاً وظلمت نفسي وأذيت ولدك وأنا على فعلي نادم فاصفحي عن ذنبي فأرسلت إليه فاطمة عليها السلام تقول يا صالح أما أنا فقد عفوت عنك من حقي ونصيبي وصفحت عما سؤتني به لكنهما ابناي وابنا علي المرتضى فاعتذر إليه مما أذيت ابنه ثم إن صالحاً انتظر علياً عليه السلام حتى أتى من سفره وعرض عليه حاله واعترف عنده بما جرى له وبكى بين يديه واعتذر مما أساء إليه فقال له عليه السلام يا صالح أما أنا فقد عفوت عنك وصفحت عن ذنبك لكن هؤلاء ابناي وريحانتا رسول الله صلى الله عليه وآله فامض إليه واعتذر مما أسأت بولدي قال فأتى صالح إلى رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً حزيناً وقال يا سيد المرسلين أنت قد أرسلت رحمة للعالمين وإني قد أسأت وأخطأت وإني قد سرقت ولدك الحسين عليه السلام وأدخلته داري وأخفيته عن أخيه وأمه وقد أسأتهما في ذلك وأنا الآن قد فارقت الكفر ودخلت في دين الإسلام فقال له النبي صلى الله عليه وآله، أما أنا فقد رضيت عنك وصفحت عن جرمك لكن يجب عليك أن تعتذر إلى الله وتستغفره مما أسأت بقرة عين الرسول ومهجة فؤاد البتول حتى يعفو الله سبحانه عنك قال فلم يزل صالح يستغفر ربه ويتوسل إليه ويتضرع بين يديه في أسحار الليل وأوقات الصلاة حتى نزل جبرائيل

إلى النبيﷺ بأحسن التبجيل وهو يقول: يا محمد قد صفح الله عن جرم صالح حيث دخل في دين الإسلام على يد الإمام ابن الإمام أخي الإمام عليهم أفضل الصلاة والسلام، إخواني فانظروا إلى هذا صالح اليهودي مع أنه ليس على شريعة الإسلام لما أخذ الحسينعليه السلام وأخفاه في بيته وأجلسه على فراشه أسرع هو في خدمته ونثر على رأسه طبقاً من الذهب والفضة وأسلم على يد الإمام وبكى على عمله بكاء تقشعر منه الأجسام فكيف لم يصنع معه صالح بن وهب المزني في طف كربلاء كما صنع معه صالح اليهودي مع أنه يدعي الإسلام وقد صنع به ما صنع وذلك لما أثخن الحسينعليه السلام بالجراح طعنه صالح بن وهب الخ. في البحار سئل النبيﷺ أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: الحسن والحسين من أحبهما أحببته ومن أحببته أحبه الله ومن أحبه الله أدخله الله الجنة ومن أبغضهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ومن أبغضه الله خلده النار، أيها الناس من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي في الجنة يوم القيامة.

عن أسامة بن زيد قال أتيت النبيﷺ ذات يوم في بعض الحاجة فخرج إلي وهو مشتمل على شيء ما أدري ما هو فلما فرغت من حاجتي قلت ما هذا الذي أنت مشتمل عليه فكشف فإذا هو الحسن والحسينعليهما السلام على وركيه فقال هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبها فأحبهما وأحب من يحبهما ألا فمن أحبهما كان معي. وفيه عن معاوية بن وهب عن الصادقعليه السلام قال: قال رسول اللهﷺ إن حب علي قذف في قلوب المؤمنين لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق وإن حب الحسن والحسينعليهما السلام قذف في قلوب المؤمنين والمنافقين والكافرين فلا ترى لهم ذاماً، وفيه عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال خرج علينا رسول اللهﷺ آخذاً بيد الحسن والحسينعليهما السلام فقال إن ابني هذين ربيتهما صغيرين ودعوت لهما كبيرين وسألت الله لهما أن يجعلهما مطهرين زكيين فأجابني إلى ذلك وسألت أن يقيهما وشيعتهما من النار فأعطاني ذلك وسألت الله أن يجمع الأمة على محبتهما فقال يا محمد إني قضيت قضاء وقدرت قدراً وأن طائفة من أمتك

ستفي لك بذمتك في اليهود والنصارى والمجوس وسيخفرون ذمتك في ولدك وإني أوجبت على نفسي لمن فعل ذلك أن لا أحله محل كرامتي ولا أسكنه جنتي ولا أنظر إليه بعين رحمتي إلى يوم القيامة، وفيه قال جابر رأيت الحسن والحسين عليهما السلام على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وهما يقولان حل حل والنبي يجثو لهما ويقول نعم الجمل جملكما ونعم الراكبان أنتما. وفي رواية ابن مسعود حمل صلى الله عليه وآله الحسن عليه السلام على أضلاعه اليمنى والحسين عليه السلام على أضلاعه اليسرى ثم مشى وقال صلى الله عليه وآله نعم المطي مطيكما ونعم الراكبان أنتما وأبوكما خير منكما.

وفيه عن سلمان الفارسي قال دخلت يوماً على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فسلمت عليها فقالت يا أبا عبد الله هذان الحسن والحسين جائعان يبكيان فخذ بأيديهما فاخرج بهما إلى جدهما قال فأخذت بأيديهما وحملتهما حتى أتيت بهما إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: ما لكما يا حسنى قالا نشتهي طعاماً يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وآله اللهم أطعمهما ثلاثاً قال سلمان فنظرت فإذا سفرجلة في يد رسول الله صلى الله عليه وآله شبيهة بقلة من قلال هجر أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل وألين من الزبد ففركها بإبهامه فصيرها نصفين ثم دفع إلى الحسن نصفها وإلى الحسين نصفها فجعلت أنظر إلى النصفين في أيديهما وأنا أشتهيهما قال: يا سلمان لعلك تشتهيها قلت نعم قال يا سلمان هذا طعام من الجنة لا يأكله أحد حتى ينجو من الحساب هذا يوم أشبعهما ويوم آخر سقاهما ورواهما كما في الخبر عطش المسلمون عطشاً شديداً فجاءت فاطمة عليها السلام بالحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالت يا أبتاه إنهما صغيران لا يتحملان العطش فدعا النبي الحسن فأعطاه لسانه فمصه حتى ارتوى ثم دعا الحسين عليه السلام فأعطاه لسانه فمصه حتى ارتوى.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده قال: مرض النبي صلى الله عليه وآله المرضة التي عوفي منها فعادته سيدة النساء فاطمة عليها السلام ومعها الحسن والحسين عليهما السلام وقد أخذت الحسن عليه السلام بيدها اليمنى وأخذت الحسين عليه السلام بيدها اليسرى وهما يمشيان وفاطمة عليها السلام بينهما حتى دخلوا منزل عائشة فقعد الحسن على جانب رسول الله صلى الله عليه وآله الأيمن والحسين على جانب رسول الله

الأيسر فأقبلا يغمزان ما يليهما من بدن رسول الله ﷺ فما أفاق النبي من نومه فقالت فاطمة للحسن والحسين عليهما السلام حبيبيَّ إن جدكما قد غفى ونام فانصرفا من ساعتكما هذه ودعاه حتى يفيق وترجعان إليه فقالا لسنا ببارحين في وقتنا هذا فاضطجع الحسن عليه السلام على عضد النبي الأيمن والحسين عليه السلام على عضده الأيسر فغفيا ثم انتبها قبل أن ينتبه النبي ﷺ وكانت فاطمة عليها السلام لما ناما انصرفت إلى منزلها فقالا لعائشة ما فعلت أمنا قالت لما نمتما رجعت إلى منزلها فخرجا في ليلة ظلماء مدلهمة ذات رعد وبرق وقد أرخت السماء عزاليها فسطع لهما نور فلم يزالا يمشيان في ذلك النور والحسن عليه السلام قابض بيده اليمنى على يد الحسين اليسرى عليه السلام وهما يتمشيان ويتحدثان حتى أتيا حديقة بني النجار فلما بلغا الحديقة حارا فبقيا لا يعلمان أين يأخذان فقال الحسن للحسين: إنا قد حرنا وبقينا على حالتنا هذه وما ندري أين نسلك فلا عليك أن ننام في وقتنا هذا حتى نصبح، فقال له الحسين عليه السلام دونك يا أخي فافعل ما ترى فاضطجعا جميعاً واعتنق كل واحد منهما صاحبه وناما فانتبه النبي ﷺ عن نومته التي نامها فطلبهما في منزل فاطمة عليها السلام فلم يكونا وافتقدهما فقام قائماً على رجليه وهو يقول إلهي وسيدي ومولاي هذان شبلاي خرجا من المخمصة والمجاعة اللهم أنت وكيلي عليهما فسطع نور للنبي ﷺ فلم يزل يمضي في ذلك النور حتى أتى حديقة بني النجار فإذا بهما نائمان قد اعتنق كل واحد منهما صاحبه وقد تقشعت السماء فوقهما كطبق فهي تمطر أشد مطرة ما رآه الناس قط وقد منع الله المطر منهما في البقعة التي فيها هما نائمان لا يمطر عليهما قطرة وقد اكتنفتهما حية لها شعرات كآجام القصب وجناحان جناح قد غطت به الحسن وجناح قد غطت به الحسين فلما أن بصر بها النبي ﷺ تنحنح فانسابت الحية وهي تقول اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك أن هذين شبلا نبيك قد حفظتهما عليه ودفعتهما إليه سالمين صحيحين فقال لها النبي ﷺ أيتها الحية ممن أنت قالت أنا رسول الجن إليك قال أي الجن قالت جن النصيبين نسينا آية من كتاب الله تعالى فبعثوني إليك لتعلمنا ما نسينا من كتاب الله فلما بلغت هذا الموضع سمعت منادياً ينادي أيتها الحية

هذان شبلا رسول الله ﷺ فاحفظيهما من العاهات والآفات ومن طوارق الليل والنهار فقد حفظتهما وسلمتهما إليك سالمين صحيحين وأخذت الحية الآية وانصرفت فأخذ النبي ﷺ الحسن فوضعه على عاتقه الأيمن ووضع الحسين على عاتقه الأيسر وخرج علي عليه السلام فلحق برسول الله ﷺ فقال له بعض أصحابه بأبي أنت وأمي ادفع إلي أحد شبليك أخفف عنك فقال: امض فقد سمع الله كلامك وعرف مقامك وتلقاه آخر فقال بأبي أنت وأمي ادفع إلي أحد شبليك أخفف عنك فقال امض فقد سمع الله كلامك وعرف مقامك فتلقاه علي عليه السلام وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ادفع إلي أحد شبليك وشبلي حتى أخفف عنك فالتفت النبي ﷺ إلى الحسن فقال: يا حسن تمضي إلى كتف أبيك فقال له والله يا جداه إن كتفك لأحب إلي من كتف أبي ثم التفت إلى الحسين وقال: يا حسين هل تمضي إلى كتف أبيك فقال والله يا جداه إني لأقول كما قال أخي الحسن إن كتفك لأحب إلي من كتف أبي فأقبل بهما إلى منزل فاطمة عليها السلام وقد ادخرت لهما تميرات فوضعتها بين أيديهما فأكلا وشبعا وفرحا فقال لهما النبي ﷺ قوما الآن فاصطرعا فقاما ليصطرعا وقد خرجت فاطمة عليها السلام في بعض حاجاتها فلما دخلت سمعت النبي ﷺ وهو يقول ايهاً يا حسن شد على الحسين فاصرعه فقالت يا أبة واعجباه أتشجع الكبير على الصغير فقال لها يا بنية أما ترضين أن أقول أنا يا حسن شد على الحسين فاصرعه وهذا حبيبي جبرائيل يقول يا حسين شد على الحسن فاصرعه كأن الزهراء عليها السلام قد تكدر خاطرها وانكسر قلبها لما سمع أباها يقول للحسن ايهاً يا حسن شد على الحسين فاصرعه ولا ترضى بذلك لشدة حبها للحسين ليت شعري ما حالها لو نظرت عيناها إليه حين سقط من على ظهر جواده إلى الأرض طريحاً جريحاً مثير الأحزان. نقل عن تاريخ البلاذري حدث محمد بن يزيد المبرد النحوي في إسناد ذكره قال انصرف النبي إلى منزل فاطمة فرآها قائمة خلف بابها فقال ﷺ ما بال حبيبتي هاهنا قالت ابناك خرجا غدوة وقد غاب علي خبرهما فمضى رسول الله ﷺ يقفو آثارهما حتى صار إلى كهف جبل فوجدهما نائمين وحية مطوقة عند رأسيهما فأخذ حجراً وأهوى إليها فقالت

الحية السلام عليك يا رسول الله والله ما نمت عند رأسيهما إلا حراسة لهما فدعا لها بخير ثم حمل الحسن على كتفه الأيمن والحسين على كتفه الأيسر فنزل جبرائيل وأخذ الحسين وحمله فكانا بعد ذلك يفتخران فيقول الحسن حملني خير أهل الأرض ويقول الحسين حملني خير أهل السماء. في البحار عن سلمان الفارسي قال: أهدي إلى النبيﷺ قطف من العنب في غير أوانه فقال لي يا سلمان أتيتني بولدي الحسن والحسين ليأكلا معي من هذا العنب قال سلمان فذهبت أطرق عليهما منزلهما فلم أرهما فجئت فخبرت النبيﷺ بذلك فقام في طلبهما فلم يجدهما فاضطرب النبيﷺ ووثب قائماً وهو يقول وا ولداه وا قرة عيناه من يرشدني على ولدي فله على الله الجنة فنزل جبرائيل من السماء وقال يا محمد علام هذا الانزعاج فقالﷺ على ولدي الحسن والحسين فإني خائف عليهما من كيد اليهود فقال جبرائيل يا محمد بل خف عليهما من كيد المنافقين فإن كيدهم أشد من كيد اليهود، اعلم يا محمد أن ابنيك الحسن والحسين نائمان في حديقة بني الدحداح فسار النبيﷺ من وقته وساعته إلى الحديقة وأنا معه حتى دخلنا الحديقة وإذا هما نائمان قد اعتنق أحدهما الآخر وثعبان في فيه طاقة ريحان يروح بها وجهيهما فلما رأى الثعبان النبيﷺ ألقى ما كان في فيه فقال السلام عليك يا رسول الله لست أنا ثعبان ولكني ملك من ملائكة الكروبيين غفلت عن ذكر ربي طرفة عين فغضب علي ربي ومسخني ثعباناً كما ترى وطردني من السماء إلى الأرض ولي منذ سنين كثيرة أقصد كريماً على الله فاسأله أن يشفع لي عند ربي عسى أن يرحمني ويعيدني ملكاً كما كنت أولاً إنه على كل شيء قدير قال: فجاء النبيﷺ إلى ولديه يقبلهما حتى استيقظا فجلسا على ركبتي النبيﷺ فقال لهما النبي: انظرا يا ولدي هذا ملك من ملائكة الله الكروبيين قد غفل عن ذكر ربه طرفة عين فجعله الله هكذا وأنا مستشفع بكما إلى الله تعالى فاشفعا له فوثب الحسن والحسينعليهما السلام فأسبغا الوضوء وصليا ركعتين وقالا اللهم بحق جدنا الجليل الحبيب محمد المصطفى وبأبينا علي المرتضى وبأمنا فاطمة الزهراء إلا ما رددته إلى حالته الأولى فما استتم دعاؤهما فإذا بجبرائيل قد نزل من السماء

في رهط من الملائكة وبشر ذلك الملك برضى الرب عنه وبرده إلى سيرته الأولى ثم رفعوا به إلى السماء وهم يسبحون الله تعالى رجع جبرائيل إلى النبيﷺ وهو مبتسم، وقال يا رسول الله إن ذلك الملك يفتخر على ملائكة السبع السماوات ويقول لهم من مثلي وأنا في شفاعة السيدين السبطين الحسن والحسين هذا الملك يفتخر بأنه عتيق الحسن والحسين وفي شفاعتهما وملائكة أخرى أيضاً يفتخرون بأنهم عتقاء الحسين فقط وفي شفاعته وهم فطرس ودردائيل وصلصائيل كلهم عتقاء الحسين.

في حب النبيﷺ له خاصة

في البحار رأى النبيﷺ الحسين يوماً يلعب مع الصبيان في السكة فاستقبل النبيﷺ إمام القوم فبسط إحدى يديه فطفق الصبي يفر مرة من هيهنا ومرة هيهنا ورسول اللهﷺ يضاحكه ثم أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى على فأس رأسه وقبله، وقال: أنا من حسين وحسين مني، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط قال سلمان الفارسي كان الحسينعليه السلام على فخذ رسول اللهﷺ وهو يقبله ويقول أنت السيد ابن السيد أبو السادة أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمة أنت الحجة ابن الحجة أبو الحجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم كانﷺ يصلي يوماً في وقته والحسين صغير بالقرب منه وكان النبيﷺ إذا سجد جاء الحسين فركب ظهره ثم حرك رجليه وقال حل حل وإذا أراد رسول اللهﷺ أن يرفع رأسه أخذه ووضعه إلى جانبه فإذ سجد عاد على ظهره وقال حل حل فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبيﷺ من صلاته فقال يهودي يا محمد إنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن فقال النبيﷺ أما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان قال فإني أؤمن بالله ورسوله فأسلم لما رأى من كرمه مع عظم قدره في القمقام. وقالﷺ من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى الحسينعليه السلام إنما الحسين باب من أبواب الجنة من عانده حرم الله عليه ريح الجنة فكيف بمن قتله وسفك دمه

وسلب أثوابه وأوطأ صدره الخ. في البحار عن أبي ليلى عن أبيه قال كنا عند رسول الله ﷺ فجاء الحسين بن علي عليه السلام يحبو حتى صعد على صدره فبال قال فابتدرناه لنأخذه فقال ﷺ ابني ابني لا ترزموا ابني يعني لا تقطعوا عليه بوله عن أبي هريرة قال: أبصرت عيناني هاتان وسمعت أذناي هاتان أن رسول الله ﷺ أخذ بكفي الحسين عليه السلام وقدماه على قدم رسول الله ﷺ وهو يقول ترق عين بقة فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ثم قال رسول الله: افتح فاك ثم قبله ثم قال اللهم أحبه فإني أحبه، وفيه عن أبي ابن كعب قال دخل على النبي ﷺ الحسين عليه السلام فقال له مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرضين فقال له أبي وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرضين أحد غيرك فقال ﷺ يا أبي والذي بعثني بالحق نبياً إن الحسين بن علي عليه السلام في السماء أكبر منه في الأرضين وأنه لمكتوب من يمين العرش الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة أو مصباح هاد وسفينة نجاة ثم أخذ بيده وقال: أيها الناس هذا الحسين بن علي فاعرفوه وفضلوه كما فضله الله فوالذي نفسي بيده إنه لفي الجنة ومحبيه في الجنة ومحبي محبيه في الجنة كان ﷺ يخطب على المنبر إذ خرج الحسين عليه السلام فوطىء في ثوبه وسقط فبكى فنزل النبي ﷺ فضمه إليه وقال قاتل الله الشيطان إن الولد لفتنة، والذي نفسي بيده ما دريت أني نزلت عن منبري ولقد مر على باب بيت فاطمة فسمع بكاء الحسين فوقف وقال بنية سكتيه ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني وما زال يؤلمه إن بكى.

في البحار عن ابن عباس قال كنت عند النبي ﷺ وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي وهو تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا إذ هبط جبرائيل بوحي من رب العالمين فلما سرى عنه قال ﷺ أتاني جبرائيل من ربي فقال يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لست أجمعهما لك فاند أحدهما بصاحبه فنظر النبي ﷺ إلى إبراهيم وبكى ونظر إلى الحسين عليه السلام وبكى وقال إن إبراهيم أمه أمة ومتى مات لم يحزن عليه غيري وأم الحسين فاطمة وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه وأنا أؤثر حزني على حزنهما

يا جبرائيل يقبض إبراهيم فديته للحسين عليه السلام قال فقبض بعد ثلاث فكان النبي صلى الله عليه وآله إذا رأى الحسين عليه السلام مقبلاً ضمه إلى صدره ويرشف ثناياه ويقول فديت من فديته بابني إبراهيم ولم يزل يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول أنتما سيدا شباب أهل الجنة. في البحار أن أعرابياً أتى الرسول صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله لقد صدت خشفة غزالة وأتيت بها إليك هدية لولديك الحسن والحسين عليهما السلام فقبلها النبي صلى الله عليه وآله ودعا له بالخير فإذا الحسن واقف عند جده فرغب إليها فأعطاها إياه فما مضى إلا ساعة وإذا بالحسين عليه السلام قد أقبل فرأى الخشفة عند أخيه يلعب بها فقال يا أخي من أين لك هذه الخشفة فقال الحسن عليه السلام أعطانيها جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فسار الحسين عليه السلام مسرعاً إلى جده وقال: يا جداه أعطيت أخي خشفة غزالة يلعب بها ولم تعطني مثلها وجعل يكرر القول على جده وهو ساكت لكنه يسلي خاطره ويلاطفه بشيء من الكلام حتى أفضى من أمر الحسين عليه السلام إلى أن هم أن يبكي فبينما هو كذلك إذا بصياح قد ارتفع عند باب المسجد فنظرنا فإذا ظبية ومعها خشفتها ومن خلفها ذئبة تسوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وتضربها بإحدى أطرافها حتى أتت بها النبي صلى الله عليه وآله ثم نطقت الغزالة بلسان فصيح وقالت يا رسول الله قد كانت لي خشفتان إحداهما صادها الصياد وأتى بها إليك وبقيت لي هذه الأخرى وأنا بها مسرورة وإني كنت الآن أرضعها فسمعت قائلاً يقول أسرعي أسرعي يا غزالة بخشفتك إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وأوصليها سريعاً لأن الحسين عليه السلام واقف بين يدي جده وقد هم أن يبكي والملائكة بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العبادة ولو بكى الحسين عليه السلام لبكت الملائكة المقربون لبكائه وسمعت أيضاً قائلاً يقول أسرعي أسرعي يا غزالة قبل جريان دموع الحسين على خديه فإن لم تفعلي سلطت عليك هذه الذئبة تأكلك مع خشفتك فأتيت بخشفتي إليك يا رسول الله وهذه الذئبة تسوقني وقطعت مسافة بعيدة ولكن طويت لي الأرض حتى أتيتك سريعاً وأنا أحمد الله ربي على أن جئتك قبل جريان دموع الحسين على خده فارتفع التكبير والتهليل من الأصحاب ودعا النبي صلى الله عليه وآله للغزالة بالخير والبركة وأخذ الحسين عليه السلام الخشفة وأتى بها إلى أمه الزهراء فسر

بذلك سروراً عظيماً نعم إذا بكى الحسين بكت الملائكة رحمة له فما حال الملائكة يوم نظروا إلى الحسين وهو مخضب بدمه طريح جريح بلا غسل ولا كفن في تظلم الزهراء. عن كتاب منتخب كان النبيﷺ جالساً ذات يوم وعنده علي بن أبي طالبعليه السلام إذ دخل الحسينعليه السلام فأخذه النبيﷺ وجعله في حجره وقبل بين عينيه وقبل شفتيه وكان للحسينعليه السلام ست سنين فقال عليعليه السلام يا رسول الله أتحب ولدي الحسين قالﷺ: كيف لا أحبه وهو عضو من أعضائي فقال يا رسول الله أينا أحب إليك أنا أم الحسين فقال الحسين يا أبة من كان أعلى شرفاً كان أحب إلى رسول الله وأقرب إليه منزلة قالعليه السلام: أتفاخرني يا حسين قال نعم إن شئت يا أبتاه فقالعليه السلام أنا أمير المؤمنين أنا لسان الصادقين أنا وزير المصطفى حتى عد من مناقبه نيفاً وسبعين منقبة ثم سكت فقال النبيﷺ للحسينعليه السلام أسمعت يا أبا عبد الله وهو عشر ما قاله من فضائله ومن ألف ألف فضيلة وهو فوق ذلك وأعلى فقال الحسينعليه السلام الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وعلى جميع المخلوقين ثم قال أما ما ذكرت يا أمير المؤمنين فأنت فيه صادق أمين فقال النبيﷺ أذكر أنت فضائلك يا ولدي فقالعليه السلام أنا الحسين بن علي بن أبي طالب وأمي فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وجدي محمد المصطفى سيد بني آدم أجمعين لا ريب فيه يا أبة أمي أفضل من أمك عند الله وعند الناس أجمعين وجدي خيرك من جدك وأفضل عند الله وعند الناس أجمعين وأبي خير من أبيك عند الله وعند الناس أجمعين وأنا في المهد ناغاني جبرائيل وتلقاني إسرافيل يا أبة أنت عند الله أفضل مني وأنا أفخر منك بالآباء والأمهات والأجداد ثم إنه اعتنق أباه يقبله وعليعليه السلام أيضاً يقبله ويقول زادك الله شرفاً وتعظيماً وفخراً وعلماً وحلماً، ولعن الله قاتليك يا أبا عبد الله ثم رجع الحسينعليه السلام إلى جده، هذا يوم ذكر الحسينعليه السلام نسبه لأبيه ويوم عاشوراء ذكر نسبه لأهل الكوفة حين وقف واتكى على قائم سيفه ونادى أنشدكم الخ.

في مناقبه عليه السلام

في نفس المهموم إن مناقب مولانا الحسين عليه السلام واضحة الظهور وسنا شرفه ومجده مشرق النور فله الرتبة العالية والمكانة السامية في كل الأمور وكيف لا يكون كذلك وقد اكتنفه الشرف من جميع أكنافه وظهرت مخايل السؤدد على شمائله وأعطافه وكاد الجمال يقطر من نواحيه وأطرافه وهذا قول لا أخاف أن يقول مسلم بخلافه الجد محمد المصطفى والأب علي المرتضى والجدة خديجة الكبرى والأم فاطمة الزهراء والأخ الحسن ذو الشرف والفخار والعم جعفر الطيار والعمة أم هاني ابنة المنتجبين الأبرار والأولاد الأئمة الأطهار والبيت من هاشم صفوة الأخيار عليهم صلوات الله الملك الغفار.

فهو كما وصفه الحجة (عج) في زيارة الناحية المقدسة وفي الذمم رضي الشيم ظاهر الكرم متهجداً في الظلم قويم الطرائق كريم الخلائق عظيم السوابق شريف النسب منيف الحسب رفيع الرتب كثير المناقب محمود الضرائب جزيل المواهب منيب جواد حليم رشيد عليم شديد إمام شهيد أواه منيب حبيب مهيب.

كان عليه السلام جيد البدن حسن القامة جميل الوجه صبيح المنظر نور جماله يغشى الأبصار وله مهابة عظيمة ويشرق منه النور بلحية مدورة قد خالطها الشيب أدعج العينين أزج الحاجبين واضح الجبين أقنى الأنف. في المنتخب أن الحسين عليه السلام كان إذا جلس في المكان المظلم يهتدي إليه الناس ببياض جبينه ونحره كأن الذهب يجري في تراقيه وإذا تكلم رأى النور يخرج من بين ثناياه ولم يكن يمر في طريق فتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه لطيب رائحته وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً ما يقبل الحسين بنحره وجبهته وقول رباب في رثاء الحسين عليه السلام:

إن الذي كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء صريع غير مدفون

إشارة إلى ضوء جبينه وخده ونحره وله مهابة عظيمة ويهابه كل أحد، روى شيخنا الأجل القمي حفظه الله في سفينة البحار عن أبي حازم الأعرج

قال: كان الحسن عليه السلام يعظم الحسين عليه السلام حتى كان هو أسن منه قال ابن عباس وقد سألته عن ذلك سمعت الحسن عليه السلام وهو يقول إني لأهابه كهيبة أمير المؤمنين عليه السلام ولقد كان يجلس معنا بلا خلاف حتى إذا جاء الحسين عليه السلام. في البحار قال: مر الحسين بن علي عليه السلام بمساكين قد بسطوا كساءً لهم وألقوا عليه كسراً فقالوا هلم يابن رسول الله فثنى وركه فأكل معهم ثم تلا ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ ثم قال لهم قد أجبتكم فأجيبوني قالوا نعم يابن رسول الله فقاموا معه حتى أتوا منزله فقال للجارية أخرجي ما كنت تدخرين. وفيه أيضاً: مر بمساكين وهم يأكلون كسراً لهم على كساء فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم فجلس معهم وقال لولا أنه صدقة لأكلت معكم ثم قال: قوموا إلى منزلي فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم ومن تواضعه وشفقته على الفقراء قال في البحار لما قتل عليه السلام وجد يوم الطف على كتفه أثر فسألوا زين العابدين عليه السلام عن ذلك فقال هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره، وفيه قال مولانا الحسين عليه السلام صح عندي قول النبي صلى الله عليه وآله أفضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور في قلب المؤمن بما لا إثم فيه فإني رأيت غلاماً يؤاكل كلباً فقلت له في ذلك فقال يابن رسول الله إني مغموم أطلب السرور بسروره لأن صاحبي يهودي أريد أن أفارقه فأتى الحسين عليه السلام إلى صاحبه بمائتي دينار ثمناً له فقال اليهودي الغلام فداء لخطاك وهذا البستان له ورددت عليك المال فقال عليه السلام وأنا قد وهبت لك المال قال قبلت المال ووهبته للغلام فقال الحسين عليه السلام: أعتقت الغلام ووهبت له جميعاً فقالت امرأة اليهودي قد أسلمت ووهبت زوجي مهري فقال اليهودي وأنا أيضاً أسلمت وأعطيتها هذه الدار.

في حلمه وعفوه وكظم غيظه

جنى غلام له جناية توجب العقاب عليه فأمر به أن يضرب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال عليه السلام: خلوا عنه فقال يا مولاي والعافين عن الناس قال عليه السلام قد عفوت عنك قال: يا مولاي والله يحب المحسنين

قال عليه السلام أنت حر لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك، وفي نفثة المصدور للشيخ المعظم عن عصام بن المصطلق قال دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي عليه السلام فأعجبني سمته ورواؤه وآثار من الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض فقلت له أنت ابن أبي تراب فقال نعم فبالغت في شتمه وشتم أبيه فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف ثم قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ثم قال لي خفض عليك استغفر الله في ذلك إنك لو استعنتنا لأعناك ولو استرفدتنا لرفدناك ولو استرشدتنا لأرشدناك قال عصام فتوسم مني الندم على ما فرط مني فقال عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحيمن أمن أهل الشام أنت قلت نعم فقال شنشنة أعرفها من أخزم حيانا الله وإياك انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك تجدني عند أفضل ظنك إن شاء الله قال عصام فضاقت علي الأرض بما رحبت ووددت لو ساخت بي ثم سللت منه لواذاً وما على الأرض أحب إليه منه ومن أبيه.

بيان سمته وروائه يعني خلقه ومنظره وحركاته وسكناته، خفض يعني خفف وسهل عليك، فرط بمعنى التجاوز عن الحد لا تثريب عليكم أي لا تأنيب عليكم ولا عتب شنشنة أعرفها من أخزم هذا عجز بيت صدره إن بني ضرجوني بالدم والشعر لجد أبي حاتم وكان له ابن يقال له أخزم قيل كان عاقاً لأبيه ويؤذي أباه بكل ما استطاع فمات وترك بنيناً فتواثبوا على جدهم أبي أخزم فأدموه فقال:

إن بني ضرجوني بالدم ... شنشنة أعرفها من أخزم

يعني أن هؤلاء أشبهوا أباهم في العقوق والشنشنة الطبيعة والعادة وأراد عليه السلام من ذكر هذا المثل يعني أن هذا الشتم والسب شنشنة يعني طبيعة وعادة أعرفها من أهل الشام لأن معاوية سن فيهم هذه السنة القبيحة فكانوا

يعلنون بسب أمير المؤمنين على المنابر سود الله وجهه يسب علياً ويأمر الناس بسبه والحال أنه لا يقبل عمل امرىء إلا بحب علي وأولاده عليهم السلام نظم:

ولا عمل ينجي غداً غير حبهم ... إذا قام يوم البعث للخلق مجمع
ولو أن عبداً جاء في الله عابداً ... بغير ولا آل العبا ليس ينفع
فيا عترة المختار يا راية الهدى ... إليكم غداً في موقفي أتطلع
خذوا بيدي يا آل بيت محمد ... فمن غيركم يوم القيامة يشفع

نعم فوض الله إليهم أمر الشفاعة لأنهم أفضل الخلق وأشرفهم وأكرمهم وهم خير خلق الله فطوبى لمن تمسك بهم وتوسل بهم واستشفع بهم وناهيك فيما قلنا هذا الخبر في المنتخب افتخر إسرافيل على جبرائيل فقال إني من حملة العرش وصاحب الصور والنفخة وأنا أقرب الملائكة إلى حضرة الجلال فقال جبرائيل أنا خير منك أمين الله على وحيه وصاحب الكسوف والخسوف والزلازل والرسائل فاختصما إلى الله تعالى فأوحى إليهما أن اسكتا فوعزتي وجلالي لقد خلقت من هو خير منكما انظرا إلى ساق العرش فنظرا وإذا على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله علي وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله فقال جبرائيل بحقهم عليك إلا ما جعلتني خادماً لهم فقال الله تعالى لك ذلك فافتخر جبرائيل على الملائكة أجمع لما صار خادماً لهم فقال من مثلي وأنا خادم آل محمد فانكسرت الملائكة أن يفاخروه وكان جبرائيل يخدمهم في البيت تارة يطحن الحب وأخرى يكنس البيت وأخرى يناغي الحسين عليه السلام نزل يوماً إلى الأرض فوجد الزهراء عليها السلام نائمة والحسين عليه السلام يبكي في مهده على جاري عادة الأطفال مع أمهاتهم فجلس جبرائيل عند الحسين عليه السلام وجعل يناغيه ويسكته من البكاء ويسليه ويقول:

إن في الجنة نهراً من لبن ... لعلي وحسين وحسن
كل من كان محباً لهم ... يدخل الجنة من غير حزن

ولم يزل كذلك حتى استيقظت فاطمة من منامها فسمعت إنساناً يناغي

الحسين عليه السلام فالتفتت إليه فلم تر أحداً فأخبرت أباها بذلك فأعلمها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله أن جبرائيل كان يناغي الحسين عليه السلام، وفي خبر كان يفتخر ويقول من مثلي وأنا خادم الحسين عليه السلام. أقول ما حال جبرائيل الذي هو يناغي الحسين عليه السلام ويهز مهده ويفتخر بأنه خادم الحسين عليه السلام حين رآه على رمضاء كربلاء طريحاً جريحاً بلا رأس الخ. في المنتخب كان أبو هريرة ينفض التراب عن أقدام الحسين عليه السلام ويمسح بها وجهه فقال له الحسين عليه السلام لم تفعل هذا يا أبا هريرة فقال دعني يابن رسول الله فوالله لو يعلم الناس مثل ما أعلم من فضلك لحملوك على أحداقهم فضلاً عن أعناقهم يابن رسول الله في هاتي أذني سمعت من جدك رسول الله يقول على منبره إن هذا ولدي الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين وأنه سيموت مذبوحاً ظلماً وعدواناً وظمآناً لعن الله من قتله، وفيه أن الحسين عليه السلام مر على عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبد الله من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى هذا المجتاز وإني ما كلمته قط منذ وقعة صفين فقال له الحسين عليه السلام يا عبد الله إذا كنت تعلم أني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلم تقاتلني وتقاتل أبي وأخي يوم حرب صفين فوالله إن أبي خير مني عند الله ورسوله قال فاستعذر إليه عبد الله وقال يا حسين إن جدك رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الناس بإطاعة الأباء وقد أطعت أبي في حرب صفين فقال عليه السلام خالفت الله تعالى وأطعت أباك وحاربت أبي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنما الطاعة للآباء بالمعروف لا بالمنكر وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فسكت عبد الله بن عمرو ولم يرد جواباً لعلمه أنه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

زاد الله في شرفهم وجعلنا من المتمسكين بهم وحشرنا في زمرتهم وإن أحببت أن تكون معهم في الدنيا والآخرة فعليك بهذا الخبر والعمل به. قال الرضا عليه السلام يابن شبيب إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله تعالى معه يوم القيامة، ومن مناقب مولانا الحسين عليه السلام: زهده وعبادته وتقواه وخوفه من الله كما وصفه الحجة عجّل الله تعالى فرجه

في زيارة الناحية كنت للرسول ﷺ ولداً وللقرآن سنداً وللأمة عضداً وفي الطاعة مجتهداً حافظاً للعهد والميثاق ناكباً على سبل الفساق باذلاً للمجهود طويل الركوع والسجود زاهداً في الدنيا زهد الراحل عنها ناظراً إليها بعين المستوحشين منها قال ابن عبد البر في الاستيعاب وكان الحسين عليه السلام فاضلاً ديناً كثير الصوم والصلاة والحج، وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة كان الحسين عليه السلام فاضلاً كثير الصوم والصلاة والحج والصدقة وأفعال الخير كلها، وفي خبر حج الحسين عليه السلام خمساً وعشرين حجة ماشياً، وقال ابن شهراشوب في المناقب عن أنس بن مالك قال: كنت ملازماً للحسين عليه السلام فأتى ليلة من الليالي إلى قبر خديجة عليها السلام فبكى بكاء شديداً ثم قال اذهب عني يا أنس فاستخفيت عنه فقام إلى الصلاة فصلى ركعات ثم أخذ يناجي ربه وهو يتضرع ويبكي ويقول:

يا رب يا رب أنت مولاه فارحم عبيداً أنت ملجأه ياذا المعالي عليك معتمدي
طوبى لمن كنت أنت مولاه طوبى لمن كان خائفاً أرقاً يشكو إلى ذي الجلال بلواه
وما به علة ولا سقم أكثر من حبه لمولاه إذا اشتكى بثه وغصته
أجابه الله ثم لبّاه إذا خلى بالظلام مبتهلاً أكرمه الله ثم أدناه

فلما انتهى كلامه فإذا أنا أسمع صوتاً بين الأرض والسماء يقول:

لبيك عبدي وأنت في كنفي وكل ما قلت قد علمناه صوتك تشتاقه ملائكتي
فحسبك الصوت قد سمعناه دعاك عندي يجول في حجب فحسبك الستر قد رفعناه
لو هبّت الريح في جوانبه خر صريعاً لما تغشاه سلني بلا رعبة ولا رهب(*)

في سفينة البحار ولقد كان الحسين بن علي عليه السلام رجلاً زهد في الدنيا في صغر سنه وبدو أمره واستقبال شبابه يأكل مع أمير المؤمنين من قوته وينافسه في ضيقه وصبره ويصلي قريباً من صلاته وإنما جعلهما الله تعالى قدوة للأمة ثم فرق بين إرادتيهما ليستنّ الناس بهما فلو أجمعا على شيء واحد ما وسع الناس أن يأتوا بغيره وفيه بالإسناد إلى مسروق قال دخلت يوم عرفة على الحسين بن علي عليه السلام وأقداح السويق بين يديه وبين يدي

(*) (ل د) سل ما تشاء بلا خوف ولا وجل ولا حساب إني أنا الله

أصحابه والمصاحف في جحورهم وهم ينتظرون الإفطار فسألته عن مسألة فأجابني وخرجت فدخلت على الحسن بن علي عليه السلام والناس يدخلون إلى موائد موضوعة عليها طعام عتيد فيأكلون ويحملون فرآني وقد تغيرت فقال يا مسروق لم لا تأكل فقلت يا سيدي أنا صائم وأنا أذكر شيئاً فقال اذكر ما بدا لك فقلت أعوذ بالله أن تكونوا مختلفين، دخلت على الحسين عليه السلام فرأيته ينتظر الإفطار ودخلت عليك وأنت على هذه الصنعة والحال فضمني إلى صدره وقال يابن الأشرس أما علمت أن الله تعالى ندبنا لسياسة الأمة ولو اجتمعنا على شيء واحد ما وسعكم غيره إني أفطرت لمفطركم وصام أخي لصوامكم وكان الحسين عليه السلام أعبد أهل زمانه ولقد حج خمساً وعشرين حجة ماشياً وكان يصلي في الليل ألف ركعة ويخاف من ربه غاية الخوف حتى قيل له ما أعظم خوفك من ربك قال عليه السلام لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام ما أقل ولد أبيك قال العجب كيف ولدت له وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى يتفرغ للنساء ويحيي أكثر لياليه من أولها إلى آخرها وآخر ليلة أحياها ليلة العاشر من المحرم استمهل من الأعداء للصلاة والدعاء وتلاوة القرآن.

في جوده وكرمه

فهو كما قال الشاعر:

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله

كيف وقد ورثه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أسخى الأولين والآخرين فقد روى أنه أتت فاطمة عليها السلام بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه التي توفي فيها فقالت يا رسول الله هذان ابناك فورّثهما شيئاً فقال صلى الله عليه وآله أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فإن له جودي وشجاعتي.

أقول إن الحسين عليه السلام أفعاله شاهدة له بصفة الكرم ناطقة بأنه منصف

بمحاسن الشيم وقد اشتهر النقل عنه أنه كان يكرم الضيف ويمنح الطالب ويصل الرحم وينيل الفقير ويسعف السائل ويكسو العاري ويشبع الجائع ويعطي الغارم ويشفق على اليتيم ويعين ذا الحاجة.

في البحار دخل الحسين عليه السلام على أسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول: وا غماه فقال له الحسين عليه السلام وما غمك يا أخي قال دَيْني وهو ستون ألف درهم فقال الحسين عليه السلام هو عليّ قال إني أخشى أن أموت فقال الحسين عليه السلام لن تموت حتى أقضيها عنك قال فقضيها قبل موته وكان عليه السلام يقول شر خصال الملوك الجبن من الأعداء والقسوة على الضعفاء والبخل على الإعطاء.

في الكبريت الأحمر كان نصراني له حذاقة في الطب فسمع بأن الحسين عليه السلام سيد الكرماء فأحب أن يختبر أحواله فأتى إليه يوماً شاب قد مات أبوه وأمه شاكية وجعه فأشار الطبيب بإحضار كبد لفرس أبيض وأرسله إلى الحسين عليه السلام فأمر عليه السلام بذبح فرس أبيض وإخراج كبده فلما جاء به إلى الطبيب قال أخطأت في لون الفرس أحضر كبد الفرس الأسود فرجع الغلام باكياً إلى الحسين عليه السلام فحكى فأمر بذبح فرس أسود حتى ذبح سبعة أفراس لأجل ذلك اليتيم فأسلم النصراني لما شاهد هذا الكرم من الحسين عليه السلام ثم دعا الحسين عليه السلام للأفراس فأحياها الله بقدرته، ومن جوده وكرمه أنه أعطى سائلاً ألف درهم فجعل السائل ينقدها فقال الخازن بعتنا شيئاً قال نعم ماء وجهي فقال الحسين عليه السلام صدق أعطه ألفاً وألفاً وألفاً الأول لسؤالك الثاني لماء وجهك الألف الثالث لأنك أتيتنا. نعم من أتاه سائلاً لا يرده عن بابه خائباً وقل إن وصله مال إلا وفرقه في الفقراء والضعفاء وأهل الحاجة والأيتام والأرامل يا للعجب إن الأكف التي تنفق على الفقراء والمساكين وتعيش بها الأرامل واليتامى وتعتذر منهم كما أنفق على أعرابي بأربعة آلاف دينار وأخرج يده من شق الباب حياءً منه وقال خذها الخ مثل هذه الأكف تقطع بأسياف الجور نظم:

لهفي على تلك الأنامل قطعت ولو أنها اتصلت لكانت أبحرا

وأعجب الأعاجيب أن تلك الأكف التي يقبلها جبرائيل وميكائيل ويقبلها رسول الله ﷺ وعلي والزهراء قطعها الجمال:

تلك الأكف التي جبريل قبلها طوراً وميكال كف الوغد تقطعها

ومن كرمه ما روى في نفثة المصدور جاء رجل من الأنصار إلى الحسين عليه السلام يريد أن يسأله حاجة فقال عليه السلام يا أخا الأنصار صن وجهك عن بذلة المسألة وارفع حاجتك في رقعة وائت بها سأسرك إن شاء الله فكتب إليه يا أبا عبد الله إن لفلان علي خمسمائة دينار وقد ألح بي فكلمه ينظرني إلى ميسرة فلما قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرة فيها ألف دينار وقال له أما خمسمائة فاقض بها دينك وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك ولا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاث ذي دين أو مروة أو حسب.

لقد اقتدى بأبيه في أن أمر السائل بأن يكتب حاجته فإنه روي أن رجلاً أتى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فقال عليه السلام اكتب حاجتك في الأرض فإني أرى الضر فيك بيناً فكتب في الأرض إني فقير محتاج فقال عليه السلام يا قنبر اكسه حلتين فأنشأ الرجل:

كسوتني حللاً تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ولست تبغي بما قد نلته بدلا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكل عبد سيجزى بالذي فعلا

فقال عليه السلام: أعطوه مائة دينار فقيل له يا أمير المؤمنين لقد أغنيته فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول أنزلوا الناس منازلهم ثم قال عليه السلام عجبت أو قال لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم. ومن جوده وكرمه ما روي في نفس المهموم من أن أعرابياً سلم على الحسين عليه السلام وسأله حاجة وقال سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول إذا سألتم حاجة فاسألوها عن أحد أربعة إما عربياً شريفاً أو مولى كريماً أو حامل القرآن أو صاحب وجه صبيح فأما العرب فشرفت بجدك وأما الكرم

فدأبكم وسيرتكم وأما القرآن في بيوتكم نزل وأما الوجه الصبيح فقد سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول إذا أردتم أن تنظروا إلي فانظروا إلى الحسن والحسين عليهما السلام فقال الحسين عليه السلام ما حاجتك اكتبها على الأرض فكتبها على الأرض فقال الحسين عليه السلام سمعت أبي علياً يقول قيمة كل امرىء ما يحسنه وسمعت جدي رسول الله ﷺ يقول المعروف بقدر المعرفة فأسألك عن ثلاث خصال فإن أجبتني عن واحدة فلك ثلث ما عندي وإن أجبتني عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي وإن أجبتني عن ثلاث فلك كل ما عندي، وقد حملت إلي صرة مختومة فإن أجبت فأنت أولى بها فقال سل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال عليه السلام أي الأعمال أفضل قال الأعرابي الإيمان بالله قال عليه السلام فما النجاة من المهلكة قال الثقة بالله قال عليه السلام فما يزين الرجل قال علم معه حلم قال عليه السلام فإن أخطأه ذلك قال مال معه مروءة قال عليه السلام فإن أخطأه ذلك قال فقر معه صبر قال عليه السلام فإن أخطأه ذلك قال فصاعقة تنزل عليه وتحرقه فضحك الحسين عليه السلام ورمى إليه بالصرة وفي رواية رمى إليه بصرة فيها ألف دينار وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم وقال يا أعرابي أعط الذهب غرماءك واصرف الخاتم في نفقتك فأخذ الأعرابي وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته يجعل في أهل بيت هم البحور الزاخرة والسحب الهامرة يجارون الغيوث سماحة وينادون الليوث حماسة.

وأما شجاعته التي ورثها عن جده رسول الله ﷺ وهو أشجع أهل الأرض كما يظهر من كلام علي عليه السلام وأنا من رسول الله ﷺ كالصنو من الصنو والذراع من العضد وأيضاً موروثة فيه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وعلي بعد رسول الله ﷺ أشجع البرية وإن كان أولاد أبي طالب ذكوراً وإناثاً جميعاً شجعاناً كما قال رسول الله ﷺ لله در أبي طالب لو ولد الناس كلهم كانوا شجعاناً ولكن أشجعهم أمير المؤمنين عليه السلام والحسين عليه السلام قد ورث الشجاعة من جده وأبيه. وروي أنه كان بينه وبين الوليد بن عتبة منازعة في ضيعة فتناول الحسين عليه السلام عمامة الوليد عن رأسه وشدها في عنقه وهو يومئذ وال على المدينة فقال مروان بالله ما رأيت كاليوم جرأة رجل على أميره فقال الوليد والله ما قلت هذا غضباً لي ولكن حسدتني على

حلمي عنه وإنما كانت الضيعة له فقال الحسين عليه السلام الضيعة لك يا وليد وقام. في البحار أن مروان بن الحكم قال يوماً للحسين عليه السلام لولا فخركم بفاطمة بم كنت تفتخرون علينا فوثب عليه السلام غضباناً وكان عليه السلام شديد القبضة فقبض على حلقه فعصره ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه ثم تركه وشجاعته ظهرت لأهل الكوفة في يوم عاشوراء بحيث ذكرهم شجاعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام في الغزوات والحروب بل محا شجاعة أبيه لأنه ما اتفق لأمير المؤمنين مثل ما اتفق لولده الغريب أبي عبد الله عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقاتل في الغزوات والحروب وبين يديه أولاده وأصحابه من الشجعان والفرسان والأبطال سبعون ألفاً والحسين عليه السلام يقاتل في مقابل سبعين ألف مقاتل وهو غريب وحيد وبين يديه اثنان وسبعون من أصحابه ضحايا على وجه الأرض وسبعة عشر من أهل بيته كلهم صرعى:

ونصب عينيه من أبنائه جثث ... كأنها هضب سالت على هضب
مضرجين على الرمضاء جلبهم ... فيض المناخر من أبرادها القشب
وأعظم الكل وقداً حال صبيته ... ما بين ظام ومطوى الحشا سغب

في بعض الحكايات المشجية

في الأسرار قال الدربندي (ره) اعلم أن إقامة التعزية لا تختص بالطائفة الإمامية بل إن ذلك ما تفعله جموع كثيرة وطوائف وفيرة من منكري النبوات والنبوة الخاصة أو الولاية من طائفة الهنود والجوكين وجمع من النصارى والمجوس وغيرهم وذلك لما شاهدوا وجربوا مراراً من قضاء حوائجهم الدنيوية وحل المعقودات والمعضلات والدواهي من أمورهم ووصولهم إلى المراتب والمناصب العلية الدنيوية عند فعل ذلك كما أن رجلاً عظيم الشأن يلقب بافتخار الدولة مسكنه في بلد من بلاد الهند تسمى بلكنهو ومنصبه مستوفي الممالك وكان في الأصل مشركاً من طائفة الهند ولكن كان في أيام كفره يبذل في كل سنة في شهر المحرم أموالاً كثيرة في إقامة تعزية سيد الشهداء عليه السلام وقد بذل لذلك في سنة من السنين ضعف ما

كان يبذل ويصرف في كل سنة ثم ابتلى بمرض شديد حتى كاد أن يهلك ففي مثل حال النزع والاحتضار وحالة الإغماء إذ برىء وصح وقام وتشرف بالإسلام وقال لما سألوه عن السبب أن سيد الشهداءعليه السلام تمثل وقال له قم قد عافاك الله ببركة إقامتك تعزيتي فسعى هذا الرجل في تعلم أحكام الإسلام ومعرفة الحلال والحرام ثم ارتحل من الهند إلى كربلاء بجمع من أهاليه من الذين تشرفوا بسببه إلى الإسلام بما عنده من نفايس الأموال فجعلها هدية إلى الحضرة الحسينية فعلقها في القبة المنورة وصار من أعبد أهل زمانه من مجاوري أهل العتبات المطهرة وأزهدهم. وهذا مما لا شك فيه أن إقامة عزاء الحسينعليه السلام وبذل المال في ذلك له تأثيرات وفوائد جليلة جميلة وإن لم يكن من الشيعة بل وإن لم يكن مسلماً كما روي عن رجل من أهل آذربايجان وقد سافر إلى بعض بلاد الهند فرأى يوماً أن جموعاً كثيرة من الهنود يسارعون إلى ميدان عظيم قال فسألت بعض الناس عن سبب ذلك فقيل لي إن طائفة الهنود من المشركين عندهم نعش ميت يريدون أن يلقوه في النار ويحرقوه فإن ذلك هو ديدنهم قال فركضت نحو الميدان فرأيت أنهم قد جمعوا وقوداً وهيأوا حطاباً كثيرة فوضعوا الميت في وسطها وكان الميت امرأة بكراً ثم أضرموا النيران في الوقود والأحطاب فصارت قطعة كبيرة من الميدان كالجحيم فأحرقت النار جسد المرأة وصيرته رماداً إلا الصدر منها فإنه لم تؤثر فيه النار أصلاً فتعجب الحاضرون فسعى المؤبدان يعني عالمهم في إحراقه بإلقاء الأحطاب والوقود الكثيرة مرة ثانية وإضرام النار فيها وقراءة جملة من الكلمات لم تؤثر أيضاً فيه النار فاغتاظ المؤبدان وقالا إنها صاحبة جريمة كبيرة وخطيئة عظيمة قد أتت بها في حال حياتها فتغيرت ألوان أقربائها واصفرت وجوههم ونظر بعضهم إلى بعض فقال جمع منهم لامرأة كانت أخت الميتة إنك عالمة بأفعالها وسرائرها أية جريرة وجريمة صدرت منها فحلفت أنها لا تعلم منها إلا خيراً وأنها كانت زاهدة ناسكة على طريقة المذهب إلا أني حضرت معها في يوم من أيام شهر المحرم في مجلس المسلمين وكان مجلس تعزية الحسينعليه السلام وذكر مصائبه وكان القارىء يقرأ ويدق الحاضرون من المسلمين على صدورهم

فغلبت الرقة علينا ففعلت أنا وأختي ما فعله المسلمون من دق الصدر فقال المؤبدان هذه هي الجريمة التي صارت سبباً لعدم إحراق النار صدرها (وفيه) أيضاً أن رجلاً من سكان بعض بلاد الهند كان من محبي أهل البيت عليهم السلام وكان ذا مال كثير وكان دأبه في كل عام من المحرم أن يقيم مجلس العزاء ويبذل لذلك أموالاً كثيرة ويبسط الموائد ويطعم الفقراء والمساكين في الليل والنهار فإذا انقضت العشرة من شهر المحرم كان يعطي الفرش المفروشة للفقراء والمساكين وهذا دأبه إلى أن سعى به المعاندون إلى والي ذلك البلد وكان معانداً لأهل البيت بأن هذا الرجل رافضي ودأبه في كل سنة إقامة العزاء على مقتول كربلاء فأمر الوالي بإحضاره مكتوفاً عنده وسبه وشتمه ثم أمر بضربه ونهب أمواله وسلب ثيابه وسلب عبيده وخدامه ونسائه وأهله ففعلوا ما أمر الوالي فلم يبق للرجل شيء وبقي فقيراً مهيناً فمضت عليه أيام تلك السنة فلما أقبل شهر المحرم بدت زفرات قلبه حيث لم يبق له شيء لإقامة العزاء وكانت عنده زوجة صالحة فقالت له ما هذه الزفرات والحنين والبكاء فحكى لها ما في قلبه وقال ما حرقة قلبي وبكائي إلا على فوت إقامة عزاء سيد الشهداء مني فقالت لا تحزن واستبشر بأن لنا ولداً فخذه واذهب به إلى بعض بلاد الهند من النواحي البعيدة وقل إن هذا عبدي فبعه فأت بثمنه حتى نصرفه في عشرة المحرم فجزاها خيراً فاستبشر الرجل وسر ودعا بولده وقص له القصة فقال ابنه أفدي نفسي ابن محمد المصطفى عليه السلام وابن علي المرتضى وابن فاطمة الزهراء فأخذ ذلك الرجل بيد ولده وسار به إلى بلد بعيد من دياره وأتى به إلى السوق فرأى فتى جليلاً عظيماً مهيباً جميلاً وقد أضاء نور وجهه وجبهته الآفاق فقال له ذلك الفتى ما تريد بهذا الغلام فقال أبيعه فقال بكم تبيعه فقال بكذا فأعطاه من غير مماكسة فلما أخذ الرجل الثمن ركض وأسرع إلى بلده مسروراً ودخل منزله وحكى لزوجته ما جرى فبينما هما يتحدثان ويستبشران فإذا بالولد قد أتاهما فقالا له هل فررت من المشتري قال لا فقالا له ما شأنك فقال يا أبة إنك لما أخذت الثمن وسرت وغبت عن نظري خنقتني العبرة فقال لي ذلك الفتى لماذا تبكي يا غلام قلت لفراق سيدي فإنه كان يبر بي

ويحسن إليّ غاية الإحسان فقال لي ما أنت بعبد له بل أنت ولده فقلت له من أنت يا سيدي قال أنا الذي فعل أبوك ما فعل لأجل إقامته لعزائي أنا الغريب المشرد أنا الذي قتلوني عطشاناً لا تحزن وأنا أردك إلى أبويك فإذا حضرت عندهما فقل لهما إن المال الذي فات منكم سيرده الوالي إليكم ويزيدكم من البر والإحسان والرفد والعطاء فردني وغاب عني فبينما هم يتحدثون إذ طرق طارق الباب قائلاً للرجل الصالح أجب الأمير والي البلد الآن فلما حضر عند الوالي عظمه وجلله وقال معتذراً اجعلني في حل فإني قد آذيتك فأعطاه جميع ما أخذ منه وزاد له بره وإحسانه وقال أيها الرجل الصالح ابذل جهدك وجدك في إقامة العزاء للإمام عليه السلام فإني أوصلك في كل عام عشرة آلاف درهم وإني قد استبصرت وتشيعت مع أهلي وأقربائي وكل من يأوي إلي فإنه قد أتاني الإمام المظلوم عليه السلام وقال لي أتؤذي من يقيم عزائي وتأخذ أمواله وعبيده فرد كل ذلك إليه والتمس منه أن يعفو منك وإلا أمرت الأرض أن تنخسف بك وبأموالك فعجل في طلب الرجل قبل أن ينزل عليك البلاء فها أنا استغفرت الله وتبت إليه واهتديت بهداية الإمام إلى صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين (وفيه) أيضاً قال حدثني السيد الأجل العالم الفاضل السيد محمد علي المولوي الدكني الهندي أن أهل قرية من قرى حيدرآباد دكن من بلاد هند إذا دخل شهر المحرم يحفرون حفيرة مستديرة يقرب من مائة ذراع مكسراً ثم يقطعون شجرة عظيمة من أصلها فيقطعونها قطعات ويطرحونها في تلك الحفيرة فيلقون فيها النار في الليل السابع من المحرم فتحرق فتصير ناراً ملتهبة تموج موجاً في ليلة العاشر فيخرج أهل تلك القرية من منازلهم في قريب من نصف الليل فيغتسلون بالماء الذي في جنب دكة مسماة ببيت العاشور وهم ما بين شيخ وكهل وشاب وأطفال مميزين ويشد كل واحد منهم بمئزر يستر عورته وبين أيديهم ترفع الرايات والأعلام فيمشون حفاة صائحين نائحين ذاكرين شاه حسين شاه حسين إلى أن يصلوا قريباً من الحفرة وفي أطرافها رجال في أياديهم المراوح يروحون النيران ليصير وجهها صافية خالية من الرماد فشدة حرارة النار في ذلك الوقت بحيث لو أن طائراً يطير من مساحة عشرين

ذراعاً ليشوى وليحترق فلو أن ذرة منها إذا وصلت إلى عضو من الأعضاء تحرقه في آن واحد إلى أن تصل إلى العظم فإذا وصلوا إلى الحفيرة يقدمهم كبيرهم وشيخهم وبيده رمح فيدخل هو أولاً في النار ثم يتبعه القوم فيطأون النيران بأقدامهم ويمشون فيها كأنهم يمشون على وجه الأرض راسبون فيها إلى نصف قد الإنسان أو إلى الركبة وهم يدقون على صدورهم صائحين نائحين حسين حسين من غير أن تؤثر فيهم النار وهكذا يفعلون من نصف الليل إلى أن تغرب الشمس من يوم عاشوراء وتصير النار كلها رماداً وقال السيد رأيت مثل ذلك عند مسافرتي إلى عتبات المشاهد المقدسة في مروري ليلة العاشور إلى قرية من قرى بلدة بمبي والعجب أن جمعاً من أصحابنا تبعوهم ومشوا فوق النار تبعاً لهم حفاة عراة فسألتهم بعد الانقضاء عن كيفية حرارة النار وإحراقها فحلفوا كأنهم كانوا يمشون على الطين والوحل البارد.

ذكر المرحوم الدربندي قصة لا تخلو عن لطف قال حدثني العالم المفتي الاروسي قال كنت مع جمع من عظماء العامة والمتنصبين المتعصبين جالسين في مكان يكثر فيه عبور المسلمين من المسافرين والغرباء من الزوار فمر بنا رجل من العجم وكان فقيراً مفلساً وضيعاً عامياً فخاض طائفة من الجالسين في طعنه وإيذائه والاستهزاء به فقالوا ما لكم أيها الأعجام أيها الحمقاء تفعلون في كل سنة من المحرم فعل المجانين والأطفال تضربون على صدوركم وتحثون التراب على رؤوسكم وترفعون أصواتكم بوا حسيناه وا حسيناه ونحو ذلك فقال الرجل هذا مما يجب فعله علينا لأنا إن تركنا ذلك وبقينا على هذا الترك مدة مديدة لكنتم تقولون إن يزيداً لم يقتل حسيناً ريحانة رسول الله ﷺ وقرة عينه ولم يسب بنات رسول الله وعترته بل إن قضية يوم الطف ليس لها أصل فقالوا ولم ذا قال لأنا جربناكم وشاهدنا أمثال ذلك منكم مراراً قالوا فكيف ذا قال إن رسول الله ﷺ قد جعل علياً ابن عمه ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام إماماً وخليفة بأمر مؤكد من الله وكان ذلك بعد حجة الوداع في مكان يسمى بغدير خم في محضر سبعين ألف رجل من الحاج في تلك السنة وقد وصل ذلك إليكم

بطرق متعددة متكاثرة خارجة عن الحد والإحصاء مذكورة في كتبكم فلما رأيتمونا أنا لا نفعل خوفاً وتقية منكم يوم الغدير الذي هو من أعظم الأعياد وأكبرها وأشرفها عند الله ولا تقيم بمراسم العيد ما يفعله المسلمون في سائر الأعياد سلكتم جادة الاعتساف وخالفتم أمر الله تعالى ورسوله وأنكرتم الغدير ووصاية عليعليه السلام من أصلها ونحن نجدد في كل سنة إقامة التعزية وذكر المصائب لسيد الشهداء والنوح والجزع والبكاء عليه وتسمية قتلته بأسمائهم لئلا تطمعوا في إنكار هذا الأمر البديهي الضروري الواصل شأنه إلى هذا المقام قال فلما سمعوا مقالته هذه ارتعدت فرائصهم وتغيرت ألوانهم واصفرت وجوههم وطأطأوا برؤوسهم إلى الأرض فارتطموا في الوحل ثم قال والله إن هذا الجواب من ذلك الرجل ليس إلا من ألطاف الله تعالى وإلهامه بحسب المقام لأنه كان رجلاً من أعوام الناس غير مطلع على اصطلاحات العلماء وكيفية معارضاتهم ومباحثاتهم (انتهى). وقال قدس سره ومن الآثار العجيبة التي هي باقية إلى زماننا هذا أن في قرية من قرى قزوين تسمى بزر آباد شجرة كبيرة العمر عظيمة القطر وهي من قسم الشجر التي تسمى بالفارسية جنار فإن غصناً من وسطها ينشق في يوم عاشوراء بحيث يظهر منها صوت هائل فتسيل منه الدماء الكثيرة وتجتمع الخلق الكثير عند تلك الشجرة في ذلك الوقت ويأخذون تلك الدماء السائلة بالكراسيف ونحوها ومما نقله قدس سره حكاية رجل من أهل الأحساء وهي بلدة من بلاد البحرين كان رجلاً صالحاً من خيار الشيعة ومواظباً على استماع المراثي والبكاء في مجالس العزاء ولاسيما في عشر عاشوراء فنام ليلة التاسع من المحرم بعدما بكى كثيراً على الحسينعليه السلام فرأى في منامه ما ملخصه أنه دخل بستاناً فيه أشجار كثيرة وطيور على الأشجار لها تغريد وحنين وإذا ببكاء يقرح القلوب قال فمشيت وإذا أنا بغدير ماء وعليه امرأة جليلة وفي يدها ثوب مضرج بالدم وفي ذلك الثوب تمزيق كثير وهي تغسل الثوب وتطيل النظر إليه وتبكي بكاء عالياً وتصرخ صراخاً عظيماً وتفوح رائحة المسك من ذلك الثوب ورجل جليل القدر عظيم الشأن بين يديها وعليه جراحات كثيرة وهي تقول له يا ولدي أما ذكرت لهم محل جدك

وأبيك فلعلهم ما عرفوك قال يا أماه قلت لهم أنا جدي محمد المصطفى وأبي علي المرتضى وأمي فاطمة الزهراء وأخي الحسن المجتبى وجدتي خديجة الكبرى فلم يسمعوا كلامي ولم يرعوا مقامي وحالوا بيننا وبين الماء وأباحوا للكلاب والخنازير ثم قتلوني عطشاناً وداسوا ظهري بحوافر خيولهم وسلبوا بناتي واركبوهن على الجمال سبايا بلا غطاء ولا وطاء قال فدنوت منها وسلمت عليها فردت عليّ السلام وقلت لها سألتك بالله من تكونين ومن هذا الرجل فقالت أنا أم هذا المظلوم أنا بنت محمد المصطفى أنا فاطمة الزهراء وهذا ولدي الحسين الذي قتلته الأمة الشقية بعدنا وإذا بنساء قد أقبلن من بين الأشجار كأنهم الأقمار ومنهم ممزوقة القميص ومنهن مكشوفة الرأس فقلت لها يا سيدتي من هؤلاء فقالت زينب وأم كلثوم وسكينة ورقية ورباب فبكيت وقلت سيدتي إن أبي كان راثياً لكم خصوصاً لولدك الحسين عليه السلام فما حاله فقالت قصره محاذ لقصورنا فقلت سيدتي وما جزاء من يبكي لكم أو ينفق ماله في عزائكم وفي عزاء الحسين أو يسهر حزناً عليه أو يسعى بحاجة من يقيم عزاءه أو يسقى فيه ماء ويلعن عدوكم قالت لهم الجنة وكل ذلك إعانة لنا فأبشروهم بجوارنا فوحقّ أبي وبعلي وولدي وشهادته لا أدخل الجنة ومنهم طفل لم يدخلها فبشرهم وبلغهم عني ذلك.

قال سبط ابن الجوزي في التذكرة أن ابن هبارية الشاعر اجتاز بكربلا فجلس يبكي على الحسين عليه السلام وأهله وقال بديهاً:

أحسين والمبعوث جدك بالهدى ... قسماً يكون الحق عنه مسائلي
لو كنت شاهد كربلا لبذلت في ... تنفيس كربك جهد بذل الباذل
وسقيت حد السيف من أعدائكم ... علاً وحد السمهري الذابل
لكنني أخرت عنك لشقوتي ... فبلابلي بين الغرى وبابل
هبني حرمت النصر من أعدائكم ... فأقل من حزن ودمع سائل

ثم نام في مكانه فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال له يا فلان جزاك الله عني خيراً بشر فإن الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي الحسين عليه السلام (عن

المنتخب) أن امرأة ذات فحش كانت معهودة بالمدينة ولها جار وكان مواظباً على مأتم الحسين عليه السلام وكان عنده ذات يوم رجال ينشدون ويبكون على الحسين عليه السلام فأمر لهم باصطناع الطعام فدخلت المرأة الفاحشة تريد ناراً وإذا بالنار قد انطفت من غفلتهم عنها فعالجتها تلك الفاحشة بالنفخ ساعة طويلة حتى اتسخت يداها وذرفت عيناها فلما توقدت أخذت منها ومضت لقضاء مأربها فلما صار الظهر وكان الوقت صائفاً يعني حاراً فرقدت وإذا هي ترى طيفاً كأن القيامة قد قامت وإذا بزبانية جهنم يسحبونها بسلاسل من نار وهم يقولون غضب الله تعالى عليك وأمرنا أن نلقيك في قعر جهنم وهي تستغيث فلا تغاث وتستجير فلا تجار قالت والله لقد صرت على شفير جهنم وإذا برجل أقبل يصيح بهم خلوها قالوا يا ابن رسول الله وما سببه قال عليه السلام إنها دخلت على قوم يعملون عزائي وقد أوقدت لهم ناراً يعملون بها طعاماً فقالوا كرامة لك يا ابن الشافع والساقي قالت فقلت من أنت الذي منّ الله تعالى عليّ بك قال أنا الحسين بن علي قالت المرأة فانتبهت وأنا مذعورة مذهولة ومضيت إلى المجلس قبل أن يتفرقوا فحكيت لهم وتعجبوا وقام البكاء والعويل وتبت على أيديهم من فعل القبيح. (وفي البحار) قال المجلسي (قدس سره) رأيت في بعض مؤلفات أصحابنا أنه حكي عن السيد علي الحسيني قال كنت مجاوراً في مشهد مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام مع جماعة من المؤمنين فلما كان اليوم العاشر من شهر عاشوراء ابتدأ رجل من أصحابنا يقرأ مقتل الحسين عليه السلام فوردت رواية عن الباقر عليه السلام أنه قال من ذرفت عيناه على مصاب الحسين عليه السلام غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وكان في المجلس معنا جاهل مركب يدعي العلم ولا يعرفه فقال ليس هذا بصحيح والعقل لا يعتقده وكثر البحث فينا وافترقنا من ذلك المجلس وهو مصر على العناد في تكذيب الحديث فنام ذلك الرجل تلك الليلة في داره فرأى في منامه كأن القيامة قد قامت وحشر الناس في صعيد صفصف لا ترى فيها عوجاً أمتاً وقد نصبت الموازين وامتد الصراط ووضع الحساب ونشرت الكتب وأسعرت النيران وزخرفت الجنان واشتد الحر عليه فإذا هو قد عطش عطشاً شديداً وبقي يطلب الماء

فلا يجده فالتفت يميناً وشمالاً وإذا هو بحوض عظيم الطول والعرض قال فقلت في نفسي هذا هو الكوثر فإذا فيه ماء أبرد من الثلج وأحلى من العسل وإذا عند الحوض رجلان وامرأة أنوارهم تشرق على الخلائق وهم مع ذلك لبسوا السواد وهم باكون محزونون فقلت من هؤلاء فقيل هذا محمد المصطفى وهذا الإمام علي المرتضى وهذه الطاهرة فاطمة الزهراء فقلت ما لي أراهم لابسين السواد وباكين ومحزونين فقيل لي أليس هذا يوم عاشوراء يوم مقتل الحسين عليه السلام فهم محزونون لأجل ذلك قال فدنوت إلى سيدة النساء فاطمة وقلت لها يا بنت رسول الله إني عطشان فنظرت إليّ شزراً وقالت أنت الذي تنكر فضل البكاء على مصاب ولدي الحسين ومهجة قلبي وقرة عيني الشهيد المقتول ظلماً وعدواناً لعن الله قاتليه وظالميه ومانعيه من شرب الماء قال الرجل فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً واستغفرت الله كثيراً وندمت على ما كان مني وأتيت إلى أصحابي الذين كنت معهم وخبرت برؤياي وتبت إلى الله عز وجل.

وممن أُخبر بشهادة الحسين: رسول الله صلى الله عليه وآله

ولقد أخبر صلى الله عليه وآله بشهادة ولده مراراً عديدة. عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان النبي صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة فقال لها لا يدخل عليّ أحد فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل فمنعته فوثب حتى دخل الدار على النبي صلى الله عليه وآله فدخلت أم سلمة على أثره فإذا الحسين عليه السلام على صدره وإذا النبي صلى الله عليه وآله يبكي وإذا في يده شيء يقبله فقال النبي صلى الله عليه وآله يا أم سلمة إن هذا جبرائيل يخبرني أن هذا مقتول وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي فقالت أم سلمة يا رسول الله سل الله أن يدفع ذلك عنه قال قد فعلت فأوحى الله تعالى إليّ أن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين وأن له شيعة يشفعون فيشفعون وأن المهدي (عج) من ولده فطوبى لمن كان من الحسين عليه السلام وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة. ومن أخباره صلى الله عليه وآله ما روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فقدمنا إليه

طعاماً أهدت إلينا أم أيمن صحفة من تمر وقعباً من لبن وزبد فقدمنا إليه فأكل منه فلما فرغ قمت فسكبت على يديه ماء فلما غسل يده مسح وجهه ولحيته ببلة يديه ثم قام إلى مسجد في جانب البيت فخر ساجداً فبكى فأطال البكاء ثم رفع رأسه فما اجترأ منا أهل البيت أحد أن يسأله عن شيء فقام الحسين عليه السلام يدرج حتى صعد على فخذي رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ برأسه إلى صدره ووضع ذقنه على رأس رسول الله ثم قال يا أبة ما يبكيك فقال صلى الله عليه وآله يا بني إني نظرت إليكم فسررت بكم سروراً لم أسر بكم قبله مثله فهبط إليّ جبرائيل فأخبرني أنكم قتلى وأن مصارعكم شتى فحمدت الله على ذلك وسألته لكم الخيرة فقال له يا أبة فمن يزور قبورنا ويتعاهدها على تشتتها قال طوائف من أمتي يريدون بذلك بري وصلتي أتعاهدهم في الموقف وآخذ بأعضادهم فأنجيهم من أهواله وشدائده. ومن أخباره صلى الله عليه وآله بشهادته عليه السلام ما روي (في البحار) بالسند المتصل إلى شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي بإسناده عن زينب بنت جحش زوجة النبي صلى الله عليه وآله قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم عندي نائماً فجاء الحسين عليه السلام فجعلت أعلله مخافة أن يوقظ النبي صلى الله عليه وآله فغفلت عنه فدخل واتبعته فوجدته وقد قعد على بطن النبي صلى الله عليه وآله فوضع زبيته في سرة النبي صلى الله عليه وآله فجعل يبول عليه فأردت أن آخذه عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله دعي ابن زينب حتى يفرغ من بوله فلما فرغ توضأ النبي صلى الله عليه وآله وقام يصلي فلما سجد ارتحله الحسين عليه السلام فلبث النبي صلى الله عليه وآله حتى نزل فلما قام دعا الحسين عليه السلام فحمله حتى فرغ من صلاته فبسط النبي صلى الله عليه وآله يده وجعل يقول أرني أرني يا جبرائيل قلت يا رسول الله لقد رأيتك اليوم صنعت شيئاً ما رأيتك صنعته قط قال نعم جاءني جبرائيل فعزاني في ابني الحسين وأخبرني أن أمتي تقتله وأتاني بتربة حمراء. (ومن أخباره بشهادته) ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام أمسكه فيمسكه فيقبله ويبكي فيقول يا أبة لم تبكي فقال يا بني أقبل مواضع السيوف منك وأبكي قال يا أبة وأنا أقتل قال إي والله وأبوك وأخوك قال يا أبة فمصارعنا شتى قال نعم يا بني قال فمن يزورنا من أمتك قال لا يزورني ولا يزور أباك وأخاك وأنت إلا

الصديقون من أمتي. ومن أخباره بشهادته عن عبد الله بن عباس أنه قال كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذ أقبل الحسن عليه السلام فلما رآه بكى وقال إليّ إليّ فأجلسه على فخذه اليمنى ثم أقبل الحسين عليه السلام فلما رآه بكى وقال مثل ذلك فأجلسه على فخذه اليسرى ثم أقبلت فاطمة عليها السلام فرآها فبكى وقال مثل ذلك فأجلسها بين يديه ثم أقبل علي عليه السلام فرآه فبكى وقال مثل ذلك فأجلسه إلى جانبه الأيمن فقال له أصحابه يا رسول الله ما ترى واحداً من هؤلاء إلا بكيت أما فيهم من تسر برؤيته فقال ﷺ والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية ما على وجه الأرض نسمة أحب إليّ منهم وإنما بكيت لما يحل بهم من بعدي وذكر بعض مصائبهم إلى أن قال وذكرت ما يصنع بهذا ولدي الحسين عليه السلام كأني به وقد استجار بحرمي وقبري فلا يجار ويرتحل إلى أرض مقتله ومصرعه أرض كرب وبلا تنصره عصابة من المسلمين أولئك سادات شهداء أمتي إلى يوم القيامة فكأني أنظر إليه وقد رمي بسهم فخر عن فرسه صريعاً ثم يذبح كما يذبح الكبش مظلوماً ثم انتحب ﷺ باكياً وبكى وأبكى من حوله وارتفعت أصواتهم بالضجيج ثم قام وهو يقول اللهم إني أشكو إليك ما يلقى أهل بيتي بعدي.

(وأخبر أيضاً أمير المؤمنين عليه السلام) بشهادته كما في اللهوف عبد الله بن يحيى قال رحلنا مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين فلما حاذى نينوى نادى صبراً أبا عبد الله فسئل عن ذلك فقال عليه السلام دخلت على رسول الله ﷺ يوماً فرأيته وعيناه تفيضان فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لعينيك تفيضان أأغضبك أحد؟ قال لا بل كان عندي جبرائيل فأخبرني أن الحسين يقتل بشاطىء الفرات وقال لي هل لك أن أشمك من تربته قلت نعم فمد يده وأخذ قبضته من تراب فأعطانيها فلما نظرت إلى التربة لم أملك عيني أن فاضتا وسألت عن اسم الأرض قال كربلاء فلما أتت على الحسين سنتان خرج النبي ﷺ إلى سفر له فبينما يسير إذ وقف في طريقه وقال إنا لله وإنا إليه راجعون ودمعت عيناه فسأل عن ذلك فقال هذا جبرائيل يخبرني عن أرض بشط الفرات يقال لها كربلاء وفي نسخة عن هذه الأرض يقتل فيها ولدي الحسين وكأني أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه بها وكأني أنظر إلى

السبايا على أقتاب المطايا وقد أهدي رأس ولدي الحسين إلى يزيد فوالله ما ينظر أحد إلى رأس الحسين ويفرح إلا وخالف الله بين قلبه ولسانه وعذبه الله عذاباً أليماً لعن الله ابن مرجانة إذ كان ينظر إلى رأس الحسين ويظهر الفرح والسرور ويتبسم ويقول يا حسين لقد كنت حسن المضحك (الخ) ثم رجع النبيﷺ من سفره مغموماً مهموماً كئيباً حزيناً فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسينعليهما السلام وخطب الناس ووعظهم فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين وقال اللهم إن محمداً عبدك ورسولك وهذان أطائب عترتي وخيار أرومتي وأفضل ذريتي ومن أخلفهما في أمتي وقد أخبرني جبرائيل أن ولدي هذا مقتول بالسم والآخر شهيد مضرج بالدم اللهم فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله وأصله حر نارك واحشره في أسفل درك الجحيم قال فضج الناس بالبكاء والعويل فقال لهم النبيﷺ أيها الناس أتبكونه ولا تنصرونه اللهم فكن أنت له ولياً وناصراً ثم قال أيها الناس (يا قوم خ ل) إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وأرومتي ومزاج مائي وثمرة فؤادي ومهجتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ألا وإني لا أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم عنه أسألكم عن المودة في القربى فاحذروا أن تلقوني غداً على الحوض وقد آذيتم عترتي وقتلتم أهل بيتي وظلمتموهم سود الله وجوه قوم بلغتهم وصية رسول اللهﷺ في العترة وصنعوا بالعترة ما صنعوا من القتل والنهب والضرب والشتم والصلب وبلغوا من ذلك حتى قال زين العابدين في خطبته بالمدينة والله لو أن رسول اللهﷺ تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا (الخ) ثم قالﷺ ألا أنه سترد علي في يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة الأولى راية سوداء مظلمة قد فزعت منها الملائكة فتقف عليّ فأقول لهم من أنتم فينسون ذكري ويقولون نحن أهل التوحيد من العرب فأقول لهم أنا أحمد نبي العرب والعجم فيقولون نحن من أمتك فأقول كيف خلفتموني من بعدي في أهل بيتي وعترتي وكتاب ربي فيقولون أما الكتاب فضيعناه وأما العترة فحرصنا أن نبيدهم عن جديد

الأرض فلما أسمع ذلك منهم أعرض عنهم بوجهي فيصدرون عطاشاً مسودة وجوههم ثم ترد عليّ راية أخرى أشد سواداً من الأولى فأقول لهم كيف خلفتموني من بعدي في الثقلين كتاب الله وعترتي فيقولون أما الأكبر فخالفناه وأما الأصغر فمزقناه كل ممزق فأقول إليكم عني فيصدرون عطاشاً مسودة وجوههم ثم ترد عليّ راية تلمع وجوههم نوراً فأقول لهم من أنتم فيقولون نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى من أمة محمد المصطفى ونحن بقية أهل الحق حملنا كتاب الله وحللنا حلاله وحرمنا حرامه وأحببنا ذرية نبينا محمدﷺ ونصرناهم من كل ما نصرنا به أنفسنا وقاتلنا معهم من ناوأهم فأقول لهم أبشروا فأنا نبيكم محمدﷺ ولقد كنتم في الدنيا كما قلتم ثم اسقيهم من حوضي فيصدرون مروين مستبشرين ثم يدخلون الجنة خالدين فيها أبد الآبدين (وممن) أخبر بشهادة الحسينعليه السلام مولانا أبو محمد الحسن الزكيعليه السلام كما في مثير الأحزان روي أن الحسينعليه السلام دخل على أخيه الحسنعليه السلام فلما نظر إليه بكى فقال ما يبكيك يا أبا عبد الله فقال أبكي لما يصنع بك فقال له الحسنعليه السلام إن الذي يؤتى إلي سم فأقتل به ولكن لا يوم كيومك يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك فعندها تمطر السماء دماً ويبكي عليك كل شيء حتى الوحش في الفلوات والحيتان في البحار ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

في فضل الشهداء معهعليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ ولا يخفى أن أفضل أهل الجنان هم الشهداء لأنهم بذلوا مهجهم في سبيل الله وهي أعز الأشياء فجزاؤهم من الله خير الجزاء وقال رسول اللهﷺ فوق كل بر بر حتى يقتل في سبيل الله فليس فوقه بر وما من قطرة أحب إلى الله عز

وجل من قطرة دم في سبيل الله وللشهيد سبع خصال وسبع كرامات من الله أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب والثانية يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه وتقولان له مرحباً بك وهو يقول مثل ذلك لهما والثالثة يكسى من كسوة الجنة والرابعة تبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه معه والخامسة يرى منزله في الجنة والسادسة يقال لروحه اسرح في الجنة حيث شئت والسابعة أن ينظر في الله تعالى وأنه لراحة لكل نبي وشهيد وقالﷺ الشهداء على نمارق النور بباب الجنة في قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية وهو قوله عز وجل ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ وما من أحد يفارق الدنيا يحب أن يرجع إلى الدنيا ساعة من النهار وإن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا فيقاتل في سبيل الله تعالى فيقتل مرة أخرى ثم اعلم أن أفضل الشهداء مقاماً وأعلاهم مكاناً أصحاب الحسينعليه السلام كما قال رسول اللهﷺ حين أخبر بشهادته وأما الحسين فتنصره عصابة من المسلمين أولئك من سادات شهداء أمتي يوم القيامة، وفي خبر آخر في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل وفي خبر هيثم اعلمي يا جبلة أن الحسين سيد الشهداء يوم القيامة ولأصحابه على سائر الشهداء فضلاً ودرجة، وخبر آخر عن أمير المؤمنينعليه السلام قال وخير الخلق وسيدهم بعد الحسن أخوه ابني الحسين المظلوم بعد أخيه المقتول في أرض كربلاء وهي أرض كرب وبلاء ألا وإن أصحابه من سادات الشهداء يوم القيامة وفي خبر ورد عليعليه السلام بكربلاء قال هنا والله مناخ ركاب ومصارع عشاق ومدفن شهداء لا يسبقهم بالفضل من كان قبلهم ولا يلحقهم من كان بعدهم ولأنهم أفضل الشهداء خصهم الله بكرامات من بين جميع الشهداء منها ما قال الحسينعليه السلام لأصحابه أن رسول اللهﷺ قال لي يا بني إنك ستساق إلى العراق وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين وهي أرض تدعى عموراء وأنك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد وتلا رسول اللهﷺ يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم يكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً منها ما

قال الصادق عليه السلام أنهم كشف لهم الغطاء ورأوا منازلهم في الجنة قبل إبرازهم كما في زيارة الناحية أشهد لقد كشف الله لكم الغطاء ومهد لكم الوطاء وأجزل لكم العطاء وكنتم عن الحق غير بطاء وأنتم لنا فرطاء ونحن لكم خلطاء في دار البقاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومن أجل ذلك كان الرجل منهم يقدم على القتال ليبادر إلى منزله وحوره وقصوره من الجنة ومن كراماتهم عند الله ما ورد في خبر أم أيمن فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله قبض أرواحها بيده (الخ) فليراجع هناك منها ما قال كعب الأخبار إن في كتابنا أن رجلاً من ولد محمد صلى الله عليه وآله رسول الله يقتل ومعه أصحابه ولا يجف عرق دواب أصحابه حتى يدخلوا الجنة فيعانقوا حور العين فمر بنا الحسن عليه السلام فقلنا هو هذا قال لا فمر بنا الحسين عليه السلام فقلنا هو هذا قال نعم وقال كعب الأخبار بعد ذكره فتن الدنيا وأعظمها فتنة وأشدها مصيبة لا تنسى إلى أبد الآبدين مصيبة الحسين عليه السلام وهي الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابه المجيد حيث قال ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس فتح الفساد بقتل هابيل ابن آدم وختم بقتل الحسين عليه السلام وأنه يسمى في السماء الحسين المذبوح وفي الأرض أبا عبد الله المقتول (وفي البحار) الفرخ الأزهر المظلوم وأنه يوم قتله تنكسف الشمس بالنهار ومن الليل ينخسف القمر وتدوم الظلمة على الناس ثلاثة أيام وتمطر السماء دماً ورماداً وتدكدك الأرض والجبال وتغطمط البحار ولولا بقية من ذريته وطائفة من شيعته الذين يطلبون بدمه ويأخذون بثأره لصب الله عليهم ناراً من السماء وأحرقت الأرض ومن فيها، انتهى. وأما كراماتهم في الجنة فهي لا تعد ولا تحصى ومن أجل هذه المقامات ما من شهيد إلا ويتمنى ويحب لو أن الحسين بن علي عليه السلام حي ويقتل معه ويدخل الجنة معه ولكنه محال لأن أصحاب الحسين عليه السلام معلوم من قبل ذلك كما قال ابن عباس لما عوتب على تركه الحسين عليه السلام فقال إن أصحاب الحسين عليه السلام لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً نعرفهم بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل شهودهم وقال ابن الحنفية وأن أصحابه لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم يقول الراثي في مدح أصحاب الحسين عليه السلام:

أسود الوغى غاباتهم أجم القنا لهم في متون الصافنات مقيل

ليوث لهم بيض الصفاح مخالب غيوث لهم ضب الدماء مسيل

فيا طوبى لهم ثم يا طوبى لهم. وفي شرح السيد الجليل السيد نعمة الله الجزائري على تهذيب شيخنا الطوسي قدس سرهما في شرح المكاسب قال الصادق عليه السلام إني أعد نفسي مع من قتل في الطف وذلك لقوة عزمه على طلب الشهادة لو كان حاضراً في تلك الواقعة وأنت أيها السامع إذا أحببت أن تشاركهم في مقامهم وما أعد لهم من الكرامات والأجر والثواب فقل متى ذكرتهم يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً كما في خبر ريان بن شبيب كما أنه إذا أحببت أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي صلى الله عليه وآله فالعن قتلة الحسين عليه السلام وكيف لا تلعن من لعنه أهل السموات والأرضين قال «في البحار» أول من لعن قاتل الحسين إبراهيم الخليل وأمر ولده بذلك وأخذ عليهم العهد والميثاق ثم لعنه موسى بن عمران وأمر أمته بذلك ثم لعنه داود وأمر بني إسرائيل بذلك ثم لعنه عيسى وقال يا بني إسرائيل العنوا قاتل الحسين عليه السلام وإن أدركتم أيامه فلا تجلسوا عنه فإن الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء مقبل غير مدبر وكأني أنظر إلى بقعته وما من نبي إلا وقد زار كربلاء ووقف عليها وقال إنك لبقعة كثيرة الخير فيك يدفن القمر الأزهر وفي خبر لعن قاتل الحسين عليه السلام جميع أهل السموات والأرضين من الجن والإنس والوحش والطير ومن الطيور التي تلعن قاتل الحسين عليه السلام الحمام الراعبية قال جعفر بن محمد عليه السلام لبعض أصحابه اتخذوا الحمام الراعبية في منازلكم فإنها تلعن قتلة الحسين عليه السلام وقال عليه السلام لبعض أصحابه اتخذوا الحمام الراعبية في منازلكم فإنها تلعن قتلة الحسين عليه السلام (في البحار) عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قاتل الحسين بن علي عليهما السلام في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا وقد شدت يداه ورجلاه بسلاسل من نار منكس في النار حتى يقع في قعر جهنم وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدة نتنه وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم مع جميع من شايع على قتله كلما نضجت جلودهم بدل الله عز وجل عليهم الجلود حتى يذوقوا العذاب الأليم لا يفتر عنهم ساعة ويسقون من حميم جهنم

فالويل لهم من عذاب النار وفيه أيضاً أن موسى بن عمران سأل ربه عز وجل وقال يا رب أن أخي هارون مات فاغفر له فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى لو سألتني في الأولين والآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين بن علي عليه السلام فإني أنتقم له من قاتله وفيه أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن في النار منزلة لم يكن يستحقها أحد من الناس إلا بقتل الحسين بن علي عليه السلام ويحيى بن زكريا عليه السلام وفي خبر موسى عليه السلام سأل ربه وقال يا رب وما لقاتليه من العذاب قال يستغيث منه أهل النار في النار لا تنالهم رحمتي ولا شفاعتي جده ولو لم تكن كرامة له لخسفت بهم الأرض قال موسى برئت إليك اللهم منهم وممن رضى بفعالهم فقال سبحانه يا موسى كتبت رحمة لتابعيه من عبادي واعلم أنه من بكى عليه أو أبكى أو تباكى حرمت جسده على النار (في البحار) لما جمع ابن زياد قومه لحرب الحسين كانوا سبعين ألف فارس فقال ابن زياد أيها الناس من منكم يتولى قتل الحسين وله ولاية الري أو ولاية أي بلد شاء فلم يجبه أحد منهم فاستدعى بعمر بن سعد وقال له يا عمر أريد أن تتولى حرب الحسين بنفسك فقال له أعفني من ذلك فقال ابن زياد قد أعفيتك يا عمر فاردد علينا عهدنا الذي كتبنا إليك بولاية الري فقال عمر أمهلني الليلة فقال له قد أمهلتك فانصرف عمر بن سعد إلى منزله وجعل يستشير قومه وإخوانه ومن يثق به من أصحابه فلم يشر أحد بذلك وكان عند عمر بن سعد رجل من أهل الخير يقال له كامل وكان صديقاً لأبيه سعد من قبل فقال يا عمر ما لي أراك بهيئة وحركة فما الذي أنت عازم عليه وكان كامل كاسمه ذا رأي وعقل ودين كامل فقال له ابن سعد إني قد وليت أمر هذا الجيش في حرب الحسين عليه السلام وإنما قتله عندي وأهل بيته كأكلة أكل أو كشربة ماء وإذا قتلته خرجت إلى ملك الري فقال له كامل أف لك يا عمر بن سعد تريد أن تقتل الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أف لك ولدينك يا عمر أسفهت الحق وضللت الهدى أما تعلم إلى حرب من تخرج ولمن تقاتل إنا لله وإنا إليه راجعون والله لو أعطيت الدنيا وما فيها على قتل رجل واحد من أمة محمد لما فعلت فكيف تريد أن تقتل الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما الذي تقول غداً لرسول

الله ﷺ إذا وردت عليه وقد قتلت ولده وقرة عينه وثمرة فؤاده وابن سيدة نساء العالمين وابن سيد الوصيين وهو سيد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين وأنه في زماننا هذا بمنزلة جده في زمانه وطاعته فرض علينا كطاعته وأنه باب الجنة والنار فاختر لنفسك ما أنت تختار وأني إشهد بالله إن حاربته أو قتلته أو أعنت عليه أو على قتله لا تلبث في الدنيا بعده إلا قليلاً فقال له عمر بن سعد أفبالموت تخوفني وإني إذا فرغت من قتله أكون أميراً على سبعين ألف فارس وأتولى ملك الري فقال له كامل إني أحدثك بحديث صحيح أرجو لك فيه النجاة إن وفقت لقبوله اعلم أني سافرت مع أبيك سعد إلى الشام فانقطعت بي مطيتي عن أصحابي وتهت وعطشت فلاح لي دير راهب فملت إليه ونزلت عن فرسي وأتيت إلى باب الدير لأشرب ماء فأشرف عليّ راهب من ذلك الدير وقال ما تريد فقلت له إني عطشان فقال لي أنت من أمة هذا النبي ﷺ الذين يقتل بعضهم بعضاً على حب الدنيا مكالبة ويتنافسون فيها على حطامها فقلت له أنا من الأمة المرحومة أمة محمد ﷺ فقال إنكم أشر أمة فالويل لكم يوم القيامة وقد عدوتم على عترة نبيكم وتسبون نساءه وتنهبون أمواله فقلت له يا راهب نحن نفعل ذلك قال نعم وإنكم إذا فعلتم ذلك عجبت السموات والأرضون والبحار والجبال والبراري والقفار والوحوش والأطيار باللعنة على قاتله ثم لا يلبث قاتله في الدنيا إلا يسيراً ثم يظهر رجل يطلب بثأره فلا يدع أحداً شرك في دمه إلا قتله وعجّل الله بروحه إلى النار ثم قال الراهب إني لأرى لك قرابة من قاتل هذا الابن الطيب والله إني لو أدركت أيامه لوقيته بنفسي من حر السيوف فقلت يا راهب إني أعيذ نفسي أن أكون ممن يقاتل ابن بنت رسول الله ﷺ فقال إن لم تكن أنت فرجل قريب منك وأن قاتله عليه نصف عذاب أهل النار وأن عذابه أشد من عذاب فرعون وهامان ثم رد الباب في وجهي ودخل يعبد الله تعالى وأبى أن يسقيني قال كامل فركبت فرسي ولحقت بأصحابي فقال لي أبوك سعد ما أبطأك عنا يا كامل فحدثته بما سمعته من الراهب فقال لي صدقت ثم إن سعداً أخبرني أنه نزل بدير هذا الراهب مرة من قبلي فأخبره أنه هو الرجل الذي يقتل ابن بنت رسول

الله ﷺ فخاف أبوك سعد من ذلك وخشي أن تكون أنت قاتله فأبعدك عنه وأقصاك فاحذر يا عمر أن تخرج عليه فيكون عليك نصف عذاب أهل النار قال فبلغ الخبر ابن زياد فاستدعى بكامل وقطع لسانه فعاش يوماً أو بعض يوم ومات رحمه الله وما ارتدع وما امتنع عمر بما سمع عما عزم عليه حتى خرج إلى حرب الحسين عليه السلام إلى آخره.

في خروجه عليه السلام من المدينة ووداعه عليه السلام مع جده ومع الهاشميين والهاشميات.

خرج الحسين من المدينة خائفاً كخروج موسى خائفاً يتكتم

فلما علم الحسين عليه السلام ما أشار به يزيد في قتله إن لم يبايع عزم على الخروج من المدينة (قال في البحار) فلما كان الليل أقبل إلى قبر رسول الله ﷺ وقف باكياً وقال السلام عليك يا رسول الله أنا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك وسبطك الذي خلفتني في أمتك فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني ولم يحفظوني وهذه شكواي إليك حتى ألقاك (قال أبو مخنف) وقف باكياً وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني خارج من جوارك كرهاً وفرقوا بيني وبينك حيث إني لم أبايع ليزيد شارب الخمور وراكب الفجور وفاعل الشرور فإن أنا فعلت كفرت وإن أبيت قتلت وها أنا خارج من جوارك على إكراه مني فعليك السلام يا سيدي ورجع إلى منزله حتى الصبح فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً وصلى ركعات فلما فرغ من صلاته جعل يقول اللهم هذا قبر نبيك محمد ﷺ وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت اللهم إني أحب المعروف وأنكر المنكر وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى فإذا هو برسول الله ﷺ قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين يديه حتى ضم الحسين إلى صدره وقبل بين عينيه وقال حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك مذبوحاً بأرض كرب وبلاء بين عصابة

من أمتي وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي يوم القيامة لا أنالهم الله شفاعتي حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قدموا عليّ وهم مشتاقون إليك وإن لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة فجعل الحسين عليه السلام في منامه ينظر إلى جده ويقول يا جداه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا فخذني إليك وأدخلني معك في قبرك يقول الشاعر الدمستاني:

ضمني عندك يا جداه في هذا الضريح ... علني يا جد من بلوى زماني أستريح
ضاق بي باجد من رحب الفضا كل فسيح ... فعسى طود الأسى يندك بين الدكتين
جد صفو العيش من بعدك بالاكدار شيب ... وأشاب الهم رأسي قبل إبان المشيب
فعلا من داخل القبر بكاء ونحيب ... ونداء بافتجاع يا حبيبي يا حسين
أنت يا ريحانة القلب حقيق بالبلا ... إنما الدنيا أعدت لبلاء النبلا
لكن الماضي قليل بالذي قد أقبلا ... فاتخذ درعين من حزم وعزم سابغين
ستذوق الموت ظلماً ظامياً في كربلا ... وستبقى في ثراها ثاوياً منجدلا
وكأني بلئيم الأصل شمر قد علا ... صدرك الطاهر بالسيف يحز الودجين
وكأني بالأيامى من بناتي تستغيث ... لغباً تستعطف القوم وقد عز المغيث
قد بري أجسامهن الضرب والسير الحثيث ... بينها السجاد في الأصفاد مغلول اليدين

فقال له رسول الله لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم فإنك وأباك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة فانتبه الحسين عليه السلام من نومه فزعاً مرعوباً ورجع إلى منزله وجمع أهل بيته فقص عليهم رؤياه فلم يكن في ذلك اليوم في مشرق ولا مغرب قوم أشد غماً من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أكثر باك ولا باكية منهم وأنا لا أعلم أن هذا اليوم أمر على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وبنات الزهراء حين سمعوا من الحسين عليه السلام خبر شهادته أم يوم عاشوراء حين سمعوا صهيل الجواد وهو يصهل يقول في صهيله الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها برزن من الخدور ناشرات الشعور على الخدود «الخ» وتهيأ الحسين عليه السلام للخروج من المدينة ومضى في جوف الليل إلى قبر أمه فودعها.

وفي (مهيج الأحزان) وقف وقال السلام عليك يا أماه حسينك جاء لوداعك وهذه آخر زيارته إياك فإذا النداء من القبر وعليك السلام يا مظلوم الأم ويا شهيد الأم ويا غريب الأم فاستعبر باكياً حتى لا يطيق على الكلام وكانت فاطمة عليها السلام تعلم غربة ولدها ولكن ما رأت بعينها حتى كانت ليلة الحادي عشر أو ليلة الثاني عشر من المحرم فرأت بعينها وهو في غاية الغربة لأنه طريح جريح بلا غسل ولا كفن وقد قطع الشمر رأسه الشريف والجمال يديه (الخ) ثم مضى إلى قبر أخيه الحسين عليه السلام ففعل مثل ذلك ورجع إلى منزله وقت الصبح فأقبل إليه أخوه محمد ابن الحنفية وقال أخي أنت أحب الخلق إليّ وأعزهم عليّ ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق إلا لك وليس أحد أحق بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري وكبير أهل بيتي ومن وجبت طاعته في عنقي لأن الله قد شرفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنة يا أخي تنح ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ثم ابعث رسلك إلى الناس ثم ادعهم إلى نفسك فإن بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك وإن اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب مروتك ولا فضلك إني أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنة غرضاً فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً فقال له الحسين عليه السلام فأين أذهب يا أخي قال انزل مكة فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن فإنهم أنصارك وأنصار جدك وأبيك وأنهم أرأف الناس وأرقهم قلوباً وأوسع الناس بلاداً فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال وجزت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين فقال الحسين عليه السلام يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية فقطع محمد بن الحنفية الكلام وبكى وبكى الحسين عليه السلام معه ساعة ثم قال يا أخي جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشرت بالصواب وأنا عازم على الخروج إلى مكة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي

وشيعتي وأمرهم أمري ورأيهم رأيي وأما أنت يا أخي فلا بأس عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم ولا تخفي عني شيئاً من أمورهم ثم دعا الحسين عليه السلام بدواة وبياض وكتب هذه الوصية لأخيه محمد بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق وأن الجنة والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي وشيعة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين وهذه وصيتي لك يا أخي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه ودفعه إلى أخيه محمد ثم ودعه وخرج في جوف الليل في غاية الخوف كخروج موسى خائفاً يترقب ولذا كان يتلو عليه السلام (فخرج منها خائفاً يترقب وقال رب نجني من القوم الظالمين)، ولم يرجع إلى المدينة بل قتل هو ومن معه إلا ولده السجاد رجع مع عماته وعيالات أبيه الخ.

(في البحار) عن كامل الزيارة لما هم الحسين عليه السلام بالشخوص من المدينة أقبلت نساء بني عبد المطلب فاجتمعن للنياحة حتى مشى فيهن الحسين عليه السلام فقال أنشدكن الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله قالت له نساء بني عبد المطلب فلمن نستبقي هذه النياحة والبكاء فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة عليهما السلام ورقية وزينب وأم كلثوم فننشدك الله جعلنا الله فداك من الموت فيا حبيب الأبرار من أهل القبور ثم إن نساء بني هاشم أقبلن إلى أم هاني عمة الحسين عليه السلام وقلن لها يا أم هاني أنت جالسة والحسين عليه السلام مع عياله عازم على الخروج فأقبلت أم هاني فلما رآها الحسين عليه السلام قال أما هذه عمتي أم هاني قيل نعم فقال يا عمة ما الذي جاء بك وأنت على هذه الحال فقالت وكيف لا آتي وقد بلغني أن كفيل الأرامل ذاهب عني ثم إنها انتحبت باكية وتمثلت بأبيات أبيها أبي طالب عليه السلام:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

ثم قالت سيدي وأنا متطيرة عليك من هذا المسير لهاتف سمعت البارحة يقول:

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت
حبيب رسول الله لم يك فاحشاً أبانت مصيبته الأنوف وحلت

فقال لها الحسين عليه السلام يا عمة لا تقولي من قريش ولكن قولي «أذل رقاب المسلمين فذلت» ثم قال يا عمة كل الذي مقدر فهو كائن لا محالة وقال عليه السلام:

وما هم بقوم يغلبون ابن غالب ولكن بعلم الغيب قد قدر الأمر

فخرجت أم هاني من عنده باكية وهي تقول:

وما أم هاني وحدها ساء حالها خروج حسين عن مدينة جده
ولكنما القبر الشريف ومن به ومنبره يبكون من أجل فقده

قال الراوي ولما ورد نعي الحسين المدينة فلم أسمع والله واعية مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على الحسين وخرجت أسماء وفي رواية أم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب في جماعة من نساء بني هاشم وهي حاسرة تلوي بثوبها حتى انتهت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلى المهاجرين والأنصار وهي تقول «ماذا تقولون» الأبيات مضت «وفي العوالم» أنه عليه السلام لما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة فقالت يا بني لا تحزنّي بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك صلى الله عليه وآله يقول يقتل ولدي الحسين عليه السلام بأرض العراق في أرض يقال لها كربلا فقال لها يا أماه وأنا والله أعلم ذلك وإني مقتول لا محالة وليس لي من هذا بد وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه وأعرف من يقتلني وأعرف البقعة التي أدفن فيها وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي وإن أردت يا أماه أريك حفرتي ومضجعي ثم أشار إلى جهة كربلا فانخفضت الأرض

حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده وعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديداً وسلمت أمرها إلى الله تعالى فقال لها يا أماه قد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً فقالت أم سلمة عندي تربة دفعها إليّ جدك فجعلتها في قارورة فمدعليه السلام يده إلى جهة كربلا فأخذ تربة فجعلها في قارورة فأعطاها إياها وقال اجعليها مع قارورة جدي فإذا فاضتا دماً فاعلمي يا أماه أني قد قتلت فودعها ومضىعليه السلام قالت أم سلمة أنا في كل يوم كنت أتجسس القارورتين إلى يوم العاشر من المحرم فرأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله في منامي مقبلاً وعلى رأسه ولحيته تراب كثير فجعلت أنفضه بكمي وأقول نفسي لنفسك الفداء متى أهملت نفسك هكذا يا رسول الله من أين لك هذا التراب قال هذه الساعة فرغت من دفن ولدي الحسين أو قالصلى الله عليه وآله ولا زلت الليلة أحفر القبور للحسين وآل الحسينعليهم السلام فانتبهت مرعوبة لم أملك على نفسي فدخلت البيت الذي فيه القارورتان فنظرت فإذا بتربة الحسينعليه السلام صارت دماً عبيطاً فصحت واحسيناه واولداه وامهجة قلباه حتى علا نحيبي فلطخت به وجهي فأقبلت إليّ نساء المدينة الهاشميات وغيرهن وقلن ما الخبر فحكيت لهن بالقصة فعلا الصراخ وقام النياح وصار كأنه حين مات رسول اللهصلى الله عليه وآله وسعين إلى قبره بين مشقوقة الجيب ومكشوفة الرأس فصحن يا رسول الله قتل الحسينعليه السلام قالت أم سلمة فوا الذي لا إله إلا هو لقد أحسسنا كأن القبر يموج بصاحبه حتى تحركت الأرض من تحتنا فخشينا أنها تسيخ بنا فانحرفنا بين مشقوقة الجيب ومنشورة الشعر وباكية العين إلى آخره.

روى السيد البحراني في مدينة المعاجز عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال لما عزم الحسين بن عليعليه السلام على الخروج إلى العراق أتيته فقلت له أنت ولد رسول اللهصلى الله عليه وآله وأحد سبطيه لا أرى إلا أنك تصالح كما صالح أخوك الحسنعليه السلام فإنه كان موفقاً رشيداً فقال لي يا جابر قد فعل ذلك أخي بأمر الله تعالى ورسوله وأنا أيضاً أفعل بأمر الله ورسولهصلى الله عليه وآله أتريد أن أستشهد رسول اللهصلى الله عليه وآله وعلياًعليه السلام وأخي الحسنعليه السلام بذلك الآن ثم نظر

إلى السماء فإذا السماء قد انفتح بابها وإذا رسول الله ﷺ وعلي وحمزة وجعفر عليهم السلام وهم نازلون منها حتى استقروا على الأرض فوثبت فزعاً مرعوباً فقال لي رسول الله ﷺ يا جابر ألم أقل لك في أمر الحسن عليه السلام قبل الحسين لا تكون مؤمناً حتى تكون لأئمتك مسلماً ولا تكون معترضاً أتريد أن ترى مقعد معاوية ومقعد الحسين ابني ومقعد يزيد قاتله قلت بلى يا رسول الله فضرب برجله الأرض فانشقت وظهر بحر فانفلق ثم ظهرت أرض فانشقت هكذا حتى انشقت سبع أرضين وانفلقت سبعة أبحر ورأيت من تحت ذلك كله النار قد قرن في سلسلة الوليد بن مغيرة وأبو جهل ومعاوية ويزيد وقرن بهم مردة الشياطين فهم أشد أهل النار عذاباً ثم قال ارفع رأسك فرفعت فإذا أبواب السماء مفتحة وإذا الجنة بأعلاها ثم صعد رسول الله ﷺ ومن معه إلى السماء وصعدوا جميعاً فلما صار ﷺ في الهواء صاح بالحسين يا بني الحق بي فلحق به الحسين عليه السلام وصعدوا حتى رأيتهم دخلوا الجنة من أعلاها ثم نظر رسول الله ﷺ إلى من هناك وقبض على يد الحسين عليه السلام وقال يا جابر هذا ولدي معي هيهنا فسلم له أمره ولا تشك فتكن مؤمناً قال جابر فعميت عيناي إن لم أكن رأيت ما قلت من رسول الله ﷺ. قال المرحوم الدربندي في الأسرار حدثني بعض الثقات من تلامذتي من العرب قال قد ظفرت بهذه الرواية في مجموعة كانت تنسب إلى الفاضل الأديب المقري فنقلتها عنه وهي أن روى عبد الله بن سنان الكوفي عن أبيه عن جده أنه قال خرجت بكتاب من أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام وهو يومئذ بالمدينة فأتيته فقرأه فعرف معناه فقال انظرني إلى ثلاثة أيام فبقيت في المدينة ثم تبعته إلى أن صار عزمه بالتوجه إلى العراق فقلت في نفسي أمضي وأنظر إلى ملك الحجاز كيف يركب وكيف جلالته وشأنه فأتيت إلى باب داره فرأيت الخيل مسرجة والرجال واقفين والحسين عليه السلام جالس على كرسي وبنو هاشم حافون به وهو بينهم كأنه البدر ليلة تمامه وكماله ورأيت نحواً من أربعين محملاً وقد زينت المحامل بملابس الحرير والديباج قال فعند ذلك أمر الحسين عليه السلام بني هاشم بأن يركبوا محارمهن على المحامل فبينما أنا أنظر وإذا بشاب قد خرج من دار الحسين عليه السلام وهو طويل القامة

وعلى خده علامة ووجهه كالقمر الطالع وهو يقول تنحوا يا بني هاشم وإذا بامرأتين قد خرجتا من الدار وهما تجران أذيالهما على الأرض حياء من الناس وقد حفت بهما إماؤهما فتقدم ذلك الشاب إلى محمل من المحامل وجثا على ركبتيه وأخذ بعضديهما وأركبهما المحمل فسألت بعض الناس عنهما فقيل أما إحداهما فزينب والأخرى أم كلثوم ابنتا أمير المؤمنين فقلت ومن هذا الشاب فقيل لي هو قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين ثم رأيت بنتين صغيرتين كان الله تعالى لم يخلق مثلهما فجعل واحدة مع زينب والأخرى مع أم كلثوم فسألت عنهما فقيل لي هما سكينة وفاطمة ابنتا الحسين عليه السلام ثم خرج غلام آخر كأنه البدر الطالع ومعه امرأة وقد حفت بها إماؤها فأركبها ذاك الغلام المحمل فسألت عنها وعن الغلام فقيل لي أما الغلام فهو علي الأكبر ابن الحسين عليه السلام والإمرأة أمه ليلى زوجة الحسين عليه السلام ثم خرج غلام ووجهه كفلقة القمر ومعه امرأة فسألت عنها فقيل لي أما الغلام فهو القاسم بن الحسن المجتبى والإمرأة أمه ثم خرج شاب آخر وهو يقول تنحوا عني يا بني هاشم تنحوا عن حرم أبي عبد الله فتنحى عنه بنو هاشم وإذا قد خرجت امرأة من الدار وعليها آثار الملوك وهي تمشي على سكينة ووقار وقد حفت بها إماؤها فسألت عنها فقيل لي أما الشاب فهو زين العابدين ابن الإمام وأما الإمرأة فهي أمه شاه زنان بنت الملك كسرى زوجة الإمام فأتى بها وأركبها على المحمل ثم أركبوا بقية الحرم والأطفال على المحامل فلما تكاملوا نادى الإمام عليه السلام أين أخي أين كبش كتيبتي أين قمر بني هاشم فأجابه العباس لبيك لبيك يا سيدي فقال له الإمام عليه السلام قدم لي يا أخي جوادي فأتى العباس بالجواد إليه وقد حفت به بنو هاشم فأخذ العباس بركاب الفرس حتى ركب الإمام ثم ركب بنو هاشم وركب العباس وحمل الراية إمام الإمام قال فصاح أهل المدينة صيحة واحدة وعلت أصوات بني هاشم بالبكاء والنحيب وقالوا الوداع الوداع الفراق الفراق فقال العباس هذا والله يوم الفراق والملتقى يوم القيامة ثم صاروا قاصدين كربلا مع عياله وجميع أولاده ذكوراً وإناثاً إلا ابنته فاطمة الصغرى فإنها كانت مريضة قال الدربندي في الأسرار وكان للحسين عليه السلام

بنت تسمى بفاطمة وكانت حين خروجه من المدينة مريضة فجعلها عند أم سلمة وكانت كل يوم تجيء خلف الباب علها تجد من كان له اطلاع بحال والدها ولما طال زمان الفراق ولم يصل الخبر من والدها اشتغلت بالبكاء وتراكمت عليها الأحزان وكتبت كتاباً لوالدها وبينت فيه حالها فلما فرغت من كتابتها واشتغلت بالنوح والبكاء لفرقة والدها وغيره وإذا أعرابي سمع بكاءها فتأثر من بكائها فبكى ساعة ثم علم أن الباكية بنت الإمام وبكاؤها لفراقه عليه السلام فنادى بصوت عال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أنا رجل من البادية أريد الرواح إلى كربلا فهل لكم حاجة فلما سمعت فاطمة جاءت خلف الباب وردت جواب سلامه وقالت يا أعرابي أنا بنت الحسين إنه لما عزم إلى كربلا كنت مريضة فسلمني إلى جدتي أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله فالآن لم تبق لي طاقة من هجرانه وكتبت كتاباً وأريد من يوصله إليه فأخذه الأعرابي منها ففي يوم عاشوراء وقت المحاربة بلغ إلى كربلا وسلمه إلى الحسين عليه السلام فلما فتحه واطلع على مضمونه بكى بكاء شديداً ثم جاء عند أهل البيت وقرأه عليهم وبكوا بكاء شديداً ولم يظهر حال الأعرابي أنه كان ملكاً أم بشراً وصار شهيداً أم لا.

في (البحار) خرج الحسين عليه السلام من المدينة على ما هو المشهور ليلة الأحد الثامن والعشرين من رجب ودخل مكة في يوم الجمعة الثالث من شعبان ولما خرج من المدينة خرج خائفاً مرعوباً ومع ذلك لزم الطريق الأعظم فقال له أهل بيته لو تنكبت الطريق الأعظم كما صنع ابن الزبير لئلا يلحقك الطلب فقال عليه السلام لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض ثم قال تخافون أن يدرككم الطلب وأنا أخاف الله أن أنكب الطريق حذراً من الموت في بعض الكتب نقلاً عن الوسائل ثم إن الحسين عليه السلام ركب الجادة فقال له ابن عمه مسلم بن عقيل يا ابن رسول الله لو عدلنا عن الطريق وسلكنا غير الجادة كما فعل عبد الله بن الزبير كان عندي هو الرأي إنا نخاف أن يلحقنا الطلب فقال له الحسين عليه السلام لا والله يابن العم لا أفارقه أو قال لا فارقت هذا الطريق أبداً أو انظر أبيات مكة أو يقضي الله في ذلك ما يحب وأنشأ يقول عليه السلام:

يـا نـكـبـات الـدهـر دولـي واقـصـري إن شـئـت أو أطـيـلـي
رمـيـتـنـي رمـيـة لا مـقـيـل بـكـل خـطـب فـادح جـلـيـل
أول مـا رزيـت بـالـرسـول وبـعـد بـالـطـاهـرة الـبـتـول
والـوالـد الـبـر بـنـا الـوصـول وبـالـشـقـيـق الـحـسـن الـنـبـيـل
والـبـيـت ذي الـتـأويـل والـتـنـزيـل مـالـك عـنـي الـيـوم مـن عـدول
وحـسـبـي الـرحـمـن مـن مـنـيـل

قالت سكينة حين خرجنا من المدينة وما أهل بيت أشد غماً ولا خوفاً من أهل بيت رسول الله ﷺ سبحان الله خرجن بنات رسول الله من المدينة خائفات ومعهن حماتهن ورجالهن ليت شعري فما حالهن يوم سيّروهن من كربلا إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام وليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي وكأني بزينب الكبرى تنادي بلسان الحال:

لا والـد لـي ولا عـم ألـوذ بـه ولا أخ لـي بـقـى أرجـوه ذو رحـم
أخي ذبيح ورحلي قد أبيح وبي ضاق الفسيح وأطفالي بغير حمى

ولما خرج عليه السلام من المدينة إلى مكة لقيه عبد الله بن مطيع العدوى فقال له جعلت فداك أين تريد قال عليه السلام أما الآن فمكة وأما بعد فإني أستخير الله قال خار الله لك وجعلنا فداك فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة فإنها بلدة مشومة بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت نفسه فيها الزم الحرم فإنك سيد العرب لا يعدل بك أهل الحجاز أحداً فيتداعى إليك الناس من كل جانب لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي فوالله لأن هلكت لنسترقن بعدك ولما دخل مكة دخلها وهو يقرأ (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) ثم نزل بها وأقبل أهلها يختلفون إليه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة فهو قائم يصلي عندها ويطوف ويأتي الحسين عليه السلام فيمن يأتيه بين كل يومين مرة وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير قد غمه مكانه بمكة قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين بالبلد وأن الحسين عليه السلام أطوع في

الناس منه وأجل وما كانوا يعدلونه بالحسين عليه السلام فلم يكن شيء يؤتاه أحب إليه من شخوص الحسين عن مكة ولذا إن الحسين عليه السلام لما عزم على الخروج من مكة إلى العراق فرح ابن الزبير وسر بذلك سروراً عظيماً وأقبل إلى الحسين عليه السلام وسأله عما أراد فقال عليه السلام قد عزمت على إتيان الكوفة فقال وفقك الله أما لو أن لي مثل أنصارك ما عدلت عنها ثم خاف أن يتهمه فقال ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز إلى بيعتك أجبناك فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك وكنا إليك سراعاً وكنت أحق بذلك من يزيد وأبي يزيد ثم قال قد حضر الحج فتدعه وتأتي العراق فقال عليه السلام يابن الزبير لأن أدفن بشاطىء الفرات أحب إليّ من أن أدفن بفناء الكعبة إن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش فخرج من عنده فمر عبد الله بن عباس بابن الزبير فقال له قرت عينك يابن الزبير هذا الحسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز.

في وقائع مدة إقامته بمكة المشرفة وكتب أهل الكوفة وإرسال الكتب إليه وخروج مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة وشهادته وشهادة هاني بن عروة وخروجه عليه السلام من مكة ومكالماته مع أخيه محمد بن الحنفية (ره) وابن عباس وابن عمر.

في (الإرشاد) وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية بن أبي سفيان فأرجفوا بيزيد وعرفوا خبر الحسين عليه السلام وامتناعه من بيعته وما كان من أمر ابن الزبير في ذلك وخروجهما إلى مكة فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صرد الخراعي فذكروا هلاك معاوية فحمدوا الله وأثنوا عليه فقال سليمان أن معاوية قد هلك وأن حسيناً قد نقض على القوم بيعته وخرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغروا الرجل في نفسه قالوا لا بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه قال فاكتبوا إليه فكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم إلى الحسين بن علي عليه السلام من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام عليك فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو (أما بعد)

فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة وابتزها أمرها وغصبها فيأها وتأمر عليها بغير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبعداً له كما بعدت ثمود ثم إنه ليس علينا إمام فأقبل علينا لعل الله أن يجمعنا بك على الحق وأن النعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا جماعة ولا نخرج معه إلى عيد ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله ثم سرحوا بالكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني وعبد الله بن وال وأمروهما بالنجا فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين بمكة لعشر مضين من شهر رمضان ثم لبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب وأنفذ وأقيس بن مصهر الصيداوي وعبد الله بن شداد وعمارة بن عبد الله السلولي إلى الحسين ومعهم نحو من مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة ثم لبثوا يومين آخرين وسرحوا إليه هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكتبوا إليه بسم الله الرحمن الرحيم إلى الحسين بن علي من شيعته أما بعد فحى هلا فإن الناس ينتظرونك لا رأي لهم في غيرك فالعَجَل العَجَل ثم العَجَل العَجَل ثم كتب شبث بن ربعي وحجار بن أبحر (أبجر خ ل) ويزيد ابن الحارث وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمر والتميمي أما بعد فقد اخضر الجناب وأينعت الثمار واعشوشبت الأرض وأورقت الأشجار فإذا شئت فاقبل علينا فإنما تقدم على جند لك مجندة والسلام وتلاقت الرسل كلها عنده وهو لا يجيبهم فورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده منها في نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب وحمل معه من تلك الكتب خرجين مملوءين لأن يريهم إذا سألوه عن قدومه كما أراهم حين ما لاقى الحز قريباً من القادسية ووقف روحي له الفدا يوم عاشوراء وخطب فيهم ثم نادى يا قوم ألم تكتبوا إلي في القدوم إليكم يا شبث بن ربعي ويا حجار بن أبحر (ابجر خ ل) ويا قيس بن الأشعث ويا يزيد بن الحارث ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار واخضر الجناب وإنما تقدم على جند لك مجندة فأقبل روي في (نفس المهموم) فقالوا له لم نفعل

فقال سبحان الله بلى والله لقد فعلتم ثم قال أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمني من الأرض فقال له القيس بن الأشعث ما ندري ما تقول ولكن انزل على حكم ابني عمك فإنهم لن يروك إلا ما تحب إلى آخر المطلب ولقد أحسن وأجاد القائل:

قد بايعوا السبط طوعاً منهم ورضى ... وسيروا صحفاً بالنصر تبتدر
أقدم فإنا جميعاً شيعة تبع ... وكلنا ناصر والكل منتظر
اقبل وعجل قد اخضر الجناب وقد ... زهت بنضرتها الأزهار والثمر
أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... خلد الجنان إذا النيران تستعر
لا رأي للناس إلا فيك فأت ولا ... تخش اختلافاً ففيك الأمر منحصر
واثموه إذا لم يأتهم فأتى ... قوماً لبيعتهم بالنكث قد خفروا
فعاد نصرهم خذلاً وخذلهم ... قتلاً له بسيوف للعدى ادخروا
يا ويلهم من رسول الله كم ذبحوا ... ولداً له وكريمات له أسروا

في (التبر المذاب) كثرت عليه الكتب وتواترت عليه الرسل وكتبوا إليه أنك إن لم تصل إلينا فأنت إثم لوجود الأنصار على الحق وتمكنك من القيام فإنك أصله وعموده وأهله ومعدنه وفي (القمقام) إنا قد حبسنا أنفسنا عليك ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة فأقدم علينا فنحن في مائة ألف فقد فشا فينا الجور وعمل فينا بغير كتاب الله وسنة نبيه ونرجو أن يجمعنا الله بك على الحق وينفي عنا بك الظلم فأنت أحق بهذا الأمر من يزيد وأبيه الذي غصب الأمة فيئها وشرب الخمور ولعب بالقردة والطنابير وتلاعب بالدين قال سيد بن طاووس فعندها قام الحسين عليه السلام فصلى ركعتين بين الركن والمقام وسأل الله الخيرة في ذلك ثم طلب مسلم بن عقيل وأطلعه على الحال وأمره بالمسير وكتب معه جواب كتبهم بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين أما بعد فإن هانياً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم وكانا آخر من قدم علي من رسلكم وقد فهمت الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالة جلكم أنه ليس علينا إمام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق وأنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي

والمفضل عندي من أهل بيتي مسلم بن عقيل فإن كتب إلي بأنه قد اجتمع رأي ملأكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في صحفكم فإني أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذات الله والسلام ودعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك وسرحه مع قيس بن مصهر الصيداوي وجماعة من أهل الكوفة في الناسخ أن مسلماً ودع الحسين عليه السلام وقبل يديه ورجليه وبكى وقال جعلت فداك أرى هذا آخر اللقاء والملتقى يوم القيامة فبكى الحسين عليه السلام وضمه إلى صدره وتعطف عليه وخرج مسلم عليه السلام وهو يبكي في طريقه فسئل ما هذا البكاء فقال لحرقة قلبي لأن الدهر فرق بيني وبين الحسين وأبعد بيني وبينه فخرجوا في النصف من شهر رمضان ودخلوا الكوفة في الخامس من شوال وبايعه من الكوفة على رواية ثلاثون ألفاً وكتب إلى الحسين عليه السلام أن لك ههنا مائة ألف سيف فعجل ولا تتأخر وذلك قبل أن يقتل مسلم بن عقيل عليه السلام بسبعة وعشرين يوماً قال أبو مخنف ثم انقطع خبر مسلم عن الحسين عليه السلام فقلق لذلك قلقاً شديداً وجمع أهل بيته ومواليه وأعلمهم بما أوجس في قلبه وأمرهم بالرحيل إلى المدينة فشدوا الجمال وخرجوا بين يديه سائرين إلى المدينة ثم إنه أتى قبر جده رسول الله وأعتقه وبكى بكاء شديداً فحملته عينه فغفا ونام ورأى في منامه رسول الله وهو يقول يا ولدي الوحا الوحا العجل العجل فقد قدمت أمك وأبوك وأخوك الحسن وجدتك خديجة الكبرى وكلهم مشتاقون إليك فبادر إلينا فانتبه الحسين عليه السلام باكياً حزيناً شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وجاء إلى أخيه محمد بن الحنفية وهو عليل فحدثه بما رأى وبكى فقال له يا أخي ماذا تريد أن تصنع قال عليه السلام أريد الرحيل إلى العراق فإني على قلق من أجل ابن عمي مسلم بن عقيل فقال له محمد الحنفية سألتك بحق جدك محمد صلى الله عليه وآله أن لا تفارق حرم جدك رسول الله صلى الله عليه وآله فإن لك فيه أعواناً كثيرة فقال الحسين عليه السلام لا بد من العراق فقال محمد بن الحنفية إني والله ليحزنني فراقك وما أقعدني عن المسير معك إلا لأجل ما أجده

من المرض الشديد فوالله يا أخي ما أقدر أن أقبض على قائم سيف ولا كعب رمح فوالله لا فرحت بعدك أبداً ثم بكى شديداً حتى غشي عليه فلما أفاق من غشيته قال يا أخي أستودعك الله من شهيد مظلوم وودعه الحسين عليه السلام وسار من المدينة.

في شؤونات مسلم ومقاماته

عين جودي لمسلم بن عقيل ... لرسول الحسين سبط الرسول
لشهيد بين الأعادي وحيد ... وقتيل لنصر خير قتيل
أبك من قد بكاه أحمد شجواً ... قبل ميلاده بعهد طويل
وبكاه الحسين والآل لما ... جاءهم نعيه بدمع هموم
تركوه لدى الهياج وحيداً ... لعدو مطالب بذحول
ثم ساقوه بينهم يتهادى ... للّعين الرذيل وابن الرذيل
طاوياً ظامياً جريحاً عليلاً ... طالباً منهم رواء الغليل

قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله إنك لتحب عقيلاً قال إي والله إني لأحبه حبين حباً له وحباً لحب أبي طالب له وأن ولده لمقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره وقال إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي وفي (القمقام) قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعقيل إني أحبك حبين حباً لقرابتك وحباً لما كنت أعلم من حب عمى إياك.

[في الأسرار] ولا يخفى أن لمسلم عليه السلام مقامات كريمة ومناقب سنية لا يسعها الطوامير والطروس وكيف لا والعرق صحيح والمنشأ كريم والشأن عظيم والعمل جسيم والعلم كثير واللسان خطيب والصدر رحيب فأخلاقه وفق أعراقه وحديثه يشهد لقديمه فهو من دوحة امتد عرقها وبسق فرعها وطاب عودها واعتدل عمودها كيف وقد رباه عمه أمير المؤمنين وكبر في حجر سيد الوصيين بأبي وأمي من شجاع هو في غارب السنام من الدرجة القصوى في الشهادة والفوز بالسعادة فهنيئاً له هذا الشرف والسيادة فقول

الإمام عليه السلام في شأنه يكشف عن كونه في أعلى ذروة الشرف من المكارم والفواضل والنجدة والفضائل حيث يقول إني باعث إليكم الخ فقول رسول الله صلى الله عليه وآله كقول الحسين عليه السلام في شأن مسلم يفيد أصولاً إيمانية وضوابط إيقانية فمنها أن درجته دون درجة أهل العصمة وفوق درجات غيرهم من أصحاب المقامات الجلية والدرجات العلية ومنها أن البكاء عليه من لوازم الإيمان وخواص الإيقان ومنها أنه قد بكى عليه جميع أهل السموات والملائكة المقربين ومنها أن شأنه من بين شؤون حواري سيد الشهداء كشأن أبي الفضل العباس وعلي الأكبر والقاسم من جهة التأييد والتسديد كما أنه لا يبلغ في شجاعته أحد ممن في زمنه من الذرية الهاشمية إلا أبو الفضل وعلي الأكبر والقاسم بن الحسن (والفضل ما شهدت به الأعداء) وشهد بشجاعته الصديق والعدو وسيأتي في محله ما قيل في شجاعته دخل الكوفة ونزل في دار المختار بن أبي عبيدة وأقبلت الشيعة تختلف إليه فكلما اجتمع عليه منهم جماعة وقرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم خذلهم الله يبكون وبايعه منهم ثمانية عشر ألفاً فكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام ويأمره بالقدوم إلى الكوفة ويخبره ببيعته ثمانية عشر ألفاً ولكنه بعدما عرفهم حق المعرفة ولم يعلم أن أهل الكوفة لا وفاء لهم وهم الذين غدروا أو مكروا بأمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام وفعلوا بهما ما فعلوا حتى انعكس الأمر فما مضى إلا أيام قلائل حتى دخل عبيد الله بن الكوفة وجلس على سرير الإمارة وأمر بإحضار أشراف أهل الكوفة وحذرهم من القتل والقتال وخوّفهم بجنود أهل الشام وقال أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت وقد أعطى الله الأمير عهداً لأن تممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم هذه أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتليكم في مغازي الشام وأن يأخذ البريء منكم بالسقيم والشاهد منكم بالغائب حتى لا يبقى له بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جنت أيديها وتكلم الأشراف بنحو من ذلك فلما سمع الناس مقالته أخذوا يتفرقون وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول انصرف إن الناس يكفونك ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه ويقول غداً يأتيك

أهل الشام فما تصنع بالحرب انصرف فيذهب به فينصرف فما زالوا يتفرقون حتى أمسى مسلم بن عقيل وصلى المغرب وما معه إلا ثلاثون نفساً في المسجد فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفر خرج متوجهاً إلى أبواب كندة فلم يبلغ الأبواب إلا ومعه عشرة ثم خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان فالتفت فإذا هو غريب وحيد وليس معه من يدله على الطريق ولا من يدله على منزله ولا أحد يواسيه بنفسه فمضى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى أتى إلى باب دار امرأة يقال لها طوعة أم ولد كانت للأشعث بن قيس فأعتقها وتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه السلام فقال لها يا أمة الله اسقيني ماء فسقته وجلس ودخلت طوعة ثم خرجت فرأته جالساً على الباب قالت يا عبد الله ألم تشرب الماء قال بلى قالت فاذهب إلى أهلك فسكت ثم أعادت مثل ذلك فسكت ثم قالت في الثالثة سبحان الله يا عبد الله قم عافاك الله واذهب إلى أهلك فإنه لا يصلح لك الجلوس على باب داري ولا أحله لك فقام مسلم وقال يا أمة الله ما لي في هذا المصر أهل ولا دار ولا عشيرة فهل لك في أجر ومعروف لعلي مكافئك بعد هذا اليوم قالت يا عبد الله من أنت وما ذاك قال أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني وأخرجوني قالت أنت مسلم قال نعم قالت ادخل فدخل إلى بيت في دارها وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول والخروج في ذلك البيت فسألها عن السبب فأبت أن تخبره فلما أصر عليها أخذت عليه الأيمان المغلظة فحلف لها فأخبرته الخبر فسكت فما أصبح حتى أوصل الخبر إلى ابن زياد وبات مسلم بن عقيل ليلته في دار تلك العجوز ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وتارة يناجي ربه وأخرى يتضرع وتارة يتلو القرآن هذا من شأن الزمان بات ليلة وهو في غاية الرفعة والشوكة والاقتدار وبين يديه ثمانون ألفاً ما بين خيل وركاب وهم كالعبيد بين يدي المولى الجليل وهو سيدهم وأميرهم وبات ليلة أخرى وقد استجار بامرأة عجوزة وبات عندها حزيناً كئيباً وبات ليلة أخرى وهو جثة بلا رأس والحبل في رجليه.

بكتك دماً يا ابن عم الحسين ... مدامع شيعتك السافحة
ولا برحت هاطلات الغمام ... تحييك غادية رائحة
لأنك لم ترو من شربة ... ثناياك فيها غدت طائحة
أتقضي ولم تبكك الباكيات ... أما لك في المصر من نائحة
رموك من القصر إذا أوثقوك ... فهل سلمت فيك من جارحة
وبالحبل في السوق جراً سحبت ... الست أميرهم البارحة
قضيت ولم تدر كم في زرود ... عليك العشية من صائحة

في مقاتلة مسلم عليه السلام

فيا ناصر الدين القويم بسيفه ... ومردي جمع الناكثين النواصب
فللّه يوم إذ عليك تجمعوا ... فأرديت منها جانباً بعد جانب
تفر كمعزاة تهيم من الردى ... لما شاهدت منك اللقا في المواكب
فأطعمت عقباناً لحوم أمية ... بثثن بها أيدي المنون السوالب
عظيم بأن تضحى أسير أمية ... وأنت عظيم من قرون أطائب
رمتك من القصر المشوم بحقدها ... إذا قدر مت حقداً لوي بن غالب
فكم هشموا منك الترائب والقرى ... وكم هشموا للمصطفى من ترائب
وداروا بك الأسواق سحباً وإنما ... أرادوا به إدراك وتر لطالب

ولما أن طلع الفجر جاءت طوعة إلى مسلم بماء ليتوضأ قالت يا مولاي ما رأيتك رقدت في هذه الليلة فقال لها اعلمي أني رقدت رقدة فرأيت في منامي عمي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول لي الوحا الوحا العجل العجل وما أظن إلا أنه آخر أيامي من الدنيا فتوضأ وصلى صلاة الفجر وكان مشغولاً بدعائه إذ سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى فعجل في دعائه ثم لبس لأمته وقال يا نفس أخرجي إلى الموت الذي ليس له محيص فقالت العجوز سيدي أراك تتأهب للموت قال نعم لا بد لي من الموت وأنت قد أديت ما عليك من البر والإحسان وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله سيد الإنس والجان فاقتحموا عليه الدار

وهم ثلثمائة رجل فخاف مسلم أن يحرقوا عليه الدار فخرج منه وشد عليهم حتى أخرجهم من الدار ثم عادوا إليه فحمل عليهم وهو يقاتلهم قتالاً شديداً ويقول:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع فأنت بكأس الموت لا شك جارع
فصبراً لأمر الله جل جلاله فحكم قضاء الله في الخلق ذائع

حتى قتل منهم واحداً وأربعين رجلاً وقال أبو مخنف مائة وثمانين فارساً وكان من قوته أن يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيت فأرسل ابن الأشعث إلى ابن زياد أدركني بالخيل والرجال فقد قتل مسلم مقتلة عظيمة فأنفذ ابن زياد يقول ثكلتك أمك وعدموك قومك رجل واحد يقتل هذه المقتلة العظيمة فكيف لو أرسلتك إلى من هو أشد بأساً وأصعب مراساً ـ يعني الحسين بن علي عليه السلام ـ فكتب إليه عساك تظن أنك أرسلتني إلى بقال من بقاقيل أهل الكوفة أو إلى جرمقاني من جرامقة الحيرة وإنما وجهتني إلى بطل همام وشجاع ضرغام وسيف حسام في كف بطل همام من آل خير الأنام فأرسل إليه بالعساكر وقال أعطه الأمان فإنك لا تقدر عليه إلا به فبينما هو يقاتل إذ اختلف بينه وبين بكر بن حمران ضربات فضرب بكر فم مسلم فقطع شفته العليا وأسرع السيف في السفلى وفصلت له ثنيتاه وضرب مسلم في رأسه ضربة منكرة وثناه بأخرى على حبل العاتق وحمل على القوم فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من أعلى السطوح وأخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطنان القصب ثم يرمونها عليه وفي (العقد الفريد) فجعل الناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلتاً بسيفه في السكة فقال محمد بن الأشعث لك الأمان يا مسلم لا تقتل نفسك فقال وأي أمان للغدرة الفجرة وأقبل يقاتلهم وهو يرتجز ويقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت كاساً مرا
كل امرىء يوماً ملاق شراً أخاف أن أخدع أو أغرا

وكان عليه السلام قد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال وأسند ظهره إلى جنب

تلك الدار (في مناقب ابن شهراشوب) فضربوه بالسهام والأحجار حتى أعيى واستند حائطاً فقال ما لكم ترمونني بالأحجار كما ترمى الكفار وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار ألا ترعون رسول الله في عترته فقال ابن الأشعث لا تقتل نفسك وأنت في ذمتي قال أؤسَرُ وبي طاقة لا والله لا يكون ذلك أبداً وحمل عليه فهرب عنه فقال مسلم اللهم أن العطش قد بلغ مني قال السيد في اللهوف فعند ذلك طعنه رجل من خلفه فخر إلى الأرض فتكاثروا عليه وأخذوه أسيراً وقال المسعودي في (مروج الذهب) فأعطوه الأمان فأمكنهم من نفسه وحملوه على بغلة وسلبه ابن الأشعث سيفه وسلاحه وأتوا به ابن زياد وفي (المنتخب) ثم إنهم احتالوا عليه وحفروا له حفيرة عميقة وأخفوا رأسها بالدغل والتراب ثم انطردوا من بين يديه فوقع فيها وأحاطوا به فضربه ابن الأشعث على محاسن وجهه فأوثقوه أسيراً وحملوه على بغلة واجتمعوا حوله ونزعوا سيفه فعند ذلك يئس من نفسه فدمعت عيناه وعلم أن القوم قاتلوه فقال إنا لله وإنا إليه راجعون وبكى في رثائه أنشد الراثي:

إن يغدروا بك عن عمد فقد غدروا ... بالمرتضى وابنه سراً وإعلانا
لاقاك جمعهم في الدار منفرداً ... كما تلاقى بغاث الطير عقبانا
فعدت تنثر بالهندي هامهم ... والرمح ينظمهم مثنى ووحدانا
حتى غدوت أسيراً في أكفهم ... وكان من نوب الأيام ما كانا
كأنما نفسك اختارت لها عطشاً ... لما درت أن سيقضي السبط عطشانا
فلم تطق أن تسيغ الماء عن ظمأ ... من ضربة ساقها بكر بن حمرانا
يا مسلم بن عقيل لا أغب ثرى ... ضريحك المزن هطالاً وهتانا
نصرت سبط رسول الله مجتهداً ... وذقت في نصره للضر ألوانا
ورام تقريعك الرجس الدعي بما ... قد كان لفقه زوراً وبهتانا
ألقمته بجواب قاطع حجراً ... وللجهول به أوضحت برهانا
بذلت نفسك في مرضاة خالقها ... حتى قضيت بسيف البغي ظمآنا

فلما أخذ أسيراً وحمل على بغلة جعل يبكي فقال له عبيد الله بن العباس أن من يطلب مثل الذي طلبت إذا نزل به مثل ما نزل بك لم يبك قال

والله إني ما لنفسي بكيت ولكني أبكي لأهلي المقبلين إليّ أبكي للحسين وآل الحسين ثم التفت إلى ابن الأشعث وقال هل تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً يبلغ حسيناً عن لساني فإني لا أراه إلا وقد خرج اليوم مقبلاً أو خارج غداً ويقول له ابن عمك مسلم بن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم لا يرى أنه يمسي حتى يقتل ويقول لك ارجع فداك أبي وأمي ولا يغررك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت والقتل ولما جاؤوا بمسلم عليه السلام إلى باب قصر الإمارة رأى جرة فيها ماءً بارداً فقال اسقوني من هذا الماء فقال له مسلم بن عمرو الباهلي أتراها ما أبردها والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نهار جهنم فقال له ابن عقيل من أنت قال أنا من عرف الحق إذ تركته ونصح لأميره إذ غششته وسمع وأطاع إذ عصيته أنا مسلم بن عمرو فقال له ابن عقيل لأمك الثكل ما أشقاك وأفظك وأقسى قلبك وأغلظك أنت يا ابن الباهلية أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني قال فدعى عمارة بن عقبة بماء بارد وفي رواية أرشاد وبعث عمرو بن حريث غلاماً له فجاءه بقلة عليها منديل وقدح فصب فيه ماءاً بارداً وقال له اشرب فأخذ ليشرب فامتلأ القدح دماً فلم يقدر أن يشرب ففعل ذلك ثلاثاً فلما ذهب في الثالثة ليشرب سقطت ثناياه في القدح فقال عليه السلام لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته ثم أدخل على ابن زياد وقد اجتمع الناس حول دار الإمارة فمنهم من يقول بأن مسلماً مقتول لا محالة ومنهم من يقول بأنه يساق إلى الشام ومنهم من يقول بأنه يحبس حتى يأتي الخبر من يزيد في أمره فبينما هم كذلك إذا بجثته الشريفة قد ألقي من أعلى القصر بلا رأس ثم اتبع برأسه الشريف لبعض الفضلاء.

في وروده على ابن زياد

(في اللهوف) فلما أدخل على عبيد الله بن زياد لم يسلم عليه فقال له الحرسي سلم على الأمير فقال له اسكت ويحك والله ما هو لي بأمير فقال ابن زياد لا عليك سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول فقال له مسلم إن قتلتني

فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني وبعد فإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك فقال ابن زياد يا عاق يا شاق خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين والقحت الفتنة فقال مسلم كذبت يا ابن زياد إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد وأما الفتنة فإنما القحها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر بريته فقال له ابن زياد منتك نفسك أمر أحال الله دونه وجعله لأهله فقال له مسلم ومن أهله يابن مرجانة فقال أهله يزيد بن معاوية فقال مسلم الحمد لله رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم فقال ابن زياد أتظن أن لك في الأمر شيئاً فقال مسلم عليه السلام والله ما هو الظن ولكنه اليقين فقال ابن زياد أخبرني يا مسلم لماذا جئت أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم فشتت أمرهم بينهم وفرقت كلمتهم فقال مسلم ما لهذا أتيت ولكنكم أظهرتم المنكر ودفعتم المعروف وتأمرتم على الناس بغير رضى منهم وحملتموهم على غير ما أمركم الله به وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة وكنا أهل ذلك فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين عليهم السلام فقال له مسلم وأنت وأبوك أحق بالشتمة فاقض ما أنت قاض يا عدو الله وفي بعض المقاتل فقال له ابن زياد لعمري لتقتلن فقال كذلك قال نعم قال دعني أوص إلى بعض قومي قال افعل فقال لعمر بن سعد إن بيني وبينك قرابة ولي إليك حاجة وهي سر فلم يمكنه عمر بن سعد من ذكرها فقال له ابن زياد لا تمتنع من حاجة ابن عمك فقام معه فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد فقال إن علي بالكوفة ديناً استدنته وأنفقته وهي سبعمائة درهم فاقضها عني على مالي بالمدينة وانظر جثتي واستوهبها فوارها وابعث إلى الحسين عليه السلام من يرده فقال عمر لابن زياد أنه قال كذا وكذا فقال ابن زياد لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن أما مالك فهو لك تصنع به ما شئت وأما الحسين عليه السلام فإن لم يردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكف عنه وأما جثته فإنا لن نشفعك فيها وفي رواية قال وأما جثته فإنا إذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها (العقد الفريد) فقال له دعني حتى أوصي فقال له

أوص فنظر في وجه الناس فقال لعمر بن سعد ما أرى قرشياً هنا غيرك فادن مني حتى أكلمك فدنا منه فقال له هل لك أن تكون سيد قريش ما كانت قريش إن حسيناً ومن معه وهم تسعون إنساناً ما بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم واكتب لهم ما أصابني فقال عمر لابن زياد أتدري ما قال لي قل اكتم على ابن عمك قال هو أعظم من ذلك قال وما هو فحكى له فقال ابن زياد أما والله إن دللت عليه لا يقاتله أحد غيرك انتهى وقال المسعودي فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له في الجواب أمر به فاصعد إلى أعلى القصر ثم دعى الأحمري الذي ضربه مسلم فقال كن أنت الذي تضرب عنقه لتأخذ بثارك فصعد به وهو يسبح الله تعالى ويستغفره ويصلي على النبي ﷺ فضرب عنقه ونزل مذعوراً فقال له ابن زياد ما شأنك فقال أيها الأمير رأيت ساعة قتلته رجلاً أسود الوجه سيء الوجه حذائي عاضاً على أصبعه أو قال على شفته ففزعت منه فزعاً لم أفزعه قط فقال ابن زياد لعلك دهشت وقال الأزدي قال له ابن زياد ما كان يقول وأنتم تصعدون به قال كان يسبح الله ويستغفره فقلت له ادن مني الحمد لله الذي أمكنني منك وأقادني منك فضربته ضربة لم تغن شيئاً فقال أما ترى في خدش تخدشنيه وفاء من دمك أيها العبد فقال ابن زياد وفخراً عند الموت قال ثم ضربته الثانية فقتلته وقال المسعودي فضرب بكير الأحمري عنق مسلم فأهوى رأسه إلى الأرض ثم اتبعوا رأسه جسده ثم أمر ابن زياد بجثة مسلم فصلبت وحمل رأسه إلى دمشق وهذا أول قتيل من بني هاشم صلبت جثته وأول رأس حمل إلى دمشق وفي (المناقب) فنصب يزيد الرأسين أي رأس مسلم وهاني في درب من دمشق.

شهادة هاني (ره)

فإن كنت ما تدرين ما الموت فانظري ... إلى هاني في السوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشم السيف وجهه ... وآخر يهوى من طمار قتيل

أصابهما فرخ البغي فأصبحا ... أحاديث من يسري بكل سبيل

ترى جسداً قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحيى من فتاة حيية وأقطع من ذي شفرتين صقيل
أيركب أسماء الهماليج آمنا وقد طلبته مذحج بذحول
تطوف حفا فيه مراد وكلهم على رغبة من سائل ومسول
إذا أنتم لم تثأروا بقتيلكم فكونوا بغايا أرضيت بقليل

(في نفس المهموم) عن حبيب السير قال كان هاني بن عروة من أشراف الكوفة أعيان الشيعة وكان شيخ بني مراد ويركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل وروى أنه أدرك النبيﷺ وتشرف بصحبته وكان ممن شهد حرب الجمل مع أمير المؤمنينعليه السلام وعاش تسعاً وثمانين سنة قال ولا شك أنه من السعداء والصلحاء ويحشر في زمرة الشهداء وقد ترحم عليه الحسينعليه السلام لما أخبر بشهادة مسلم وهاني استرجع وقال رحمة الله عليهما مراراً وقولهعليه السلام لما أخرج كتاباً إلى الناس فقرأ عليهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر ثم دعاؤهعليه السلام لهم بقوله اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك إنك على كل شيء قدير وكفى في شرفه وفضله وعلو مقامه أنه أجار مسلماً رحمة الله عليه في داره وقام بأمره وبذل النصرة له وجمع له الرجال والسلاح حوله وامتنع من تسليمه لابن زياد واختار القتل على التسليم حتى أهين وضرب وحبس وعذب وقتل صبراً وهذه جملة كافية في حسن حاله وجميل عاقبته ودخوله في أنصار الحسينعليه السلام وشيعته المستشهدين في سبيله وقوله (ره) لابن زياد لو كانت رجلي على طفل من أطفال آل محمدﷺ ما رفعتها حتى تقطع يدل على أن ما فعله قد كان عن بصيرة وبينة لا عن مجرد الحمية والعصبية وحفظ الذمام ورعاية حق الضيف وقد ذكر العلماء لهاني في سياق أعمال الكوفة زيارة يزار بها إلى الآن صريحة في أنه من الشهداء والسعداء والزيارة في مصباح الزائر ومزار محمد بن المشهدي ومزار المفيد والشهيد (قده) وشهادته على ما روى أنه غدر عبيد الله لهاني حتى أحضره في مجلسه وكثر الكلام بينهما حتى قال ابن زياد والله لا تفارقني أبداً حتى

تأتيني بمسلم بن عقيل فقال لا والله لا أجيئك به أبداً أجيئك بضيفي حتى تقتله قال والله لتأتيني به قال لا والله لا آتيك به إن في ذلك عليّ الخزي والعار أنا أدفع جاري وضيفي ورسول ابن رسول الله وأنا صحيح الساعدين كثير الأعوان والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه فقال والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك فقال هاني إذاً والله تكثر البارقة حول دارك فقال ابن زياد والهفاه عليك أبالبارقة تخوفني ثم قال ابن زياد ادنوه مني فأُدني منه فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى انكسر أنفه واسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خده وجبينه على لحيته فانكسر القضيب فضرب هاني بيده إلى قائم سيف شرطي فجاذبه ذلك الرجل فصاح ابن زياد خذوه فجروه حتى ألقوه في بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانياً قد قتل وكانت رويحة بنت عمرو هذا تحت هاني فأقبل عمرو في مذحج ووجوهها كافة حتى أحاط بالقصر ونادى أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة وقد بلغنا أن صاحبنا هانياً قد قتل فعلم عبيد الله باجتماعهم وكلامهم فأمر شريحاً القاضي أن يدخل على هاني فيشاهده ويخبر قومه بسلامته من القتل ففعل ذلك وأخبرهم بقوله وانصرفوا فبقي هاني في الحبس إلى أن قتل مسلم عليه السلام فأمر ابن زياد بهاني قال أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه فأخرج هاني حتى انتهى به مكاناً من السوق يباع فيه الغنم وهو مكتوف فجعل يقول وا مذحجاه ولا مذحج لي اليوم وأين مذحج فلما رأى أحداً لا ينصره جذب يده فنزعها من الكتاف ثم قال أما من عصى إما من سكين أو حجر أو عظم يحاجز به رجل عن نفسه فوثبوا إليه فشدوه وثاقاً ثم قيل له امدد عنقك فقال ما أنا بها سخي ولا أنا أعينكم على نفسي فضربه مولى لعبيد الله تركي يقال له رشيد بالسيف فلم يصنع شيئاً فقال إلى الله المعاد اللهم إلى رحمتك ورضوانك ثم ضربه أخرى فقتله ثم أنفذ رأسه بمصاحبة رأس مسلم إلى الشام فنصب يزيد الرأسين في درب من دمشق ثم إنهم أخذوا مسلماً وهانياً يسحبونهما في الأسواق فبلغ خبرهما إلى بني مذحج فركبوا خيولهم وقاتلوا القوم

وأخذوا مسلماً وهانياً فغسلوهما ودفنوهما وفي بعض مؤلفات أصحابنا عن قبسات الشيخ درويش علي البغدادي لما قتل مسلم وجرى عليه ما جرى ربطوا برجله حبلاً وجروه في أسواق الكوفة قال الشعبي فمر به رجل أعرابي من أهل واقصة يقال له حنظلة بن مرة الهمداني وكان من شيعة علي بن أبي طالب وهو راكب على مطية فقال ويلكم يا أهل الكوفة ما فعل هذا الرجل الذي تفعلون به هذا الفعال فقالوا هذا خارجي خرج على الأمير يزيد بن معاوية فقال يا قوم بالله عليكم ما يقال له وما اسمه قالوا هذا مسلم بن عقيل ابن عم الحسين عليه السلام فقال ويلكم إذا علمتم أنه ابن عم الحسين فلم قتلتموه وسحبتموه على وجهه ثم نزل عن مطيته ورد يده إلى سيفه وسله من غمده وحمل عليهم وجعل يقاتل وهو يقول لا خير في الحياة بعدك يا سيدي ولم يزل يقاتل حتى قتل أربعة عشر رجلاً فتكاثروا عليه حتى قتل وعجّل الله بروحه إلى الجنة وربطوا برجله حبلاً وسحبوه على وجهه حتى رمي على كناسة الكوفة بجانب مسلم بن عقيل فقال الشعبي فبقيت تلك الجثة الطاهرة على وجه الأرض من غير غسل ولا كفن ولما دجى الليل ونامت كل عين شدت زوجة ميثم التمار على نفسها وخرجت إلى الكناس وحملت مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وحنظلة بن مرة إلى دارها ولما انتصف الليل ونامت كل عين حملتهم إلى جانب المسجد الأعظم ودفنتهم بدمائهم ولم يعلم بها أحد إلا زوجة هاني بن عروة لأنها كانت في جوارها رحمة الله عليهم ورضوانه.

في الناسخ ولما بلغ يزيد بن معاوية دخول الحسين عليه السلام إلى مكة كتب إلى ابن عباس أما بعد فإن ابن عمك حسيناً وابن الزبير التويا ببيعتي ولحقا بمكة مرصدين للفتنة معرضين أنفسهما للهلكة فأما ابن الزبير فإنه صريع الفناء وقتيل السيف غداً وأما الحسين فقد أحببت الأعذار إليكم أهل البيت مما كان منه وقد بلغني أن رجالاً من شيعته من أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم ويمنونه الخلافة ويمنيهم الأمرة وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتائج الأرحام وقد قطع ذلك الحسين وبته (بت أي قطع) وأنت زعيم أهل بيتك وسيد أهل بلادك فالقه فارددة عن السعي في

الفرقة ورد هذه الأمة عن الفتنة فإن قبل منك وأناب إليه فله الأجر وله عندي الأمان والكرامة الواسعة وأجرى عليه ما كان أبي يجريه على أخيه فإن طلب الزيادة فاضمن له ما أراك الله انفذ ضمانك وأقوم له بذلك وله علي الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة بما تطمئن به نفسه ويعتمد في كل الأمور عليه عجل بجواب كتابي وبكل حاجة لك إلي وقبلي والسلام وكتب ابن عباس في جوابه أما بعد فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة فأما ابن الزبير فرجل منقطع عنا برأيه وهواه يكاتمنا مع ذلك أضغاناً يسرها في صدره يورى علينا وري الزناد لا فك الله أسيرها فاراً في أمره ما أنت تراه وأما الحسين عليه السلام فإنه لما نزل مكة وترك حرم جده ومنازل آبائه سألته عن مقدمه فأخبرني أن عمالك بالمدينة أساؤا إليه وعجلوا عليه بالكلام الفاحش فأقبل إلى حرم الله مستجيراً وسألقاه فيما أشرت إليه ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة ويطفيء به النائرة ويخمد به الفتنة ويحقن به دماء الأمة فاتق الله في السر والعلانية ولا تبيتن ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة ولا ترصده بمظلمة ولا تحفر له مهواة فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه وكم من مؤمل أملاً لم يؤت أمله وخذ بحظك من تلاوة القرآن ونشر السنة وعليك بالصيام والقيام لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها فإن كل ما اشتغلت به عن الله يضر ويفنى وكل ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى والسلام انتهى وفي بعض الكتب جاء عبد الله بن عباس إلى الحسين عليه السلام وتكلم معه بما تكلم إلى أن أشار عليه بالدخول في طاعة يزيد وصلح بني أمية فقال الحسين عليه السلام هيهات هيهات يا ابن عباس إن القوم لن يتركوني وأنهم يطلبونني أين كنت حتى أبايعهم كرهاً ويقتلوني والله إنهم ليعتدون علي كما اعتدت اليهود في يوم السبت وإني ماض في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أمرني وإنا لله وإنا إليه راجعون فقال يا ابن العم بلغني أنك تريد العراق وأنهم أهل غدر وإنما يدعونك للحرب فلا تعجل فأقم بمكة فقال عليه السلام لأن أقتل والله بمكان كذا أحب إلي من أن أستحل بمكة وهذه كتب أهل الكوفة ورسلهم وقد وجب علي إجابتهم وقام لهم العذر علي عند الله سبحانه فبكى عبد الله حتى بلت لحيته وقال وا حسيناه

وا أسفاه على حسين. وفي (مدينة المعاجز) قال الحسين عليه السلام يا ابن عباس ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت نبيهم من وطنهم وداره وقراره وحرم جده وتركوه خائفاً مرعوباً لا يستقر في قرار ولا يأوي إلى جوار يريدون بذلك قتله وسفك دمه لم يشرك بالله شيئاً ولم يرتكب منكراً ولا إثماً قال له ابن عباس جعلت فداك يا حسين إن كان لا بد من المسير إلى الكوفة فلا تسر بأهلك ونسائك فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه فقال يا ابن العم إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وقد أمرني بأمر لا أقدر على خلافه وأنه أمرني بأخذهم معي وأنهن ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا آمن عليهن أحداً وهن أيضاً لا يفارقنني فسمع ابن عباس بكاء من ورائه وقائله تقول يابن عباس أتشير على شيخنا وسيدنا أن يخلفنا ههنا ويمضي وحده وهل أبقى الزمان لنا غيره لا والله بل نحيى معه ونموت معه فبكى ابن عباس بكاء شديداً وجعل يقول يعز والله علي فراقك يابن العم فمضى الحسين إلى العراق وبقي ابن عباس في الحجاز ينتظر الخبر حتى صار يوم عاشوراء في (اللهوف) عن أبي محمد الواقدي وزرارة بن صالح قالا لقينا الحسين بن علي قبل خروجه إلى العراق بثلاثة أيام فأخبرناه ضعف القوم بالكوفة وأن قلوبهم معه وسيوفهم عليه فأومأ بيده إلى السماء وفتحت السماء ونزلت الملائكة عدداً لا يحصيهم إلا الله فقال لولا تقارب الأشياء وهبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء ولكن اعلم علماً يقيناً أن هناك مصرعي ومصرع أصحابي فلا ينجو منهم إلا ولدي علي وفيه لما سار أبو عبد الله عليه السلام من مكة ليدخل المدينة لقيته أفواج من الملائكة المسومين والمردفين في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة فسلموا عليه وقالوا يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه إن الله عز وجل أمد جدك رسول الله صلى الله عليه وآله بنا في مواطن كثيرة وإن الله أمدك بنا فقال لهم الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلا فإذا وردتها فائتوني فقالوا يا حجة الله إن الله أمرنا أن نسمع لك ونطيع فهل تخشى من عدو يلقاك فنكون معك فقال لا سبيل لهم علي ولا يلقوني بكريهة أو أصل إلى بقعتي وأتته أفواج من مؤمني الجن فقالوا له يا مولانا نحن شيعتك وأنصارك فمرنا

بما تشاء فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك فجزاهم خيراً وقال لهم أما قرأتم كتاب الله المنزل على جدي في قوله (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) فإذا أقمت بمكاني فبماذا يمتحن هذا الخلق المتعوس وبماذا يختبرون ومن ذا يكون ساكن حفرتي وقد اختارها الله تعالى يوم دحى الأرض وجعلها معقلاً لشيعتنا ومحبينا تقبل أعمالهم وصلاتهم ويجاب دعاؤهم وتسكن إليها شيعتنا فتكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة ولكن تحضرون يوم السبت وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وإخواني وأهل بيتي ويسار رأسي إلى يزيد بن معاوية فقالت الجن نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه لولا أن أمرك طاعة وأنه لا يجوز لنا مخالفتك لخالفناك وقتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك فقال عليه السلام لهم ونحن والله أقدر عليهم منكم ولكن ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمحصل هذه الأخبار أنه عليه السلام كان قادراً على إهلاك عدوه ومع ذلك اختار أن يموت شهيداً حتى يكون في ذلك سبباً لنجاة أمة جده كما ورد في (اللهوف) عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال سمعت أبي عليه السلام يقول التقى الحسين وعمر بن سعد وقامت الحروب أنزل الله النصر حتى رفرف على رأس الحسين عليه السلام ثم خير بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله فاختار لقاء الله ثم صاح أما من مغيث يغيثنا لوجه الله أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله إلى آخر المصيبة وفي (المنتخب) أن محمد بن الحنفية لما بلغه الخبر أن أخاه الحسين عليه السلام خارج من مكة يريد العراق كان بين يديه طشت فيه ماء وهو يتوضأ فجعل يبكي بكاء شديداً حتى سمع وكف دموعه في الطشت مثل المطر ثم إنه صلى المغرب وصار إلى أخيه الحسين فقال يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم ومكرهم بأبيك وأخيك من قبل وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن أطعت رأيي فأقم بمكة وكن أعز من في الحرم المشرف فقال عليه السلام يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت فقال ابن الحنفية فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليه

فقال الحسين عليه السلام والله يا أخي لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلوني ثم قال يا أخي سأنظر فيما قلت فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه وأخذ بزمام ناقته وقد ركبها وقال له يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك قال بلى قال فما الذي حملك على الخروج عاجلاً فقال عليه السلام قد أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك وقال يا حسين اخرج إلى العراق فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً خضباً بدمائك فقال محمد إنا لله وإنا إليه راجعون فإذا علمت أنك مقتول فما معنى حملك هؤلاء النساء معك فقال عليه السلام لقد قال لي جدي أن الله عز وجل قد شاء أن يراهن سبايا مهتكات ويساقون في أسر الذل وهن أيضاً لا يفارقنني ما دمت حياً.

أخي إن الله شاء بأن يرى ... جسمي يفيض دم الوريد خضيبا
ويرى النساء على الجمال حواسرا ... أسرى وزين العابدين سليبا
فاكفف فقد خط القضاء بأنني ... أمسي بعرصة كربلاء غريبا

فبكى محمد بكاء شديداً وجعل يقول أودعتك الله يا حسين في دعة الله يا حسين، فمضى الحسين لشأنه وبقي محمد ينتظر خبره ويترقب أثره ولم يزل هكذا حتى رأى أن المدينة قد ضجت بأهلها وهو يومئذ مريض فأقبل على خادم له وقال ما لي أرى المدينة قد ضجت بأهلها قال كأن أخاك الحسين قد رجع من العراق قال ويلك ليس الأمر كما ذكرت علي بفرسي فقام ليركب فسقط ومرة ثانية فكبا ومرة ثالثة فوقع فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فيها مصيبة كمصيبة آل يعقوب فركب وخرج من المدينة فرأى الناس بين صارخ وصارخة وباك وباكية فصاح والله لقد قتل أخي الحسين عليه السلام وخر مغشياً عليه إلى آخر المصيبة.

في كتابه عليه السلام إلى أهل البصرة

قال السيد في (اللهوف) وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشراف البصرة كتاباً مع مولى اسمه سليمان ويكنى أبا رزين يدعوهم فيه

إلى نصرته ولزوم طاعته منهم يزيد بن مسعود النهشلي والمنذر بن الجارود العبدي فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد فلما حضروا قال كيف ترون حسبي منكم وموضعي فيكم فقالوا بخ بخ أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطاً وتقدمت فيه فرطاً قال فإني قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه فقالوا إنا والله نمنحك النصيحة ونجهد لك الرأي فقل نسمع فقال إن معاوية مات فأهون به والله هالكاً ومفقوداً ألا وأنه قد انكسر باب الجور والإثم وتضعضعت أركان الظلم وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظن أنه قد أحكمه وهيهات والذي أراد اجتهد والله ففشل وشاور فخذل وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدعي الخلافة على المسلمين ويتأمر عليهم بغير رضى منهم مع قصر حلم وقلة علم لا يعرف من الحق موطأ قدميه فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين وهذا الحسين بن علي بن أبي طالب ابن رسول الله ذو الشرف الأصيل والرأي الأثيل له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنه وقدمه وقرابته يعطف على الصغير ويحنو على الكبير فأكرم به راعي رعية وإمام قوم وجبت لله به الحجة وبلغت به الموعظة ولا تعشوا من نور الحق ولا تسكعوا في وهدة الباطل فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ﷺ ونصرته والله لا يقصر أحد عن نصرته إلا أورثه الله الذل في ولده والقلة في عشيرته وها أنا قد لبست للحرب لامتها وأدرعت لها بدرعها من لم يقتل يمت ومن يهرب لم يفت فأحسنوا رحمكم الله رد الجواب فتكلمت بنو حنظلة فقالوا يا أبا خالد نحن نبل كنانتك وفرسان عشيرتك إن رميت بنا أصبت وإن غزوت بنا فتحت لا تخوض والله غمرة إلا خضناها ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها ننصرك بأسيافنا ونقيك بأبداننا إذا شئت فافعل فتكلمت بنو سعد بن يزيد فقالوا يا أبا خالد إن أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج من رأيك وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال فحمدنا أمرنا وبقي عزنا فينا فأمهلنا نراجع المشورة ونأتيك برأينا وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا يا أبا خالد

نحن بنو أبيك وحلفاؤك لا نرضى إن غضبت ولا نقطن إن ظعنت والأمر إليك فادعنا نجبك ومرنا نطعك والأمر لك إذا شئت فقال والله يا بني سعد لأن فعلتموها لا يرفع الله السيف عنكم أبداً ولا زال سيفكم فيكم ثم كتب إلى الحسين عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد وصل إلي كتابك وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك وأن الله لا يخل الأرض قط من عامل عليها بخير ودليل على سبيل نجاة وأنتم حجة الله على خلقه ووديعته في أرضه تفرعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها وأنتم فرعها فأقدم سعدت بأسعد طائر فقد ذللت لك أعناق بني تميم وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها وكظها وقد ذللت لك بني سعد وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين استهل برقها فلمع فلما قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال مالك آمنك الله يوم الخوف الأكبر وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر فلما تجهز المشار إليه للخروج إلى الحسين عليه السلام بلغه قبل أن يسير فجزع من انقطاعه عنه فأزمع يزيد بن نبيط أو ثبيت البصري الخروج إلى الحسين عليه السلام وهو من عبد القيس وكان له بنون عشرة فقال أيكم يخرج معي فانتدب معه ابنان له عبد الله وعبيد الله فقال لأصحابه أني قد أزمعت على الخروج وأنا خارج فقالوا له إنا نخاف عليك من أصحاب ابن زياد فقال إني والله لو قد استويت على راحلتي وأخذت الطريق لهان عليّ طلب من طلبني ثم خرج فقوى في الطريق حتى انتهى إلى الحسين عليه السلام فدخل في رحله بالأبطح وبلغ الحسين عليه السلام مجيئه فجعل يطلبه وجاء الرجل إلى رحل الحسين عليه السلام فقيل له قد خرج إلى منزلك فأقبل في أثره ولما لم يجده الحسين عليه السلام جلس في رحله ينتظره وجاء البصري فوجده في رحله جالساً فقال بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا السلام عليك يا ابن رسول الله فسلم وجلس إليه وأخبره بالذي جاء له فدعا له بخير ثم أقبل معه حتى أتى كربلا فقاتل معه فقتل معه وابناه وفي أبصار العين قال إن ابنيه قتلا في الحملة الأولى قبله وقتل هو بعدهما مبارزة وفي رثائه ورثاء ولديه يقول ولده عامر بن يزيد:

يا فرو قومي وانبدبي خير البرية في القبور
وابكي الشهيد بعبرة من فيض دمع درور
وارثي الحسين مع التفجع والتأوه والزفير
قتل الحرام من الأئمة في الحرام من الشهور
وابكي يزيد مجدلاً وابنيه في حر الهجير
متزملين دماؤهم تجري على لبب النحور
يا لهف نفسي لم تفز معهم بجنات وحور

وكان عامر يتأسف ويتحسر لما قد فاته من نصرة الحسين نعم الأسف كل الأسف لمن لم يفز معه بالشهادة ولم ينل معه بالسعادة فالويل كل الويل لمن حضر يومه وشهد وقعته ورأى سواده وسمع واعيته ولم ينصره وهم أهل الكوفة نظروا بأعينهم إلى ابن بنت رسول الله ﷺ وهو واقف بينهم غريباً وحيداً بلا ناصر ولا معين وهو ينادي الأهل من مغيث يغيثنا لوجه الله من ذاب الخ.

في يوم خروجه عليه السلام من مكة

في (البحار) لما أراد الحسين عليه السلام التوجه إلى العراق طاف بالبيت سبعاً وسعى بين الصفا والمروة وحل من إحرامه وجعلها عمرة مفردة لأنه لم يتمكن من إتمام الحج مخافة أن يقبض عليه وينفذ إلى يزيد لأن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر عظيم وولاه أمر الموسم وأمره على الحاج كله وكان قد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام سراً وإن لم يتمكن منه يقتله غيلة ودس مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلاً من بني أمية وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام (وفي بعض النسخ ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة) فلما علم عليه السلام بذلك أحل من إحرامه وجعلها عمرة مفردة وخرج مخافة أن يقبض عليه أو أن يقتل في «نفس المهموم» روى أنه لما كان يوم التروية قدم عمرو بن سعيد بن العاص بمكة في جند كثيف قد أمره يزيد أن يناجز الحسين عليه السلام القتال إن هو ناجزه أو يقتل الحسين عليه السلام إن قدر عليه فخرج الحسين عليه السلام

يوم التروية مبادراً بأهله وولده ومن انضم إليه من شيعته وهم اثنان وثمانون رجلاً فأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير وجملاً يحمل عليه زاده ورحله ولما بلغ عمرو بن سعيد أن حسيناً قد خرج فقال اطلبوه اركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلبوه قال فعجب الناس من قوله هذا فطلبوه فلم يدركوه وفي رواية اعترضه يحيى بن سعيد بن العاص ومعه جماعة أرسله عمرو بن سعيد بن العاص إليه فقالوا له انصرف أين تذهب فأبى عليهم ومضى فتدافع الفريقان وتضاربوا بالسياط وامتنع الحسين عليه السلام وأصحابه منهم امتناعاً قوياً ومضى على وجهه فبادروه وقالوا يا حسين ألا تتقي الله تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة فقال عليه السلام لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون وعن «نفس المهموم» واتصل الخبر بالوليد ابن عتبة أمير المدينة بأن الحسين عليه السلام توجه إلى العراق فكتب إلى ابن زياد أما بعد فإن الحسين عليه السلام قد توجه إلى العراق وهو ابن فاطمة وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فاحذر يا ابن زياد أن تأتي إليه بسوء فتهيج على نفسك وقومك أمراً في هذه الدنيا لا يصده شيء ولا تنساه الخاصة والعامة أبداً ما دامت الدنيا قال فلم يلتفت ابن زياد إلى كتاب الوليد ففعل ما فعل حتى جلس في قصر الإمارة وبين يديه رأس الحسين عليه السلام وهو ينظر إليه ويتبسم الخ وأدرك الحسين عليه السلام كتاب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مع ابنيه عون ومحمد وفيه أما بعد فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فإني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستيصال أهل بيتك فإن هلكت اليوم طفي نور الأرض فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فإني في أثر كتابي والسلام قال الطبري وقام عبد الله بن جعفر وأتى إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو عامل يزيد بن معاوية على مكة فكلمه وقال اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان وتمنيه فيه البر والصلة والإحسان وتوثق له في كتابك وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع فقال عمرو بن سعيد اكتب ما شئت وائتني به حتى اختمه وابعثه به مع أخي يحيى بن سعيد فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أنه الجد منك ففعل وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بسم الله الرحمن الرحيم

من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي أما بعد فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك وأن يهديك لما يرشدك بلغني أنك قد توجهت إلى العراق وإني أعيذك بالله من الشقاق فإني أخاف عليك فيه الهلاك وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد فأقبل إليّ معهما فإن لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار لك الله علي بذلك شهيد وكفيل ومراع ووكيل والسلام عليك قال فلحقه يحيى بن سعيد وعبد الله بن جعفر واقرأه الكتاب فكتب الحسين عليه السلام في جوابه أما بعد فإنه لم يشاق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة فخير الأمان أمان الله ولن يؤمن الله في الآخرة من لم يخفه في الدنيا فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة فإن كنت نويت بالكتاب صلتي وبري فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة وانصرف يحيى بن سعيد وعبد الله بن جعفر وقالا اقرأناه الكتاب وجهدنا به وكان مما اعتذر به إلينا أن قال إني رأيت رؤياً فيها رسول الله وأمرت فيها بأمر أنا ماض له فقالا له فما تلك الرؤيا قال ما حدثت أحداً بها وما أنا محدث بها حتى ألقى الله ربي فلما يئس منه عبد الله بن جعفر أمر ابنيه عوناً ومحمداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه ورجع مع يحيى بن سعيد إلى مكة وما زال ابنا عبد الله بن جعفر مع الحسين عليه السلام حتى صار يوم عاشوراء وانتهى الأمر في القتال إلى الهاشميين فبرزا برز أولا عون بن عبد الله بن جعفر وأمه زينب الكبرى على قول وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر ... شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر ... كفى بهذا شرفاً في المحشر

فقتل ثلاثة فوارس وثمانية عشر راجلاً فقتله عبد الله بن قطبة الطائي ثم برز محمد بن عبد الله بن جعفر وهو ينشد:

أشكو إلى الله من العدوان ... فعال قوم في الردى عميان
قد بدلوا معالم القرآن ... ومحكم التنزيل والتبيان
وأظهروا الكفر مع الطغيان

فقتل عشرة أنفس فقتله عامر بن نهشل التميمي وإياه عنى سليمان بن قتة بقوله:

وسمي النبي غودر فيهم ... قد علوه بصارم مصقول
فإذا ما بكيت عيني فجودي ... بدموع تسيل كل مسيل
واندبي إن بكيت عوناً أخاه ... ليس فيما ينوبهم بخذول
فلعمري لقد أصيبت ذوي القربى ... فبكى على المصاب الطويل

ولما بلغ عبد الله بن جعفر مقتل ابنيه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه والناس يعزونه فقال الحمد لله عز علي بمصرع الحسين أن لا تكن آست حسيناً يداي فقد آساه ولداي إلى آخره فليراجع في محله.

وسار الحسين عليه السلام حتى مر بالتنعيم وهو ما بين مكة وسرف على فرسخين من مكة وقيل أربعة فراسخ فلقي بها عيراً قد أقبلت من اليمن بعث بها بحير بن ريسان (وفي بعض النسخ ريان) من اليمن إلى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن وعلى العير الورس والحلل فأخذه الحسين عليه السلام لأن حكم أمور المسلمين إليه وقال لأصحاب الإبل من أحب منكم أن يمضي معنا إلى العراق أوفيناه كراه وأحسنا صحبته ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا أعطيناه نصيبه من الكرى بقدر ما قطع من الطريق فمضى قوم معه وامتنع آخرون ثم سار حتى انتهى إلى الصفاح لقيه الفرزدق الشاعر قال حججت بأمي في سنة ستين فبينا أنا أسوق بعيرها حتى دخلت الحرم إذ لقيت الحسين عليه السلام خارجاً من مكة معه أسيافه وتراسه فقلت لمن هذا القطار فقيل للحسين بن علي في الناسخ أن اسم فرزدق همام بن همام بن غالب لما ورد على الإمام كان الإمام عليه السلام يتلو القرآن انتهى قال فأتيته فسلمت عليه فقلت له أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحج فقال عليه السلام لو لم أعجل لأخذت ثم قال لي من أنت قلت رجل من العرب فلا والله ما فتشني عن أكثر من ذلك ثم قال لي أخبرني عن الناس خلفك فقلت الخبير سألت قلوب الناس معك وأسيافهم عليك والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء فقال صدقت

الله الآمر من قبل ومن بعد وكل يوم ربنا هو في شأن إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحق نيته والتقوى سريرته فقلت له أجل بلغك الله ما تحب وكفاك ما تحذر وسألته عن أشياء من نذر ومناسك فأخبرني بها وحرك راحلته وقال السلام عليك ثم افترقنا.

من مسيره

في (البحار) ثم سارعليه السلام حتى بلغ ذات عرق فلقي بشر بن غالب وارداً من العراق فسأله عن أهلها فقال خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية فقالعليه السلام صدق أخو بني أسد أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (وفيه) عن الرياشي عن جعفر بن سلمان قال حججت فتركت أصحابي وانطلقت أتعسف الطريق وحدي فبينما أنا أسير إذ وقعت طرفي إلى أخبية وفساطيط فانطلقت نحوها حتى أتيت أدناها فقلت لمن هذه الأبنية فقالوا للحسينعليه السلام فقلت ابن علي بن أبي طالب وابن فاطمة قالوا نعم قلت في أيها هو قالوا في ذلك الفسطاط فانطلقت نحوه فإذا الحسينعليه السلام متكىء على باب الفسطاط يقرأ كتباً بين يديه فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يا ابن رسول الله بأبي أنت وأمي ما أنزلك في هذه الأرض القفراء التي ليس فيها ريف ولا منعة قال إن هؤلاء أخافوني وهذه كتب أهل الكوفة وهم قاتلي فإذا فعلوا ذلك ولم يدعو الله محرماً إلا انتهكوه بعث الله إليهم من يقتلهم حتى يكونوا أذل من قوم الأمة ثم سارعليه السلام حتى نزل الثعلبية وقت الظهيرة فوضع رأسه فرقد ثم استيقظ فقال قد رأيت هاتفاً يقول أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة وفي رواية أبي مخنف وسار الحسينعليه السلام وهومت عيناه بالنوم ساعة وانتبه وهو يقول إنا لله وإنا إليه راجعون فأقبل عليه ولده علي الأكبر وقال له يا أبت لم استرجعت لا أراك الله سوءًا فقالعليه السلام يا ولدي خفقت خفقة فرأيت فارساً وهو يقول القوم يسيرون والمنايا تسير بهم.

فقال له ابنه علي عليه السلام يا أبة أفلسنا على الحق فقال بلى يا بني والذي إليه مرجع العباد فقال يا أبة إذاً لا نبالي بالموت فقال له الحسين عليه السلام جزاك الله يا بني خير ما جزى ولداً عن والده ولقد سر الحسين عليه السلام بهذا الكلام سروراً عظيماً وأحلى وألطف من هذا الكلام كلام القاسم بن الحسن ليلة العاشر من المحرم لعمه الحسين عليه السلام لما قال له ولدي كيف الموت عندك قال يا عم فيك أحلى من العسل الخ قال أبو مخنف ولما نزل الثعلبية أقبل رجل نصراني وأمه وأسلما على يديه انتهى ولعله كان وهب بن عبدالله بن حباب الكلبي فبات عليه السلام بالموضع فلما أصبح إذا برجل من أهل الكوفة يكنى أبا هرة الأزدي قد أتاه فسلم عليه ثم قال يا ابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمد صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام ويحك يا أبا هرة إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت وشتموا عرضي فصبرت وطلبوا دمي فهربت وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية وليلبسنهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وليسلطن عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة منهم فحكمت في أموالهم ودمائهم ولما بلغ عبيد الله بن زياد إقبال الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطة حتى نزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان وما بين القادسية إلى القطقطانية وقال للناس: هذا الحسين يريد العراق، ولما بلغ الحسين عليه السلام الحاجز من بطن الرمة بعث قيس من مصهر الصيداوي ويقال إنه بعث أخاه من الرضاعة عبد الله بن يقطر[1] إلى أهل الكوفة ولم يكن له علم بخبر مسلم بن عقيل عليه السلام وكتب معه إليهم بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى إخوانه المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم واجتماع ملأكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله عز وجل أن يحسن

(١) قال عز الدين الجزري في أسد الغابة والعسقلاني في الإصابة كان عبد الله بن يقطر لدة الحسين عليه السلام اللذة الذي ولد مع الإنسان في زمن واحد لأن يقطر كان خادماً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت زوجته ميمونة في بيت أمير المؤمنين عليه السلام بثلاثة أيام وكانت حاضنته للحسين عليه السلام ولم يكن رضع عندها ولكنه يسمى رضيعاً له بحضانة أمه له عليه السلام. (منه)

الصنع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدوا فإني قادم عليكم في أيامي هذه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكان مسلم كتب إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين يوماً أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجل الإقبال حتى يأتيك كتابي وكتب إليه أهل الكوفة أن لك ههنا مائة ألف سيف فعجل فلا تتأخر فأقبل قيس بن مصهر الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقال له عبيد الله بن زياد ليفتشه فأخرج قيس الكتاب ومزقه فحمله الحصين بن نمير إلى عبيد الله بن زياد فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابنه عليهما السلام قال فلماذا مزقت الكتاب قال لئلا تعلم ما فيه قال وممن الكتاب وإلى من قال من الحسين عليه السلام إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم فغضب ابن زياد وقال والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم أو تصعد المنبر فتلعن الحسين بن علي وأباه وأخاه وإلا قطعتك إرباً إرباً فقال القيس أما القوم فلا أخبرك بأسمائهم وأما لعن الحسين وأبيه وأخيه فأفعل فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وأكثر من الترحم على علي عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم ثم قال أيها الناس أنا رسول الحسين إليكم وقد خلفته بموضع كذا فأجيبوه فأخبر ابن زياد بذلك فأمر بإلقائه من أعالي القصر فألقي من هناك فمات روي أنه وقع على الأرض مكتوفاً فتكسرت عظامه وبقي به رمق فأتاه رجل يقال له عبد الملك اللخمي فذبحه فقيل له في ذلك وعيب عليه فقال أردت أن أريحه.

في (البحار) روى عبد الله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديان قالا لما قضينا حجنا لم تكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين عليه السلام في الطريق لننظر ما يكون من أمره فأقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزرود فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى

الحسين عليه السلام فوقف عليه السلام كأنه يريده ثم تركه ومضى ومضينا نحوه فقال أحدنا لصاحبه اذهب بنا إلى هذا لنسأله فإن عنده خبر الكوفة فمضينا حتى انتهينا إليه فقلنا السلام عليك فقال وعليكما السلام قلنا ممن الرجل قال أسدي قلنا ونحن أسديان فمن أنت قال أنا بكر بن شعبة الأسدي فانتسبنا له قلنا له أخبرنا عن الناس وراءك قال نعم لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ورأيتهما يجران بأرجلهما في السوق فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين عليه السلام فسايرناه حتى نزل الثعلبية.

وفي خبر نزل الزبالة ممسياً فجئناه حتى نزل فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا له يرحمك الله إن عندنا خبراً إن شئت حدثناك علانية وإن شئت حدثناك سراً فنظر إلينا وإلى أصحابه ثم قال ما دون هؤلاء سر فقلنا له أرأيت الراكب الذي استقبلته عشية أمس قال نعم وقد أردت مسألته فقلنا قد والله استبرأنا لك خبره وكفيناك مسألته وهو امرؤ منا ذو رأي وصدق وعقل وأنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهاني ورآهما يجران بأرجلهما في السوق فقال عليه السلام إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة الله عليهما يردد ذلك مراراً فقلنا له ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف أن يكونوا عليك فنظر إلى بني عقيل فقال عليه السلام ما ترون فقد قتل مسلم فقالوا والله ما نرجع حتى نصيب ثارنا أو نذوق ما ذاق فأقبل علينا الحسين عليه السلام وقال لا خير في العيش بعد هؤلاء فعلمنا أنه قد عزم رأيه على المسير فقلنا له خار الله لك فقال رحمكما الله فقال له أصحابه إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع فسكت وفي بعض كتب المقاتل كانت لمسلم بنت عمرها إحدى عشر سنة واسمها حميدة وأمها أم كلثوم بنت علي عليه السلام وقيل اسمها عاتكة وأمها رقية بنت علي وعمرها سبع سنين وهي التي سحقت يوم الطف بعد شهادة الحسين عليه السلام لما هجم القوم على المخيم وكانت مع الحسين عليه السلام فلما قام الحسين عليه السلام من مجلسه جاء إلى الخيمة فعزز البنت وقربها من مجلسه فحست البنت بالشر فإن الحسين عليه السلام قد مسح على رأسها وناصيتها كما

يفعل بالأيتام فقالت يا عم ما رأيتك قبل هذا اليوم تفعل بي مثل ذلك أظن أنه قد استشهد والدي فلم يتمالك الحسين عليه السلام من البكاء وقال يا ابنتي أنا أبوك وبناتي إخواتك فصاحت ونادت بالويل فسمع أولاد مسلم بن عقيل ذلك الكلام وتنفسوا الصعداء وبكوا بكاء شديداً ورموا بعمائمهم إلى الأرض ونادوا وا مسلماه وا ابن عقيلاه ما أشبه هذا اليوم وصيحة ابنة مسلم وبكاءها وبكاء أولاد مسلم وصرختهم وضجتهم بيوم عاشوراء وبكاء سكينة وبنات رسول الله حين أقبل إليهم جواد أبي عبد الله عليه السلام نظرت سكينة إلى الفرس فرأت الجواد عارياً والسرج خالياً من راكبه فهتكت خمارها ونادت والله قتل أبي الحسين عليه السلام فسمعن النساء برزن من الخدور ـ الخ ـ قال وتأمل الحسين هذا الحال وأن أهل الكوفة هم الذين أعانوا على قتل أمير المؤمنين ونهب الحسن عليه السلام وضربه بالخنجر على فخذه فبكى بكاء شديداً حتى اخضلت لحيته الشريفة بالدموع الخ.

قد اختلفوا في المنزل الذي أخبر الحسين عليه السلام بشهادة مسلم عليه السلام! ونحن نشير إليه في «نفس المهموم» عن أبي حنيفة الدنيوري ولما رحل الحسين عليه السلام من زرود تلقاه رجل من بني أسد فسأله عن الخبر فقال لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ورأيت الصبيان يجرون بأرجلهما فقال عليه السلام إنا لله وإنا إليه راجعون عند الله نحتسب أنفسنا وقال السيد في «اللهوف» ثم سار الحسين عليه السلام حتى بلغ زبالة فأتاه فيها خبر مسلم بن عقيل فعرف بذلك جماعة ممن تبعه فتفرق عنه أهل الأطماع والارتياب وبقي معه أهله وخيار الأصحاب وارتج الموضع بالبكاء والعويل لقتل مسلم بن عقيل وسالت الدموع كل مسيل ثم إن الحسين عليه السلام سار قاصداً لما دعاه الله إليه.

في حبيب السير لما بلغ زبالة ورد عليه قاصد من الكوفة بمكتوب من عمر ابن سعد بن أبي وقاص يخبره بشهادة مسلم وابن عروة وقد سأله مسلم أن يكتب إلى الحسين عليه السلام بشهادته فكتب وفيه واقعة قيس بن مصهر وقال المفيد «ره» فسار الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى زبالة فأتاه خبر عبد الله بن يقطر فاستعبر باكياً وقال اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً واجمع

بيننا وبينهم في مستقر رحمتك أنك على كل شيء قدير فاخرج للناس وفي بعض النسخ فاخرج إلى الناس كتاباً فقرأ أو فقرأه عليهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج ليس عليه ذمام فتفرق عنه الناس وأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضموا إليه وإنما فعل ذلك لأنه عليه السلام علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه وهم يظنون أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهلها فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون ذكر الطريحي في المنتخب قال عليه السلام فمن كان منكم يصبر على حر السيوف وطعن الأسنة فليتم معنا وإلا فلينصرف عنا قال فجعل القوم يتفرقون يميناً وشمالاً حتى بقي معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ومن مواليه نيف وسبعون رجلاً.

صبروا على حر السيوف وطعن الرماح حتى تقطعت بالسيوف جسومهم وشبكت بالسهام أبدانهم وسقطوا على الأرض مطرحين مجرحين وقف بينهم أبو الأئمة الحسين عليه السلام ونادى يا مسلم بن عقيل ويا هاني بن عروة الخ في (البحار) ثم سار الحسين عليه السلام قاصداً الكوفة قال الطرماح بن حكم لقيت حسيناً وقد امترت لأهلي ميرة فقلت أذكرك الله في نفسك فلا يغرنك أهل الكوفة والله إن دخلتها لنقتلن وإني أخاف أن لا تصل إليها فإن كنت مجمعاً على الحرب فانزل اجاء فإنه جبل منيع والله ما نالنا فيه ذل قط وعشيرتي جميعاً يرون نصرتك ما قمت فيهم فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف فارس يضربون بين يديك بأسيافهم فوالله لا يوصل إليك أبداً وفيهم عين تطرف فقال عليه السلام له جزاك الله وقومك خيراً إن بيني وبين القوم مواعيد أكره أن أخلفها وقولاً لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندري على ما تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة فإن يدفع الله فقديماً ما أنعم الله علينا وكفى وإن يكن ما لا بد منه ففوز وشهادة إن شاء الله تعالى ومضى لوجهه قال فودعته وقلت له دفع الله عنك شر الإنس والجن إني قد امترت لأهلي ميرة من الكوفة ومعي نفقة لهم فآتيهم فأضع ذلك فيهم ثم أقبل إليك إن

شاء الله فإن ألحقك فوالله لأكونن من أنصارك قال عليه السلام فإن كنت فاعلاً فعجل رحمك الله قال فعلمت أنه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل قال فلما بلغت أهلي وضعت عندهم ما يصلحهم وأوصيت فأخذ أهلي يقولون إنك تصنع مرتك شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم فأخبرتهم بما أريد وأقبلت حتى إذا دنوت من عذيب الهجانات استقبلني سماعة بن بدر فنعاه إليّ وأخبرني بقتله ورجعت مغموماً ثم سار عليه السلام حتى مر ببطن العقبة فنزل عليها فلقيه شيخ من بني عكرمة يقال له عمرو بن لوذان فسأله أين تريد فقال له الحسين عليه السلام الكوفة فقال الشيخ أنشدك الله لما انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف وأن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال فقدمت عليهم كان ذلك رأياً فأما على هذه الحالة التي تذكر فإني لا أرى لك أن تفعل فقال عليه السلام له يا عبد الله ليس يخفى عليّ الرأي ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره ثم قال والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل فرق الأمم عن الصادق عليه السلام أنه لما صعد الحسين بن علي على عقبة البطن قال لأصحابه ما أراني إلا مقتولاً قالوا وما ذاك يا أبا عبد الله قال عليه السلام رؤيا رأيتها في المنام قالوا وما هي قال رأيت كأن كلاباً تنهشني وأشدها علي كلب أبقع.

قال السيد في (اللهوف) وسار الحسين عليه السلام حتى صار على مرحلتين من الكوفة فإذا بالحر بن يزيد الرياحي في ألف فارس فجاء حتى وقف مقابل الحسين عليه السلام في جو الظهيرة فقال عليه السلام اسقوهم وارووهم وكان مجيء الحر من القادسية وبينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً وكان عبيد الله بن زياد بعث الحصين بن نمير وأمره أن ينزل بالقادسية ويقدم الحر بن يزيد في ألف فارس يستقبل بهم الحسين عليه السلام فجاء الحر وأصحابه حتى وصلوا إلى الحسين عليه السلام بذي حسم أو ذي حسم أو ذي جشم فلم يزل الحر مواقفاً للحسين عليه السلام حتى حضرت صلاة الظهر فقال الحسين عليه السلام للحر لنا أنت أم علينا فقال بل عليك يا أبا عبد الله فقال عليه السلام لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وفي (البحار) فأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق أن يؤذن فلما

حضرت الإقامة خرج الحسين عليه السلام في إزار ورداء ونعلين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس علينا إمام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم فسكتوا عنه ولم يتكلموا كلمة فقال للمؤذن أقم الصلاة فأقام الصلاة فقال عليه السلام للحر أتريد أن تصلي بأصحابك فقال الحر لا بل تصلي أنت ونصلي نحن بصلاتك فصلى بهم الحسين عليه السلام ثم دخل فاجتمع عليه أصحابه وانصرف الحر إلى مكانه الذي كان فيه فدخل خيمة قد ضربت له فاجتمع إليه خمسمائة من أصحابه وعاد الباقون إلى صفهم الذي كانوا فيه ثم أخذ كل رجل منهم بعنان فرسه وجلس بظله فلما كان وقت العصر أمر الحسين عليه السلام أن يتهيأوا للرحيل ففعلوا ثم أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام فاستقدم الحسين عليه السلام وقام فصلى بالقوم ثم سلم وانصرف إليه بوجهه فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد أيها الناس فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن الله أرضى عنكم ونحن أهل بيت محمد أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان فإن أبيتم إلا الكراهة لنا والجهل بحقنا وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم وقدمت علي به رسلكم انصرفت عنكم فقال الحر أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر فقال عليه السلام لبعض أصحابه يا عقبة بن سمعان اخرج الخرجين الذي فيما كتبهم إلي فاخرج خرجين مملوءين صحفاً فنثرت بين يديه فقال لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ولعمري أن الرجل ليس بكذوب والكذب ينافي المروءة والحر كان ذا مرة وحمية وعصبية ولا يبعد أنه ما كتب إليه وما كان مطلعاً من هذه الكتب ولكن ما جواب هؤلاء الذين كتبوا إليه والتمسوا منه القدوم فلما قدم عليهم أحاطوا به منهم من يضربه بالسيف ومنهم من يطعنه بالرمح ومنهم من يضربه بالخشب والعصا حتى قتلوه قتلة نهى رسول الله أن يقتل بها أحد وهو يتململ بينهم ويقول أأقتل عطشاناً وجدي محمد المصطفى أأموت

ظمآناً وأبي علي المرتضى الخ يقول المرحوم السيد محمد القزويني الحلي:

إذا ما جئت أرض الطف عجل لمثوى الحر ويحك بالرواح
وزر مثواه من قرب وأنشد لنعم الحر حر بني رباح

وقال أيضاً:

زر الحر الشهيد ولا تؤخر زيارته على الشهداء قدم
ولا تسمع مقالة أعمى أشر للحر من بعد وسلم

كأنه اعترض السيد على قول الأعسم حيث قال:

ألا يا زائراً بالطف قبراً به ربحت لزائره التجارة
أشر للحر من بعد وزره فإن الحر تكفيه الإشارة

وكان الأعسم ينزل قدره ومقامه عن الشهداء نظراً بما صنع بالحسين عليه السلام في أول الأمر وما فعل من التضييق عليه ومنعه عن الرجوع وإن كان كذلك لكن ما قصر ولا قعد عن نصرة الحسين عليه السلام في آخر أمره وبذل جهده غاية الجهد وأما تضييقه عليه فعلى حسب مأموريته ولأنه ما كان يخطر بباله أن القوم يصنعون به ما صنعوا ويقاتلونه ويظهر حسن ذاته وجميل خلوصه وطيب سريرته من كلماته مع الحسين عليه السلام حين ما لاقاه ولا يخفى على البصير لأنه لما رأى الكتب التي نثرت بين يديه قال يا أبا عبد الله لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ولا نعرف من كتب إليك ولا من أرسل وإنما أمرنا إذا لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين عليه السلام الموت أدنى إليك من ذلك ثم قال لأصحابه قوموا واركبوا فركبوا وانتظروا حتى ركبت نساؤهم فقال لأصحابه انصرفوا فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف فقال الحسين للحر ثكلتك أمك ما تريد فقال له الحر أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل هذه الحالة التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائناً من كان ولكن والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه فقال الحسين عليه السلام فما تريد قال أريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد

فقال عليه السلام إذاً والله لا أتبعك فقال إذاً والله لا أدعك فتراد القول ثلاث مرات فلما كثر الكلام بينهما قال له الحر يا أبا عبد الله إني لم أؤمر بقتالك إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فإذا أتيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة يكون بيني وبينك نصفاً حتى اكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد فلعل الله أن يرزقني العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك فخذ ههنا فتياسر عن طريق العذيب والقادسية وسار الحسين عليه السلام وسار الحر وأصحابه يسايره وهو يقول أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن فقال له الحسين عليه السلام أفبالموت تخوفني وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصر رسول الله صلى الله عليه وآله فخوفه ابن عمه وقال أين تذهب فإنك مقتول فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وودع مجرما
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم ... كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما

ثم أقبل الحسين عليه السلام على أصحابه وقال هل فيكم أحد يعرف الطريق على غير الجادة فقال الطرماح بن عدي وقيل الطرماح بن حكم نعم يا ابن رسول الله أنا أخبر الطريق فقال الحسين عليه السلام سر بين أيدينا فسار الطرماح واتبعه الحسين عليه السلام وأصحابه وجعل الطرماح يرتجز ويقول:

يا ناقتي لا تذعري من زجري ... وامضِ بنا قبل طلوع الفجر
بخير فتيان وخير سفر ... آل رسول الله آل الفخر
السادة البيض الوجوه الزهر ... الطاعنين بالرماح السمر
الضاربين بالسيوف البتر ... حتى تحلي بكريم الفخر
الماجد الجد رحيب الصدر ... أصابه الله لخير أمر
عمره الله بقاء الدهر ... يا مالك النفع معاً والضر
أيّد حسيناً سيدي بالنصر ... على الطغاة من بقايا الكفر

فلما سمع الحر ذلك عنه وكان يسير بأصحابه ناحية والحسين في ناحية.

في (القمقام) عن الطبري خطب الحسين عليه السلام أصحابه وأصحاب الحر

بالبيضة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن رسول الله ﷺ قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله إلا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيري وقد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني فإن تمتمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلكم فيّ أسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغنيني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وسار عليه السلام وساروا حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات فإذا هو بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم طرماح بن عدي وهم عمرو بن خالد ومولاه سعد ونافع بن هلال ومجمع بن عبد الله العائذي وفي بعض المقاتل أن الطرماح لما رمى ببصره إلى الحسين عليه السلام أنشأ يرتجز ويقول يا ناقتي الخ فلما انتهوا إلى الحسين عليه السلام أقبل إليهم الحر وقال إن هؤلاء النفر من أهل الكوفة وأنا حابسهم أورادهم فقال الحسين عليه السلام لأمنعنهم مما أمنع منه نفسي إنما هؤلاء أنصاري وهم بمنزلة من جاء معي فإن تممت على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتك فكف الحر عنهم فقال لهم الحسين عليه السلام أخبروني وخبر الناس خلفكم فقال له مجمع بن عبد الله العائذي وهو أحدهم أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم يستمال ودهم ويستخلص به نصيحتهم فهم الب واحد عليك وأما سائر الناس بعدهم فإن قلوبهم تهوى إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك وسألهم عن رسوله قيس بن مصهر الصيداوي فقالوا نعم أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك فصلى

عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأباه ودعا إلى نصرتك وأخبرهم بقدومك فأمر ابن زياد به فألقى من طمار القصر فترقرقت عينا الحسين عليه السلام بالدموع ولم يملك دمعه ثم قرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك وغائب مذخور ثوابك ثم دنا طرماح بن عدي وقال والله ما أرى معك كثير أحد ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم ولقد رأيت قبل خروجي من الكوفة بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيناي جميعاً في صعيد واحد أكثر منه قط فسألت عنهم فقيل اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون إلى الحسين فأنشدك الله إن قدرت على أن لا تقدم إليهم شبراً فافعل فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترأى رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسر حتى أنزلك جبلنا اجاء فهو والله جبل امتنعنا به من ملوك غسنان وحمير والنعمان بن المنذر ومن الأحمر والأبيض إلى آخر ما قال وأجابه الحسين عليه السلام بما قد ذكرنا ولا نعيده وسار عليه السلام حتى بلغ عليه السلام قصر بني مقاتل فنزل بها عن عمرو بن قيس المشرقي قال دخلت على الحسين عليه السلام أنا وابن عم لي وهو في قصر بني مقاتل فسلمنا عليه فقال له ابن عمي يا أبا عبد الله هذا الذي أرى خضاب أو شعرك فقال عليه السلام خضاب والشيب إلينا بني هاشم يعجل وكان عليه السلام يخضب بالسواد حتى خضب يوم عاشوراء بحمرة حين جاءه سهم محدد مسموم فوقع على قلبه وكان السواد قد ذهب وظهر بياض شعره حتى قال عبيد الله بن زياد حين وضع الرأس الشريف بين يديه وجعل ينظر إليه ويقول يا حسين ما أسرع الشيب إليك الخ قال ثم أقبل علينا وقال أجئتما لنصرتي فقلت إني رجل كثير العيال وفي يدي بضائع للناس وما أدري ما يكون حالي وأكره أن أضيع أمانتي.

روى الصدوق (ره) في الأمالي عن الصادق عليه السلام أن الحسين عليه السلام لما نزل القطقطانية نظر إلى فسطاط مضروب وقال المفيد في الإرشاد أن الحسين عليه السلام لما انتهى إلى قصر بني مقاتل فنزل به فإذا بفسطاط مضروب فقال عليه السلام لمن هذا الفسطاط فقيل لعبيد الله بن الحر الجعفي وحكى في

القمقام أن عبيد الله المذكور كان عثمانياً وكان يعد من الشجعان ومن فرسان العرب وكان في وقعة صفين في جيش معاوية بن أبي سفيان لما كان في قلبه محبة عثمان ولما قتل أمير المؤمنين عليه السلام انتقل إلى الكوفة وكان بها إلى أن حضرت مقدمات قتل الحسين عليه السلام فخرج تعمداً لئلا يحضر في قتله والحاصل فقال الحسين عليه السلام ادعوه إلي وفي (القمقام) أرسل إليه الحجاج بن مسروق ليدعوه فلما أتاه الرسول قال له هذا الحسين ابن علي يدعوك فقال عبيد الله إنا لله وإنا إليه راجعون والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهية أن يدخلها الحسين عليه السلام وأنا فيها والله ما أريد أن أراه ولا يراني فأتاه الرسول فأخبره فقام إليه الحسين عليه السلام في جماعة من أصحابه وإخوانه وأهل بيته حتى دخل عليه وسلم وجلس وفي خبر لما دخل عليه أوسع له عن صدر مجلسه واستقبله إجلالاً له وجاء به حتى أجلسه وقبل يديه ورجليه ثم دعاه الحسين عليه السلام إلى الخروج معه فأعاد عليه ابن الحر تلك المقالة واستقاله مما دعاه إليه ثم قال له الحسين عليه السلام أيها الرجل أنت خاطىء مذنب وأن الله عز وجل أخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه فتنصرني فيكون جدي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى فقال يا ابن رسول الله والله لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك ولكن هذا فرسي خذه إليك فوالله ما ركبته قط وأنا أروم شيئاً ألا بلغته ولا أرادني أحد إلا نجوت عليه فدونك فخذه فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه ثم قال لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك وما كنت متخذ المضلين عضداً ولكن فر فلا لنا ولا علينا فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا أكبه الله على وجهه في نار جهنم فقال عبيد الله ولن يكون هذا ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رحله ثم تداخله الندم بعد ذلك على قعوده عن نصرة الحسين عليه السلام حتى كادت نفسه تفيض وكان يضرب يده على الأخرى ويقول ما فعلت بنفسي وأنشأ يقول:

فيا لك حسرة ما دمت حياً ... تردد بين صدري والتراقي

حسين حين يطلب نصر مثلي ... على أهل الضلالة والشقاق

غداة يقول لي بالقصر قولاً ... أتتركنا وتزمع بالفراق

ولو أني أواسيه بنفسي ... لنلت كرامة يوم التلاق
مع ابن المصطفى نفسي فداه ... تولى ثم ودع بانطلاق
فلو فلق التلهف قلب حي ... لهم اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الأولى نصروا حسيناً ... وخاب الآخرون أولو النفاق

في رسالة شرح الثار في أحوال المختار لابن نما ذكر أن عبيد الله بن الحر سار مع المختار في طلب قتلة الحسين عليه السلام وأنفذه المختار مع إبراهيم بن الأشتر إلى الحرب وإبراهيم كان كارهاً لخروج ابن الحر معه وقال للمختار أخاف أن يغدر بي وقت الحاجة فقال له المختار أحسن إليه واملأ عينيه بالمال فخرج إبراهيم ومعه عبيد الله بن الحر حتى نزل تكريت وأمر إبراهيم بجباية خراجها ففرقها وبعث إلى عبيد الله بن الحر بخمسة آلاف فغضب عبيد الله بن الحر وقال أنت أخذت لنفسك عشرة آلاف درهم وما كان الحر دون مالك فحلف إبراهيم أني ما أخذت زيادة عليك ثم حمل إليه ما أخذه لنفسه فلم يرض فخرج على المختار ونقض عهده وأغار على الكوفة فنهب القرى وقتل العمال وأخذ الأموال ومضى إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير وأرسل المختار إلى داره فنهبها وهدمها ثم إن عبيد الله بقي متأسفاً على ما فاته كيف لم يكن من أصحاب الحسين عليه السلام في نصرته ولا من أشياع المختار وجماعته في طلب ثاره. وفي «القمقام» وأبصار العين قال يزيد بن مرة حدثني عبيد الله بن الحر قال دخل علي الحسين عليه السلام في قصر بني مقاتل وعليه جبة خز وكساء وقلنسوة ومعه صاحباه الحجاج بن مسروق ويزيد بن معقل ولحيته كأنها جناح غراب فما رأيت أحداً قط أحسن ولا أملأ للعين منه ولا رققت على أحد قط كرقتي عليه حين رأيته يمشي وصبيانه حوله فلما خرج قمت مشيعاً له وحوله صبيانه ومعه صاحباه وأعدت النظر إلى لحيته فقلت أسواد ما أرى أم خضاب فقال عليه السلام يا ابن الحر عجل عليّ المشيب فعرفت أنه خضاب فودعته ومما يظهر من الأخبار أن الحسين عليه السلام كان يخضب بالحناء والكتم.

في (البحار) بينما الحسين عليه السلام يسير متنكباً عن الطريق ويسير معه

الحر وأصحابه على ناحية إذ أقبل رجل راكب على نجيب له وعليه السلاح متنكباً قوسه مقبلاً من ناحية الكوفة فوقفوا جميعاً ينتظرونه فلما انتهى إليهم سلم على الحر وأصحابه ولم يسلم على الحسين وأصحابه ودفع إلى الحر كتاباً من عبيد الله بن زياد فإذا فيه أما بعد فجعجع بالحسين حين بلغك كتابي هذا ويقدم عليك رسولي ولا تنزله إلا بالعراء في غير خضر وعلى غير ماء وقد أمرت رسولي أن لا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري والسلام فنظر إلى رسول ابن زياد يزيد بن زياد بن المهاجر وكان في عسكر الحر أولاً ثم بعد ذلك لحق بالحسين عليه السلام قال ثكلتك أمك ماذا جئت فيه قال وما جئت فيه أطعت إمامي ووفيت ببيعتي فقال له يزيد بل عصيت ربك وأطعت إمامك في هلاك نفسك وكسبت العار والنار وبئس الإمام إمامك قال الله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ فإمامك منهم فعرض له الحر وأخذهم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية وقال السيد في (اللهوف) فتياسر الحسين عليه السلام عن الطريق حتى وصل إلى عذيب الهجانات فورد كتاب عبيد الله بن زياد إلى الحر يلومه في أمر الحسين عليه السلام ويأمره بالتضييق عليه فعرض له الحر وأصحابه ومنعوه من السير فقال له الحسين عليه السلام ألم تأمرنا بالعدول عن الطريق فقال له الحر بلى ولكن كتاب الأمير عبيد الله قد وصل يأمرني بالتضييق وقد جعل علي عيناً يطالبني بذلك.

وفي «اللهوف» فقام الحسين عليه السلام خطيباً في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه وذكر جده فصلى عليه ثم قال إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت جذاء ولم تبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً فقام زهير بن القين وقال قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقالتك ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة قال الراوي وقام هلال بن نافع البجلي فقال والله ما كرهنا لقاء ربنا وإنا على نياتنا وبصائرنا نوالي

من والاك ونعادي من عاداك قال وقام برير بن خضير فقال والله يا ابن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك وتقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة.

وفي (اللهوف) ثم إن الحسين عليه السلام قام وركب وسار وكلما أراد المسير يمنعونه تارة ويسايرونه أخرى حتى بلغ كربلاء وفي (المناقب) قال زهير يا أبا عبد الله سر بنا حتى تنزل بكربلاء فإنها على شاطىء الفرات فنكون هنالك فإن قاتلونا قاتلناهم واستعنا الله عليهم قال فدمعت عينا الحسين ثم قال اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء فبمجرد ما سمع اسم كربلاء كأنه عليه السلام تذكر مصائب كربلاء وكربها وألمها وبكى فضيق الحر على الحسين عليه السلام ومنعه من السير بحيث كلما أخذ الحسين عليه السلام يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم فيأتيه الحر وأصحابه فردهم فجعل إذا ردهم نحو الكوفة رداً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا فلم يزالوا يتسايرون كذلك حتى انتهوا إلى نينوى وفي (القمقام) نزلوا بكربلاء قال المرحوم المبرور الحاج الشيخ جعفر التستري المصيبة العظمى والفادحة الكبرى أن الحسين عليه السلام مر بالنجف الأشرف وليس بينه وبينها إلا ثلاثة أميال ولم يتمكن من أن يزور أباه أمير المؤمنين عليه السلام لأن القوم قد ضيقوا عليه الطريق ولكن زاره أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة الحادي عشر أو الثاني عشر حين أن الجمال قطع كفيه جاء مع جده رسول الله وأمه فاطمة وأخيه الحسن ومعهم جبرائيل وميكائيل عليهما السلام:

أحسين هل وافاك جدك زائراً ... ورآك مقطوع الوتين معفرا
أم هل درى بك حيدر في كربلا ... تربا صريعاً ظامياً أم ما درى

في نزوله عليه السلام بكربلاء

يقول الراثي:

إلى أن أتى أرض الطفوف بأهله ... فلم ينبعث مهر ولم يجز منسم
فقال فما هذي البقاع التي بها ... وقفن الخيول السابقات فاعلموا
فقالوا تسمى نينوى قال أوضحوا ... فقالوا تسمى كربلا قال خيموا

قال شيخنا الطريحي في المجمع كربلاء موضع معروف وبها قبر الحسين بن علي عليه السلام روى أنه اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم وتصدق بها عليهم وشرط عليهم أن يرشدوا إلى قبره ويضيفوا من زاره ثلاثة أيام وقال الصادق عليه السلام كربلاء حرم الحسين عليه السلام وفيه البركة وحلال لولده ومواليه وحرام على غيرهم وفي خبر آخر قال الصادق عليه السلام حرم الحسين عليه السلام الذي اشتراه أربعة أميال في أربعة أميال فهو حلال لولده ومواليه وحرام على غيرهم ممن خالفهم وفيه البركة قال في الكبريت الأحمر وقد اختلف في اشتقاقه إما مشتق من كربلة بالتاء بمعنى الرخوة والفتور في القدم كما يقال فلان يمشي مكربلاً كأنه يمشي في الطين فمعناه النزول في الماء والوحل أو مشتق من كربلاء وهي نبت ذات ورد أحمر كأنه كثيراً تنبت فيها فسميت بذلك أو كربلاء مخفف من كرب وبلاء لأنها من أول يوم خلقت كانت محلا للتزلزل والبلاء والهول والاضطراب للأنبياء والأولياء بل لجملة من المؤمنين والصلحاء كما في الخبر عن مسيب بن نجية الفزاري قال خرجت أستقبل سلمان الفارسي حين أقبل من المدينة إلى المدائن فلما وصل إلى كربلاء تغير حاله وبكى وقال هذه مصارع إخواني هذا موضع رحالهم وهذا مناخ ركابهم وهذا مهراق دمائهم يقتل بها خير الأولين ويقتل بها خير الآخرين وفي بعض النسخ ابن خير الأولين وابن خير الآخرين ولكن لم يظهر لأحد منهم من الهول والاضطراب مثل ما حصل للأطهار من آل الرسول المختار لما نزلوا بها تراكمت عليهم الهموم والغموم واشتد عليهم الحزن غاية الاشتداد بل وإن الحسين عليه السلام بمجرد ما سمع باسم كربلاء تغير حاله واستعاذ بالله من كرباتها وآفاتها قال السيد في (اللهوف) فلما وصلها قال الحسين عليه السلام ما اسم هذه الأرض فقيل كربلاء فقال اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء ثم قال هذا موضع كرب وبلاء انزلوا ههنا محط رحالنا ومسفك دمائنا ومحل قبورنا بهذا حدثني جدي رسول الله عليه السلام فنزلوا جميعاً ونزل الحر وأصحابه ناحية وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرم وقال في روضة الشهداء فلما سمع الحسين عليه السلام باسم كربلاء نزل عن الفرس فلما وطأ الأرض بأقدامه

الشريفة تغير لون التراب وصار كلون الزعفران وسطع منه غبار علا وجهه ولحيته بحيث اغبر رأسه ووجهه ولحيته الشريفة فنظرت أم كلثوم إليه قالت واعجباه من هذه البيداء ما أشد وأعظم هولها أرى منها هولاً عظيماً فسلاها الحسين عليه السلام انتهى وفي (مهيج الأحزان) حكى بعض الثقات ما معناه أنه لما نزلوا بكربلاء أقبلت أم كلثوم إلى الحسين عليه السلام وقالت يا أخي إن هذا الوادي لمهول ولقد دخلني هول عظيم فقال الحسين عليه السلام أخية اعلمي أنه نزلنا مع أبي هذه الأرض في مسيره إلى صفين فوضع أبي رأسه في حجر أخي الحسن عليه السلام ورقد ساعة وأنا عند رأسه فانتبه أبي قلقاً باكياً فسأله أخي عن ذلك فقال كأني رأيت في منامي أن هذا الوادي بحر من الدم والحسين عليه السلام قد غرق فيه وهو يستغيث فلا يغاث ثم أقبل علي وقال يا أبا عبد الله كيف تكون إذا وقعت ههنا الواقعة قلت اصبر ولا بد لي من الصبر بأبي وأمي ما أصبره حتى عجبت من صبره ملائكة السماء ولقد صبر على أمر المصائب وأفظعها وأكظها وأفدحها وهو ذبح ولده في حجره وعلى صدره روى الدربندي في الأسرار عن أخبار الدول وآثار الأول أن الحسين عليه السلام بقي زماناً كلما انتهى إليه رجل منهم انصرف عنه ولم يتول قتله فحمل صبياً صغيراً من أولاده اسمه عبد الله وقبله فأخذه رجل من بني أسد فذبحه فتلقى الحسين عليه السلام دمه في يده وألقاه نحو السماء وقال يا رب إن تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعله لنا خيراً وانتقم من الظالمين الخ.

ومن أسامي كربلاء نينوى في (القمقام) نينوى بكسر أوله وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين عليه السلام.

قال الباقر عليه السلام الغاضرية هي البقعة التي كلم الله فيها موسى بن عمران وناجى نوحاً فيها وهي أكرم أرض الله عليه ولولا ذلك ما استودع الله فيها أولياءه وأنبياءه فزوروا قبورنا بالغاضرية ومن قوله عليه السلام ولولا ذلك ما استودع الله فيها أنبياءه وأولياءه يظهر أن بها دفن أنبياء وأولياء قبل أن يدفن الحسين عليه السلام ويؤيده ما قال أمير المؤمنين عليه السلام لما مر بكربلاء قال الراوي فطاف علي عليه السلام على بغلته في تلك البقعة وهو مع ذلك خارج رجليه من

الركاب وقال لقد قتل فيها مائتا نبي ومائتا سبط كلهم شهداء ثم قال هنا والله مناخ ركاب ومصارع عشاق ومدفن شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من كان بعدهم ثم نزل وجعل يبكي مر بها علي عليه السلام مراراً ولم يكن يمر بها إلا ويبكي ويبكي لبكائه كل من كان حاضراً قال الأصبغ بن نباتة أتينا مع علي عليه السلام موضع قبر الحسين عليه السلام فقال ههنا مناخ ركابهم وموضع رحالهم وههنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد صلى الله عليه وآله يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض وقال طوبى لك من تربة تهرق عليك دماء الأحبة وكأن هذه التربة كانت تنتظر هؤلاء الأحبة إلى أن نزلوا بها فأخذت بقوائم فرس سيدهم ومولاهم الحسين عليه السلام كما في الخبر قال أبو مخنف وساروا جميعاً إلى أن أتوا أرض كربلاء وذلك يوم الأربعاء فوقف فرس الحسين عليه السلام من تحته فنزل عنها وركب آخر فلم تنبعث من تحته خطوة واحدة حتى ركب سبعة أفراس فقال يا قوم ما يقال لهذه الأرض قالوا أرض الغاضرية قال فهل لها اسم آخر قالوا تسمى نينوى قال هل لها اسم غير هذا قالوا تسمى بشاطىء الفرات قال عليه السلام هل لها اسم غير هذا قالوا تسمى كربلاء فعند ذلك تنفس الصعداء وقال أرض كرب وبلاء قفوا ولا ترحلوا فههنا والله مناخ ركابنا وههنا والله مسفك دمائنا وههنا والله هتك حريمنا وههنا والله قتل رجالنا وههنا والله ذبح أطفالنا وههنا والله تزار قبورنا وبهذه التربة وعدني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا خلف لقوله:

حطوا الرحال بها يا قوم وانصرفوا ... عني فما لي عنها قط ترحال
فيها يراق دمي فيها ترى حرمي ... حسرى عليهن ثوب الذل سربال

ثم نزل عليه السلام وأمر الفتية والأحبة بأن يضربوا فسطاطهم ويبنوا خيمهم وخيم الطاهرات من الهاشميات والفاطميات التي قال الشاعر فيها:

هي خيمة جبريل يخدم أهلها ... والروح والأملاك خادم قنبر
هي خيمة خضعت لها خيم الملو ... ك كتبع وكقيصر
هي خيمة لو كان أحمد حاضراً ... لبكى لها مثل السحاب الممطر
هي خيمة يبكي وقوع عمودها ... جزعاً عمود الدين فاتح خيبر

من أسامي كربلاء عموراء كما قال رسول الله ﷺ لولده الحسين عليه السلام يا بني إنك ستساق إلى العراق وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين وهي أرض تدعى عموراء وأنك تستشهد فيها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يذوقون ألم مس الحديد وتلا ﷺ يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم يكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً والسبب في تسميته بعموراء لأنها معمورة من قديم الأيام بعبور الأنبياء والملائكة ومرورهم وزيارتهم كانت معمورة بسبب النخيل والأشجار والماء لأن فيها أشجاراً كثيرة وأنهاراً جارية ويظهر ذلك من رواية عبد الله بن عباس ومرور علي بكربلاء في (البحار) قال ابن عباس كنت مع علي عليه السلام في خروجه إلى صفين فلما نزل نينوى وهو بشاطىء الفرات نادى بأعلى صوته يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع قلت لا أعرفه يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي قال فبكى طويلاً حتى اخضلت لحيته وسالت على صدره وبكينا معاً وهو يقول آه آه ما لي ولآل أبي سفيان ما لي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر صبراً يا أبا عبد الله فلقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم ثم دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة فصلى ما شاء الله أن يصلي ثم ذكر نحو كلامه الأول إلا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة ثم انتبه فقال يا ابن عباس فقلت ها أنا ذا فقال ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي فقلت نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين قال عليه السلام رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض قد تقلدوا سيوفهم وهي بيض تلمع وقد خطوا حول هذه الأرض خطة ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض والأرض تضطرب بدم عبيط وكأني بالحسين سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه يستغيث ولا يغاث وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء وينادونه ويقولون صبراً آل الرسول فإنكم تقتلون على أيدي شرار الناس وهذه الجنة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة ثم يعزونني ويقولون يا أبا الحسن أبشر فقد أقر الله به عينك يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم انتبهت هكذا والذي نفس علي بيده لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم ﷺ إني سأراها في خروجي إلى أهل

البغي علينا وهذه أرض كربلاء يدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة وأنها لفي السموات معروفة تذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس نعم كانت أرض كربلاء معروفة وعند الملائكة معروفة وعند الجن والإنس معروفة وعند الوحش والطير معروفة وكل يعلم بأنها مصرع الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه ومن أجل ذلك لما وصل الحسين عليه السلام بها وقف فرسه فلم ينبعث خطوة كأن الفرس يعرف الأرض ويعلم أن الحسين قد بلغ إلى محله ومنزله ومصرعه ومدفنه الخ رجعنا إلى تتمة الخبر ثم قال عليه السلام يا ابن عباس اطلب في حولها بعر الظباء فوالله ما كذبت ولا كذبت وهي مصفرة لونها لون الزعفران قال ابن عباس فطلبتها فوجدتها مجتمعة فناديته يا أمير المؤمنين قد أصبتها على الصفة التي وصفتها فقال علي عليه السلام صدق الله ورسوله ثم قام يهرول إليها فحملها وشمها وقال هي هي بعينها أتعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعار هذه الأبعار قد شمها عيسى ابن مريم وذلك أنه مر بكربلاء ومعه الحواريون فرأى ههنا الظباء مجتمعة وهي تبكي فجلس عيسى وجلس الحواريون معه فبكى وبكى الحواريون وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى فقالوا يا روح الله وكلمته ما يبكيك قال أتعلمون أي أرض هذه قالوا لا قال هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد وفرخ الحرة الطاهرة البتول شبيهة أمي ويلحد فيها طينته أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد وهكذا يكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء فهذه الظباء تكلمني وتقول أنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض ثم ضرب بيده إلى البعرات فشمها وقال طيب هذه الأبعار لطيب حشيشها اللهم فأبقها أبداً حتى يشمها أبوه فيكون له عزاء وسلوة قال فبقيت إلى يومنا هذا وقد اصفرت لطول زمنها وهذه أرض كرب وبلاء ثم نادى بأعلى صوته يا رب عيسى ابن مريم لا تبارك في قتلته والمعين عليه والخاذل له ثم بكى بكاء طويلاً وبكينا حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً ثم أفاق فأخذ البعر فصره في ردائه وأمرني أن أصرها كذلك ثم قال يا ابن عباس إذا رأيتها تتفجر دماً عبيطاً ويسيل منها دم عبيط فاعلم أن أبا عبد الله قد

قتل بها ودفن قال ابن عباس والله لقد كنت أحفظها أشد من حفظي لبعض ما افترض الله عز وجل علي وأنا لا أحلها من طرف كمي فبينما أنا نائم في البيت إذا انتبهت فإذا هي تسيل دماً عبيطاً وكان كمي قد امتلأ دماً عبيطاً فجلست وأنا باك وقلت قد قتل والله الحسين عليه السلام والله ما كذب علي عليه السلام قط في حديث حدثني ولا أخبرني بشيء أنه يكون إلا كان كذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر فرأيت والله المدينة كأنها ضباب لا يستبين منها أثر عين ثم طلعت الشمس فرأيت كأنها منكسفة فرأيت كأن حيطان المدينة عليها دم عبيط فجلست وأنا باك فقلت قد قتل والله الحسين وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

اصبروا آل الرسول قتل الفرخ النحول نزل الروح الأمين ببكاء وعويل

ثم بكى بأعلى صوته وبكيت فأثبت عندي تلك الساعة وكان شهر المحرم واليوم يوم عاشوراء لعشر مضين منه فلما ورد علينا خبر قتله إذا هو ذلك اليوم بعينه فحدثت هذا الحديث أولئك الذين كانوا معه فقالوا والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ولا ندري من هو فكنا نرى أنه الخضر في (البحار) أن ابن عباس رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه وهو أشعث أغبر في يده قارورة فيها دم عبيط قال يا رسول الله ما هذا الدم قال دم الحسين عليه السلام لم أزل ألتقطه منذ اليوم.

قال أبو عبد الله عليه السلام أنا قتيل العبرة ما ذكرت عند مؤمن ولا مؤمنة إلا بكيا واغتما لمصابي في الخصائص قال اعلم أنه قد تحقق أن الحسين عليه السلام هو وجميع ما يتعلق به من أول خلقته إلى زماننا هذا وإلى انقراض عالمنا مورث للبكاء والحزن وسبب للتأسف والتحسر أول شيء مما نجده مورثاً للبكاء والحزن اسمه المبارك بالنسبة إلى من تذكره وإلى من سمعه وإلى من تنطق به كما قال آدم عليه السلام ما لي إذا ذكرت الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي وأعظم من ذلك اتفق لآدم عليه السلام من الحسين وصار سبب حزنه وتأسفه وهو رؤية نور الحسين عليه السلام حين جعل الله تعالى أنوار محمد وعلي وفاطمة

والحسن والحسين عليهما السلام في أصابع يده اليمنى ليرى آدم عليه السلام تلك الأنوار في كل حين وجعل نور الحسين عليه السلام في إبهام آدم وكلما أراد آدم أن ينظر إلى نور الحسين عليه السلام نظر إلى إبهامه وكلما نظر إلى إبهامه غلب عليه الحزن وبقي هذا التأثير إلى الآن أن كل من غلب عليه الضحك ونظر إلى ظهر إبهامه غلب عليه الحزن والثاني انتساب الشيء إليه يورث البكاء والحزن كما في حكاية المسامير الخمسة التي أتى بها جبرائيل إلى نوح يسمر بها جوانب السفينة كل مسمار باسم أحد من الخمسة الطيبة الطاهرة وكلما يقبض نوح على مسمار من المسامير يشرق في يده ويتلألأ ولكنه لما أخذ المسمار المنتسب إلى الحسين عليه السلام أشرق وظهر منه الدم وتلطخت يده بالدم فسأل عن ذلك فأجاب جبرائيل بأن هذا المسمار منتسب إلى الحسين عليه السلام وقص عليه القصة والثالث النظر إلى الحسين عليه السلام يورث البكاء والحزن وقد تحقق ذلك بالنسبة إلى جده وأبيه ولقد بكى جده أول ما رآه عند ولادته وكان يبكي في كل حال من الأحوال التي يظهر منه بالنسبة إلى الحسين عليه السلام وكان أبوه يبكي حين يراه ويقول يا عبرة كل مؤمن ومؤمنة الرابع النظر إلى قبره ومصرعه يورث البكاء كما قال الصادق عليه السلام غريب بأرض الغربة يبكيه من زاره ويحزن له من لم يزره ويحترق له من لم يشهده ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجليه في أرض فلاة ولا حميم قربه ولا قريب قربه الخامس دخول شهر شهادته أعني المحرم فإنه مورث الكربة واختناق العبرة في قلوب من والاه السادس ورود أرض مدفنه فإنه باعث على الحزن والبكاء وقد تحقق ذلك بالنسبة إلى كل نبي ووصي ورد كربلاء وكل منهم إذا ورد أصابته بلية ومصيبة فسأل ربه عن ذلك فيوحى إليه أن هذا كربلاء والحسين عليه السلام يقتل فيها السابع سماع اسم مدفنه وهي كربلاء يورث البكاء والحزن وقد تحقق كلاهما بالنسبة إليه يعني الحسين عليه السلام وإلى أهل بيته لما وردوا كربلاء وسمعوا باسم كربلاء وذلك في اليوم الثاني من المحرم قريباً من الضحى يعني ورودهم في وقت الضحى.

قال السيد في (اللهوف) لما نزلوا بكربلا جلس الحسين عليه السلام يصلح سيفه ويقول:

يـا دهـر أف لـك مـن خـلـيـل كـم لـك بـالإشـراق والأصـيـل
مـن طـالـب وصـاحـب قـتـيـل والـدهـر لا يـقـنـع بـالـبـديـل
وكـل حـي سـالـك سـبـيـل مـا أقـرب الـوعـد مـن الـرحـيـل
وإنـمـا الأمـر إلـى الـجـلـيـل

قال الراوي فسمعت زينب بنت فاطمة عليها السلام ذلك فقالت يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل فقال عليه السلام نعم يا أختاه فقالت زينب واثكلاه ينعى الحسين إليّ نفسه قال وبكى النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب وجعلت أم كلثوم تنادي وا محمداه وا علياه وا أماه وا أخاه وا حسيناه وا ضيعتاه بعدك يا أبا عبد الله قال فعزاها الحسين وقال لها يا أختاه تعزي بعزاء الله فإن سكان السموات يفنون وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون ثم قال يا أختاه يا أم كلثوم وأنت يا زينب وأنت يا فاطمة وأنت يا رباب انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن علي جيباً ولا تخمشن علي وجهاً ولا تقلن هجراً قال وروي من طريق آخر أن زينب لما سمعت مضمون الأبيات وكانت في موضع آخر منفردة مع النساء والبنات خرجت حاسرة تجر ثوبها حتى وقفت عليه وقالت وا ثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضين وثمال الباقين فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال يا أختاه لا يذهبن بحلمك الشيطان فقالت بأبي وأمي استقتل نفسي لك الفدا:

قـالـت أتـقـتـل نـصـب عـيـنـي جـهـرة مـا الـرأي فـي ومـا لـدي خـفـيـر
فـأجـابـهـا قـل الـفـدا كـثـر الـعـدى قـصـر الـمـدى وسـبـيـلـنـا مـحـصـور

فردت عليه غصة وترقرقت عيناه بالدموع ثم قال يا أختاه لو ترك القطا ليلاً لنام فقالت يا ويلتاه أفتغتصب نفسك اغتصاباً فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي ثم أهوت إلى جيبها فشقته وخرت مغشياً عليها فقام عليه السلام فصب عليها الماء حتى أفاقت ثم عزاها صلوات الله عليه بجهده وذكرها لمصيبته بموت أبيه وجده صلوات الله عليهم أجمعين.

كتب ابن زياد إلى عمر بن سعد أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما

ذكرت فأعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وأصحابه فإذا هو فعل رأينا رأينا والسلام فلما ورد الكتاب على عمر بن سعد قال قد خشيت أن لا يقبل ابن زياد العافية فلم يعرض ابن سعد على الحسين عليه السلام ما أرسل به ابن زياد لأنه علم أن الحسين عليه السلام لا يبايع يزيد أبداً ثم إن ابن زياد جمع الناس في جامع الكوفة ثم خرج فصعد المنبر ثم قال أيها الناس إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون وهذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة محسناً إلى الرعية يعطي العطاء في حقه قد أمنت السبل على عهده وكذلك كان أبوه معاوية في عصره وهذا ابنه يزيد من بعده يكرم العباد ويغنيهم بالأموال ويكرمهم وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين فاسمعوا له وأطيعوا ثم نزل عن المنبر ووفر الناس العطاء وأمرهم أن يخرجوا إلى حرب الحسين عليه السلام ويكونوا عوناً لابن سعد على حربه فلا يزال يرسل بالعساكر حتى اجتمعت عند عمر بن سعد إلى ست ليال خلون من المحرم عشرون ألف فارس فأول من خرج على ما في بعض الكتب بعد ابن سعد من الكوفة شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف وعلى ما هو المشهور نزل يوم التاسع وقيل إنه أقبل ثم رجع إلى الكوفة ثم نزل يوم التاسع والعلم عند الله ثم عروة بن قيس في أربعة آلاف ثم سنان بن أنس في أربعة آلاف ثم حصين بن نمير في أربعة آلاف ثم يزيد بن ركاب الكلبي في ألفين ثم فلان المازني في ثلاثة آلاف ثم خولى الأصبحي في ثلاثة آلاف وقد وقع الاختلاف بين أهل التواريخ في تعداد العساكر في الناسخ قال ابن جوزي كانت العساكر ستة آلاف. وقال السيد في (اللهوف) والأعثم الكوفي والمجلس عن محمد بن أبي طالب عشرين ألفاً وقال اليافعي في كتاب مرآة الجنان ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤال اثنين وعشرين ألفاً وقال ابن شهراشوب جهز ابن زياد خمساً وثلاثين ألفاً وفي شرح الشافية خمسين ألفاً وقال أبو مخنف ثمانين ألفاً كلهم من أهل الكوفة ليس فيهم شامي ولا حجازي ولا بصري وقالوا وأكثروا إلى مائة ألف ومائتي ألف وثمانمائة ألف قال صاحب الناسخ والمختار عند إحدى وخمسون ألفاً أو

ثلاث وخمسون ألفاً انتهى كلام الناسخ قيل لو أن أحداً صعد على ربوة من الأرض وكلما نظر مد بصره رأى الخيل والرجال والسيوف والرماح ولقد شبهت العساكر في كثرتها بالسيل المقبل والليل المظلم والجراد المنتشر والرمال المنتشر ووكوف القطر كما قال الحسين عليه السلام في رجزه:

وابن سعد قد رماني عنوة ... بجنود كوكوف الهاطلين
لا لشيء كان مني قبل ذا ... غير فخري بضياء الفرقدين
لم يخافوا الله في سفك دمي ... لعبيد الله نسل الكافرين

وقال الدمستاني:

فأظلتهم جنود كالجراد المنتشر ... مع شمر وابن سعد كل كذاب أشر
فاصطلى الجمعان نار الحرب في يوم عسر ... واستدارت في رحى الهيجاء أنصار الحسين

ولقد ضاقت أقطار أرض كربلاء من كثرة الخيل والرجال وأفاق السماء من كثرة الرايات تتبع بعضها بعضاً وقيل إنه من اليوم الثالث إلى اليوم السادس كان سوق الحدادين بالكوفة قائماً على ساق لهم وهج ورهج ووجبة وجلبة فكل من تلقاه إما يشتري سيفاً أو رمحاً أو سهماً أو سناناً ويحددها عند الحداد وينقعها بالسم لإراقة دم ريحانة الرسول ومهجة فؤاد البتول وكانت السهام كلها مسمومة وبعضها له شعبة واحدة وبعضها له شعبتان وبعضها ذو ثلاث شعب سود الله وجهك يا حرملة أما كان يكفي الرضيع ذو شعبة واحدة حتى رميته بسهم ذي ثلاث شعب فذبحه من الوريد إلى الوريد والسهم الذي وقع على قلب الحسين عليه السلام له ثلاث شعب ومزق أحشاءه وخرق قلبه الشريف وخرج من قفاه الخ ثم إن ابن زياد قد أجهد في قتل الحسين عليه السلام وبذل غاية جهده وسعيه ولما فرق الأموال بين أهل الكوفة وبعثهم إلى حرب الحسين عليه السلام كالسيل من الخيل والرجال أمر المنادي أن ينادي بالكوفة ألا برئت الذمة ممن وجد في الكوفة لم يخرج لحرب الحسين وقيل له إن الناس يكرهون قتال الحسين عليه السلام فيرجعون عن حربه سراً وينهزمون قال إن ظفرتم بأحد منهم ائتوني به فرُئي رجل غريب من أهل الشام قد رجع من الحرب فأحضر عند ابن زياد فسأله فقال إني

رجل غريب من أهل الشام جئت لدين لي في ذمة رجل من أهل العراق فقال ابن زياد اقتلوه ففي قتله تأديب لمن لم يخرج بعد فقتل ثم أرسل إلى شبث بن ربعي أن أقبل إلينا فإنا نريد أن نتوجه بك إلى حرب الحسين عليه السلام فتمارض شبث بن ربعي وأراد أن يعفيه ابن زياد فأرسل إليه أما بعد فإن رسولي أخبرني بتمارضك وأخاف أن تكون من الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا أنا معكم إنما نحن مستهزؤون إن كنت في طاعتنا فأقبل إلينا مسرعاً فأقبل إليه شبث بعد العشاء لئلا ينظر في وجهه فلا يرى عليه أثر العلة فلما دخل رحب به وقرب مجلسه وقال أحب أن تشخص إلى قتال هذا الرجل عوناً لابن سعد عليه فقال افعل أيها الأمير فأرسله في ألف فارس وفي خبر أربعة آلاف يا للعجب بين أن يتمارض لكي لا يحضر قتل الحسين عليه السلام وبين أن حضر وصنع ما صنع ورجع إلى الكوفة وبنى مسجداً فرحاً لقتل الحسين عليه السلام قال الباقر جددت أربع مساجد بالكوفة فرحاً لقتل الحسين عليه السلام مسجد الأشعث ومسجد جرير بن عبد الله البجلي ومسجد شبث بن ربعي ومسجد سماك قال علي عليه السلام إن بالكوفة مساجد مباركة ومساجد ملعونة وهذه الملعونة وأما المباركة فمعلوم والحاصل وكتب إلى ابن سعد أني لم أجعل لك عذراً في كثرة الخيل والرجال فانظر لا أصبح ولا أمسي إلا وخبرك عندي بكرة وعشية روى الطبري أن شمر بن ذي الجوشن قال لابن زياد والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدثان عامة الليل فكتب أما بعد يابن سعد قد بلغني أنك تخرج في كل ليلة وتبسط بساطاً وتدعو الحسين وتتحدثه حتى يمضي من الليل شطره فإذا قرأت كتابي فأمره أن ينزل على حكمي فإن أطاع وإلا امنعه من شرب الماء في (القمقام) إن ابن زياد كان مغتاظاً على عمر بن سعد من إمهاله الحسين عليه السلام وعدم مناجزته في القتال فبعث جويرية بن بدر التميمي إلى الطف وكان من الأمراء قال له إذا وجدت ابن سعد متوانياً في القتال فأخبرني حتى أؤمر غيره قال الطبري قال الحصين حدثني سعد بن عبيدة قال إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد في يوم شديد الحر إذ أتاه رجل فساره وقال له قد بعث إليك ابن زياد

جويرية بن بدر التميمي وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك قال فوثب عمر بن سعد إلى فرسه فركبه ثم دعا سلاحه فلبسه وأنه على فرسه ونهض بالناس قال الصدوق (ره) وأقبل عبيد الله بن زياد بعسكره حتى عسكر بالنخيلة يترصد الأخبار.

في عطش أهل البيت عليهم السلام

هي كربلاء فقف على عرصاتها ... ودع الجفون تسح في عبراتها
سلها بأي قرى تعاجلت الأولى ... نزلوا ضيوفاً عند قفر فلاتها
ما بالها لم تروهم من مائها ... حتى تروت من دمار قباتها
بأبي وغير أبي أميراً ظامياً ... منعته حرب من ورود فراتها
حتى قضى عطشاً قتيل أراذل ... تستحقر الشفتان ذم صفاتها

في (البحار) عن داود الرقي قال كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام إذا استسقى الماء فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بالدموع فقال يا داود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام فما من عبد شرب الماء وذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا وكتب الله له مائة ألف حسنة وحط عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة درجة وكأنما أعتق مائة ألف نسمة وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد وحق على كل مسلم أن يذكر الحسين عليه السلام إذا شرب الماء ولاسيما نحن معاشر الشيعة لأنه قال عليه السلام:

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني ... أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني

في الناسخ منع الحسين عليه السلام عن الماء في يوم الثلاثاء السابع من المحرم ورد كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي عثمان بن عفان فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ومنعوهم أن يسقوا منه قطرة ونادى عبد الله بن الحصين الأزدي بأعلى صوته يا حسين

ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً فقال الحسين عليه السلام اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً قال حميد بن مسلم والله لعدته بعد ذلك في مرضه فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب الماء حتى يبغر ثم يقيئه ويصيح العطش يفعل ذلك مراراً ويتلظى عطشاً ثم يعود فيشرب حتى يبغر فما يروى فما زال ذلك دأبه حتى هلك وفي رواية (نفس المهموم) لما نزلوا على الشريعة صاح ذرعة بن أبان بن دارم فرحاً حولوا بينه وبين الماء ثم رمى الحسين عليه السلام بسهم فأثبته في حنكه فقال عليه السلام اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً وكان عليه السلام قد أتى بشربة فحال الدم بينه وبين الشرب فأخرج السهم وجعل يتلقى الدم فيرمي به إلى السماء.

ويل الفرات أباد الله غامره ... ورد وارده بالرغم ظمآنا
لم يطف حر غليل السبط بارده ... حتى قضى في سبيل الله عطشانا
فعز أن تتلظى بينهم عطشاً ... والماء يصدر عنه الوحش ريانا

فلما أضر العطش بالحسين عليه السلام وأصحابه أخذ فأساً وأقبل إلى وراء خيمة النساء فخطا في الأرض تسع عشر خطوة نحو القبلة ثم حفر هناك فنبعت له عين من الماء العذب فشرب الحسين عليه السلام وأصحابه وملأوا أسقيتهم بأجمعها ثم غارت العين فلم ير لها أثر فبلغ ذلك عبيد الله كتب إلى ابن سعد بلغني أن الحسين عليه السلام يحفر الآبار ويصيب الماء فإذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيق عليهم ولا تدعهم يذوقوا الماء وافعل بهم كما فعلوا بالزكي عثمان قال الشيخ يوسف البحراني في الكشكول لما منع الحسين عليه السلام وأصحابه من الماء نادى فيهم من كان ظمآناً فليأتِ فآتاه رجل بعد رجل من أصحابه وهو يجعل إبهامه في راحة أحدهم فلم يزل يشرب الرجل بعد الرجل حتى ارتووا فقال بعضهم لبعض والله لقد شربت شراباً ما شربه أحد في دار الدنيا بأبي وأمي من كان إبهامه مجرى لجميع المياه وهو يتلظى عطشاً:

عذيري من ظام تلظى وعنده ... من البارد السلسال أصفى رحيقه

نعم لما علم أن رضاء الله في ذلك وهو أن يقتل عطشاناً بقي يجود بنفسه وجراحاته تشخب دماً وهو يطلب منهم جرعة من الماء في كتاب الإتحاف للشبراوي الشافعي منعوه من الماء في يوم شديد الحر وصاروا يتراؤون إليه الماء بكيزان من البلور مملوءة ماء بارداً فيقول عليه السلام أقسم عليكم بجدي إلا ما سقيتموني شربة أبرد بها كبدي فلم يجيبوه قال المرحوم شيخنا التستري في الخصائص ولقد آثر العطش في أربعة عضو من أعضائه الشريفة الكبد والشفة واللسان والعين الشفة ذابلة من الأوام والكبد مفتت من حر الظماء واللسان مجروح من كثرة الملوك في الفم والعين من شدة العطش مظلمة في (البحار) وهو بآخر رمق من الحياة يلوك بلسانه من العطش ويطلب الماء فجاء شمر بن ذي الجوشن فرفسه برجله وقال يا ابن أبي تراب ألست تزعم أن أباك على حوض النبي يسقي من أحبه فاصبر حتى تأخذ الماء من يده ويناسب في هذا المقام أن أذكر أبياتاً من قصيدة المرحوم السيد حيدر رحمه الله:

لا صبر يا آل فهر فابن فاطمة ... يمسي وكان أمان الناس منزعجا
مقلقلاً ضاقت الأرض الفضاء به ... حتى على لفح نيران الظما درجا
لقد قضى بفؤاد حر غلته ... لو قلب الصخر يوماً فوقه نضجا
الله أكبر آل الله مشربهم ... بين الورى بزعاف الموت قد مزجا
مروعون وهم أمن المروع غداً ... وسع الفضاء عليهم ضيقاً حرجا
قد ضرج السيف منهم كل ذي نسك ... بغير ذكر إله العرش ما لهجا
فغودرت في الثرى صرعى حسومهم ... وفي نفوسهم لله قد عرجا

في شرح الفاضل العلامة الجليل السيد نعمة الله الجزائري على تهذيب شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي طاب ثراهما في باب زيارة الحسين عليه السلام ما هذه عبارته وما نقل من أنهم سدوا الماء عليه حتى اضطر إلى حفر الآبار فالظاهر أنه عبارة عن منعهم له ولعسكره عن المشرعة وإلا فالفرات يبعد سدها في تلك الأيام القليلة أو سد النهر المسمى بالعلقمي الذي كان يجري من الفرات وبما قلناه وقع التصريح أيضاً في كثير من الكتب التي صنفت في بيان تلك الواقعة كما روي أن علي بن الحسين عليه السلام

لما رجع من الشام مع حريمه مر بكربلا فوجد ماء ذلك النهر جارياً فقال له منعت ماؤك عن أبي عبد الله عليه السلام وتجري فغار ماؤه وعميت معالمه إلى يومنا هذا ولا يجري ماؤه حتى يظهر المهدي ويخرج الحسين عليه السلام لينتقم من قاتله وممن أسس الظلم على أبيه قال المرحوم الحاج شيخ جعفر (قدس سره) اعلم أن للحسين عليه السلام في الماء حقوقاً أربعة (الأول) حقه في الماء من حيث الاشتراك مع جميع الناس فإن الناس كلهم شركاء في الماء ولذا جاز الشرب من الأنهار المملوكة وإن لم يأذن صاحبها (والثاني) حقه في الماء من حيث الاشتراك مع جميع ذوات الأرواح فإن لكل ذات روح في الماء حقاً ولذا يلزم التيمم للصلاة مع خوف الهلاك على الحيوانات المملوكة من العطش و (الثالث) من حيث ثبوت حق السقي لهم على أهل الكوفة فإنه قد سقاهم ثلاث مرات مرة في الكوفة في زمان علي عليه السلام وتارة في صفين وأخرى في القادسية حين الملاقاة مع عسكر الحر بن يزيد الرياحي و (الرابع) له حق في الفرات بخصوصه فإنه نحله الله لفاطمة عليها السلام ومهر الزهراء ولم يراعوا هذه الحقوق ومنعوه منه ومن أصحابه وعياله وأطفاله وذلك بثلاثة أيام قبل قتله كتب عبيد الله بن زياد كتاباً أضرم النار في قلوب معشر المحبين حشى الله قبره ناراً كتب يا ابن سعد إني قد حللت الماء على الكلاب والخنازير وحرمته على الحسين وأصحابه فلما وصل الكتاب عقد راية في أربعة آلاف وأمر عليهم شبث بن ربعي وأمره أن ينزل على المشرعة وضيقوا على الحسين وأصحابه فلما اشتد العطش بالحسين وأهل بيته دعا بأخيه العباس فضم إليه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معه عشرين قربة فأقبلوا في جوف الليل حتى دنوا من الفرات فقال عمرو بن الحجاج من أنتم فقال رجل من أصحاب الحسين عليه السلام يقال له هلال بن نافع البجلي وقد قرر في محله نافع بن هلال الجملي أنا ابن عم لك جئت لأشرب من هذا الماء فقال عمرو اشرب هنيئاً فقال هلال ويحك كيف تأمرني أن أشرب والحسين بن علي عليهما السلام ومن ومعه يموتون عطشاً فقال عمرو صدقت ولكن أمرنا بأمر لا بد أن ننتهي إليه فصاح هلال بأصحابه فدخلوا الفرات وصاح عمرو بالناس واقتتلوا قتالاً شديداً فكان قوم يقاتلون وقوم يملأون العرب

حتى ملؤها ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد ثم رجع القوم إلى معسكرهم فشرب الحسين عليه السلام ومن كان معه ولذلك سمي العباس سقاً وصار لقباً له ويفتخر بهذا اللقب وقال في رجزه أبي أنا العباس أغدو بالسقا ولكن أسفي على هذا السقاء حيث قضى نحبه وهو عطشان ولنعم ما قال القائل في رثائه:

حقيق بالبكاء عليه حزناً ... أبو الفضل الذي واسا أخاه
وجاد له على ظمأ بماء ... وكان رضا أخيه مبتغاه
بنفسي شفاها ذابلات من الظمأ ... ولم تحظ من ماء الفرات بقطرة
بنفسي عيوناً غابرات سواهراً ... إلى الماء منها نظرة بعد نظرة

في أسرار الشهادة للدربندي (ره) روى عن سكينة بنت الحسين عليها السلام قالت عز ماؤنا ليلة التاسع من المحرم فجفت الأواني ويبست الشفاه حتى صرنا نتوقع الجرعة من الماء فلم نجدها فقلت في نفسي أمضي إلى عمتي زينب لعلها ادخرت لنا شيئاً من الماء فمضيت إلى خيمتها فرأيتها جالسة وفي حجرها أخي عبد الله الرضيع وهو يلوك بلسانه من شدة العطش وهي تارة تقوم وتارة تقعد فخنقتني العبرة فلزمت السكون خوفاً من أن تفيق بي عمتي فيزداد حزنها فعند ذلك التفتت عمتي وقالت سكينة قلت لبيك قالت ما يبكيك قلت حال أخي الرضيع أبكاني ثم قلت عمتاه قومي لنمضِ إلى خيم عمومتي وبني عمومتي لعلهم ادخروا شيئاً من الماء قالت ما أظن ذلك فمضينا واخترقنا الخيم بأجمعها فلم نجد عندهم شيئاً من الماء فرجعت عمتي إلى خيمتها فتبعتها من نحو عشرين صبياً وصبية وهم يطلبون منها الماء وينادون العطش العطش فكثر الضجيج منهم فمر عليهم برير بن خضير الهمداني ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فسمع الضجة فقال ما هذا البكاء فقيل له يا برير هؤلاء أطفال الحسين يبكون من شدة العطش والظمأ فالتفت برير إلى أصحابه وقال لهم أصحابي يمتن بنات رسول الله عطشاً وفي أيدينا قوائم أسيافنا إذاً ثكلتنا أمهاتنا فوالله لا يكون ذلك أبداً فقال له رجل من أصحابه الرأي أن يأخذ كل واحد منا فتاة من هذه الفتيات ونهجم بهن على الماء فربما أصاب أحداً منهم سهم أو رمح فنكون نحن السبب لذلك ولكن

الرأي أن نأخذ القربة ونملأها فإذا قاتلونا قاتلناهم فإذا قتلنا صرنا فداء للحسين عليه السلام ولبنات رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا له هذا هو الرأي ثم أخذوا القربة ومضوا إلى الفرات فهجموا على الماء فنادى أحد من القوم من أنتم فقال برير أنا برير وهؤلاء أصحابي أتينا لنشرب الماء فقال لهم اشربوا الماء هنيئاً مريئاً ولكن بشرط أن لا يحمل أحد منكم قطرة من الماء للحسين فقال لهم برير ويلكم نشرب الماء هنيئاً والحسين وبنات رسول الله يموتون عطشاً لا كان ذلك أبداً ثم التفت إلى أصحابه وقال يا أصحابي لا يشرب أحد منكم الماء اذكروا ما وراءكم فقال له رجل من أصحابه والله ما نذوق الماء حتى تبل أكباد صبية صغار من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إن بريراً ملأ القربة وخرج من المشرعة هو وأصحابه فاحتوشه القوم من كل جانب ومكان فحمل عليهم البرير وأصحابه وجعلوا يدافعونهم وكثر الازدحام عليهم فقال برير لأصحابه إن الرأي أن يأخذ أحد منا القربة ويذهب بها ونحن نقاتل فحملها رجل من القوم وسا بها يريد الخيام إذ أتاه سهم فوقع في حبل القربة وخاطها في عنقه فسال الدم على صدره فمد يده وأخرج السهم من عنقه والدم يجري وهو يقول الحمد لله الذي جعل رقبتي فداء للقربة وفداء لأطفال الحسين عليه السلام فوقف برير يقاتل وينادي يا آل أبي سفيان اتقوا الله ولا تثيروا الفتنة ودعوا سيوف همدان في إغمادها فسمعه الحسين عليه السلام وقال معاشر الكرام كأني أسمع صوت برير يعظ القوم وينتدب بآل همدان فحمل من أصحاب الحسين عليه السلام اثنا عشر رجلاً وكشفوا القوم عن برير ورجعوا جميعاً إلى الخيام وجاؤوا بالقربة ووضعوها بين أطناب الخيم ونادوا يا بنات رسول الله دونكم الماء فأقبلن يهرعن إليها فاجتمعن يدرن حول القربة فمنهن من وضعت خدها على القربة من شدة العطش ومنهن من رمت بنفسها عليها فإذا انحل الوكاء وأريق ماؤها ولم يبق منها قطرة واحدة ولم تذق واحدة منهن شيئاً فصحن بأجمعهن وا ويلاه وا ثبوراه وخرجن من الخيمة وصحن يا برير أريق الماء فلما سمع برير جعل يلطم على رأسه ويقول والهفتاه على أكباد بنات رسول الله صلى الله عليه وآله:

بنفسي نساء السبط يبكين حوله ظمايا حيارى حاسرات وثكلا

عطاشا على شاطىء الفرات فما لهم سبيل إلى قرب المياه ورود

نعم ينظر الأطفال والعيال إلى الماء ويرون أهل الكوفة يشربون ومع دوابهم وخيولهم يتمرغون في الماء وهم يتحسرون ويتأوهون لأجل قطرة منها ويجلسون حلقاً حلقاً وذكرهم العطش والماء وأبو الأئمة الحسين عليه السلام يقف أمامهم ويعظهم ويطلب منهم جرعة من الماء ويخبرهم بحال أطفاله وعياله وأنهم قد أشرفوا على الهلاك وهم لا يجيبونه. نظم:

بأبي الإمام المستظام بكربلا يدعو وليس لما يقول مجيب
بأبي الوحيد وما له من راحم يشكو الظما والماء منه قريب
بأبي الحبيب إلى النبي محمد ومحمد عند الإله حبيب
يا كربلاء أفيك يقتل جهرة سبط المطهر إن ذا لعجيب
ما أنت إلا كربة وبلية كل الإنام بهولها مكروب

قال المرحوم الحاج شيخ جعفر (قدس سره) ولأن الحسين عليه السلام منع من الفرات أعطاه الله من المياه أربعة أنواع (الأولى) ماء الدموع جعلها الله له فإنه صريع الدمعة وقتيل العبرة ولذا ورد في الخبر كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام (والثانية) ماء الحيوان وهي في الجنان مخصوص بالحسين عليه السلام يمزج بماء دموع شيعته أن الله ليأمر ملائكته المقربين أن يتلقوا الدموع المصبوبة لقتل الحسين عليه السلام فيدفعونها إلى الخزان في الجنان فيمزجونها بماء الحيوان فتزيد في عذوبتها وطيبها ألف ضعفها (والثالثة) كل ماء بارد يشربه أحبته فإن للحسين عليه السلام فيه حق الذكر لأنه قال:

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني

وقال الصادق عليه السلام إني ما شربت ماء بارداً إلا وذكرت الحسين عليه السلام [الرابعة] الكوثر جعله الله له ولعطشه ولعطش شهدائه أرواهم عنه في الطف حين وقوعهم على الأرض. وروى السيد هاشم البحراني (قدس سره) في مدينة المعاجز ونقله صاحب الناسخ أنه سئل علي بن موسى الرضا عليه السلام أن الحسين عليه السلام قتل عطشاناً قال مه من أين ذلك وقد بعث الله أربعة أملاك من

عظماء الملائكة إليه وهبطوا إليه وقالوا له الله ورسوله يقرآن عليك السلام ويقولان اختر أن تسأل ما تختار الدنيا بأسرها وما فيها فتمكنك من كل عدو لك أو الرفع إلينا فقال الحسين عليه السلام وعلى رسول الله السلام بل الرفع إليه ودفعوا إليه شربة من ماء فشربها فقالوا أما أنك لا تظمأ بعدها أبداً وأيضاً في الدمعة والمعدن وفي كتاب اليد والمنبر للسبزواري عن مفتاح البكاء للبرغاني مؤلف المعدن أن الحسين عليه السلام في كربلا لما ابتلي بالعطش جاء رجل من السياحين ومعه إناء من الخشب وقد ملأ من الماء إلى الحسين عليه السلام وأعطاه إياه فأخذه من يده وصب الماء على الأرض وقال أيها السياح إنا لا نفقد الماء انظر فلما نظر السياح رأى أنهاراً جارية فملأ الحسين عليه السلام إناء السياح بالحصى وأعطاه إياه فإذا الحصى انقلبت إلى الجواهر الفريدة ولا يخفى أن هذه الأخبار لا تنافي من أن الحسين عليه السلام وأصحابه كانوا عطاشاً ظماءً أو أضر العطش بهم حتى اسودت الدنيا بأعينهم لأنهم كانوا كذلك ولكن لما قربت آجالهم وسناياهم وأشرفوا على الشهادة وظهر صبرهم ووفاؤهم وإقدامهم على ما عاهدوا عليه الله في عالم الذر وقيامهم بالعهود والمواثيق التي أوكدوها وعلم الله ذلك منهم فجزاهم أحسن الجزاء وأجزل لهم العطاء وسقاهم ربهم شراباً طهوراً وأبدلهم بالدنيا جنة وسروراً فيا طوبى لهم ثم يا طوبى لهم وإلا فمن البديهيات الأولية التي لا ينكرها أحد بأنهم عطشوا عطشاً شديداً حتى كادت أن تخرج أرواحهم من أبدانهم وأخبر الله تعالى لموسى عليه السلام صغيرهم يميته العطش وكبيرهم جلده منكمش وقال جبرائيل لآدم عليه السلام في عطش الإمام يا آدم ولدك هذا يقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً بلا ناصر ولا معين ولو تراه يا آدم وهو يقول وا عطشاه وا قلة ناصراه حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان فلم يجبه أحد إلا بالسيوف وشرب الحتوف فيذبح ذبح الشاة من القفا وينهب رحله أعداؤه ويشهر رأسه ورؤوس أصحابه في البلدان ومعهم النسوان كذلك سبق في علم المنان.

في الكبريت الأحمر لشيخنا الأجل المتبحر الحاج شيخ محمد باقر القائيني عن الصادق عليه السلام هو أن علي بن الحسين عليه السلام لما رجع من الشام

مع حريمه من كربلا فوجد ماء ذلك النهر جارياً فقال له منعت ماؤك عن أبي عبد الله وتجري فغار ماؤه وعميت معالمه إلى يومنا هذا ولا يجري ماؤه حتى يظهر المهدي عليه السلام ويخرج الحسين عليه السلام لينتقم من قاتله وممن أسس الظلم على أبيه وفيه خبر آخر وهو أن نهر العلقمي كان جارياً إلى الكوفة وبه كانت معمورة وقد أخرب ذلك النهر الوزير السعيد مؤيد الدين أبو طالب محمد بن علي بن محمد العلقمي وهو وزير المعتصم العباسي وهو الذي كتب ابن أبي الحديد النهج باسمه والحاصل أخربه لأنه بلغه أن الصادق عليه السلام قال مخاطباً لذلك النهر منعوا جدي عنك وبعدك تجري فأمر الوزير بخرابه فأخرب وفي بعض الكتب كان خراب ذلك سبباً لخراب الكوفة ولعمري يعز علينا معشر الشيعة بأن نراه جارياً وقد بلغنا أن سيدنا الحسين عليه السلام قضى نحبه بجنب الفرات وهو يتلظى عطشاً ويطلب جرعة منه فلا يعطاه:

أيقتل ظمآنا حسين بكربلا وفي كل عضو من أنامله بحر
ووالده الساقي على الحوض في غد وفاطمة ماء البحار لها مهر

قال في الاسرار اشتد به العطش كادت روحه أن تطلع من شدة العطش حمل على القوم فقلب أولهم على آخرهم فانكشفوا من بين يديه يدق بعضهم بعضاً قال اسحق بن حويه كنت موكلاً مع أربعة آلاف على الشريعة فلما حمل عليه السلام علينا انهزمنا من بين يدي الحسين عليه السلام فدخل الماء وكنت أنظر إليه من بعيد فرأيته عرض الماء أولاً على الفرس ذكرت علي بن أبي طالب عليه السلام ونزول الآية في شأنه ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقلت في نفسي لعمري هو ابن أمير المؤمنين فمد يده وأخذ غرفة من الماء فرماه حصين بن نمير بسهم في حنكه فنزع السهم وتلقى الدم بكفيه ورمى به إلى السماء وقال لا أرواك الله ثم قال رب إليك أشكو من قوم أراقوا دمي ومنعوني شرب الماء ثم أراد أن يشرب ثانياً ويملأ ركوة معه نادى وحق بيعة يزيد لو شرب الحسين من الماء لافناكم عن آخركم قال اسحق قلت لا بد أن نحتال معه بحيلة حتى لا يشرب ناديت يا حسين تتلذذ بشرب الماء وقد هتك حريمك ونادى خولى بن يزيد يا حسين إلحق

الخيم فقد أحرقت بالنار وأنت حي فنفض الماء من يده ورجع إلى الخيم فوجدها سالمة فعلم أنها مكيدة قال اسحق فصفقنا بأيدينا وضحكنا فتبادرت النساء والأطفال وظنوا أن الحسين عليه السلام جاءهم بالماء فلما رأينه مخضباً بالدم صحن ولطمن الخدود وكانت له طفلة صغيرة قالت له قبل أن يمضي إلى الماء وإلى المشرعة يا أبة العطش قال لها اصبري حتى آتيك بالماء فلما رجع قالت الطفلة يا أبة لعلك آتيتني بالماء فبكى وأنشأ يقول: (شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني) الخ ثم طلب خرقة وأدخلها في جرح حنكه وودع العيال ثانياً ومضى إلى القوم وكلما أراد أن يدخل الماء منعوه وحالوا بينه وبين الفرات.

فيما جرى بينه وبين عمر بن سعد

قال الطبري أنه بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة الأنصاري أن القنى الليلة بين عسكري وعسكرك قال فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً وأقبل الحسين عليه السلام في مثل ذلك فلما التقوا أمر الحسين عليه السلام أصحابه أن يتنحوا عنه وأمر ابن سعد أصحابه بمثل ذلك قال فانكشفا عنهما بحيث لا يسمع أصواتهما ولا كلامهما فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع (أي طائفة) ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه وتحدث الناس فيما بينهما ظناً يظنونه أن حسيناً قال لعمر بن سعد اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين في المعدن عن التبر المذاب كان عمر بن سعد يكره قتال الحسين عليه السلام فبعث إليه يطلب الاجتماع فلما اجتمعا قال له عمر ما الذي جاء بك يا أبا عبد الله فقال عليه السلام كتب إليّ أهل مصركم هذا أن أقدم فقدمت فالآن إذا كرهتموني فأنا انصرف عنكم فقال يا أبا عبد الله أما عرفت ما فعلوا بكم فقال عليه السلام من خادعنا في الله انخدعنا له فقال عمر قد وقعت الآن كما ترى فماذا ترى فقال دعوني أذهب إلى المدينة أو مكة أو اذهب إلى بعض الثغور أقيم به كبعض أهلها فقال عمر اكتب إلى ابن زياد بذلك إن شاء الله ثم افترقا وأما ما ذكره

شيخنا المفيد (ره) فهو أن الحسين عليه السلام أنفذ إلى عمر بن سعد أني أريد أن ألقاك فاجتمعا ليلاً فتناجيا طويلاً ثم رجع عمر بن سعد إلى مكانه وكتب إلى عبيد الله بن زياد أما بعد فإن الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة هذا حسين قد أعطاني عهداً أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى أو أن تسيروه إلى ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده فيرى رأيه فيما بينه وبينه وفي هذا لك رضىً وللأمة فيه صلاح وفي رواية أبي الفرج فوجه إليه رسولاً يعلمه ذلك ويقول لو سألك هذا بعض الديلم ولم تقبل ظلمته فمن المعلوم أن ما كتبه عمر بن سعد فمن عنده طلباً للإصلاح وإلا لم يتفوه الحسين بأن يأتي يزيد ويضع يده في يده كما روى الطبري وغيره عن عقبة بن سمعان أنه قال صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل عليه السلام وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في العسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها لا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلا ذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس ولما وصل كتاب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد وقرأه قال هذا كتاب ناصح مشفق على قومه فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك والله لأن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة ولتكونن أولى بالضعف فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه فإن عاقبت فأنت أولى بالعقوبة وإن عفوت كان ذلك لك فقال له ابن زياد نعم ما رأيت الرأي رأيك اخرج بهذا الكتاب إلى ابن سعد فليعرض على الحسين عليه السلام وأصحابه النزول على حكمي فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماً وإن هم أبوا فليقاتلهم فإن فعل فاسمع له وأطع وإن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الجيش فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه فأخذ شمر الكتاب وخرج من الكوفة وقال الصدوق (ره) فوجه إليه شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف

فارس وكتب إلى عمر بن سعد إذا أتاك كتابي هذا فلا تمهلن الحسين بن علي وخذ بكظمه وحل بين الماء وبينه كما حيل بين عثمان وبين الماء يوم الدار، وقد فعل ذلك لأنه ما أمهل الحسين عليه السلام وأخذ بكظمه وضيق عليه الأمر وأحاطوا به حتى جعلوه في مثل الحلقة وأصبح بينهم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً كما قال القاسم في رجزه هذا حسين كالأسير المرتهن سألهم أن يتركوه حتى يرجع إلى المدينة ما فعلوا سألهم الرواح إلى بلاد الله العريضة فلم يرضوا سألهم التوجه إلى الروم أو الهند ويخلي لهم الحجاز والعراق فلم يرضوا منه إلا بأن ينزل على حكم يزيد وابن مرجانة أو يقتلوه عطشاً ولذا قال عليه السلام لابنته سكينة لما قالت أبتاه ردنا إلى حرم جدنا رسول الله قال عليه السلام هيهات لو ترك القطا لغفا ونام الخ.

أبت الحمية أن يفارق أهلها وأبى العزيز بأن يعيش ذليلا

كتب ابن زياد إلى عمر بن سعد يا ابن سعد إني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة والبقاء ولا لتعتذر عنه ولا لتكونن له عندي شفيعاً انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم إلي سلماً وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون يا ابن سعد فإن قتلت حسيناً فاوطئ الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق عات ظلوم ولست أرى أن هذا يضره بعد الموت شيئاً ولكن على قول قد قلته لو قد قتلته لفعلت هذا به فإن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع وإن أبيت فاعتزل علمنا وجندنا وخل بين شمر ذي الجوشن وبين العسكر فإنا قد أمرناه بأمرنا والسلام. وفي رواية أبي الفرج فوجه إليه ابن زياد طمعت يا ابن سعد في الراحة وركنت إلى دعة ناجز الرجل وقاتله ولا ترض منه إلا أن ينزل على حكمي فأقبل شمر بكتاب عبيد الله إلى عمر بن سعد فلما قدم عليه وقرأه قال له لا أهلاً ولا سهلاً يا أبرص مالك ويلك لا قرب الله دارك وقبح الله ما قدمت به عليّ والله إني لأظنك أنك نهيته أن يقبل ما كتبت به إليه وأفسدت علينا أمراً قد كنا رجونا أن يصلح والله لقد ثنيته عما كان في عزمه واذعرته ولكنك شيطان فعلت ما فعلت لا يستسلم والله حسين إن

نفس أبيه لبين جنبيه فقال له شمر أخبرني ما أنت صانع تمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوه وإلا فخل بيني وبين الجند والعسكر فقال لا ولا كرامة لك ولكني أنا أتولى ذلك فدونك فكن أنت على الرجالة وفي (القمقام) أرسل عمر بن سعد بالكتاب إلى الحسين فقال الحسين لا والله لا وضعت يدي في يد ابن مرجانة وفي (نفس المهموم) عن الدينوري فقال الحسين عليه السلام للرسول لا أجيب ابن زياد إلى ذلك أبداً فهل هو إلا الموت فمرحباً به (نظم).

بأبي أبي الضيم لا يعطى العدى حذر المنية منه فضل قياد
بأبي فريداً أسلمته يد الردى في دار غربته لجمع أعادي

قال ابن أبي الحديد سيد أهل الإباء الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختياراً له على الدنية أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عرض عليه الأمان وأصحابه فأنفق من الذل ثم ذكر ابن أبي الحديد قوله عليه السلام في خطبته ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركن بين اثنتين الخ وأمثال هذه العبارة قد وردت في كلماته كثيراً ومن ذلك قوله عليه السلام لا والله لا أعطي بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد ومنها قوله عليه السلام والله لا أجيبهم إلى شيء مما يدعونني إليه حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي وفي أرجوزته قال عليه السلام:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

في وقائع يوم التاسع

قال الصادق عليه السلام تاسوعاً يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم بكربلاء واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين عليه السلام وأصحابه وأيقنوا أنه لا يأتي الحسين ناصر ولا يمده أهل العراق ثم بكى عليه السلام وقال بأبي المستضعف الغريب نعم في هذا اليوم اجتمعت عدتهم وكثر جمعهم وتوافرت كثرتهم ونزل شمر بن ذي الجوشن على ما روى الصدوق في أربعة آلاف ومعه كتاب من عبيد الله في (القمقام) قال سعد بن

عبيدة كنا في حر شديد في ذلك اليوم وقد دخلنا الماء مع عمر بن سعد فجاء إليه رجل وأسر إليه أن ابن زياد بعث الشمر إليك ليرى إن كنت متوقفاً في القتال يضرب عنقك فتعجل بن سعد إلى حرب الحسين فركب من ساعته ونادى في أهل الكوفة ونادى يا خيل الله اركبي وبالجنة ابشري فركب ثم رجف نحوهم بعد العصر واقتربوا نحو خيم الحسين عليه السلام والحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه وسمعت أخته زينب الصيحة فدنت من أخيها فقالت يا أخي أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربت فرفع الحسين عليه السلام رأسه فقال أخية إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله الساعة في المنام فقال لي إنك تروح إلينا وفي (اللهوف) إني رأيت الساعة جدي محمداً صلى الله عليه وآله وأبي علياً وأمي فاطمة وأخي الحسن وهم يقولون يا حسين إنك رائح إلينا عن قريب وفي بعض الروايات غداً فلطمت أخته وجهها وصاحت واويلاه وبكت فقال لها الحسين عليه السلام ليس لك الويل يا أخية لا تشمتي القوم بنا اسكتي رحمك الله فقال له العباس بن علي عليه السلام يا أخي قد أتاك القوم قال فنهض ثم قال يا عباس اركب أنت بنفسي يا أخي حتى تلقاهم وتقول لهم ما لكم وما بدا لكم وتسألهم عما جاء بهم فأتاهم العباس في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر فقال لهم العباس ما بدا لكم وما تريدون قالوا قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم قال فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله عليه السلام فأعرض عليه ما ذكرتم فوقفوا وقالوا القه وأعلمه ثم القنا بما يقول لك فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين عليه السلام يخبره الخبر ووقف أصحابه يخاطبون القوم فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين كلم القوم إن شئت وإن شئت كلمتهم فقال له زهير أنت بدأت بهذا فكن أنت تكلمهم فقال لهم حبيب بن مظاهر أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه وعترته وأهل بيته وعباد أهل هذا المصر المتهجدين بالأسحار الذاكرين الله كثيراً فقال له عروة بن قيس إنك لتزكي نفسك ما استطعت فقال له زهير يا عروة إن الله قد زكاها وهداها فاتق الله يا عروة فإني لك من الناصحين أنشدك الله يا عروة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية قال يا زهير ما

كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت عثمانياً قال أفلست تستدل بموقفي هذا إني منهم أما والله ما كتبت إليه كتاباً قط ولكن الطريق جمع بيني وبينه فلما رأيته ذكرت به رسول الله ﷺ ومكانه منه وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم فرأيت أن أنصره وأن أكون في حزبه وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله بيض الله وجهك يا زهير لقد حفظت ما ضيعوا وأديت ووفيت فجزاك الله وشكر الله مساعيك سود الله وجوه قوم لم يحفظوا ولم يراعوا الله ولا سوله في عترة نبيهم:

وكأنني يوم الحساب بأحمد ... بالرسل يقدم حاسراً عن معصم
فيقول ويلكم هتكتم عترتي ... وتركتم الأسياف تقطر من دمي
تدرون أي دم أرقتم في الثرى ... أم أي حسرى سقتم في المغنم
أمن العدالة صونكم فتيانكم ... وعقايلي تسبون سبي الديلم
هذا جزائي منكم فلطالما ... ضيعتموا عهدي ببنت وابنم

فبالله هذا جزاء رسول الله ﷺ في ابنته وأبنائه بأن عصروا ابنته ما بين الحائط والباب حتى كسروا ضلعها وفي كربلاء داسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيولهم حتى كسروا أضلاعه.

وبكسر ذاك الضلع رضت أضلع ... في طيها سر الإله مصون

قيل لعلي بن الحسين عليه السلام ما أقل ولد أبيك قال العجب كيف ولدت له وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى يتفرغ للنساء وكان عليه السلام في العبودية والتواضع لله كما وصفه الحجة (عج) بقوله كان للقرآن سنداً وللأمة عضداً وفي الطاعة مجتهداً حافظاً للعهد والميثاق ناكباً عن سبل الفساق باذلاً للمجهود طويل الركوع والسجود زاهداً في الدنيا زهد الراحل عنها ناظراً إليها بعين المستوحشين منها صواماً بالنهار قواماً بالليل الخ ويخاف من ربه غاية الخوف حتى قيل له عليه السلام ما أعظم خوفك من ربك قال عليه السلام لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا ويحيي أكثر لياليه وآخر ليلة أحياها ليلة العاشر من المحرم لأنه لما زحف القوم إليه عشية التاسع من المحرم وأقبل العباس بن علي عليه السلام إلى الحسين عليه السلام فأخبره بما قاله القوم

فقال عليه السلام ارجع إليهم فإن استطعت تؤخرهم إلى غد وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار فمضى العباس إلى القوم وسألهم ذلك فتوقف عمر بن سعد وفي (المنتخب) قال عمر بن سعد للشمر ما تقول فقال أما أنا فلو كنت الأمير لم أنظره فقال عمرو بن الحجاج الزيدي ويلكم والله لو أنهم من الترك والديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم فكيف وهم آل محمد صلى الله عليه وآله فقال له قيس بن الأشعث لا تجبهم إلى ما سألوك فلعمري ليصبحنك بالقتال غدرة فقال والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرتهم العشية فرجع العباس من عندهم ومعه رسول من عمر بن سعد فقام حيث يسمع الصوت فقال إنّا قد أجلناكم إلى غد فإن استسلمتم سرحنا بكم إلى ابن زياد وإن أبيتم فلسنا بتاركيكم فانصرف وفي (أمالي الصدوق) أمر ابن سعد مناديه ينادي إنّا قد أجلنا حسيناً وأصحابه يومهم وليلتهم فشق ذلك على الحسين وأصحابه فدعا بأصحابه وأمرهم أن يقرب بعضهم بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض وأن يكونوا بين البيوت فيستقبلوا القوم بوجه واحد ومن جهة واحدة والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قد حفت بهم إلا الوجه الذي يأتيهم عنه عدوهم وأمرهم بحفيرة فحفرت حول عسكره شبه الخندق وأمر فحشيت حطباً وأرسل علياً ابنه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ليستقوا الماء وهم على وجل شديد ثم قال لأصحابه قوموا واشربوا من هذا الماء يكن آخر زادكم فتوضؤوا واغتسلوا واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم ومما يستظهر من هذا الخبر أنه عليه السلام فعل جميع ذلك توضأ واغتسل وغسل أثوابه لتكون أكفانه ولكن ما أبقوا عليه ثياباً لما قتلوه أقبلوا على سلبه الخ وسيأتي في محله.

في وقائع ليلة عاشوراء

في المجلد العشرين من البحار عن علي عليه السلام إن استطعت أن تحافظ على ليلة الفطر وليلة النحر وأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة

من رجب وليلة النصف من شعبان فافعل وأكثر فيهن من الدعاء والصلاة وتلاوة القرآن وكان سيدنا الحسين عليه السلام هذا شأنه خصوصاً في ليلة العاشر من المحرم الذي كان يعلم هي آخر ليلة من عمره في كتاب (دستور المذكرين) عن النبي صلى الله عليه وآله من أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله عبادة جميع الملائكة وأجر العامل فيها يعدل سبعين سنة وقال (قدس سره) في (الخصائص) من زار الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء وبات عنده حتى الصباح لقي الله ملطخاً بدمه وكان كمن قتل معه (وفيه) من سقى الماء ليلة عاشوراء عند قبره كان كمن سقى عسكر الحسين عليه السلام قال ابن طاوس في (الإقبال) اعلم أن هذه الليلة أحياها مولانا الحسين عليه السلام وأصحابه بالصلاة والدعوات وقد أحاط بهم زنادقة الإسلام ليستبيحوا منهم النفوس المعظمات وينتهكوا منهم الحرمات ويسبوا نسائهم المصونات فينبغي لمن أدرك هذه الليلة أن يكون مواسياً لبقايا أهل آية التطهير فيما كانوا عليه في الخبر أن الحسين عليه السلام في تلك الليلة قام الليل كله يصلي ويستغفر ويدعو ويتضرع وقام أصحابه كذلك يصلون ويدعون ويستغفرون فباتوا ولهم دوي كدوي النحل ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد وكذلك كانت سجيته في كثرة صلاته وكمال صفاته قال السيد فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً ويحتمل أن يكون في العبارة سقط وهي هذه ولحقوا واتصلوا بالحسين وقتلوا معه أو هذه واستهزؤا بالحسين عليه السلام وانصرفوا كما رواه الطبري عن أبي مخنف عن الضحاك أن عبد الله المشرقي قال فلما أمسى الحسين عليه السلام وأصحابه قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون قال فمر بنا خيل لهم تحرسنا وأن حسيناً عليه السلام ليقرأ ولا يحسبن الذين كفروا وإنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا فقال نحن ورب الكعبة الطيبون ميزنا منكم فقال له برير بن خضير يا فاسق أنت يجعلك الله في الطيبين فوالله إنا لنحن الطيبون ولكنكم لأنتم الخبيثون الخ وفي كتاب (عقد الفريد) بعد أن ذكر قول الحسين عليه السلام

لعمر بن سعد اختر مني إحدى ثلاث خصال قال وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيئاً فتحولوا مع الحسين عليه السلام فقاتلوا فقتلوا وقال في (أبصار العين) فجعل يتسلل إلى الحسين عليه السلام من أصحاب عمر بن سعد في ظلام الليل الواحد والاثنان حتى بلغوا في اليوم العاشر زهاء ثلاثين ممن هداهم الله إلى السعادة ووفقهم للشهادة ولما كان وقت السحر خفق الحسين عليه السلام برأسه خفقة ثم استيقظ فقال أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة فقالوا وما الذي رأيت يا ابن رسول الله فقال عليه السلام رأيت كأن كلاباً قد شدت عليّ لتنهشني وفيها كلب أبقع رأيته أشدها عليّ وأظن أن الذي يتولى قتلي من بين هؤلاء القوم رجل أبرص ثم إني رأيت بعد ذلك جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي يا بني أنت شهيد آل محمد وقد استبشر بك أهل السموات وأهل الصفيح الأعلى فليكن إفطارك عندي الليلة عجّل ولا تؤخر نعم كان عليه السلام صائماً حتى أفطر من يد جده صلى الله عليه وآله يقول المرحوم السيد حيدر [ره]:

ما حال صائمة الجوانح أفطرت بدم وهل يروي الدماء ظمائها

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله ولدي فهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء فهذا ما رأيت وقد أنف الأمر واقترب الرحيل من هذه الدنيا لا شك في ذلك. ولم يزل الملك يترقب وينتظر أن يأخذ ذلك الدم الطيب في القارورة حين بقي الحسين عليه السلام مكبوباً على الأرض ملطخاً بدمه ثلاث ساعات من النهار الخ وسيأتي في محله فجمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء قال علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم وأنا إذ ذاك مريض فسمعت أبي يقول لأصحابه أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة فاجعلنا من الشاكرين أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل ولا أفضل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً عني خيراً فلقد بررتم وعاونتم ألا وإني لا أظن يوماً لنا من

هؤلاء الأعداء إلا غداً ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل من بيعتي ليس عليكم مني ذمام وهذا الليل قد غشيتكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء فإنهم لا يريدون غيري فقال له أخوته وأبناؤه وأبناء عبد الله بن جعفر ولم نفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً بدأهم بذلك القول العباس بن علي عليه السلام ثم تابعوه ثم نظر إلى بني عقيل فقال حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم اذهبوا فقد أذنت لكم فعند ذلك تكلم أخوته وجميع أهل بيته وقالوا يا ابن رسول الله فما يقول الناس لنا وماذا نقول لهم نقول إنا تركنا شيخنا وكبيرنا وابن بنت نبينا لم نرم معه بسهم ولم نطعن معه برمح ولم نضرب معه بسيط لا والله يا ابن رسول الله لا نفارقك أبداً ولكن نقيك بأنفسنا حتى نقتل بين يديك ونرد موردك فقبح الله العيش بعدك ثم قام مسلم بن عوسجة وقال نحن نخليك هكذا وننصرف عنك وقد أحاط بك هذا العدو لا والله لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن لي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة ولم أفارقك أو أموت معك وقام سعد بن عبد الله الحنفي فقال لا والله يا ابن رسول لا نخليك أبداً حتى يعلم الله أنا قد حفظنا فيك وصية رسوله محمد صلى الله عليه وآله ولو علمت أني أقتل فيك ثم أحيى ثم أخرج حياً ثم أذرى ويفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً ثم قام زهير بن القين وقال والله يا ابن رسول الله لوددت أني قتلت ثم نشرت ألف مرة وأن الله قد دفع القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من اخوانك وولدك وأهل بيتك وتكلم جماعة من أصحابه بنحو ذلك وقالوا أنفسنا لك الفداء نقيك بأيدينا ووجوهنا فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربنا وقضينا ما علينا وقيل لمحمد بن بشير الحضرمي قد أسر ابنك بثغر الري فقال عند الله احتسبه ونفسي ما كنت أحب أن يؤسر ابني وأنا حي أو أنا أبقى بعده فسمع الحسين عليه السلام قوله فقال رحمك الله أنت في حل من بيعتي فاعمل في فكاك ابنك فقال أكلتني السباع حياً إن فارقتك في

(القمقام) عن مقاتل الطالبين فقال هيهات أن أفارقك ثم اسأل الركبان عن خبرك لا يكون والله هذا أبداً قال ابنك هذه الأثواب والبرود يستعين بها في فداء أخيه فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار سيدي فدتك شيعتك أيها الجواد الكريم ابن الكريم تعطى خمسة أثواب في فكاك أسير من شيعتك وقد أسروا أهلك وعيالك كأسارى الروم يقول الحجة (عج).

في كتاب ايقاد القلوب للسيد السند السيد المرحوم السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي روى عن كتاب نور العين قال قالت سكينة بنت الحسين عليه السلام كنت جالسة ذات ليلة مقمرة بوسط الخيمة وإذا أنا أسمع خلفها بكاء وعويلاً فخشيت أن تفقه بي النساء فخرجت ونفسي لم تحدثني بخير وأنا أعثر بأذيالي وإذا بأبي جالس وأصحابه حوله وهو يبكي فسمعت من كلامه يقول يا قوم اعلموا أنكم خرجتم معي لعلمكم أني أقدم على قوم بايعوني بألسنتهم وقلوبهم وقد انعكس الأمر لأنه استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله والآن ليس لهم قصد سوى قتلي وقتل من يجاهد بين يدي وسبي حريمي بعد سلبهم وأخشى أنكم ما تعلمون أو تعلمون وتستحيون والخدع عندنا أهل البيت محرمة فمن كره منكم ذلك فلينصرف فإن الليل ستير والسبيل غير خطير والوقت ليس بهجير ومن واسانا بنفسه كان معنا غداً في الجنان نجياً من غضب الرحمن وقد قال جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولدي الحسين عليه السلام يقتل بطف كربلاء غريباً وحيداً عطشاناً فريداً فمن نصره فقد نصرني ونصر ولده الحجة (عج) ولو نصرنا بلسانه فهو في حزبنا يوم القيامة فوالله ما أتم كلامه إلا وتفرق القوم من نحو عشرة وعشرين فلم يلبث إلا نيف وسبعون رجلاً فنظرت إلى أبي منكساً رأسه فخنقتني العبرة فخشيت أن يسمعني أبي لكن رفعت بطرفي إلى السماء فقلت إلهي إنهم خذلونا فاخذلهم ولا تجعل لهم دعاء مسموعاً ولا تجعل لهم سكناً في الأرض وسلط عليهم الفقر ولا ترزقهم شفاعة جدنا يوم القيامة قالت فرجعت إلى الفسطاط ودموعي تجري على خدي فرأتني عمتي أم كلثوم فقامت وهي طائرة العينين وقالت ما دهاك يا بنتاه فأخبرتها الخبر فصاحت واجداه وعلياه واحسناه واحسيناه واقلة ناصراه أين الخلاص من الأعداء تركت

جوار جدك وسلكت بنا بعد المدى فعلا منا الوجيب وأكثرنا حولها النحيب فسمع أبي ذلك فأتى إلينا يتعثر بأذياله ودموعه تجري على خديه على ما ناله وقال ما هذا البكاء قالت عمتي يا أخي ردنا إلى حرم جدنا رسول الله قال ليس لي إلى ذلك من سبيل أما رأيت ممانعة الحر لنا بالأمس قالت أجل ذكرهم محل جدك ومحل أبيك وأمك وأخيك قال ذكرتهم ووعظتهم فلم يتعظوا ولم يسمعوا قولي ولم يرعوا كلامي فما لهم غير قتلي من سبيل ولا بد أن تروني على الأرض جديلاً ولكن أوصيكم بتقوى الله رب البرية والصبر على البلية وكظم نزول الرزية وبهذا وعد جدكم ولا خلف لوعده ودعتكم الهي الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ثم انهم تباكوا ساعة طويلة والإمام يقول ما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ومن وقائع ليلة عاشوراء كما في بعض الكتب عن زينب عليها السلام قالت لما كانت ليلة عاشوراء (أو ليلة العاشر خ ل) من المحرم خرجت من خيمتي لأتفقد أخي الحسين عليه السلام وأنصاره وقد أفرد له خيمة فوجدته جالساً وحده يناجي ربه ويتلو القرآن فقلت في نفسي أفي مثل هذه الليلة يترك أخي وحده والله لأمضين إلى أخوتي وبني عمومتي وأعاتبهم بذلك فأتيت إلى خيمة العباس فسمعت منها همهمة ودمدمة فوقفت على ظهرها فنظرت فيها فوجدت بني عمومتي وأخوتي وأولاد أخوتي مجتمعين كالحلقة وبينهم العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وهو جاث على ركبتيه كالأسد على فريسته فخطب فيهم خطبة ما سمعتها إلا من الحسين عليه السلام مشتملة بالحمد والثناء لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال في آخر خطبته يا اخوتي وبني أخوتي وبني عمومتي إذا كان الصباح فما تقولون فقالوا الأمر إليك يرجع ونحن لا نتعدى لك قولك فقال العباس إن هؤلاء أعني الأصحاب قوم غرباء والحمل الثقيل لا يقوم إلا بأهله فإذا كان الصباح فأول من يبرز إلى القتال أنتم نحن نقدمهم للموت لئلا يقول الناس قدموا أصحابهم فلما قتلوا عالجوا الموت بأسيافهم ساعة بعد ساعة فقام بنو هاشم وسلوا سيوفهم في وجه أخي العباس وقالوا نحن على ما أنت عليه قالت زينب عليها السلام فلما رأيت كثرة اجتماعهم وشدة عزمهم وإظهار شيمتهم سكن قلبي وفرحت ولكن خنقتني العبرة فأردت أن

أرجع إلى أخي الحسين عليه السلام وأخبره بذلك فسمعت من خيمة حبيب بن مظاهر همهمة ودمدمة فمضيت إليها ووقفت بظهرها ونظرت فيها فوجدت الأصحاب على نحو بني هاشم مجتمعين كالحلقة وبينهم حبيب بن مظاهر وهو يقول يا أصحابي لم جئتم إلى هذا المكان أوضحوا كلامكم رحمكم الله فقالوا أتينا لننصر غريب فاطمة فقال لهم لم طلقتم حلائلكم فقالوا لذلك قال حبيب فإذا كان في الصباح فما أنتم قائلون فقالوا الرأي رأيك ولا نتعدى قولاً لك قال فإذا صار الصباح فأول من يبرز إلى القتال أنتم نحن نقدمهم للقتال ولا نرى هاشمياً مضرجاً بدمه وفينا عرق يضرب لئلا يقول الناس قدموا ساداتهم للقتال ونحلوا عليهم بأنفسهم فهزوا سيوفهم على وجهه وقالوا نحن على ما أنت عليه قالت زينب ففرحت من ثباتهم ولكن خنقتني العبرة فانصرفت عنهم وأنا باكية وإذا بأخي الحسين قد عارضني فسكنت نفسي وتبسمت في وجهه فقال أخية فقلت لبيك يا أخي فقال عليه السلام يا أختاه منذ رحلنا من المدينة ما رأيتك متبسمة أخبريني ما سبب تبسمك فقلت له يا أخي رأيت من فعل بني هاشم والأصحاب كذا وكذا فقال لي يا أختاه اعلمي أن هؤلاء أصحابي من عالم الذر وبهم وعدني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله هل تحبين أن تنظري إلى ثبات أقدامهم فقلت نعم فقال عليه السلام عليك بظهر الخيمة قالت زينب فوقفت على ظهر الخيمة فنادى أخي الحسين عليه السلام أين اخواني وبنو أعمامي فقام بنو هاشم وتسابق منهم العباس وقال لبيك لبيك ما تقول فقال الحسين عليه السلام أريد أن أجدد لكم عهداً فأتى أولاد الحسين وأولاد الحسن وأولاد علي وأولاد جعفر وأولاد عقيل فأمرهم بالجلوس فجلسوا ثم نادى أين حبيب بن مظاهر أين زهير أين هلال أين الأصحاب فأقبلوا وتسابق منهم حبيب بن مظاهر وقال لبيك يا أبا عبد الله فأتوا إليه وسيوفهم بأيديهم فأمرهم بالجلوس فجلسوا فخطب فيهم خطبة بليغة ثم قال يا أصحابي اعلموا أن هؤلاء القوم ليس لهم قصد سوى قتلي وقتل ومن هو معي وأنا أخاف عليكم من القتل فأنتم في حل من بيعتي ومن أحب منكم الانصراف فلينصرف في سواد هذا الليل فعند ذلك قام بنو هاشم وتكلموا بما تكلموا وقام الأصحاب وأخذوا يتكلمون بمثل كلامهم

فلما رأى الحسين عليه السلام حسن إقدامهم وثبات أقدامهم قال عليه السلام إن كنتم كذلك فارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى منازلكم في الجنة فكشف لهم الغطاء ورأوا منازلهم وحورهم وقصورهم فيها والحور العين ينادين العَجَل العَجَل فإنا مشتاقات إليكم فقاموا بأجمعهم وسلوا سيوفهم وقالوا يا أبا عبد الله ائذن لنا أن نغير على القوم ونقاتلهم حتى يفعل الله بنا وبهم ما يشاء فقال عليه السلام اجلسوا رحمكم الله وجزاكم الله خيراً ثم قال إلا ومن كان في رحله امرأة فلينصرف بها إلى بني أسد فقام علي بن مظاهر وقال ولماذا يا سيدي فقال عليه السلام إن نسائي تسبى بعد قتلي وأخاف على نسائكم من السبي فمضى علي بن مظاهر إلى خيمته فقامت زوجته إجلالاً له فاستقبلته وتبسمت في وجهه فقال لها دعيني والتبسم فقالت يا ابن مظاهر إني سمعت غريب فاطمة خطب فيكم وسمعت في آخرها همهمة ودمدمة فما علمت ما يقول قال يا هذه إن الحسين عليه السلام قال لنا ألا ومن كان في رحله امرأة فليذهب بها إلى بني عمها لأني غداً أقتل ونسائي تسبى فقالت وما أنت صانع قال قومي حتى ألحقك ببني عمك بني أسد فقامت ونطحت رأسها في عمود الخيمة وقالت والله ما أنصفني يا ابن مظاهر أيسرك أن تسبى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا آمنة من السبي أيسرك أن تسلب زينب إزارها من رأسها وأنا أستتر بإزاري أيسرك أن تذهب من بنات الزهراء أقراطها وأنا أتزين بقرطي أيسرك أن يبيض وجهك عند رسول الله ويسود وجهي عند فاطمة الزهراء والله أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء فرجع علي بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام وهو يبكي فقال له الحسين عليه السلام ما يبكيك فقال سيدي أبت الأسدية إلا مواساتكم فبكى الحسين عليه السلام وقال جزيتم منا خيراً (قولها) ونحن نواسي النساء بل ومنهن من واست الرجال في القتل والقتال.

في مدينة المعاجز مرسلاً عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يقول لما كان اليوم الذي استشهد فيه الحسين عليه السلام جمع أهله وأصحابه في ليلة ذلك اليوم فقال لهم: يا أهلي وشيعتي اتخذوا هذا الليل جمالكم وانجوا بأنفسكم فليس المطلوب غيري ولو قتلوني ما فكروا فيكم فانجوا رحمكم الله وأنتم في حل وسعة من

بيعتي وعهدي الذي عاهدتموني فقال أخوته وأهله وأنصاره بلسان واحد: والله يا سيدنا يا أبا عبد الله لا خذلناك أبداً والله لا قال الناس تركوا إمامهم وكبيرهم وسيدهم وحده حتى قتل ونبلو بيننا وبين الله عذراً ولا نخليك أو نقتل دونك فقال لهم: يا قوم إني غداً أقتل وتقتلون كلكم معي ولا يبقى منكم واحد فقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك أوَ لا ترضى أن نكون معك في درجتك يا ابن رسول الله فقال: جزاكم الله خيراً ودعا لهم بالخير فأصبح وقتل وقتلوا معه أجمعون فقال له القاسم ابن الحسن وأنا فيمن يقتل فاشفق عليه فقال له: يا بني كيف الموت عندك قال: يا عم فيك أحلى من العسل فقال: إي والله فداك عمك إنك لأحد من يقتل من الرجال معي بعد أن تبلو ببلاء عظيم ويقتل ابني عبد الله فقال يا عم ويصلون إلى النساء حتى يقتل عبد الله وهو رضيع فقال فداك عمك يقتل عبد الله إذا جفت روحي عطشاً وصرت إلى خيمنا فطلبت ماء ولبناً فلا أجد قط فأقول ناولوني ابني لأشرب من فيه فيأتوني به فيضعونه على يدي فاحمله لأدنيه من في فيرميه فاسق بسهم في نحره وهو يناغي فيفيض دمه في كفي فارفعه إلى السماء فأقول اللهم صبراً واحتساباً فيك. وفي رواية: يقتل ابني عبد الله إذا جفت روحه عطشاً وصرت إلى خيمنا فطلبت له ماء ولبناً فلا أجد قط فأقول ناولوني ابني لأشربه من فيّ إلى آخر كلامه فتعجلني الأسنة منهم والنار تسعر في الخندق الذي في ظهر الخيم فأكر عليهم في أمر أوقات في الدنيا فيكون ما يريد الله فبكى وبكينا وارتفع البكاء والصراخ من ذراري رسول الله في الخيم.

في الدمعة لما نزل الحسين عليه السلام بكربلا كان أخص أصحابه وأكثرهم ملازمة له هلال بن نافع سيما في مظان الاغتيال لأنه كان حازماً بصيراً بالسياسة فخرج الحسين عليه السلام ذات ليلة إلى خارج الخيم حتى أبعد فتقلد هلال سيفه وأسرع في مشيه حتى لحقه فرآه يختبر الثنايا والعقبات والأكمات المشرفة على المنزل ثم التفت إلى خلفه فرآه فقال عليه السلام: من الرجل هلال قال قلت: نعم جعلني الله فداك أزعجني خروجك ليلاً إلى جهة معسكر هذا الطاغي فقال عليه السلام: يا هلال خرجت أتفقد هذه التلاع

مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل على مخيمنا يوم تحملون ويحملون ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يساري وهو يقول: هي هي والله وعدلاً خلف فيه ثم قال يا هلال ألا تسلك ما بين هذين الجبلين من وقتك هذا وتنجو بنفسك فوقعت على قدميه وقلت: إذا ثكلت هلالاً أمه سيدي أن سيفي بألف وفرسي مثله فوالله الذي منّ علي بك لا أفارقك حتى يكلا عن فري وجري ثم فارقني ودخل خيمة أخته فوقفت إلى جنبها رجاء أن يسرع في خروجه منها فاستقبلته زينب ووضعت له متكاً وجلس جعل يحدثها سراً فما لبثت أن اختنقت بعبرتها وقالت: واأخاه أشاهد مصرعك وأبتلي برعاية هذه المذاعير من النساء والقوم كما تعلم ما هم عليه من الحقد القديم ذلك خطب جسيم يعز علي مصرع هؤلاء الفتية الصفوة وأقمار بني هاشم ثم قالت أخي هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنة فبكى عليه السلام وقال أما والله لقد لهزتهم وبلوتهم وليس فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل بلبن أمه قال الراوي فلما سمع هلال ذلك بكى رقة وجعل طريقه على منزل حبيب بن مظاهر فرآه جالساً وبيده سيف مصلت فسلم عليه وجلس بباب الخيمة ثم قال له ما أخرجك يا هلال فحكى له ما كان فقال حبيب أي والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم وعالجتهم هذه الليلة بسيفي ثم قال هلال يا حبيب فارقت الحسين عليه السلام عند أخته وهي في حال وجع ورعب وأظن أن النساء أفقن وشاركنها في الحسرة والزفرة فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجههن بكلام يسكن قلوبهن ويذهب رعبهن فلقد شاهدت منها ما لا قرار لي مع بقائه فقال لي طوع إرادتك فبرز حبيب ناحية وهلال إلى جانبه وانتدب أصحابه فتطالعوا من منازلهم فلما اجتمعوا قال لبني هاشم ارجعوا إلى منازلكم لا سهرت عيونكم ثم خطب أصحابه وقال يا أصحاب الحمية وليوث الكريهة هذا هلال يخبرني الساعة بكيت وكيت وقد خلف أخت سيدكم وبقايا عياله يتشاكين ويتباكين أخبروني عما أنتم عليه فجردوا صوارمهم ورموا عمائمهم وقالوا يا حبيب والله الذي من علينا بهذا الموقف لئن زحف القوم لنحصدن رؤوسهم ولنلحقنهم بأشياخه أذلاء صاغرين

ولنحفظن وصية رسول الله في أبنائه وبناته فقال هلموا معي فقام يخبط الأرض وهم يعدون خلفه حتى وقف بين أطناب الخيم ونادى يا أهلنا ويا ساداتنا ويا معشر حرائر رسول الله هذه صوارم فتيانكم آلوا أن لا يغمدوها إلا في رقاب من يبغي السوء فيكم وهذه أسنة علمائكم أقسموا أن لا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم فقال الحسين عليه السلام أخرجن عليهم يا آل رسول الله فخرجن وهن يندبن ويقلن حاموا أيها الطيبون من الفاطميات ما عذركم إذا لقينا جدنا رسول الله وشكونا إليه ما نزل بنا وقال أليس حبيب وأصحاب حبيب كانوا حاضرين يسمعون وينظرون فوالله الذي لا إله إلا هو لقد ضجوا ضجة ماجت منها الأرض واجتمعت لها خيولهم وكان لها جولة واختلاف صهيل حتى كأن كلاً ينادي صاحبه.

في وقائع صبيحة عاشوراء

فلما أصبح الصباح من يوم عاشوراء نودي الحسين عليه السلام وأصحابه من بطنان العرش يا خيل الله اركبي فقام الحسين عليه السلام ونادى أصحابه وأمرهم بالصلاة في بعض الكتب فتيمموا بدلاً عن الوضوء وأذن الحسين عليه السلام وأقام بنفسه وصلى بأصحابه صلاة الصبح فلما فرغ رفع يديه إلى السماء وقد أخذ المصحف بيده اليمنى قائلاً اللهم أنت ثقتي في كل كرب وأنت رجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة كم من كرب يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو وأنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك ففرجته عني وكشفته فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة ثم نظر إلى أصحابه وقال إن الله قد أذن في قتلكم وقتلي وكلكم تقتلون في هذا اليوم إلا ولدي علي بن الحسين فاتقوا الله يا قوم واصبروا قال المفيد (ره) وأصبح عمر بن سعد في ذلك اليوم وهو يوم الجمعة وقيل يوم السبت وخرج بالناس وجعل على ميمنة العسكر عمرو بن الحجاج الزبيدي وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوش وعلى الخيل عروة بن قيس الأحمسي وعلى الرجالة شبث بن ربعي

وأعطى الراية دريداً مولاه ودعا الحسين عليه السلام بفرس رسول الله المرتجز فركبه وعبى أصحابه للقتال وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً هذا هو المشهور فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه وأعطى رايته العباس أخاه وجعلوا البيوت والخيم في ظهورهم وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت أن يترك في خندق عملوه في ساعة من الليل وأن يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم ويقبلوا القوم بوجه واحد. فلما أصبح القوم أقبلوا يجولون حول بيوت الحسين عليه السلام فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب والقصب الذي ألقي فيه ولم يكن لهم طريق إلا من وجه واحد فغضبوا بأجمعهم فنادى شمر بن ذي الجوشن بأعلى صوته يا حسين أتعجلت بالنار قبل يوم القيامة فقال عليه السلام من هذا كأنه شمر بن ذي الجوشن فقالوا نعم قال عليه السلام يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين عليه السلام من ذلك فقال دعني سيدي أن أرميه فإن الفاسق من أعداء الله ومن عظماء الجبارين وقد أمكن الله منه فقال عليه السلام لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم بالقتال بأبي وأمي ما أشفقه عليهم بحيث لم يرض بأن يرمى إليهم سهم واحد سود الله وجوه هؤلاء الكفرة فكيف رضوا بأن يجعلوا ذلك الجسد الطيب غرضاً للسهام والسيوف والرماح والأحجار حتى قيل أصيب وبه ألف وتسعمائة جراح وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ وكلها كانت في مقدمه فوقف ليستريح ساعة الخ ثم أخذ عليه السلام بالاحتجاج قبل المقاتلة بل وأمر عليه السلام أصحابه بأن يحتجوا عليهم ويعظوهم كما قال محمد بن أبي طالب وركب أصحاب عمر بن سعد فقرب إلى الحسين عليه السلام فرسه فاستوى عليه وتقدم نحو القوم في نفر من أصحابه وبين يديه برير بن خضير الهمداني فقال له الحسين عليه السلام كلم القوم فتقدم برير وقال يا قوم اتقوا الله فإن ثقل محمد صلى الله عليه وآله قد أصبح بين أظهركم هؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم فقالوا نريد أن نمكن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيهم فقال برير أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاؤوا منه ويلكم يا أهل

الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها ويلكم أدعوتم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم حتى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد وحلأتموهم عن ماء الفرات بئس ما خلفتم نبيكم في عترته ما لكم لأسقاكم الله يوم القيامة فبئس القوم أنتم فقال له نفر منهم ما ندري ما تقول فقال برير الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة اللهم إني أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم اللهم ألق بأسهم بينهم حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان فجعل القوم يرمونه بالسهام فرجع برير إلى ورائه فقام يزيد بن الحسين الهمداني وقال يا ابن رسول الله أتأذن لي أن أخرج إليهم وأكلمهم فأذن له فخرج وقال يا معشر الناس إن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وهذا ماء الفرات تلغ فيه خنازير السواد وكلابها وقد حيل بينه وبين ابنه فقالوا له يا يزيد قد أكثرت الكلام فاكفف فوالله ليعطش الحسين عليه السلام كما عطش من كان قبله يعني عثمان فلما سمع الحسين عليه السلام هذا الكلام التفت إلى أصحابه وقال عليه السلام أصحابي إن القوم قد استحوذ عليهم الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون وأنشد عليه السلام :

تعديتم يا شر قوم ببغيكم ... وخالفتموا فينا النبي محمدا
أما كان خير الخلق أوصاكم بنا ... أما كان جدي خيرة الله أحمدا
أما كانت الزهراء أمي ووالدي ... علي أخاً خير الأنام المسددا

فقد تكرر من مولانا الحسين عليه السلام الخطب والمواعظ لإقامة الحجة عليهم ودفع الشبهة عنهم فلم ينفعهم ذلك منها فلما دنا منه القوم دعا براحلته فركبها ودعا بمصحف فوضعه أمامه ثم نادى بأعلى صوته يا أهل العراق وكلهم يسمعون فقال أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم علي وحتى أعذر إليكم فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فاجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم أفضوا إلي ولا تنظروا. إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله وصلى على النبي وآله وعلى ملائكته وعلى أنبيائه فلم يسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ منه في المنطق.

له من علي في الحروب شجاعة ومن أحمد عند الخطابة قيل

ثم قال أما بعد يا أهل الكوفة فانسبوني فانظروا من أنا ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول مؤمن مصدق لرسول الله ﷺ بما جاء به من عند ربه أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمدت كذباً منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله وإن كذبتموني فإن فيكم من أن سألتموه عن ذلك أخبركم اسألوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن السعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي يا قوم فإن كنتم في شك من ذلك أفتشكون أني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم ويحكم أتطالبوني بقتيل منكم قتلته أو مال استملكته أو بقصاص من جرح فأخذوا لا يكلمونه قال أبو الفرج ثم إنه عليه السلام لما رأى القوم مصرين على قتله أخذ المصحف ونشره على رأسه ونادى يا أهل الكوفة بيني وبينكم كتاب الله وجدي رسول الله ﷺ يا قوم بم تستحلون دمي ألست ابن بنت نبيكم فناداه شمر الساعة ترد الحامية والهاوية فقال الحسين عليه السلام الله أكبر لقد أخبرني جدي رسول الله ﷺ فقال رأيت في منامي كان كلباً ولغ في دماء أهل بيتي وما أخالك إلا إياه.

ولا عجب للأسد إن ظفرت بها كلاب الأعادي من فصيح وأعجم

(اللهوف) قال الراوي وندب عبيد الله بن زياد أصحابه إلى قتال الحسين عليه السلام فاتبعوه واستخف قومه فأطاعوه واشترى من عمر بن سعد آخرته بدنياه ودعاه إلى ولاية الحرب فلباه وخرج لقتال الحسين عليه السلام في أربعة آلاف فارس واتبعه ابن زياد بالعساكر حتى تكملت عنده إلى ست ليال خلون من المحرم عشرون ألف فارس فيضيقوا على الحسين عليه السلام حتى نال

منه العطش ومن أصحابه فقام عليه السلام واتكأ على قائم سيفه ونادى بأعلى صوته فقال أنشدكم الله هل تعرفونني قالوا نعم أنت ابن رسول الله وسبطه قال أنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن أمي فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأمة إسلاماً قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن حمزة سيد الشهداء عم أبي قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن جعفر الطيار في الجنة عمي قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله أنا متقلده قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله أنا لابسها قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن علياً كان أول القوم إسلاماً وأعلمهم علماً وأعظمهم حلماً وأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة قالوا اللهم نعم قال فبم تستحلون دمي وأبي الذائد عن الحوض يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر عن الماء ولواء الحمد في يد أبي يوم القيامة قالوا قد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاناً فلما خطب هذه الخطبة وسمعت بناته وأخته زينب كلامه بكين وندبن ولطمن خدودهن وارتفعت أصواتهن فوجه إليهن أخاه العباس وعلياً ابنه وقال لهما سكتاهن فلعمري ليكثرن بكاؤهن نعم والله كثر بكاؤهن وطال نياحهن كما قال الصادق عليه السلام وأن الفاطميات لقد شققن الجيوب ولطمن الخدود على الحسين بن علي عليه السلام ولبسن السواد والمسوح وكن لا يشتكين من حر ولا برد وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهم الطعام للمأتم وما اختضبت منا امرأة ولا أدهنت ولا اكتحلت ولا رجلت ولا امتشطت حتى أتاهم رأس عبيد الله بن زياد ولا رئي في دار هاشمي دخان إلى خمس حجج الخ المصيبة.

قال السيد في (اللهوف) وركب أصحاب عمر بن سعد فبعث الحسين عليه السلام برير بن خضير الهمداني فوعظهم وذكرهم فلم ينتفعوا فركب الحسين عليه السلام ناقته وقيل فرسه فاستنصتهم فانصتوا وفي (البحار) فاستنصتهم

فأبوا أن ينصتوا حتى قال لهم ويلكم ما عليكم أن لا تنصتوا لي فتسمعوا قولي وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد فمن أطاعني كان من المرشدين ومن عصاني كان من المهلكين وكلكم عاص لأمري غير مستمع قولي فقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم ويلكم ألا تنصفون ألا تنصتون ألا تسمعون فتلاوم أصحاب عمر بن سعد بينهم وقالوا انصتوا له فانصتوا فحمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله وصلى على محمد وآله وعلى الملائكة والأنبياء والرسل وأبلغ في المقال ثم قال عليه السلام تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً حين استصرختمونا والهين فاصرخناكم موجعين سللتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم الباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فبهم فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستصحف ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا وتداعيتم إليها كتهافت الفراش فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفيء السنن أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون أجل والله غدر فيكم قديم وشجت إليه أصولكم وتآزرت عليه فروعكم فكنتم أخبث ثمر شجىً للناظر وآكلة للغاصب إلا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وجدود طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام الأواني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر ثم قال عليه السلام:

فإن نهزم فهزامون قدماً ... وإن نغلب فغير مغلبينا
وما أن طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا
إذا ما الموت رفع عن أناس ... كلاكله أناخ بآخرينا
فأفنى ذلكم سرواة قومي ... كما أفنى القرون الأولينا
فلو خلد الملوك إذا خلدنا ... ولو بقي الكرام إذا بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم أيم الله لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم

دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده إلي أبي عن جدي فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف فيسومهم كأساً مصبرة فإنهم كذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير فاستجاب الله دعاءه فما مضت إلا أيام قلائل حتى سلط عليهم غلام ثقيف وهو المختار بن أبي عبيدة الثقفي وسقاهم كأساً مصبرة ووضع السيف فيهم وعاقبهم بأشد العقوبة وأفناهم عن آخرهم وكان يقول ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين عليه السلام أحياء بئس ناصر آل محمد أنا إذا في الدنيا أنا أستعين بالله عليهم فسموهم لي ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم فإني لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم وجعل يتتبعهم ويقتلهم فدل على جماعة منهم قد خرجوا إلى القادسية فأمر بإحضارهم فلما رآهم قال يا أعداء الله ورسوله أين الحسين بن علي عليه السلام أدوا إلى الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليهم فقالوا رحمك الله بعثنا كارهين فامنن علينا واستبقنا فقال لهم هلا مننتم على الحسين بن بنت نبيكم فاستقيتموه جرعة من الماء فأمر بقتلهم منهم مالك بن اليسر صاحب البرنس الذي أخذه حين رمى الحسين به فأمر بقطع يديه ورجليه وتركه يضطرب حتى مات وقد أقبل هذا يوم عاشوراء وشتم الحسين عليه السلام وضربه بالسيف على رأسه حتى امتلأ البرنس دماً فألقى عليه السلام البرنس من رأسه فأخذه ابن اليسر وذهب به الخ.

في (البحار) دعا الحسين عليه السلام براحلته فركبها حتى وقف بإزاء القوم فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنهم السيل ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة فقال الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال فالمغرور من غرته والشقي من فتنته فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم وأعرض بوجهه الكريم عنكم وأحل بكم نقمته وجنّبكم رحمته فنعم الرب ربنا وبئس العبيد أنتم أقررتم

بالطاعة آمنتم بالرسول محمد ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم معاشر الناس عرفتم شرائع الإسلام وقرأتم القرآن وعلمتم بأن محمداً رسول الملك الديان ووثبتم على قتل ولده ظلماً وعدواناً معاشر الناس أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيتان وآل رسول الله يموتون عطشاً لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون وإنا لله وإنا إليه راجعون هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين فقال عمر ويلكم كلموه فإنه ابن أبيه والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر فكلموه فتقدم شمر وقال يا حسين ما هذا الذي تقول أفهمنا حتى نفهم فقال عليه السلام أقول اتقوا الله ربكم ولا تقتلوني فإنه لا يحل لكم قتلي ولا انتهاك حرمتي فإني ابن بنت نبيكم وجدتي خديجة زوجة نبيكم ولعله قد بلغكم قول نبيكم الحسن والحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة ثم إنه أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها ثم دعا بفرس رسول الله المرتجز فركبه فعند ذلك تقدم عمر بن سعد وقال يا دريد إدن رايتك ثم أخذ سهماً ووضعه في كبد قوسه وقال اشهدوا لي عند الأمير فأنا أول من رمى به إلى الحسين عليه السلام فأقبلت السهام من القوم كأنها شآبيب المطر فقال الحسين عليه السلام لأصحابه قوموا رحمكم الله فإن هذه السهام رسل القوم إليكم فاقتتلوا ساعة من النهار حملة وحملة حتى قتل جماعة من أصحاب الحسين عليه السلام في رواية فلما انجلت الغبرة إذا بخمسين من أصحابه كلهم صرعى فعند ذلك ضرب الحسين عليه السلام بيده على لحيته الشريفة الكريمة وقال اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً واشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم إما والله لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي نعم والله ما أجابهم إلى ما أرادوا منه وهو الدخول في طاعة يزيد وابن زياد ولأمكنهم من نفسه حتى لقى الله وهو مخضب بدمه تارة من دم جبهته وأخرى من دم نحره وأخرى من دم قلبه وأخرى من دماء رأسه وأخرى من دماء جثته.

بنفسي خضيب الشيب من دم نحره غداة عليه الماضيات ركود

فلما نظر إلى مصارع أصحابه نادى هل من مغيث يغيثنا لوجه الله وهل من ذاب يذب عن حرم رسول الله هذا حاله حين فقد خمسين من أصحابه فما حاله حين فقدهم بأجمعهم مع سبعة عشر رجلاً من أهل بيته الخ فبعد ما قتل جماعة من أصحابه في الحملة الأولى جعلوا يبرزون واحداً بعد واحد ويظهر من بعض المقاتل أول من قتل من أصحاب الحسين عليه السلام في المبارزة الحر بن يزيد الرياحي ثم برز من بعده برير بن خضير الهمداني ثم برز من بعده وهب بن عبد الله الكلبي وكل من أراد الخروج ودع الحسين عليه السلام ويقول السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله فيجيبه وعليك السلام ونحن خلفك ويقرأ عليه السلام ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ولا يبرز منهم رجل ولا يقتل حتى يقتل خلقاً كثيراً من أهل الكوفة فضيقوا المجال على الأعداء مع قلتهم فصاح عمرو بن الحجاج يا حمقى أتدرون من تقاتلون تقاتلون فرسان أهل المصر وتقاتلون قوماً مستميتين ولا يبرز إليهم منكم أحد إلا قتلوه على قلتهم والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم فما دعاكم إلى مبارزتهم فالرأي أن لا يخرج أحد منكم إليهم فقال عمر بن سعد الرأي رأيك فأرسل في العسكر أن قفوا مكانكم ولا يبرز أحد منكم إليهم لأنكم لو خرجتم إليهم وحداناً لأتوا عليكم مبارزة فوقفوا في مكانهم وجعلوا يرجفون ويستهزئون ويشمتون بالحسين عليه السلام وأصحابه منهم من نادى وهو ابن أبي جويرية وقيل ابن حوزة صفوة بيده ونادى يا حسين ويا أصحاب الحسين أبشروا بالنار فقد تعجلتموها في الدنيا روى أبو مخنف الأزدي عن عطاء بن السائب عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي عن أخيه مسروق بن وائل قال كنت في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين عليه السلام فقتل أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأس الحسين عليه السلام فأصيب به منزلة عند ابن زياد قال فلما انتهينا إلى الحسين عليه السلام تقدم رجل من القوم يقال له ابن حوزة وقال فيكم الحسين عليه السلام قال فسكت الحسين فقال لها ثانية فسكت حتى إذا كانت الثالثة قال قولوا له نعم هذا حسين فما حاجتك قال يا حسين أبشر بالنار قال عليه السلام كذبت بل أقدم على رب غفور وشفيع مطاع فمن أنت قال ابن حوزة قال

فرفع الحسين عليه السلام يديه حتى رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب ثم قال اللهم خره إلى النار قال فغضب ابن حوزة فذهب ليقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر قال فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر متعلقاً بالركاب قال فرجع مسروق وترك الخيل من ورائه قال فسألته فقال لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً ونادى الآخر وهو تميم بن حصين يا حسين ويا أصحاب الحسين أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيات والله لأذقتم منه قطرة حتى تذوقوا الموت جرعاً فعظم ذلك على الحسين واحترق قلبه من هذه الحركات القبيحة رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إنا أهل بيت نبيك وذريته وقرابته فأقصم من ظلمنا وغصبنا حقنا إنك سميع قريب فعند ذلك خرج محمد بن الأشعث وقال يا حسين بن فاطمة وأي قرابة بينك وبين محمد وأية حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك فقرأ الحسين عليه السلام إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله أن محمداً لمن آل إبراهيم وأن العترة الهادية لمن آل محمد صلى الله عليه وآله ثم قال عليه السلام من الرجل قيل له محمد بن الأشعث فقال عليه السلام اللهم أذل محمد بن الأشعث في هذا اليوم ذلاً لا تعزه بعد هذا اليوم أبداً فاستجاب الله دعاءه وخرج ابن الأشعث لقضاء الحاجة فلسعته عقرب فسقط وهو يستغيث ويتقلب على حدثه مكشوف العورة حتى هلك.

اشتد الحرب بالحسين عليه السلام وأصحابه وهم يقاتلون أشد القتال ولم يزل يقتل من أصحاب الحسين عليه السلام الواحد والاثنان فيتبين ذلك لقلتهم ويقتل من أصحاب عمر بن سعد العشرة والعشرون فلا يتبين ذلك لكثرتهم ومع قلتهم ضيقوا المجال على الأعداء قال ابن أبي الحديد قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحك اقتلتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عضضت بالجندل لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالاً وتلقي أنفسها على الموت لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية والاستيلاء على الملك فلو كففنا عنها رويداً

لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين لا أم لك فدعا عمر بن سعد بالحصين بن نمير في خمسمائة من الرماة فاقتتلوا حتى دنوا من الحسين عليه السلام وأصحابه فلما دنوا منهم وضعوا السهام في كبد القوس ورشقوا الحسين عليه السلام وأصحابه بالنبل حتى عقروا خيول الأصحاب وبقوا راجلين وقاتلوهم أشد القتال حتى انتصف النهار ومع ذلك لم يقدروا أن يأتوا الحسين عليه السلام وأصحابه إلا من وجه واحد لاجتماع أبنيتهم وتقارب الخيم الطاهرات بعضها من بعض وهم أرادوا أن يحيطوا بهم من كل جانب فأرسل عمر بن سعد جمعاً من الرجال ليقوضوا الخيم عن أيمانهم وشمائلهم ليحيطوا بالحسين عليه السلام وأصحابه فقوضوا بعضاً من الخيم فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين عليه السلام يتخللون من خلل الخيام وفرجها ويشدون على الأعداء فنادى ابن سعد ويلكم أحرقوا الخيم وأضرموها بالنار ففعلوا ذلك وأحرقوا طرفاً من الخيم وأفزعوا العيال والأطفال فصاحوا بأجمعهم صيحة واحدة ولم يزالوا كذلك وكان من شأنهم ما كان حتى دخل الظهر فجاء أبو تمامة الصيداوي وقال يا أبا عبد الله أنفسنا لنفسك الفداء هؤلاء اقتربوا منك لا والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحب أن ألقى الله عز وجل وقد صليت هذه الصلاة فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء وقال ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها ثم قال عليه السلام سلوا هذا القوم أن يكفوا عنا حتى نصلي قال أبو مخنف قال أبو تمامة إننا لمقتولون لا محالة وقد حضرت الصلاة فصل بنا فإني أظنها آخر صلاة نصليها نلقى الله تعالى على أداء فريضة من فرائضه في هذا الموضع العظيم فقال له إذن يرحمك الله في (الأسرار) إذن الحسين عليه السلام بنفسه ثم قال ويلك يا ابن سعد أنسيت شرائع الإسلام أقصر عن الحرب حتى نصلي وتصلي بأصحابك ونعود إلى ما نحن إليه من الحرب فاستحيى ابن سعد أن يجيبه فناداه الحصين بن نمير صل يا حسين ما بدا لك فإن الله لا يقبل صلاتك فأجابه حبيب بن مظاهر ثكلتك أمك لا تقبل صلاة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وتقبل منك يا ختار أو يا خمار وكان من شأنهما ما كان فقال الحسين عليه السلام لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله تقدما أمامي حتى

أصلي الظهر فتقدما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتى صلى بهم صلاة الخوف وسعيد تقدم أمام الحسين عليه السلام فاستهدف لهم يرمونه بالنبل كلما أخذ الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً قام بين يديه فما زال يرمى إليه حتى سقط على الأرض وهو يقول اللهم أبلغ نبيك عني السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك ثم مات فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح وقيل صلى الحسين عليه السلام وأصحابه فرادى بالإيماء كما ورد في زيارته أشهد أنك قد أقمت الصلاة ولقد أقام الصلاة في موقف تذهل منه العقول وتذرف منه الدموع وذلك لما زالت الشمس يوم عاشوراء صلى الظهر بأي نحو تمكن ولكن لم يتمكن من صلاة العصر فصلاها صلاة لم يصلها أحد قبله ولا بعده وضوؤها من دم جبهته وركوعها حين انحنى على قربوس سرجه وأخذ السهم وسجودها حين سقط على الأرض لكن لم يتمكن من وضع الجبهة على التراب لأنه أصيب بحجر فوضع خده الأيمن وتشهده حين جلس على ركبتيه وأخذ السهم من نحره فلما فرغ من صلاته حرض أصحابه على القتال وقال يا أصحابي إن هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها وزينت قصورها وتألفت ولدانها وحورها وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله والشهداء الذين قتلوا معه وأبي وأمي يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم وهم مشتاقون إليكم فحاموا عن دين الله وذبوا عن حرم رسول الله ثم إنه عليه السلام صاح بأهله ونسائه فخرجن مهتكات الجيوب وصحن يا معشر المسلمين ويا عصبة المؤمنين الله الله حاموا عن دين الله وذبوا عن حرم رسول الله وعن إمامكم وابن بنت نبيكم فقد امتحنكم الله بنا فأنتم جيراننا في جوار جدنا والكرام علينا وأهل مودتنا فدافعوا بارك الله فيكم عنا فصاح الحسين عليه السلام يا لمة القرآن هذه الجنة فاطلبوها وهذه النار فاهربوا منها فأجابوا بالتلبية وضجوا بالبكاء والنحيب وقالوا أنفسنا دون أنفسكم ودماؤنا دون دمائكم وأرواحنا لكم الفداء وقد وهبنا فيكم للسيوف أبداننا وللطير لحومنا ولا يصل إليكم بمكروه وفينا الحياة نعم هكذا كانوا بيض الله وجوههم وشكر الله سعيهم ما قصروا وما ضعفوا ولا استكانوا حاموا عن حرم الرسول وذبوا عن بنات الطاهرة البتول ولله دره.

ولم أنس فتياناً تداعوا لنصره وللذب عنه عانقوا البيض والسمرا
حماة حموا خدراً أبى الله هتكه فعظمه شأناً وشرفه قدرا
فأصبح نهباً للمغاوير بعدهم ومنه بنات المصطفى أبرزت حسرى

عن (معاني الأخبار) مسنداً عن أبي جعفر الثاني عن آبائه قال قال علي بن الحسين عليه السلام لما اشتد الأمر بالحسين عليه السلام نظر من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم فقال بعضهم لبعض انظروا لا يبالي بالموت فقال لهم الحسين عليه السلام صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب أن أبي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ما كذبت ولا كذبت ولما علموا بأن ليس بينهم وبين الجنة إلا الموت كانوا يتسابقون إلى القتل وكانوا فرحين مستبشرين وبعضهم يهازل بعضاً ويظهر السرور والانبساط ويضحك ويتبسم كما قال أبو مخنف حدثني عمرو بن مرة الجملي عن أبي صالح الحنفي عن غلام لعبد الرحمٰن بن عبد ربه الأنصاري قال كنت مع مولاي فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين عليه السلام أمر عليه السلام بفسطاط فضرب ثم أمر بمسك فميث في جفنة عظيمة أو صحفة قال ثم دخل الحسين عليه السلام ذلك الفسطاط ليطلى بالنورة قال ومولاي عبد الرحمٰن بن عبد ربه وبرير بن خضير الهمداني على باب الفسطاط تحتك مناكبهما فازدحما أيهما يطلي على أثره فجعل برير يهازل عبد الرحمٰن فقال له عبد الرحمٰن دعنا ما هذه بساعة باطل فقال له برير والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ولكن والله أني لمستبشر بما نحن لاقون والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم بيض الله وجوههم وهم كما وصفهم بعض أهل البصائر.

ترى لهم عند القراع تباشراً كأن لهم عند الكريهة عيد

وما برحوا عن نصرة الدين والهدى إلى أن تفانى جمعهم وأبيدوا

ولما قتلوا وسقطوا على الأرض وقف بينهم أبو الأئمة ونادى يا أبطال الصفا الخ المصيبة.

أول من قتل من أصحاب الحسين عليه السلام في المبارزة الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب بن هرمي بن رياح وينتهي نسب شيخنا المحدث الأجل الشيخ حر العاملي صاحب الوسائل إلى الحر بن يزيد صرح بذلك أخوه الشيخ في الدر المسلوك وكان الحر شريفاً في قومه ورئيساً في الكوفة ندبه ابن زياد لمعارضة الحسين عليه السلام فخرج في ألف فارس ولما خرج من القصر نودي من خلفه أبشر يا حر بالجنة فالتفت فلم ير أحداً فقال في نفسه والله ما هذه بشارة وأنا أسير إلى حرب الحسين عليه السلام وما كان تحدثه نفسه بالجنة فلما صار مع الحسين عليه السلام قص عليه الخبر فقال له الحسين عليه السلام لقد أصبت أجراً وخيراً في روضة الشهداء ورياض الشهادة ومهيج الأحزان قال للحسين سيدي رأيت الليلة أبي في منامي فقال لي أين كنت في هذه الأيام قلت خرجت لأخذ الطريق على الحسين عليه السلام فصاح عليّ وقال واويلاه ما أنت وابن رسول الله صلى الله عليه وآله إن كنت تريد أن تعذب وتخلد في النار فاخرج إلى حربه وإن أحببت أن يكون جده شفيعك في القيامة وتحشر معه في الجنة فانصره وجاهد معه ولما رأى أن القوم قد صمموا على قتال الحسين عليه السلام وسمع صيحة الحسين عليه السلام يقول أما من مغيث يغيثنا لوجه الله أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله أقبل الحر إلى عمر بن سعد وقال أي عم أمقاتل أنت هذا الرجل قال أي والله قتالاً أيسره أن تطير الرؤوس وتطيح الأيدي قال أفما لكم فيما عرضه عليكم رضي قال أما لو كان الأمر لي لفعلت ولكن أميرك قد أبى فأقبل الحر حتى وقف موقفاً من الناس ومعه رجل من قومه يقال له قرة بن قيس فقال يا قرة هل سقيت فرسك اليوم قال لا قال فما تريد أن تسقيه قال قرة فظننت والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال فكره أن أراه حين يصنع ذلك فقال له لم أسقه وأنا منطلق فاسقيه فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه فوالله لو أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين عليه السلام فأخذ يدنو من الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً فقال له المهاجرون

أوس ما تريد أن تصنع يا ابن يزيد أتريد أن تحمل فلم تجبه وأخذه مثل الأفكل فقال له المهاجر إن أمرك لمريب والله ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك فما هذا الذي أرى منك فقال له الحراني والله أخير نفسي بين الجنة والنار فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وأحرقت ثم ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو يقول اللهم إليك أنبت فتب علي فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك فلما دنا من الحسين عليه السلام قلب ترسه وفي رواية نزل عن فرسه وجعل يقبل الأرض بين يديه فقال الحسين عليه السلام من تكون أنت ارفع رأسك قال جعلني الله فداك يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان وما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم ولا يبلغون منك هذه المنزلة والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما ركبت منك الذي ركبت وأنا تائب إلى الله مما صنعت فترى لي في ذلك توبة فقال عليه السلام نعم يتوب الله عليك وفي (نفس المهموم) عن تذكرة السبط قال له الحسين عليه السلام أهلاً وسهلاً أنت والله الحر في الدنيا والآخرة فانزل قال أنا لك فارساً خير مني راجلاً أقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمري فقال الحسين عليه السلام فاصنع رحمك الله ما بدا لك فاستقدم إمام الحسين عليه السلام فقال يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر أدعوتم هذا العبد الصالح حتى أذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه أمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه واحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه إلى بلاد الله العريضة فصار كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضراً وحلأتموه ونساءه وصبيته عن ماء الفرات الجاري وهاهم قد صرعهم العطش بئسما خلفتم محمداً صلى الله عليه وآله في ذريته لأسقاكم الله يوم الظمأ الأكبر فحمل عليه رجال يرمونه بالنبل فأقبل حتى وقف إمام الحسين عليه السلام وقد امتلأ غيظاً وحنقاً ويتلهف عطشاً وكان الحر مع الحسين عليه السلام إلى أن وقعت الحملة التي قتل فيها جماعة وقيل خمسون من أصحاب الحسين عليه السلام وصاح الحسين عليه السلام أما من مغيث يغيثني أتى الحر إلى الحسين عليه السلام وقال يا ابن

رسول الله كنت أول خارج عليك فائذن لي لأكون أول قتيل بين يديك وأول من يصافح جدك غداً والمعنى أول قتيل من المبارزين لأنه أول من برز فأذن له فبرز وجعل ينشد:

أني أنا الحر مأوى الضيف أضرب في أعناقكم بالسيف
عن خير من حل بأرض الخيف أضربكم ولا أرى من حيف

وفي يده سيف تلوح منه المنية في شفرته فكأن ابن المعتز وصفه بقوله:

ولي صارم فيه المنايا كوامن فلا ينتضي إلا لسفك دماء

وقتل نيفاً وأربعين رجلاً وكان يزيد بن سفيان من بني الحرث بن تميم يقول أما والله لو رأيت الحر حين خرج إلى الحسين عليه السلام لاتبعته السنان فبينما الحر يقاتل وأن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبيه وأن دماءه لتسيل قال الحصين بن تميم ليزيد بن سفيان هذا الحر الذي كنت تتمنى قال نعم وخرج إليه وقال يا حر هل في المبارزة قال نعم ادن مني فدنا منه فضربه الحر ضربة وقتله ثم تحرز منه أهل الكوفة وما برز أحد إليه فرجع الحر إلى الحسين عليه السلام ووقف مع الأصحاب حتى دعا عمر بن سعد الحصين بن تميم وبعث معه خمسمائة من الرماة فأقبلوا حتى دنوا من الحسين عليه السلام وأصحابه فرشقوهم بالنبل فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وصاروا راجلين قال أيوب بن مشرح الحيواني أنا والله عقرت بالحر فرسه حشأته سهماً فما لبث أن أرعد الفرس واضطرب وكبا فوثب عنه الحر كأنه ليث والسيف في يده وهو يقول:

إن تعقروا بي فأنا ابن الحر أشجع من ذي لبد هزبر
ولست بالجبان عند الكر لكني الوقاف عند الفر

قال فما رأيت أحداً يفري فريه ثم أخذ يقاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً وأنشأ الحر يقول:

آليت لا أقتل حتى أقتلا ولن أصاب اليوم إلا مقبلا

أضربهم بالسيف ضرباً مفصلاً لا نأكلاً عنهم ولا معللا
احمى الحسين الماجد المؤملا

فكان إذا شد أحدهما واستلحم شدا الآخر حتى يخلصه ففعلا ذلك ساعة ثم شدت جماعة على الحر فقتلوه فاشترك في قتله أيوب بن مشرح ورجل آخر من فرسان أهل الكوفة فلما صرع وقف عليه الحسين عليه السلام ودمه يشخب قال السيد في (اللهوف) فاحتمله أصحاب الحسين حتى وضعوه بين يدي الحسين وبه رمق فجعل الحسين عليه السلام يمسح الدم والتراب عن وجهه وهو يقول بخ بخ يا حر أنت كما سمتك أمك وأنت الحر في الدنيا والآخرة إن شاء الله (تعالى) وقبل رثاه علي بن الحسين عليه السلام:

لنعم الحر حر بني رياح صبور عند مختلف الرماح
لنعم الحر إذ نادى حسين فجاد بنفسه عند الصياح
فيا ربي اضفه في الجنان وزوجه مع الحور الملاح

وفي رواية أنه كان يقاتل أشد القتال فصاح عمر بن سعد يا ويلكم ارشقوه بالنبل فجعلوا يرشقونه بالنبل حتى صار درعه كالقنفذ وأخذوه أسيراً واحتزوا رأسه ورموا به بين يدي الحسين عليه السلام فأخذ الحسين عليه السلام ومسح الدم عن وجهه وثناياه إلى آخر ما ذكر وفي بعض كتب المقاتل جاؤوا برأس الحر يحمله شمر بن ذي الجوشن حين ورودهم في دمشق الشام وفي أذنه رقعة مكتوبة وهي قصيدة أنشأها الحر حين توجه إلى نصر الحسين عليه السلام فيها يذكر بني أمية ويزيد وعبيد الله ويذمهم وإنما علقت في أذنه ليقرأها يزيد وأصحابه ويزداد غيظاً وحنقاً عليهم في الناسخ ذكر صاحب روضة الأحباب أنه لما ارتجز الحر سمع أرجوزته أخوه مصعب وكان في عسكر ابن سعد فحمل على الحر وزعم العسكر أنه حمل على أخيه فلما وصل إليه رحب به وقال يا أخي لقد أرشدتني وهديتني وإني جئت تائباً فأتى به الحر إلى الحسين عليه السلام وتاب واستتاب وصار في صفوف أصحاب الحسين ثم رجع الحر وارتجز وطلب المبارز فثقل ذلك على ابن سعد فدعا بصفوان بن حنظلة وكان مشهوراً بالشجاعة والشهامة ما بين الأقران وقال له ابرز إلى

الحر وانصحه أولاً لعله يرجع إلينا فإن أبى فاقتله فبرز صفوان شاكياً سلاحه فلما دنا من الحر أخذ في نصحه وقال عدلت عن إمام زمانك يزيد إلى الحسين عليه السلام فقال يا صفوان كنت رجلاً عاقلاً وأني لأعجب من كلامك أتشير علي أن أترك الحسين عليه السلام وأكون مع يزيد شارب الخمر فغضب صفوان وحمل على الحر وطعنه بالرمح فاتقاه الحر وطعنه في صدره طعنة خرجت من وراه ظهره وكان لصفوان أخوة ثلاث فحملوا على الحر في طلب الثأر فاستلب الحر واحداً منهم من منطقته وأرداه من على ظهر جواده إلى الأرض فهشم أضلاعه وعظامه ثم حمل على الآخر بالسيف وسقى الأرض من دمه وحمل على الثالث فانهزم وحلقه الحر فاستلبه برمحه وألحقه بأخوته ثم وقف في مكانه وطلب المبارز (دلائل العصمة) للشيعي السبزواري أنه قتل منهم ألفاً ومائة ونيفاً وخمسين فارساً وراجلاً فكمنوا له وأخذوه أسيراً فجاؤوا به إلى ابن سعد فقال له ابن سعد قتلت الأبطال وأوقعت المسبة والمعرة على المسلمين فقال الحر ثكلتك أمك وعدموك قومك تقتل ابن رسول الله وتشهد بالإسلام فاستشاط غضباً فحمل على ابن سعد فخلىء عنه فقتل خمسة رجال ثم أحاطوا به واحتوشوه وحزوا رأسه ورموه إلى الحسين عليه السلام ورأيت في بعض الكتب القديمة بالأسانيد المعتبرة أن الحر لما جاء إلى الحسين عليه السلام كان ولده بكير معه وقال كن على إثري فأتى إلى الحسين عليه السلام واعتذر وقال هل من توبة قال نعم يتوب الله عليك ففرح وقال الحسين عليه السلام من هذا الغلام قال سيدي هذا ولدي وهو يريد أن ينصرك فقال جزاكم الله عني خيراً ثم قال عليه السلام له أنزل يا حر قال أنا لك فارساً خير مني راجلاً ثم قال لولده أبرز إلى القوم بارك الله فيك فأني في إثرك فدنا بكير من الحسين عليه السلام وقبل يديه ورجليه وودعه وبرز بين الصفين فقال له الحر انصر يا بني الذي طهرنا من القوم الظالمين ثم حمل على القوم ولم يزل يقاتل حتى قتل سبعين مبارزاً ورجع إلى أبيه وقال هل شربة من الماء أتقوى بها على أعداء الله وأعداء رسوله فقال اصبر يا بني قليلاً وارجع فقاتل فرجع بكير ولم يزل يقاتل حتى قتل خلقاً كثيراً ثم استشهد وقتل رضوان الله عليه فلما نظر الحر إليه قتيلاً قال الحمد لله الذي منّ

عليك بالشهادة بين يدي ابن بنت رسول الله ﷺ وقيل إن السر في بعد قبره عن الشهداء فرسخاً هو أنه لما نادى ابن سعد بنداء رض الجسد الشريف اجتمعوا بنو رياح وقالوا إن جسد شيخنا في القتلى ولأن عصى الأمير ساعة واحدة فلقد أطاعه طول عمره فقال احملوا جسد شيخكم فحملوا بنو رياح عشيرة الحر جسده ودفنوه هناك وما أحلى العشيرة أسفي على من فنيت عشيرته ولم يبق له من يمنع جسده عن الرض حين انتدب عشرة من أزلامه وداسوا بحوافر خيولهم صدر الحسين عليه السلام نقل أن شاه إسماعيل (ره) نبش قبر الحر بن يزيد الرياحي ليأخذ العصابة التي شدها الحسين عليه السلام على رأسه ليتبرك به ويستفتح بها في الغزوات والحروب فلما حل العصابة إذا بجراحة رأسه تشخب دماً وكلما شدوها بغيرها ما سكن حتى شق من تلك العصابة شيئاً وعصب بها رأس الحر ومن هذه القصة يظهر أن رأس الحر باق على بدنه وما قطعوه عن جثته وعلى رواية قطع رأسه عند الحرب ورموا به إلى عسكر الحسين عليه السلام فأخذه الحسين عليه السلام وجعل يمسح الدم عن وجهه الخ.

في الخبر أن رسول الله ﷺ كان يوماً مع جماعة من أصحابه في بعض الطريق وإذا هم بصبيان يلعبون في ذلك الطريق فجلس النبي ﷺ عند صبي منهم وجعل يقبل بين عينيه ويلاطفه ثم اقعده في حجره وكان يكثر تقبيله فسئل عن علة ذلك فقال ﷺ إني رأيت هذا الصبي يوماً يلعب مع الحسين عليه السلام ورأيته يرفع التراب من تحت قدميه ويمسح به وجهه وعينيه فأنا أحبه لحبه لولدي الحسين عليه السلام ولقد أخبرني جبرائيل أنه يكون من أنصاره في وقعة كربلاء وذكر بعض الثقات أن ذلك الطفل كان حبيب بن مظاهر الذي فدى الحسين بنفسه ومهجته وهذا في غاية البعد لما سيأتي وفي كتاب (أبصار العين) حبيب بن مظهر كمحمد كان صحابياً رأى النبي ﷺ ونزل الكوفة وصحب علياً عليه السلام في حروبه كلها وكان من خاصته وحملة علومه ولما ورد مسلم بن عقيل إلى الكوفة ونزل دار المختار وأخذت الشيعة تختلف إليه جعل حبيب ومسلم بن عوسجة يأخذان البيعة للحسين عليه السلام في الكوفة حتى إذا دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وخذل أهلها عن مسلم عليه السلام وفر أنصاره حبسهما وأخفاهما عشائرهما فلما ورد الحسين عليه السلام كربلاء

الحر وانصحه أولاً لعله يرجع إلينا فإن أبى فاقتله فبرز صفوان شاكياً سلاحه فلما دنا من الحر أخذ في نصحه وقال عدلت عن إمام زمانك يزيد إلى الحسين عليه السلام فقال يا صفوان كنت رجلاً عاقلاً وأني لأعجب من كلامك أتشير علي أن أترك الحسين عليه السلام وأكون مع يزيد شارب الخمر فغضب صفوان وحمل على الحر وطعنه بالرمح فاتقاه الحر وطعنه في صدره طعنة خرجت من وراه ظهره وكان لصفوان أخوة ثلاث فحملوا على الحر في طلب الثأر فاستلب الحر واحداً منهم من منطقته وأرداه من على ظهر جواده إلى الأرض فهشم أضلاعه وعظامه ثم حمل على الآخر بالسيف وسقى الأرض من دمه وحمل على الثالث فانهزم وحلقه الحر فاستلبه برمحه وألحقه بأخوته ثم وقف في مكانه وطلب المبارز (دلائل العصمة) للشيعي السبزواري أنه قتل منهم ألفاً ومائة ونيفاً وخمسين فارساً وراجلاً فكمنوا له وأخذوه أسيراً فجاؤوا به إلى ابن سعد فقال له ابن سعد قتلت الأبطال وأوقعت المسبة والمعرة على المسلمين فقال الحر ثكلتك أمك وعدموك قومك تقتل ابن رسول الله وتشهد بالإسلام فاستشاط غضباً فحمل على ابن سعد فخلىء عنه فقتل خمسة رجال ثم أحاطوا به واحتوشوه وحزوا رأسه ورموه إلى الحسين عليه السلام ورأيت في بعض الكتب القديمة بالأسانيد المعتبرة أن الحر لما جاء إلى الحسين عليه السلام كان ولده بكير معه وقال كن على إثري فأتى إلى الحسين عليه السلام واعتذر وقال هل من توبة قال نعم يتوب الله عليك ففرح وقال الحسين عليه السلام من هذا الغلام قال سيدي هذا ولدي وهو يريد أن ينصرك فقال جزاكم الله عني خيراً ثم قال عليه السلام له أنزل يا حر قال أنا لك فارساً خير مني راجلاً ثم قال لولده أبرز إلى القوم بارك الله فيك فأني في إثرك فدنا بكير من الحسين عليه السلام وقبل يديه ورجليه وودعه وبرز بين الصفين فقال له الحر انصر يا بني الذي طهرنا من القوم الظالمين ثم حمل على القوم ولم يزل يقاتل حتى قتل سبعين مبارزاً ورجع إلى أبيه وقال هل شربة من الماء أتقوى بها على أعداء الله وأعداء رسوله فقال اصبر يا بني قليلاً وارجع فقاتل فرجع بكير ولم يزل يقاتل حتى قتل خلقاً كثيراً ثم استشهد وقتل رضوان الله عليه فلما نظر الحر إليه قتيلاً قال الحمد لله الذي منّ

عليك بالشهادة بين يدي ابن بنت رسول الله ﷺ وقيل إن السر في بعد قبره عن الشهداء فرسخاً هو أنه لما نادى ابن سعد بنداء رض الجسد الشريف اجتمعوا بنو رياح وقالوا إن جسد شيخنا في القتلى ولأن عصى الأمير ساعة واحدة فلقد أطاعه طول عمره فقال احملوا جسد شيخكم فحملوا بنو رياح عشيرة الحر جسده ودفنوه هناك وما أحلى العشيرة أسفي على من فنيت عشيرته ولم يبق له من يمنع جسده عن الرض حين انتدب عشرة من أزلامه وداسوا بحوافر خيولهم صدر الحسين عليه السلام نقل أن شاه إسماعيل (ره) نبش قبر الحر بن يزيد الرياحي ليأخذ العصابة التي شدها الحسين عليه السلام على رأسه ليتبرك به ويستفتح بها في الغزوات والحروب فلما حل العصابة إذا بجراحة رأسه تشخب دماً وكلما شدوها بغيرها ما سكن حتى شق من تلك العصابة شيئاً وعصب بها رأس الحر ومن هذه القصة يظهر أن رأس الحر باق على بدنه وما قطعوه عن جثته وعلى رواية قطع رأسه عند الحرب ورموا به إلى عسكر الحسين عليه السلام فأخذه الحسين عليه السلام وجعل يمسح الدم عن وجهه الخ.

في الخبر أن رسول الله ﷺ كان يوماً مع جماعة من أصحابه في بعض الطريق وإذا هم بصبيان يلعبون في ذلك الطريق فجلس النبي ﷺ عند صبي منهم وجعل يقبل بين عينيه ويلاطفه ثم اقعده في حجره وكان يكثر تقبيله فسئل عن علة ذلك فقال ﷺ إني رأيت هذا الصبي يوماً يلعب مع الحسين عليه السلام ورأيته يرفع التراب من تحت قدميه ويمسح به وجهه وعينيه فأنا أحبه لحبه لولدي الحسين عليه السلام ولقد أخبرني جبرائيل أنه يكون من أنصاره في وقعة كربلاء وذكر بعض الثقات أن ذلك الطفل كان حبيب بن مظاهر الذي فدى الحسين بنفسه ومهجته وهذا في غاية البعد لما سيأتي وفي كتاب (أبصار العين) حبيب بن مظهر كمحمد كان صحابياً رأى النبي ﷺ ونزل الكوفة وصحب علياً عليه السلام في حروبه كلها وكان من خاصته وحملة علومه ولما ورد مسلم بن عقيل إلى الكوفة ونزل دار المختار وأخذت الشيعة تختلف إليه جعل حبيب ومسلم بن عوسجة يأخذان البيعة للحسين عليه السلام في الكوفة حتى إذا دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وخذل أهلها عن مسلم عليه السلام وفر أنصاره حبسهما وأخفاهما عشائرهما فلما ورد الحسين عليه السلام كربلاء

خرج حبيب ومسلم إليه مختفيين يسيران الليل ويكمنان النهار حتى وصلا إليه (أقول) عثرت على رواية ذكرها الدربندي في (الأسرار) في كيفية لحوقه بالحسين عليه السلام يناسب أن أذكرها في هذا المقام روي أن حبيب بن مظاهر (ره) كان ذات يوم واقفاً في سوق الكوفة عند عطار يشتري صبغاً لكريمته فمر عليه مسلم بن عوسجة فالتفت إليه حبيب وقال يا أخي يا مسلم إني أرى أهل الكوفة يجمعون الخيل والأسلحة فبكى مسلم وقال يا أخي إن أهل الكوفة صمموا على قتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فبكى حبيب ورمى الصبغ من يده وقال والله لا تصبغ هذه إلا من دم منحري دون الحسين عليه السلام فبينما الحسين يسير من مكة إلى الكوفة كتب كتاباً إلى حبيب نسخته هذه من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر أما بعد يا حبيب فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله وأنت أعرف بنا من غيرك وأنت ذو شيمة وغيرة فلا تبخل علينا بنفسك يجازيك جدي رسول الله يوم القيامة ثم أرسله إلى حبيب وكان حبيب جالساً مع زوجته وبين أيديهما طعام يأكلان إذ غصت زوجته في الطعام فقالت الله أكبر يا حبيب الساعة يرد علينا كتاب كريم من رجل كريم فبينما هما في الكلام وإذا بطارق يطرق الباب فخرج إليه حبيب وقال من الطارق قال أنا رسول الحسين عليه السلام إليك فقال حبيب الله أكبر صدقت الحرة بما قالت ثم ناوله الكتاب ففضه وقرأه فسألته زوجته عن الخبر فأخبرها فبكت وقالت بالله عليك يا حبيب لا تقصر عن نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أجل حتى أقتل بين يديه وتصبغ شيبتي من دم نحري وكان حبيب يريد أن يكتم أمره على عشيرته وبني عمه لئلا يعلم به أحد خوفاً من ابن زياد فبينما حبيب ينظر في أموره وحوائجه واللحوق بالحسين عليه السلام إذ أقبل بنو عمه إليه وقالوا يا حبيب بلغنا أنك تريد أن تخرج لنصرة الحسين ونحن لا نخليك ما لنا والدخول بين السلاطين فأخفى حبيب ذلك وأنكر عليهم فرجعوا عنه وسمعت زوجته فقالت يا حبيب كأنك كاره للخروج لنصرة الحسين عليه السلام فأراد أن يختبر حالها فقال نعم فبكت وقالت يا حبيب أنسيت كلام جده في حقه وأخيه الحسين عليه السلام حيث يقول ولداي هذان سيدا شباب أهل الجنة وهما إمامان قاما أو قعدا

وهذا رسوله وكتابه أتى إليك ويستعين بك وأنت لم تجبه فقال حبيب أخاف على أطفالي من اليتم وأخشى أن ترملي بعدي فقالت ولنا التأسي بالهاشميات والبنيات والأيتام من آل رسول الله والله تعالى كفيلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل فلما عرف حبيب منها حقيقة الأمر دعا لها وجزاها خيراً وأخبرها بما هو في نفسه وأنه عازم على المسير والرواح فقالت لي إليك حاجة فقال وما هي قالت بالله عليك يا حبيب إذا قدمت على الحسين عليه السلام قبل يديه ورجليه نيابة عني وأقرئه عني السلام فقال حباً وكرامة ثم أقبل حبيب على جواده وشده شداً وثيقاً وقال لعبده خذ فرسي وامض به ولا يعلم بك أحد وانتظرني في المكان الفلاني فأخذه العبد ومضى به وبقي ينتظر قدوم سيده ثم إن حبيب ودع زوجته وأولاده وخرج متخفياً كأنه ماض إلى ضيعة له خوفاً من أهل الكوفة فاستبطأه الغلام وأقبل على الفرس وكان قدامه علف يأكل منه فجعل الغلام يخاطبه ويقول له يا جواد إن لم يأت صاحبك لأعلون ظهرك وأمضي بك إلى نصرة الحسين عليه السلام فلما سمع الجواد خطاب الغلام له جعل يبكي ودموعه تجري على خديه وامتنع عن الأكل فبينما هو كذلك فإذا بحبيب قد أقبل فسمع خطاب الغلام فصفق بإحدى يديه على الأخرى وقال بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله العبيد يتمنون نصرتك فكيف بالأحرار ثم قال لعبده يا غلام أنت حر لوجه الله فبكى الغلام وقال سيدي والله لا تركتك حتى أمضي معك وأنصر الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأقتل بين يديه فجزاه خيراً فسارا وكان الحسين عليه السلام نزل في طريقه بأرض وقد عقد اثني عشر راية وقد قسم راياته بين أصحابه وبقيت راية فقال له بعض أصحابه منّ عليّ بحملها فقال عليه السلام يأتي إليها صاحبها وقالوا يا ابن رسول الله دعنا نرتحل من هذه الأرض فقال لهم صبراً حتى يأتي إلينا من يحمل هذه الراية الأخرى فبينما الحسين عليه السلام وأصحابه في الكلام وإذا هم بغبرة ثائرة فالتفت الإمام عليه السلام وقال لهم إن صاحب هذه الراية قد أقبل فلما صار حبيب قريباً من الإمام المظلوم ترجل عن جواده وجعل يقبل الأرض بين يديه وهو يبكي فسلم على الإمام وأصحابه فردوا عليه السلام فسمعت زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام فقالت من هذا

الرجل الذي قد أقبل فقيل لها حبيب بن مظاهر فقالت اقرئوه عني السلام فلما بلغوه سلامها لطم حبيب على وجهه وحثا التراب على رأسه وقال من أنا ومن أكون حتى تسلم علي بنت أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال أبو مخنف سلم حبيب على الحسين عليه السلام وودعه وقال والله يا مولاي إني لأرجو أن أتمم صلاتي في الجنة واقرىء أباك وجدك وأخاك عنك السلام انتهى ثم برز ولم يزل يقاتل حتى قتل اثنين وستين فارساً فحمل عليه رجل من بني تميم يقال له بديل بن صريم من بني عقفان فضربه بالسيف على رأسه وحمل عليه آخر من بني تميم وطعنه برمحه فوقع وذهب ليقوم فضربه الحصين بن نمير على رأسه بالسيف فسقط فنزل إليه التميمي فاحتز رأسه فقال الحصين أنا شريكك في قتله فقال التميمي والله ما قتله غيري فقال الحصين أعطنيه أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أني شريكك في قتله ثم خذه أنت فامض به إلى عبيد الله بن زياد فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه فأبى عليه فأصلح قومهما فيما بينهما على ذلك فدفع إليه رأس حبيب فعلقه بعنق فرسه فجال به في العسكر ثم دفعه بعد ذلك إليه فأخذه التميمي فعلقه في لبان فرسه ثم أقبل به إلى ابن زياد وجال به في الكوفة وظهر ما أخبر به ميثم التمار (ره) وذلك عن فضل بن الزبير قال مر ميثم التمار على فرس له فاستقبله حبيب عند مجلس بني أسد فتحادثا حتى اختلف أعناق فرسيهما ثم قال حبيب لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق قد صلب في حب أهل بيت نبيه فتبقر بطنه على الخشبة فقال ميثم وإني لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه فيقتل ويجال برأسه في الكوفة ثم افترقا فقال أهل المجلس ما رأينا أكذب من هذين قال فلم يفترقا أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري فطلبهما فقالوا افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا فقال رشيد رحم الله ميثماً نسي ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم ثم أدبر فقال القوم هذا والله أكذبهم قال فما ذهبت الأيام والليالي حتى قتل ميثم ورأيناه مصلوباً على باب عمرو بن حريث وجيء برأس حبيب قد قتل مع الحسين عليه السلام ورأينا كل ما قالوا ولما جاء التميمي برأس حبيب إلى قصر

الإمارة بصر به القاسم بن حبيب وهو يومئذٍ قد راهق فأقبل مع الفارس لا يفارقه كلما دخل القصر دخل معه وإذا خرج خرج معه فارتاب به التميمي فقال مالك يا بني تتبعني قال لا شيء قال بلى يا بني فأخبرني قال إن هذا رأس أبي أفتعطنيه حتى أدفنه قال يا بني لا يرضى الأمير أن يدفن وأنا أريد أن يثيبني الأمير على قتله ثواباً حسناً فقال القاسم لكن لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب أم والله لقد قتلت خيراً منك وبكى ثم فارقه ومكث القاسم حتى إذا أدرك لم تكن له همة إلا اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه فلما كان زمان مصعب بن الزبير وغزا مصعب باجميراء دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته فدخل عليه وهو قائل نصف النهار فضربه بالسيف حتى برد وقتل ولما قتل حبيب بان الإنكسار في وجه الحسين وقال عليه السلام لله درك يا حبيب لقد كنت فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة قال أبو مخنف لما قتل حبيب هد ذلك الحسين عليه السلام وقال عند الله احتسب نفسي وحماة أصحابي.

في شهادة مسلم بن عوسجة وهو مسلم بن عوسجة بن سعد بن ثعلبة الأسدي وكان رجلاً شريفاً سرياً عابداً متنسكاً فارساً شجاعاً له ذكر في المغازي والفتوح الإسلامية وكان صحابياً ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ممن كاتب الحسين عليه السلام من الكوفة وممن أخذ البيعة له عند مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة وكان (ره) وكيل مسلم في قبض الأموال وبيع وشراء الأسلحة وأخذ البيعة ثم إنه بعد أن قبض على مسلم وهاني وقتلا اختفى مدة ثم فر بأهله إلى الحسين عليه السلام فوافاه بكربلاء وفداه بنفسه وهو القائل للحسين عليه السلام ليلة العاشر نحن نخليك هكذا وننصرف عنك وقد أحاط بك هذا العدو لا والله لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن لي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة ولم أفارقك أو أموت معك ولقد بالغ في قتال الأعداء وصبر على أهوال البلاء حتى سقط إلى الأرض وذلك أن عمرو بن الحجاج نادى في أصحابه بحيث يسمع الحسين عليه السلام يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين

وخالف إمام الحق فقال الحسين عليه السلام يا ابن الحجاج أعليّ تحرض الناس أنحن مرقنا من الدين وأنتم ثبتم عليه والله لتعلمن أينا المارق عن الدين ومن هو أولى بصلي النار فغضب ابن الحجاج فحمل من نحو الفرات في ميمنة أصحاب الحسين عليه السلام فيمن كان معه وقاتلهم الحسين عليه السلام وأصحابه وكان فيهم زهير بن القين ومسلم بن عوسجة وكان مسلم يقاتل قتالاً شديداً ويحمل فيهم وسيفه مصلت بيمينه ويقول:

أن تسألوا عني فإني ذو لبد ... من فرع قوم من ذرى بني أسد
فمن بغانا حائد عن الرشد ... وكافر بدين جبار صمد

ولم يزل يضرب فيهم فاضطربوا ساعة ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه وانقطعت الغبرة فإذا هم بمسلم بن عوسجة قد سقط إلى الأرض وصرع فمشى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب وكان به رمق من الحياة فقال الحسين عليه السلام رحمك الله يا مسلم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ثم دنا منه حبيب بن مظاهر وقال يعز والله علي مصرعك يا مسلم أبشر بالجنة فقال له بصوت ضعيف بشرك الله بخير فقال له حبيب يا مسلم لولا أعلم أني في الأثر لأحببت أن توصي إلي بكل ما أهمك فقال مسلم إني أوصيك بهذا وأشار إلى الحسين عليه السلام فقاتل دونه حتى تموت فقال حبيب لأنعمنك عيناً فما كان بأسرع من أن فاض بين أيديهم وكان المتولي في قتله مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الرحمٰن بن أبي خشكارة البجلي فاشتركا في قتله ولقد ذكرت في هذا المقام وصية سعد بن الربيع قومه بنصر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يناسب ما أوصى به مسلم وذلك لما سكن القتال يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله من له علم بسعد بن الربيع فقال رجل أنا أطلبه فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع فقال اطلبه هناك فإني قد رأيته في ذلك الموضع قد شرعت حوله اثني عشر رمحاً قال فأتيت ذلك الموضع فإذا هو صريع بين القتلى فقلت يا سعد فلم يجبني فقلت يا سعد إن رسول الله قد سأل عنك فرفع رأسه فانتعش كما ينتعش الفرخ ثم قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله لحي قلت أي والله إنه لحي وقد أخبرني أنه رأى حولك اثني عشر رمحاً فقال الحمد لله صدق رسول الله قد طعنت اثنتي عشرة طعنة كلها قد

أجافتني أبلغ قومي الأنصار السلام وقل والله ما لكم عند الله عذر أن تشوك رسول الله شوكة وفيكم عين تطرف ثم تنفس فخرج منه مثل دم الجزور وكان قد احتقن في جوفه وقضى نحبه ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال رحم الله سعداً نصرنا حياً وأوصى بنا ميتاً ما أشبهت وصية سعد في نصر رسول الله بوصية مسلم بن عوسجة لحبيب بن مظاهر في نصرة الحسين عليه السلام ولقد أجاد الشاعر:

نصروه أحياء وعند وفاتهم ... يوصي بنصرته الشفيق شفيقاً
أوصى ابن عوسجة حبيباً قال ... قاتل دونه حتى الحمام تذوقا

ولما قتل مسلم بن عوسجة نادى أصحاب ابن سعد مستبشرين قتلنا مسلم بن عوسجة فقال شبث بن ربعي لبعض من حوله ثكلتكم أمهاتكم تقتلون أنفسكم بأيديكم وتبذلون أنفسكم لغيركم أتفرحون أن يقتل مسلم بن عوسجة أما والذي أسلمت له لرب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم لقد رأيته يوم سلق آذربايجان قتل ستة من المشركين قبل أن تلتئم خيول المسلمين أفيقتل منكم مثله وتفرحون.

في شهادة زهير بن القين وهو زهير بن القين بن قيس الأنماري كان زهير رجلاً شريفاً في قومه نازلاً بالكوفة وكان شجاعاً له في المغازي مواقف مشهورة ومواطن مشهودة وكان أولاً عثمانياً فحج سنة ستين في أهله ثم عاد فوافق الحسين في الطريق فهداه الله وانتقل علوياً حدث جماعة من بني فزارة وبجيلة قالوا كنا مع زهير بن القين لما أقبلنا من مكة فكنا نساير الحسين عليه السلام حتى لحقناه فكان إذا أراد النزول اعتزلناه فنزلنا ناحية فلما كان في بعض الأيام نزل في مكان لم نجد بداً من أن ننازله فيه فبينا نحن نتغدى من طعام لنا أذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلم ثم قال يا زهير بن القين أن أبا عبد الله الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه فطرح كل إنسان منا ما في يده حتى كأن على رؤوسنا الطير فقالت له زوجته وهي دلهم (دبلم خ ل) بنت عمرو سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه فلو أتيته فسمعت من كلامه فمضى إليه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق

وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحول إلى الحسين عليه السلام وقال لامرأته أنت طالق فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خيراً وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي ثم أعطاها مالها وسلمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها فقامت إليه وبكت وودعته وقالت كان الله عوناً ومعيناً خار الله لك أسألك أن تذكرني في القيمة عند جد الحسين عليه السلام ومن هذه الرواية يظهر أنها فارقت زهيراً وانصرفت إلى أهلها ومن رواية أخرى يظهر أنها ما فارقته بل وكانت معه وفي تاريخ أعثم الكوفي ما فارقت زهيراً وقالت أتحب أن تكون مع ابن المرتضى ولا أحب أن أكون مع بنت المصطفى وفي (تذكرة اسبط) وكان زهير بن القين (ره) قد قتل مع الحسين عليه السلام وقالت امرأته لغلام له اذهب فكفن مولاك فذهب فرأى الحسين عليه السلام مجرداً فقال اكفن مولاي وادع الحسين لا والله فكفنه ثم كفن مولاه في كفن آخر ثم قال زهير لأصحابه من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد مني إني سأحدثكم حديثاً غزونا بلنجر ففتح الله علينا وأصبنا غنائم فقال لنا سلمان هو سلمان بن ربيعة الباهلي وقيل سلمان الفارسي لأنه كان في الجيش أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم فقلنا نعم فقال إذا أدركتم سيد شباب أهل الجنة فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم من المغانم فأما أنا فإني أستودعكم الله قال ثم والله ما زال في أول القوم حتى قتل وهو القائل للحسين عليه السلام حين خطب الحسين عليه السلام في أصحابه قريباً من أرض كربلاء قام زهير بن القين وقال قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقالتك والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فدعا له الحسين عليه السلام وقال (رض) أيضاً ليلة العاشر من المحرم والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ألف مرة وأن الله تعالى قد دفع القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من إخوانك وولدك وأهل بيتك وله حملات في يوم عاشوراء منها حين أن شمر بن ذي الجوشن حمل وطعن فسطاط الحسين عليه السلام برمحه ونادى عليّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله فصاحت النساء وخرجن من الفسطاط فصاح به الحسين عليه السلام يا ابن ذي الجوشن أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي أحرقك الله بالنار

قال حميد بن مسلم قلت لشمر سبحان الله إن هذا لا يصلح لك تريد أن تجمع على نفسك خصلتين تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء إن في قتلك الرجال لما يرضى به أميرك فجاءه شبث بن ربعي وقال له يا ابن ذي الجوشن ما رأيت مقالاً أسوأ من قولك ولا موقفاً أقبح من موقفك أمرعباً للنساء صرت؟ فكأنه استحيى فذهب لينصرف وكان زهير بن القين في رجال من أصحابه عشرة فشد على شمر بن ذي الجوشن وأصحابه فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها فصرعوا أبا عزرة الضبابي فقتلوه وكان من أصحاب شمر وذوي قرباه فاقتتلوا حتى قتل أكثرهم وسلم زهير وكان زهير في ميمنة أصحاب الحسين عليه السلام وحبيب على الميسرة ولما صلى الحسين عليه السلام بأصحابه صلاة الظهر قدم زهيراً وسعيد بن عبد الله الحنفي أمامه حتى صلى بهم ولما فرغ الحسين عليه السلام من الصلاة تقدم زهير وجعل يقاتل قتالاً لم ير مثله وأخذ يحمل على القوم ويقول:

أنا زهير وأنا ابن القين ... أذودكم بالسيف عن حسين
إن حسيناً أحد السبطين ... من عترة البر التقي الزين

ثم رجع فوقف إمام الحسين عليه السلام وأخذ يضرب على منكب الحسين عليه السلام ويقول:

فدتك نفسي هادياً مهدياً ... اليوم ألقى جدك النبيا
وحسناً والمرتضى علياً ... وذا الجناحين الشهيد الخيا

فكأنه ودعه وعاد يقاتل حتى قتل مائة وعشرين رجلاً فشد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس التميمي فقتلاه ولما صرع وقف عليه الحسين عليه السلام وقال لا يبعدك الله يا زهير.

في شهادة نافع بن هلال وهو نافع بن هلال بن نافع بن جمل بن سعد الجملي ويجري على بعض الألسن هلال بن نافع وهو غلط كما يجري على ألسنتهم البجلي وهو أيضاً غلط الجملي منسوب إلى جمل بطن من مذحج وهو سيد شجاع وكان سرياً قارئاً كاتباً من حملة الحديث ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وحضر معه حروبه الثلاثة في العراق وخرج إلى

الحسين عليه السلام فلقيه في الطريق وكان ذلك قبل قتل مسلم بن عقيل عليه السلام وكان أوصى أن يتبع بفرسه المسمى بالكامل فاتبع وهو القائل للحسين عليه السلام والله ما أشفقنا من قدر الله ولا كرهنا لقاء ربنا وإنا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك وهو الذي بعثه الحسين عليه السلام في كربلاء مع أخيه العباس في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم عشرين قربة ليستقوا ماء وجاؤوا ليلاً إلى آخر ما في القصة في (الناسخ) أن نافعاً كان شاباً حسناً بديع الجمال رشيق القامة وكانت له مخطوبة لم يضاجعها ولما رأت أن نافعاً برز تعلقت بأذياله وبكت بكاء شديداً وقالت إلى أين تمضي وعلى من اعتمد بعدك فسمع الحسين عليه السلام ذلك قال له يا نافع إن أهلك لا يطيب لها فراقك فلو رأيت أن تختار سرورها على البراز فقال يا ابن رسول الله لو لم أنصرك اليوم فبماذا أجيب غداً رسول الله وبرز وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الجملي ... ديني على دين حسين وعلي
إن أقتل اليوم فهذا أملي ... فذاك رأيي وألاقي عملي

فقال له مزاحم بن حريث أنا على دين عثمان فقال له نافع أنت على دين الشيطان ثم شد عليه بسيفه فأراد أن يولي ولكن السيف وصل إليه فوقع مزاحم قتيلاً وكان نافع قد كتب اسمه على أفواق نبله فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول:

ارمي بها معلمة أفواقها ... مسمومة تجري بها أخفاقها
ليملأن أرضها رشاقها ... والنفس لا ينفعها إشفاقها

فلم يزل يرميهم حتى فنيت سهامه ثم ضرب يده على سيفه فاستله فقتل اثني عشر رجلاً من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح إذا تواثبوا عليه وأطافوا به يضاربونه بالأحجار والنصال حتى كسروا عضديه فأخذوه أسيراً فأمسكه شمر ومعه أصحابه يسوقونه إلى عمر بن سعد فقال له عمر ويحك يا نافع ما حملك على ما صنعت بنفسك قال إن ربي يعلم ما أردت فقال له رجل وقد رأى الدماء تسيل على لحيته أما ترى ما بك قال والله لقد قتلت منكم اثني عشر رجلاً سوى من جرحت وما ألوم نفسي على

الجهد ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني فقال شمر لابن سعد اقتله أصلحك الله قال أنت جئت به فإن شئت فاقتله قال فانتضى شمر بسيفه فقال له نافع أما والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذي جعل منايانا على أيدي شرار خلقه ثم قتله.

في شهادة وهب (رض) وهو وهب بن عبد الله بن حباب الكلبي وكان نصرانياً ومعه أمه وزوجته فأسلم هو وأمه على يدي الحسين عليه السلام فاتبعوه إلى كربلاء فأقبلت أمه وقالت يا بني قم فانصر ابن بنت رسول الله فقال افعل يا أماه ولا أقصر فبرز وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي سوف تروني وترون ضربي
وحملتي وصولتي في الحرب أدرك ثاري بعد ثار صحبي
وأدفع الكرب أمام الكرب ليس جهادي في الوغى باللعب

فلم يزل يقاتل حتى قتل جماعة منهم فرجع إلى أمه وامرأته فوقف عليهما وقال يا أماه أرضيت عني فقالت ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام فقالت امرأته بالله لا تفجعني في نفسك فقالت أمه يا بني لا تقبل قولها وارجع وقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تنل شفاعة جده يوم القيامة فرجع فلم يزل يقاتل حتى قتل تسعة عشر فارساً وعشرين راجلاً ثم قطعت يداه وأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل كي يردها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه فقالت لن أعود أو أموت معك فقال الحسين عليه السلام جزيتم من بيتي خيراً ارجعي إلى النساء رحمك الله فانصرفت وجعل يقاتل حتى أخذ أسيراً فأتي به إلى عمر بن سعد فقال ما أشد صولتك ثم أمر بضرب عنقه فضرب ورمي برأسه إلى عسكر الحسين عليه السلام فأخذت أمه الرأس فقبلته ووضعته في حجرها وجعلت تمسح الدم عن وجهه وتقول الحمد لله الذي بيض وجهي بشهادتك يا ولدي بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام ثم قالت يا أمة السوء اشهد أن اليهود في بيعها والنصارى في كنائسها خير منكم ثم رمت برأس ولدها نحو القوم فأصابت به الذي قتل ولدها فقتلته

ثم شدت بعمود الفسطاط فقتلت رجلين فقال لها الحسين عليه السلام ارجعي يا أم وهب أنت وابنك مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

ارجعي للنساء يرحمك الله وانديبنا القتيل بعد القتيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيول

فإن الجهاد مرفوع عن النساء فرجعت وهي تقول إلهي لا تقطع رجائي فقال لها الحسين عليه السلام لا يقطع الله رجائك يا أم وهب وفيها قال الشاعر:

طوبى لها بذلت للقتل أنفسها وعندها آنذاك القتل يحبيها
تسابقت للقنا في ذات سيدها واستبدلت بجوار عند باريها

فذهبت امرأته تمسح الدم والتراب عن وجهه وتقول هنيئاً لك الجنة وفي خبر تكحل من الدم في عينيها فبصر بها شمر فأمر غلامه يسمى رستم فضربها بعمود فشدخها وقتلها وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين عليه السلام بيض الله وجهها وحشرها مع الزهراء قتلت في نصرة الحسين عليه السلام وامرأة أخرى قتلت أيضاً في نصرة الحسين عليه السلام لكن بالكوفة وهي امرأة شمر بن ذي الجوشن.

في شهادة عابس بن أبي شبيب الشاكري وهو عابس بن أبي شبيب بن شاكر بن ربيعة بن مالك وبنو شاكر بطن من همدان كان عابس من رجال الشيعة رئيساً خطيباً ناسكاً متهجداً وكانت بنو شاكر من المخلصين بولاء أمير المؤمنين وفيهم يقول عليه السلام يوم صفين لو تمت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته وكان من شجعان العرب وحملتهم ولما قدم مسلم بن عقيل إلى الكوفة فاجتمع عليه الشيعة في دار المختار فقرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام فجعلوا يبكون قام عابس بن أبي شبيب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في أنفسهم وما أغرك منهم ولكن والله أخبرك بما أنا موطن نفسي عليه والله لأجيبنكم إذا دعوتم ولأقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عند الله وقال حبيب يرحمك الله تعالى قد قضيت ما عليك وأنا والله

لعلى مثل ما أنت عليه وقال الطبري إن مسلماً لما بايعه الناس كتب إلى الحسين عليه السلام كتاباً يقول فيه أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فحيهلا بالإقبال حين يأتيك كتابي فإن الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى وأرسل الكتاب مع عابس وصحبه شوذب مولاه وكان مع الحسين عليه السلام إلى أن نزل معه بكربلاء مع شوذب انتهى.

ولما التحم القتال في يوم عاشوراء وقتل بعض أصحاب الحسين عليه السلام جاء عابس ومعه شوذب وهو مولى شاكر فقال له يا شوذب ما في نفسك أن تصنع قال ما أصنع أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أقتل فقال ذلك الظن بك أما الآن فقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه وحتى احتسبك أنا فإنه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى به مني بك لسرني أن يتقدم بين يدي حتى أحتسبه في هذا اليوم فإنه لا عمل بعد اليوم وإنما هو الحساب فتقدم عابس إلى الحسين عليه السلام فسلم عليه وقال يا أبا عبد الله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليّ ولا أحب إليّ منك ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته السلام عليك يا أبا عبد الله أشهد أني على هداك وهدى أبيك ثم مشى بالسيف مصلتاً نحو القوم وبه ضربة على جبينه فطلب البراز قال ربيع بن تميم الهمداني لما رأيت عابساً مقبلاً عرفته وكنت قد شاهدته في المغازي والحروب وكان أشجع الناس فصحت أيها الناس هذا أسد الأسود هذا ابن أبي شبيب لا يخرجن إليه أحد منكم فأخذ عابس ينادي ألا رجل ألا رجل فلم يتقدم إليه أحد فنادى عمر بن سعد ويلكم ارضخوه بالحجارة فرمي بالحجارة من كل جانب فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره خلفه ثم شد على الناس ولله در من قال:

يلقى الرماح الشاجرات بنحره ... ويقيم هامته مقام المغفر

ما أن يريد إذا الرماح شجرنه ... درعاً سوى سربال طيب العنصر

قال فوالله لقد رأيته يطرد أكثر من مائتين من الناس قال ربيع كان بيني

ثم برز عمرو بن خالد الأزدي الصيداوي وقال للحسين عليه السلام يا أبا عبد الله جعلت فداك قد هممت أن ألحق بأصحابك وكرهت أن أتخلف فأراك وحيداً من أهلك قتيلاً فقال له الحسين عليه السلام تقدم فإنا لاحقون بك عن ساعة فتقدم فقاتل وهو يرتجز ويقول:

إليك يا نفس إلى الرحمن ... فابشري بالروح والريحان
اليوم تجزين على الإحسان ... قد كان منك غابر الزمان
ما خط في اللوح لدى الديان ... لا تجزعي فكل حي فان
والصبر أحظى لك بالأمان ... يا معشر الأزد بني قحطان

ولم يزل يقاتل حتى قتل ثم برز ابنه خالد (رض) وهو يقول:

صبراً على الموت بني قحطان ... كيما تكونوا في رضى الرحمن
ذي المجد والعزة والبرهان ... وذي العلى والطول والإحسان
يا أبتا قد صرت في الجنان ... في قصر در حسن البنيان

ثم تقدم فلم يزل يقاتل حتى قتل رحمه الله وجاء حنظلة بن أسعد الشبامي فوقف بين يدي الحسين عليه السلام يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره وأخذ ينادي يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما يريد الله ظلماً للعباد يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم (ربكم خ ل) الله بعذاب وقد خاب من افترى فقال له الحسين عليه السلام يا ابن سعد رحمك الله إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق ونهضوا إليك ليستبيحوك (يشتمونك خ ل) وأصحابك فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين قال صدقت جعلت فداك فلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا فقال عليه السلام بلى رح إلى ما هو خير لك من الدنيا وما فيها وإلى ملك لا يبلى فقال السلام عليك يا أبا عبد الله صلى الله عليك وعلى أهل بيتك وعرف بيننا وبينك في الجنة فقال عليه السلام آمين آمين فاستقدم وقاتل قتال الأبطال وصبر على احتمال الأهوال حتى قتل وبرز سعد بن حنظلة التميمي وكان من أعيان

عسكر الحسين عليه السلام وهو يقول:

صبراً على الأسياف والأسنه ... صبراً عليها لدخول الجنه
وحور عين ناعمات هنه ... لمن يريد الفوز لا بالظنه
يا نفس للراحة فاجهدنه ... وفي طلاب الخير فارغبنه

ثم حمل وقاتل قتالاً شديداً ثم قتل رضوان الله عليه وتقدم سويد بن عمرو بن أبي المطاع وكان شريفاً كثير الصلاة فقاتل قتال الأسد الباسل وبالغ في الصبر على الخطب النازل حتى سقط بين القتلى وقد أثخن بالجراح فلم يزل كذلك وليس به حرك حتى سمعهم ويقولون قتل الحسين عليه السلام فتحامل وأخرج من خفه سكيناً وجعل يقاتلهم بها حتى قتل فخرج عمرو بن قرظة الأنصاري فاستأذن الحسين عليه السلام فأذن له فقاتل قتال المشتاقين إلى الجزاء وبالغ في خدمة سلطان السماء حتى قتل جمعاً كثيراً من حزب ابن زياد وجمع بين سداد وجهاد وكان لا يأتي الحسين عليه السلام سهم إلا اتقاه بيده ولا سيد إلا تلقاه بمهجته فلم يكن يصل إلى الحسين عليه السلام سوء حتى أثخن بالجراح فالتفت إلى الحسين عليه السلام وقال يا ابن رسول الله أوفيت فقال عليه السلام نعم أنت إمامي في الجنة فاقرىء رسول الله عني السلام واعلمه أني في الأثر فقاتل حتى قتل «تنبيه» إن السلام الذي بلغه علي الأكبر عن جده لأبيه هو جواب للسلام الذي أرسله الحسين عليه السلام مع عمرو بن قرظة حيث قال له اقرىء رسول الله عني السلام وأعلمه أني في الأثر فجاء الجواب على لسان علي الأكبر العَجَل العَجَل فإن لك كأساً مذخورة وذلك لأن الوافد قد يتحف بأحب الأشياء وكان في تلك الساعة أحب الأشياء إلى الحسين عليه السلام الماء خصوصاً من يد جده صلى الله عليه وآله وروي أن أخا علي بن قرظة الأنصاري كان في جيش عمر بن سعد فنادى يا حسين يا كذاب ابن الكذاب أضللت قال قتلني الله إن لم أقتلك أو أموت دونك فحمل عليه فاعترضه نافع بن هلال فطعنه وصرعه فحمله أصحابه فاستنقذوه فدووي بعد فبرىء وبرز جابر بن عروة الغفاري وكان شيخاً كبيراً وقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله بدراً وحنيناً فجعل يشد وسطه بعمامة ثم شد حاجبيه بعصابة حتى رفعهما عن عينيه والحسين عليه السلام ينظر إليه ويقول شكر الله

سعيك يا شيخ فبرز وهو يقول:

قد علمت حقاً بنو غفار وخندف ثم بنو نزار
بنصرنا لأحمد المختار يا قوم حاموا عن بني الأطهار
الطيبين السادة الأخيار صلى عليهم خالق الأبرار

ولم يزل يقاتل حتى قتل ثمانين رجلاً فقتل رحمه الله وفي «البحار» ثم جاءه عبد الله وعبد الرحمٰن الغفاريان فقالا يا أبا عبد الله السلام عليك أحببنا أن نقتل بين يديك وندفع عنك فقال عليه السلام مرحباً بكما ادنوا مني فدنوا منه وهما يبكيان فقال يا ابني أخي ما يبكيكما فوالله أني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين فقالا جعلنا الله فداك والله ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك نراك قد أحيط بك ولا نقدر على أن ننفعك فقال جزاكما الله يا ابني أخي بوجدكما من ذلك ومواساتكما إياي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين ثم استقدما وقالا السلام عليك يا ابن رسول الله فقال وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته فقاتلا حتى قتلا وممن قتل مع الحسين عليه السلام برير بن خضير الهمداني المشرقي قال في أبصار العين وبنو مشرق بطن من همدان كان برير شيخاً تابعياً ناسكاً قارئاً للقرآن من شيوخ القراء ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان من أشراف أهل الكوفة من الهمدانيين وهو خال أبي إسحاق الهمداني السبيعي قال أهل السير أنه لما بلغه خبر الحسين عليه السلام سار من الكوفة إلى مكة ليجتمع بالحسين عليه السلام فجاء معه حتى استشهد انتهى ما في الأبصار وهو القائل للحسين عليه السلام لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك وتقطع فيك أعضاؤنا ويكون جدك شفيعنا يوم القيامة قال أبو مخنف أمر الحسين عليه السلام في اليوم التاسع أو ليلة العاشر من المحرم بفسطاط فضرب ثم أمر بمسك فميث في جفنة عظيمة فأطلى بالنورة وعبد الرحمٰن بن عبد ربه وبرير على باب الفسطاط تختلف مناكبهما فازدحما أيهما يطلي على أثر الحسين عليه السلام فجعل برير يهازل عبد الرحمٰن ويضاحكه فقال عبد الرحمٰن دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل فقال برير لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ولكني والله لمستبشر بما نحن لاقون والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن نحمل على هؤلاء فيميلون علينا

بأسيافهم ولوددت أن مالوا بها الساعة «في البحار» وبرز برير بن خضير بعد الحر وكان من عباد الله الصالحين وهو يقول:

أنا برير وأبي خضير يعرف فينا الخير أهل الخير
أضربكم ولا أرى من ضير كذاك فعل الخير من برير

وجعل يحمل على القوم وهو يقول اقتربوا مني يا قتلة أمير المؤمنين اقتربوا مني يا قتلة أولاد البدريين اقتربوا مني يا قتلة أولاد رسول رب العالمين وذريته الباقين وكان برير اقرأ أهل زمانه فقاتل حتى قتل ثلاثين رجلاً وقال أبو مخنف خرج يزيد بن معقل فقال يا برير بن خضير كيف ترى صنع الله بك قال صنع بي والله خيراً وصنع بك شراً فقال كذبت وقبل اليوم ما كنت كذاباً أتذكر وأنا أماشيك في سكة بني ذودان (لوذان نسخة) وأنت تقول إن عثمان كان كذا وكذا وأن معاوية ضال مضل وأن علي بن أبي طالب إمام الحق والهدى قال برير أشهد أن هذا رأيي وقولي فقال يزيد أشهد أنك من الضالين قال برير فهل لك أن أباهلك لندع الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المحق المبطل ثم أخرج لأبارزك قال فخرجا فرفعا أيديهما بالمباهلة إلى الله يدعوانه يلعن الكاذب وأن يقتل المحق المبطل ثم برز كل واحد منهما لصاحبه فاختلفا ضربتين فضرب يزيد بريراً ضربة خفيفة لم تضره شيئاً وضرب برير يزيد ضربة قدت المغفزة وبلغت الدماغ فخر كأنما هوى من حالق وأن سيف برير لثابت في رأسه فكأني انظر إليه ينضنضه من رأسه حتى أخرجه فحمل على برير رضي بن منقذ العبدي فاعتنق بريراً فاعتركا ساعة ثم إن بريراً صرعه وقعد على صدره فجعل رضي يصيح بأصحابه أين أهل المصاع والدفاع فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه قال الراوي فقلت له هذا برير بن الخضير القاري الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد فلم يلتفت لعذلي إياه وحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره فلما وجد برير مس الرمح برك على رضي فعض أنفه حتى قطعه وأنفذ كعب الرمح في ظهر برير حتى غاب السنان في ظهره ثم أقبل يضربه بسيفه حتى برد فكأني أنظر إلى رضي قام ينفض عنه التراب ويده على أنفه وهو يقول أنعمت علي يا أخا الأزد نعمة لا أنساها أبداً

فلما رجع كعب قالت له أخته النوار بنت جابر أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء لقد أتيت عظيماً من الأمر والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً في (البحار) فحمل رجل من أصحاب ابن زياد فقتل بريراً وكان يقال لقاتله بحير بن أوس الظبي فجال في ميدان الحرب وجاءه ابن عم له وقال ويحك يا بحير قتلت برير بن خضير فبأي وجه تلقى ربك غداً قال فندم الشقي وأنشأ يقول:

فلو شاء ربي ما شهدت قتالهم ... ولا جعل النعماء عند ابن جابر
لقد كان ذا عاراً علي وسبة ... يعير بها الأبناء عند المعاشر
فيا ليت أني كنت في الرحم حيضة ... ويوم حسين كنت ضمن المقابر
فيا سوأتا ماذا أقول لخالقي ... وما حجتي يوم الحساب القماطر

انتهى وبرز الحجاج بن مسروق الجعفي مؤذن الحسين عليه السلام وهو يقول:

أقدم حسيناً هادياً مهدياً ... فاليوم نلقى جدك النبيا
ثم أباك ذا الندى عليا ... ذاك الذي نعرفه وصيا

فقتل خمساً وعشرين رجلاً ثم قتل رضوان الله عليه.

ذكر المؤرخون جماعة حضروا الطف في نصرة الحسين عليه السلام ولم يقتلوا بل أفلتوا منهم غلام لعبد الرحمٰن بن عبد ربه الأنصاري لما رأى القوم قد صرعوا أفلت وتركهم ومنهم المرقع بن ثمامة الأسدي قال الطبري كان قد نثر نبله وجثا على ركبتيه فقاتل فجاءه نفر من قومه فقالوا له أنت آمن اخرج إلينا فخرج إليهم فلما قدم بهم عمر بن سعد على ابن زياد وأخبره بخبره نفاه إلى الزارة وفي كتاب أخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري أن ابن زياد سيره إلى الربزة فلم يزل بها حتى هلك يزيد وهرب عبيد الله إلى الشام فانصرف المرقع إلى الكوفة (ومنهم) عقبة بن سمعان قال الجزري فأخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان وكان مولى للرباب ابنة امرىء القيس وهي زوجة الحسين عليه السلام ولها منه سكينة وعبد الله الرضيع فقال عقبة أنا عبد مملوك فخلى سبيله ومنهم الضحاك بن عبد الله المشرقي ذكر في (نفس المهموم) شيخنا المعاصر دام فضله قال لوط بن يحيىٰ الأزدي حدثنا عبد

الله بن عاصم الفائشي بطن من همدان عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال قدمت ومالك بن النضر الأرحي (الأرحبي خ ل) على الحسين عليه السلام فسلمنا عليه ثم جلسنا إليه فرد علينا السلام ورحب بنا وسألنا عما جئنا له فقلنا له جئنا لنسلم عليك وندعو الله لك بالعافية ونحدث بك عهداً ونخبرك خبر الناس وإنا نحدثك أنهم قد جمعوا على حربك فما رأيك فقال الحسين عليه السلام حسبي الله ونعم الوكيل قال فتذممنا وسلمنا عليه ودعونا الله له قال فما يمنعكما من نصرتي فقال مالك بن النضر عليّ دين ولي عيال فقلت له إن عليّ ديناً وإن لي عيالاً ولكني قاتلت عنك ودافعت عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً وما أجد لك مقاتلاً وإن لم أجد مقاتلاً فاجعلني في حل من الانصراف قال عليه السلام فأنت في حل قال فأقمت معه إلى أن قال لما رأيت أصحاب الحسين عليه السلام قد أصيبوا وقد خلص إليه وإلى أهل بيته ولم يبق معه غير سويد بن أبي المطاع الخثعمي وبشير بن عمرو الحضرمي قلت له يا ابن رسول الله قد علمت ما كان بيني وبينك لقد قلت لك أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً فإذا لم أر مقاتلاً فإني في حل من الانصراف فقال صدقت وكيف لك بالنجاة إن قدرت على ذلك فأنت في حل قال فأتيت فرسي وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت وأقبلت أقاتل معهم راجلاً فقتلت يومئذٍ بين يدي الحسين عليه السلام رجلين وقطعت يداً لآخر وقال لي الحسين عليه السلام يومئذٍ مراراً لا تشلل لا يقطع الله يديك جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك صلى الله عليه وآله فلما أذن لي استخرجت الفرس من الفسطاط ثم استويت على متنها ثم ضربتها حتى إذا قامت على السنابك رميت بها عرض القوم فافرجوا لي واتبعني منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيت إلى شفية قرية قريبة من شاطىء الفرات فلما لحقوني عطفت عليهم فعرفني كثير بن عبد الله الشعبي وأيوب بن مشرح الخيواني وقيس بن عبد الله الصائدي فقالوا هذا الضحاك بن عبد الله المشرقي هذا ابن عمنا ننشدكم الله لما كففتم عنه فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم بلى والله لنجيبن إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبوه من الكف عن صاحبهم قال فلما تابع التميميون أصحابي كف الآخرون قال

فنجاني الله لقد صدق ابن عباس (ره) حيث عنّف على تركه الحسين عليه السلام فقال إن أصحاب الحسين عليه السلام لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم وقال محمد بن الحنفية وأن أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم بأبي هم وأمي فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ثم اعلم قيل أن المقتولين من أصحاب الحسين عليه السلام في الحملة الأولى خمسون رجلاً أحدهم زاهر بن عمرو موالي عمرو بن الأحمق الخزاعي وينبغي أن نذكر شيئاً من أحواله أقول أن ممن كان مع علي عليه السلام من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله من مهاجري العرب والتابعين الذين أوجب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله الجنة وسماهم بذلك عمرو بن حمق الخزاعي دعاه أمير المؤمنين عليه السلام يوماً وأخبره بما يبتلى به وبما يجزى عليه من بعد شهادته فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام جرى بين عمرو بن الحمق وبين زياد ما جرى لأن عمرو بن الحمق كان من أصحاب حجر بن عدي وهو يعينه حتى أخذ حجر بن عدي وذهبوا به إلى معاوية في طلب عمرو بن الحمق فهرب عمرو إلى الموصل ومعه رجل من أصحاب علي عليه السلام يقال له زاهر فلما نزلا بالوادي دخل عمرو في غار فنهشته حية في جوف الليل فأصبح منتفخاً فقال يا زاهر تنح عني فإن حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبرني أنه سيشترك في دمي الجن والإنس ولا بد لي من أن أقتل فبينما هما كذلك إذ رأيا نواصي الخيل في طلبه فقال عمرو يا زاهر تغيب فإذا قتلت فإنهم سوف يأخذون رأسي فإذا انصرفوا فاخرج إلى جسدي فواره قال زاهر لا بل انثر نبلي ثم ارميهم به فإذا فنيت قتلت معك قال لا بل تفعل ما سألتك به ينفعك الله به فاختفى زاهر وأتى القوم فقتلوا عمراً واحتزوا رأسه فحملوه إلى الشام على رمح وكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام ونصب للناس فلما انصرفوا خرج زاهر فوارى جسده ثم بقي زاهر حتى قتل مع الحسين عليه السلام فحج زاهر سنة ستين فالتقى مع الحسين عليه السلام بمكة فصحبه وكان ملازماً له حتى حضر معه كربلاء وقتل في الحملة الأولى مع من قتل من أصحاب الحسين عليه السلام وفي زيارة الناحية وأيضاً في الزيارة الرجبية في مصباح الزائر السلام على زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي ومن أحفاده أبو جعفر الزاهري محمد بن

سنان من أصحاب الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام طوبى له فظهر أن زاهراً كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وخصص بمتابعة عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله وحواري أمير المؤمنين عليه السلام العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه ووفق بمواراته ودفنه ثم ساقته السعادة إلى أن رزق في نصرة الحسين عليه السلام الشهادة انتهى.

في شهادة أولاد عقيل

قد اختلفوا في عدد القتلى من الهاشميين (رض) قيل وقد قتل من أولاد علي عليه السلام مع الحسين عليه السلام سبعة وقيل أكثر ومن أولاد عبد الله بن جعفر الطيار اثنان ومن أولاد عقيل خمسة وقيل سبعة وقيل تسعة.

قال محمد بن أبي طالب أول من برز من أهل بيت الحسين عليه السلام عبد الله بن مسلم بن عقيل عليه السلام وكان فارساً شجاعاً كما أن أباه مسلم بن عقيل كان أشجع أولاد عقيل وقال الحجة ـ عج ـ في زيارة الناحية السلام على القتيل بن القتيل عبد الله بن مسلم بن عقيل وأمه رقية بنت أمير المؤمنين عليه السلام وكانت أمه معه فلما استأذن الحسين عليه السلام في القتال قال عليه السلام أنت في حل من بيعتي حسبك قتل أبيك مسلم وفي ـ الناسخ ـ قال عليه السلام خذ بيد أمك واخرج من هذه المعركة فقال لست والله ممن يؤثر دنياه على آخرته فكأن الحسين عليه السلام كره أن يقتل هذا الشاب وأمه تنظر إليه فأذن له فبرز وهو يرتجز ويقول:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي ... وفتية بادوا على دين النبي
ليسوا بقوم عرفوا بالكذب ... لكن خيار وكرام النسب
من هاشم السادات أهل الحسب

فقاتل حتى قتل ثمانية وتسعين رجلاً في ثلاث حملات ثم رماه رجل يقال له عمرو بن صبيح أو زيد بن رقاد الحياني بسهم فوضع عبد الله يده على جبهته يتقيه فأصاب السهم كفه ونفذ إلى جبهته فسمرها به فلم يستطع

تحريكها ثم رماه بسهم آخر على قلبه ففلق قلبه وقتله قال أبو مخنف فرماه بسهم فوقع في لبته فخر صريعاً ينادي واأبتاه وانقطاع ظهراه فلما نظر الحسين عليه السلام إليه وقد صرع قال اللهم اقتل قاتل آل عقيل ثم قال إنا لله وإنا إليه راجعون وفي كامل التواريخ أخذ المختار قاتل هذا الشاب وهو زيد بن رقاد الحياني فحكى قصة قتل الشاب فبكى المختار وقال اقتلوه وقال لهم ابن كامل لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فأحرقوه حياً.

وعن تاريخ الطبري أخذ المختار رجلين اشتركا في دم عبد الرحمٰن بن أبي عقيل وفي سلبه كانا في الجبانة فضرب عنقهما ثم أحرقهما بالنار ومنهم جعفر بن عقيل (رض) وأمه أم الثغر بنت عامر من بني كلاب ويقال أمه الخوصاء بنت عمرو بن عامر الكلابي فبرز قائلاً:

أنا الغلام الأبطحي الطالبي من معشر في هاشم من غالب
ونحن حقاً سادة الذوائب هذا حسين أطيب الأطائب

فقتل خمسة عشر فارساً قتله بشر بن سوط من آل همدان ثم برز عبد الله الأكبر ابن عقيل أمه أم ولد قتله كما نقل عن المدائني عثمان بن خالد بن أشيم الجهني ورجل من همدان وممن قتل من أولاد عقيل كما في (أبصار العين) محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب وهو غلام صغير لم يراهق وله من العمر سبع سنين وقاتله لقيط بن إياس الجهني وفي رواية هاني بن ثبيت الحضرمي قال في (أبصار العين) قال أهل السير نقلاً عن حميد بن مسلم الأزدي أنه قال لما صرع الحسين عليه السلام خرج غلام من الخيمة مذعوراً يلتفت يميناً وشمالاً فشد عليه فارس فضربه فسألت عن الغلام فقيل محمد بن أبي سعيد وعن الفارس فقيل لقيط بن إياس الجهني وقال هشام الكلبي حدث هاني بن ثبيت الحضرمي قال كنت ممن شهد قتل الحسين عليه السلام فوالله إني لواقف عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس له وقد جالت الخيل وتضعضعت أركان العسكر وسقط الحسين عليه السلام وصرع وهجم القوم وتصايحت النساء إذ خرج غلام من آل الحسين عليه السلام إلى باب

الخيمة وهو ممسك بعمود من تلك الأبنية عليه قميص وأزار فكأني أنظر إلى درتين في أذنيه يتذبذبان وهو مذعور يلتفت يميناً وشمالاً إذ أقبل رجل يركض حتى إذا دنا منه مال عن فرسه ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف فصارت شهربانو تنظر إليه ولا تتكلم كالمدهوشة وفي رواية أمه واقفة تنظر إليه قال هشام الكلبي أن هاني بن ثبيت الحضرمي هو صاحب الغلام وكنى عن نفسه خوفاً واستحياء وقال صاحب (الناسخ) والذي يظهر لي أنه عبد الله بن الحسين عليه السلام والله أعلم.

فلم تر عيني كالصغار مصابهم يقلب أكباد الكبار على الجمر

في شهادة علي بن الحسين عليه السلام

وقال المفيد (ره) أن للحسين عليه السلام من أولاد الذكور أربعة علي بن الحسين الأكبر كنيته أبو محمد وأمه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد وعلي بن الحسين الأصغر قتل مع أبيه بالطف وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفية وجعفر بن الحسين عليه السلام وكانت وفاته في حياة الحسين عليه السلام ولا بقية له وأمه قضاعية وعبد الله بن الحسين عليه السلام قتل مع أبيه صغيراً جاءه سهم وهو في حجر أبيه فذبحه وأمه رباب بنت امرىء القيس.

في (نفس المهموم) قال رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة سادة في الإسلام بشر بن هلال العبدي وعدي بن حاتم وسراقة بن مالك المدلجي وعروة بن مسعدو الثقفي وكان عروة أحد رجلين عظيمين في قوله تعالى حكاية عن كفار قريش وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجلين من القريتين عظيم وهذا هو الذي أرسلته قريش للنبي صلى الله عليه وآله يوم الحديبية فعقد معه الصلح وهو كافر ثم أسلم سنة تسع من الهجرة بعد رجوع المصطفى من الطائف واستأذن النبي صلى الله عليه وآله في الرجوع لأهله فرجع ودعا قومه إلى الإسلام فرماه واحد منهم بسهم وهو يؤذن للصلاة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لما بلغه ذلك مثل عروة مثل صاحب يس دعا قومه إلى الله فقتلوه وقال صلى الله عليه وآله ورأيت عيسى بن مريم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود (انتهى) وليلى أم علي أمها

ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية المكناة بأم شيبة وكان معاوية خال ليلى أم علي الأكبر ولهذا ناداه رجل من أهل الكوفة حين برز علي الأكبر للقتال إن لك رحماً بأمير المؤمنين يزيد فإن شئت أمناك فقال له ويلك لقرابة رسول الله ﷺ أحق أن ترعى وكان معاوية كثيراً يمدح علي بن الحسين عليه السلام حتى قال يوماً لأصحابه من أحق الناس بالخلافة قالوا أنت قال لا بل أحق الناس بالخلافة علي بن الحسين بن علي عليه السلام جده رسول الله ﷺ وفيه شجاعة بني هاشم وسخاء بني أمية وزهو ثقيف يعني المنظر الحسن وقال ابن إدريس في السرائر قد صرح غير واحد بأن هذه الأبيات قيلت في مديح علي بن الحسين عليه السلام.

لم ترعين نظرت مثله ... من محتف يمشي ومن ناعا
أعني ابن ليلى ذا السدى والندى ... أعني ابن بنت الحسب الفاضل
لا يؤثر الدنيا على دينه ... ولا يبيع الحق بالباطل
يغلى بني اللحم حتى إذا ... أنضج لم يغل على الآكل
كان إذا شبت له ناره ... يوقدها بالشرف الكامل
كيما يراها بائس مرمل ... أو فرد حي ليس بالآهل

هذا الشاعر يمدح علي بن الحسين عليه السلام في الجود والسخاء ويقول لم ير أحد في العالم بعد الحسين عليه السلام في الجود والكرم وإطعام المساكين وإكرام الضيف وإعطاء السائلين بمثل علي الأكبر عليه السلام وكان مولعاً وحريصاً في ذلك بحيث يشتري الأطعمة والأغذية اللذيذة واللحوم الطيبة بالقيم الغالية ويأمر بطبخها ونضجها ويطعم البائس والمسكين والضيوف والواردين وهو عليهم في غاية الشفقة واللطف والمرحمة وكان من عادات العرب الذين يحبون الضيف ويبالغون في إكرام الضيف أن يشعلوا ناراً فوق البيوت في الصيف والشتاء في الليالي المظلمة حتى إذا جاءهم ضيف من بعيد في الليل المظلم فبتلك النار يهتدي الطريق إلى المضيف ولا يتعسف ولا يضل الطريق ويسمونها نار القرى وكان علي الأكبر من غاية حبه للضيف وإكرامه لهم إذا أشعل النار فوق بيته أشعلها كثيراً وفي غاية الاشتعال لكي يراها البائس والمسكين والمرمل واليتيم وينزل في داره على طعامه كيف وهو

رب الجود والسخاء والفضل والندى ورضيع الحسب والنسب وكان في الدين واليقين بمكان مكين بحيث لا يؤثر دنياه على دينه ولا يبيع الحق بالباطل.

ويكفي في فضله عليه السلام شهادة أبيه في حقه أنه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخلقاً ومنطقاً وكان الحسين عليه السلام اعرف الناس بجده وأعرفهم بولده وكان من جمال رسول الله صلى الله عليه وآله أن عائشة لما سمعت بجمال يوسف الصديق سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أنت أحسن وجهاً أم يوسف الصديق فقال صلى الله عليه وآله أخي يوسف أصبح مني وأنا أملح منه وأما فصاحة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت بحيث كان فصحاء قريش يتخيلون أن القرآن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله لما في كلامه من مشابهة القرآن في الجودة والفصاحة والحسن وأما خلقه فصريح الآية إنك لعلى خلق عظيم وكانت أخلاقه الحسنة معروفة عند قريش كلهم وعلي الأكبر عليه السلام أشبه رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع ذلك بشهادة الإمام في حقه ولنعم ما قيل:

جمع الصفات الغر وهي تراثه ... من كل غطريف وشهم أصيد
في بأس حمزة في شجاعة حيدر ... وأبا الحسين وفي مهابة أحمد
وتراه في خلق وطيب خلائق ... وبليغ نطق كالنبي محمد

وكان أهل المدينة إذا اشتاقوا إلى النبي صلى الله عليه وآله نظروا إلى علي الأكبر عليه السلام وكان الحسين عليه السلام يحبه حباً شديداً بحيث إذا رآه فرح به وسر سروراً عظيماً وإذا سأله حاجة لا يرده أبداً ولو على سبيل الإعجاز قال كثير بن شاذان رأيت الحسين عليه السلام وقد اشتهى ابنه علي الأكبر في صغر سنه عنباً في غير أوانه فضرب الحسين عليه السلام بيده إلى سارية المسجد وأخرج له عنباً وموزاً وأطعمه وقال وما عند الله لأوليائه أكثر.

وقد اختلفوا في سنه الشريف فقال ابن شهرآشوب ومحمد بن أبي طالب أنه ابن ثماني عشرة سنة وقال المفيد (ره) أن له يومئذٍ تسع عشرة سنة وقيل إنه ابن خمس وعشرين سنة فيكون هو الأكبر وقال محمد بن إدريس وولد علي بن الحسين هذا في أول إمارة عثمان وروي عن جده

علي بن أبي طالب عليه السلام واختلفوا أيضاً في أنه هو أول شهيد من أهل بيت الحسين عليهم السلام أو عبد الله بن مسلم وذهب إلى كل واحد منهما طائفة والظاهر أنه أول قتيل من الهاشميين ولما قتل أصحاب الحسين عليه السلام ولم يبق معه إلا أهل بيته خاصة وهم ولد علي عليه السلام وولد الحسين عليه السلام وولد جعفر وولد عقيل اجتمعوا يودع بعضهم بعضاً وعزموا على الحرب فتقدم علي بن الحسين عليه السلام وكان من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً وخلقاً فاستأذن أباه في القتال فأذن له «في الدمعة» لما توجه إلى الحرب اجتمعت النساء حوله كالحلقة وقلن له ارحم غربتنا ولا تستعجل إلى القتال فإنه ليس لنا طاقة في فراقك قال فلم يزل يجهد ويبالغ في طلب الإذن من أبيه حتى أذن له ثم تودع من أبيه والحرم وتوجه نحو الميدان انتهى ولما برز علي بن الحسين عليه السلام نظر إليه الحسين عليه السلام نظر آيس منه وأرخى عينيه وبكى ورفع سبابته أو شيبته الشريفة نحو السماء وقال اللهم إشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك كنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه اللهم امنعهم بركات الأرض وفرقهم تفريقاً ومزقهم تمزيقاً واجعلهم طرائق قدداً ولا ترض الولاة عنهم أبداً فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا ثم صاح بعمر بن سعد مالك قطع الله رحمك ولا بارك الله لك في أمرك وسلط عليك من يذبحك بعدي على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحتفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رفع صوته وتلا عليه السلام أن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ثم حمل علي بن الحسين عليه السلام على القوم وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن وبيت الله أولى بالنبي
أطعنكم بالرمح حتى ينثني ... أضربكم بالسيف أحمي عن أبي
ضرب غلام هاشمي علوي ... والله لا يحكم فينا ابن الدعي

وشد على الناس مراراً وقتل منهم جمعاً كثيراً حتى ضج الناس من كثرة من قتل وروي أنه قتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة فقال يا أبة العطش قد قتلني وثقل الحديد أجهدني

فهل إلى شربة من الماء سبيل أتقوّى بها على الأعداء يقول الرائي:

وقد غار عيناه لفرط ظمائه وفي القلب وقد والشفاه ذبول
فقال أبي روحي تطير من الظما وجسمي من ثقل الحديد نحيل

فبكى الحسين عليه السلام فقال واغوثاه يا بني يعز على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعليّ أن تدعوهم فلا يجيبوك وتستغيث بهم فلا يغيثوك يا بني قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدك محمداً صلى الله عليه وآله فيسقيك بكأسه إلا وفي شربة لا تظمأ بعدها أبداً يا بني هات لسانك فأخذ بلسانه فمصه ودفع إليه خاتمه وقال امسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوك فإني أرجو أنك لا تمسي حتى يسقيك جدك بكأسه إلا وفي شربة لا تظمأ بعدها أبداً ولدي عد بارك الله فيك فرجع إلى القتال وهو يقول:

الحرب قد بانت لها الحقائق وظهرت من بعدها مصادق
والله رب العرش لا نفارق جموعكم أو تغمد البوارق

فلم يزل يقاتل حتى قتل تمام المئتين وكان أهل الكوفة يتقون قتله فبصر به مرة بن منقذ بن النعمان الليثي فقال علي آثام العرب إن مر بي وهو يفعل مثل ما كان يفعل إن لم أثكل أباه فمر يشد على الناس بسيفه فاعترضه مرة بن منقذ فطعنه فانصرع واحتواه الناس وعلى رواية ثم ضربه منقذ بن مرة العبدي على مفرق رأسه ضربة صرعته وضربه الناس بأسيافهم ثم اعتنق فرسه فاحتمله الفرس إلى معسكر الأعداء فقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً فلما بلغت الروح التراقي قال رافعاً صوته يا أبتاه هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه إلا وفي شربة لا أظمأ بعدها أبداً وهو يقول العَجَل العَجَل فإن لك كأساً مذخورة حتى تشربها الساعة وقال أبو الفرج وجعل يكر كرة بعد كرة حتى رمي بسهم في حلقه فخرقه وأقبل يتقلب في دمه. وفي (روضة الصفا) رفع الحسين عليه السلام صوته بالبكاء ولم يسمع أحد إلى ذلك الزمان صوته بالبكاء وقال قتل الله قوماً قتلوك ما أجرأهم على الرحمٰن وعلى انتهاك حرمة الرسول وانهملت عيناه بالدموع ثم قال على الدنيا بعدك العفا قال أبو مخنف لما قتل علي بن الحسين عليه السلام صرخن النساء بالبكاء والنحيب فصاح

بهن الحسين عليه السلام أن اسكتن وجعل يتنفس الصعداء قال ثم دعا ببردة رسول الله فلبسها وأفرغ على نفسه درعه الفاضل وتعمم بعمامة السحاب وتقلد بسيفه ذي الفقار واستوى على ظهر جواده وحمل على القوم وفرقهم عنه وأخذ رأسه ووضعه في حجره وجعل يمسح الدم والتراب عن وجهه ويقول يا بني لعن الله قاتلك ما أجرأهم على الله ورسوله وهملت عيناه بالدموع حزناً لمصابه ثم إن الحسين عليه السلام وضع ولده في حجره وقال يا ولدي أما أنت فقد استرحت من هم الدنيا وغمها وسرت إلى روح وريحان وجنة ورضوان وبقي أبوك لهمها وغمها فما أسرع لحوقه بك في (البحار) قال حميد بن مسلم فكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة تنادي بالويل والثبور وتقول يا حبيباه يا ثمرة فؤاداه يا نور عيناه يا أخياه وابن أخياه وفي رواية أبي مخنف تنادي واولداه واقتيلاه واقلة ناصراه واغريباه وامهجة قلباه ليتني كنت قبل هذا اليوم عميا ليتني وسدت الثرى وجاءت وانكبت عليه فجاء الحسين عليه السلام فأخذ بيدها وعن معدن البكاء وستر وجهها بعبائه وألقى عباءته عليها فردها إلى الفسطاط وأقبل عليه السلام بفتيانه وقال احملوا أخاكم فحملوه من مصرعه فجاؤوا به حتى وضعوه عند الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه وفي بعض الكتب ثم أقبل الحسين عليه السلام حتى دنا من خيم النساء فخرجت سكينة وقالت يا أبة ما لي أراك تنعى نفسك وتدبر طرفك ابن أخي علي فبكى الحسين عليه السلام وقال بنية قتلوه اللئام فصاحت واأخاه واعلياه وأرادت أن تخرج من الخباء فأخذها الحسين عليه السلام وقال يا بنتاه اتقي الله واستعملي الصبر قالت أبتاه كيف تصبر من قتل أخوها وشرد أبوها فقال الحسين عليه السلام إنا لله وإنا إليه راجعون قال في (البحار) وخرج غلام من تلك الأبنية.

فيما يتعلق بعلي الأكبر مما ورد في بعض المقاتل ومما استفدته من الأسانيد قدس الله أرواحهم (منها) قوله قطع الله رحمك أن عمر بن سعد كان ابن خالة ليلى أم علي الأكبر وليلى بنت خالته لأنه كانت لأبي سفيان بنات تزوج بإحداها رسول الله وهي أم حبيب واسمها رملة وتزوج بإحداها سعد بن أبي وقاص فأولدها عمراً وبإحداها أبو مرة فأولدها ليلى أم علي وحي ميمونة بنت أبي سفيان وأيضاً كان عمر بن سعد من بني زهرة وآمنة

أم النبيﷺ من بني زهرة وزهرة وقصي كانا أخوين وقصي أحد أجداد النبيﷺ وسعد بن أبي وقاص ابن عم لآمنة أم النبي وقيل يحتمل أن المراد قطع الله نسلك كما قطعت نسلي من هذا الشاب و (منها) احتمله الفرس إلى معسكر الأعداء لفظ احتمل له معنى غير الحمل وهو من باب الافتعال إشارة بأن علياً لا يمكنه الاستقرار على ظهر الفرس من كثرة ضرب السيوف والجراحات لكن الفرس احتمله وتكلف في حمله حتى لا يسقط وكان الدم قد جرى من قرنه على وجه الفرس وأخذت عينيها فمالت به إلى معسكر الأعداء ففعلوا به ما فعلوا حتى لم يتمكن الفرس من احتماله فسقط (ومنها) ما عن المرحوم الحاج الشيخ جعفر (قده) أن السلام إما سلام تحية أو سلام توديع ففي سلام التوديع يقدمون الخبر ويقولون عليك مني السلام وقول عليعليه السلام يا أبة عليك مني السلام يعني أودعك هذا آخر اللقاء والملتقى يوم القيامة (انتهى) منها ويفهم من عبارة الزيارة بأبي وأمي دمك المرتقى به إلى حبيب الله إلى قوله يرفع دمك بكفه إلى عنان السماء أن الحسينعليه السلام رمى بدم علي الأكبر إلى السماء قال المرحوم الدربندي أن قولهعليه السلام يرفع دمك يحتمل احتمالين (الأول) أن يكون ذلك بعد رجعة علي الأكبر من الميدان بعد أن قتل مائة وعشرين رجلاً من وجوه القوم جاء مشتكياً من العطش (والثاني) أن يكون بعد سقوطه عن ظهر جواده فعلى كلا التقديرين لا يتصور إلا أن يجري الدماء من الجراحات من مواضع الضربات والطعنات جريان المياه من الميازيب (وقال أيضاً قده) أن علياً الأكبر هو الذي قد زق العلم زقاً فكيف طلب من أبيه جرعة من الماء مع أنه كان عالماً بفقد الماء؟ فمراد علي الأكبر أن يسقيه الماء من طريق المعجزة وخارق العادة فأشار الإمامعليه السلام بقوله بعزل عليّ أن تطلب جرعة من الماء ولا أسقيك يعني ليس هذا المقام مقام المعجزة بل الجري على نهج العادة في باب المجاهدات وشدة العطش ونحو ذلك لأن الله شاء أن يرانا مقتولين مجدلين ونحن نلوي ألسنتنا من شدة العطش والظمأ وأخذ لسانه في فيه يعني ولدي انظر كيف أضر العطش بأبيك بحيث لم يبق رطوبة في فمه وقال بعض العلماء الظاهر أن طلب الحسينعليه السلام لسان ابنه كان

لأجل أن يكتسب عليّ من أبيه قوة ويجذبها بلسانه وإلا فإن علياً لو كان يقدر على قتل واحد آخر والصبر على العطش ما كان يرجع عن الحرب ولا كان يشكو إلى أبيه العطش فعاد إلى الميدان بقوة كاملة ينادي بها:

والله رب العرش لا نفارق جموعكم أو تغمد البوارق

يعني نقتلكم جميعاً فهذا من قوة الإمامة التي أفيضت عليه و (منها) قال (قده) أن جمعاً من أهل الكوفة من عسكر عمر بن سعد قد عاتبوا عمر بن سعد بمعاتبات شتى حين أمرهم بقتال علي بن الحسين عليه السلام وقالوا أنت تأمرنا بقتال من يشبه رسول الله وأن جمعاً منهم بكوا على عظيم مصيبة سيد الشهداء عليه السلام و (منها) أنه عليه السلام وضع خده على خده جرت العادة أن المحتضر إذا سكن أنينه وأرادوا أن يستكشفوا عن حاله هل بقي فيه رمق من الحياة أم لا فيأتون إليه بمرآة ويواجهوها فمه وأنفه فإذا فيه رمق من الحياة يؤثر في المرآة وإلا فلا والحسين عليه السلام أراد أن يستكشف عن حال ولده وضع خده ووجهه الذي هو مرآة لجمال الحق وكماله على خد ولده فوجده قد قضى نحبه فنادى على الدنيا بعدك العفا و (منها) قال بعض أرباب المقاتل أن زينب عليها السلام أقبلت إلى علي الأكبر ووقعت عليه قبل مجيء الحسين عليه السلام وإنما سبقت أخاها لأنها علمت بأن علياً قد قتل ولو رآه الحسين عليه السلام مقتولاً لفارقت روحه جسده فأشغلته بأمر الناموس حتى تهون عليه المصيبة لأن أمر الناموس أصعب الأمور على الغيور فإذا رأى الإنسان أخته أو حرمه بين الأعداء فينسى غير ذلك و (منها) أن قول سكينة لأبيها أين أخي علي معناه لما نظرت إلى أبيها مشرفاً على الموت مما دهاه قالت أين أخي الذي كان شبيهاً برسول الله صلى الله عليه وآله وكنت تنظر إلى وجهه في الهم والغم فينجلي همك ويزول غمك فأين هو الآن حتى تنظر إليه فقال عليه السلام قتلوه اللئام و (منها) قال المرحوم الشيخ جعفر التستري (قده) أن الحسين عليه السلام في مصيبة ولده قد احتضر وأشرف على الموت ثلاث مرات (الأولى) لما برز علي الأكبر واستأذن أباه فأذن له وألبسه الدرع والسلاح وأركبه على العقاب قال (ره) فلما تجلى وجه طلعته من أفق العقاب واستولت يده وقدمه على العنان والركاب خرجت النساء وأحدقن به

فأخذت عماته وأخواته بعنانه وركابه ومنعنه من العزيمة فعند ذلك تغير حال الحسين عليه السلام بحيث أشرف على الموت وصاح بنسائه وعياله دعنه فإنه ممسوس في الله ومقتول في سبيل الله ثم أخذ بيده وأخرجه من بينهن فنظر إليه نظر آيس منه الخ (والثانية) التي احتضر الحسين عليه السلام حين رجع علي رجع من المعركة وقد أصابته جراحات كثيرة والدم يجري من حلق درعه وقد اشتد به الحر والعطش وقف وقال يا أبة العطش الخ فضمه الحسين عليه السلام إلى صدره وبكى وأشرف على الموت من شدة الهم والحزن من حيث أنه لا يتمكن من سقيه والاحتضار و (الثالثة) حين سقط علي ونادى يا أبة عليك مني السلام قالت سكينة لما سمع أبي صوت ولده نظرت إليه فرأيته قد أشرف على الموت وعيناه تدوران كالمحتضر وجعل ينظر إلى أطراف الخيمة وكادت روحه أن تطلع من جسده وصاح من وسط الخيمة ولدي قتل الله قوماً قتلوك الخ قال (ره) لما صاح الحسين عليه السلام صاحت زينب يا حبيب قلباه واثمرة فؤاده ليتني كنت قبل هذا اليوم عمياء فصاحت النساء بأجمعهن فقال الحسين عليه السلام اسكتن فإن البكاء أمامكن - منها - في الناسخ أن الحسين عليه السلام أقبل إلى ولده وشق الصفوف حتى إذا وصل إليه وجعل يكرر من قول ولدي علي ويصيح حتى إذا وصل إليه نزل وأخذ رأسه ووضعه في حجره ووضع خده على خده ففتح علي عليه السلام عينيه في وجهه وكان به رمق من الحياة قال يا أبة أرى أبواب السماء قد انفتحت والحور العين بأيديهن كؤوس الماء قد نزلن من السماء وهن يدعونني إلى الجنة وأنا رائح معهن إلى الجنة وأوصيك بهذه النسوة لا يخمشن علي وجهاً و (منها) عن الفوادح من مؤلفات الشيخ حسين البحراني لما برز علي بن الحسين عليه السلام وطلب المبارز فلم يبرز إليه أحد فدعا ابن سعد طارق بن كثير وقال له تأخذ ما تأخذ من ابن زياد فاخرج إلى هذا الغلام وجئني برأسه فقال أنت تأخذ ملك الري وأنا أخرج إليه فإن تضمن لي إلى الأمير أمارة الموصل أخرج إليه فضمن وأعطاه خاتمه ميثاقاً له فخرج وقاتل قتالاً شديداً إلى أن ضرب علي بن الحسين عليه السلام عليه ضربة منكرة فقتله فخرج أخوه وضرب علي عليه السلام على عينيه وقتله فلم يخرج إليه أحد إلى أن نادى

عمر إلا رجل يخرج إليه فبادر إليه بكر بن غانم فلما خرج إليه تغير وجه الحسين عليه السلام فقالت أمه ليلى يا سيدي ولعل قد أصابه شيء قال لا ولكن قد خرج إليه من أخاف عليه فادعي له فإني قد سمعت من جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أن دعاء الأم يستجاب في حق الولد فكشفت رأسها ودعت له إلى أن جرى بينهما ما جرى وتعاركا معركة شديدة إلى أن التفت علي بن الحسين عليه السلام تحت إبطه وقد انخرق درعه فضربه علي ضربة فقطعه نصفين انتهى.

و (منها) قال رسول الله صلى الله عليه وآله الولد ريحانة وريحانتاي من الدنيا الحسن والحسين عليهما السلام ولا شك أن الولد ولا سيما إذا كان صالحاً ريحانة للوالدين وقرة عين للأبوين ومهجة قلبهما وثمرة فؤادهما كما أن اللّه تعالى عبر عن الأولاد بالثمرات في قوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات يعني الأولاد ولذا ورد في الأخبار أن لكل شيء ثمرة وثمرة الفؤاد الولد وفي موضع آخر عبر رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم بالأكباد في قوله صلى الله عليه وآله أولادنا أكبادنا فإن عاشوا فتنونا وإن ماتوا حزنونا ولأنهم بمنزلة الكبد من الوالدين فإذا مات أحدهم ترى الكبد ينصدع ويتألم ويوجع وهذه الحالة ظاهرة حتى في الحيوانات كما في الخبر جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يختصمان في ناقة كل منهما يقول الناقة لي فقال أحدهما يا رسول الله فأمر بنحر الناقة فإن في كبدها صدعين فأمر النبي صلى الله عليه وآله فنحروها وأخرجوا كبدها فإذا فيه صدعان فقال النبي صلى الله عليه وآله من أين علمت أن في كبدها صدعين قال يا رسول الله إني نحرت ولدين لها أمامها فرأيتها قد صاحت صيحة عظيمة عند كل واحد منهما فعلمت أن كبدها قد انصدع لأن فقد الولد يصدع كبد الوالد والوالدة إذاً ساعد الله قلب الحسين عليه السلام إذ قطعوا ولده علي الأكبر بالسيوف إرباً إرباً ونحروا في حجره ولده الرضيع بسهم مسموم.

روى شيخنا المفيد (ره) في الإرشاد أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منهما أنه ولدها بغير بينة فالتبس الحكم في ذلك على عمر وفزع فيه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فاستدعى المرأتين ووعظهما

وخوفهما فأقامتا على التنازع والاختلاف فقال عليه السلام إيتوني بمنشار فقالت المرأتان ما تضعه فقال اقده نصفين لكل واحدة منكما نصفه فسكتت إحداهما وقالت الأخرى الله الله يا أبا الحسن إن كان لا بد من ذلك فقد سمحت به لهم فقال عليه السلام الله أكبر هذا ابنك دونها ولو كان ابنها لرقت وأشفقت فاعترفت المرأة الأخرى أن الحق مع صاحبتها والولد لها فسر عمر ودعا لأمير المؤمنين عليه السلام بما فرج عنه في القضاء هذا حال أم الولد حين سمعت بالمنشار وأن ولدها يقد نصفين اضطربت وانقلبت بمحض السماع فما حال ليلى حين نظرت إلى علي الأكبر مشقوق الرأس ومقطعاً بالسيوف والرماح الخ و (منها) عن ابن عباس قال لما كنا في حرب صفين دعا علي ابنه محمد بن الحنفية عليه السلام فقال له يا بني شد على العسكر فحمل محمد على ميمنة أصحاب معاوية حتى كشفهم ثم رجع إلى أبيه مجروحاً فقال يا أبتاه العطش فسقاه جرعة من الماء وصب الباقي بين درعه وجلده قال ابن عباس فوالله لقد رأيت علق الدماء من حلق درعه فأمهله ساعة ثم قال يا بني شد على الميسرة فحمل على ميسرة عسكر معاوية فكشفهم ثم رجع وبه جراحات كثيرة وهو يقول الماء الماء يا أباه فسقاه جرعة من الماء وصب باقيه بين درعه وجلده ثم قال يا بني شد على القلب فحمل عليهم وقتل منهم فرساناً ثم رجع إلى أبيه يبكي وقد أثقله الجراح فقام إليه أبوه وقبل ما بين عينيه وقال له فداك أبوك فقد سررتني والله بجهادك هذا بين يدي فما يبكيك أفرحاً أم جزعاً فقال يا أبة كيف لا أبكي وقد عرضتني للموت ثلاث مرات فسلمني الله وها أنا مجروح كما ترى وكلما رجعت إليك لتمهلني ساعة عن الحرب فما أمهلتني وهذان أخواي الحسن والحسين عليهما السلام ما تأمرهما بشيء من الحرب فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقبل وجهه وقال له يا بني أنت ابني وهذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله أفلا أصونهما عن القتل فقال بلى يا أبتاه جعلني الله فداك وفداهما من كل سوء لما رجع محمد إلى أبيه واستسقى الماء سقاه أمير المؤمنين عليه السلام ولكن لما رجع علي الأكبر إلى أبيه وقال يا أبة العطش قد قتلني ما سقاه الحسين عليه السلام بل بكى وقال الخ و (منها) إنه كانت لإمامنا الصادق عليه السلام أخت اسمها

حكيمة ولها ابنان محمد وإبراهيم ومات محمد في حبس المنصور وبقي إبراهيم وكانت به مشغوفة وعينها به قريرة فمرض إبراهيم مرضاً شديداً حتى أشرف على الموت فجاءت حكيمة إلى الصادق عليه السلام حزينة باكية وقالت سيدي ابني ابني فقال الصادق عليه السلام لها امضي واغتسلي وتوضأي وصلي ركعتين واكشفي عن رأسك وانشري شعرك وادعي له بالشفاء فإن الله سيستجيب دعاءك نعم إن دعاء الوالدة في حق الولد مستجاب. جاءت ليلى إلى الحسين عليه السلام وقالت سيدي ابني ابني فقال الحسين عليه السلام امضي إلى الخيمة وادعي الخ في كتاب من لا يحضره الفقيه عن ابن أبي ليلى للصادق عليه السلام أي شيء أحلى مما خلق الله عز وجل فقال عليه السلام الولد الشاب فقال فأي شيء أمر مما خلق الله فقال فقده فقال أشهد أنكم حجة الله على خلقه.

في شهادة علي الأصغر عليه السلام

ومن أولاد الحسين عليه السلام الذين قتلوا معه بالطف عبد الله الرضيع والمعروف علي الأصغر وأمه رباب بنت امرىء القيس وكان امرؤ القيس زوج بناته من علي والحسن والحسين عليهم السلام وكانت رباب عند الحسين عليه السلام فولدت له سكينة وعلياً الأصغر وقتل علي الأصغر في حجر أبيه وله من العمر ستة أشهر ورثاه الشاعر:

إن أنسى لا أنسَ ابن فاطم مذ غدا ... والطفل من حر الظما يتلوع
فأتى به نحو اللئام منادياً ... يا قوم هل قلب لهذا يخشع
هل راحم يسقيه من ماء لكي ... يبتل منه فؤاده المتوجع
قالوا له مهلاً سنسقيه الردى ... بيد الحتوف وعلقماً لا يجرع
فرماه حرملة بسهم في الحشى ... فغدت دماء حشاشه تتدفع
فرمى بكفيه دماء وريده ... نحو السماء منادياً يا مفزع
أنت العليم بفعلهم فاحكم بهم ... مهما تشاء فإليك ربي المرجع

وقد اختلفوا في كيفية شهادته. في (المنتخب) روي أنه لما قتل العباس عليه السلام تدافعت الرجال على أصحاب الحسين عليه السلام فلما نظر إلى ذلك

نادى يا قوم أما من مجير بجيرنا أما من مغيث يغيثنا أما من طالب حق فينصرنا أما من خائف فيذب عنا أما من أحد فيأتينا بشربة من ماء لهذا الطفل فإنه لا يطيق الظمأ فقام إليه ولده علي الأكبر وكان له من العمر سبعة عشر سنة فقال أنا آتيك بالماء يا سيدي فقال عليه السلام امض بارك الله فيك قال فأخذ الركوة بيده ثم اقتحم الشريعة وملأ الركوة وأقبل بها نحو أبيه فقال يا أبت الماء لمن طلبت أسق أخي وإن بقي شيء فصبه علي فإني والله عطشان فبكى الحسين عليه السلام وأخذ ولده الطفل وأجلسه على فخذه وأخذ الركوة وقربها إلى فيه فلما هم الطفل أن يشرب أتاه سهم مسموم فوقع في حلق الطفل فذبحه قبل أن يشرب من الماء شيئاً فبكى الحسين عليه السلام ورمى الركوة من يده ونظر بطرفه إلى السماء وقال اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الخلق بنبيك وحبيبك ورسولك صلى الله عليه وآله انتهى ما في المنتخب وقال في (نفس المهموم) قال عقبة بن بشير الأسدي قال لي أبو جعفر الباقر عليه السلام إن لنا فيكم يا بني أسد دماً قال قلت فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر وما ذلك الدم قال عليه السلام أتى الحسين عليه السلام بصبي له فهو في حجره إذ رماه أحدكم يا بني أسد بسهم فذبحه.

له الله مفطوراً من الصبر قلبه ... ولو كان من صم الصفا لتفطرا
ومنعطفاً أهوى لتقبيل طفله ... فقبل منه قبله السهم منحرا

وفي (نفس المهموم) قال يا قوم إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل وفي (الناسخ) قال يا قوم لقد جف اللبن «اللبان خ ل» في ثدي أمه فبينما هو يخاطبهم إذ أتاه سهم مشوم من ظالم غشوم وهو حرملة بن كاهل الأسدي فذبح الطفل من الوريد إلى الوريد أو من الأذن إلى الأذن فجعل الحسين عليه السلام يتلقى الدم حتى امتلأت كفه ورمى به إلى السماء وعن أبي مخنف جعل يقول اللهم إني أشهدك على هؤلاء القوم فإنهم نذروا أن لا يتركوا أحداً من ذرية نبيك وفي تظلم الزهراء وضع كفيه تحت نحر الصبي ثم قال يا نفس اصبري واحتسبي فيما أصابك إلهي ترى ما حل بنا في العاجل فاجعل ذلك ذخيرة لنا في الآجل وقال شيخنا الأجل في نفس المهموم جعل الحسين عليه السلام يبكي ويقول اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا

لينصرونا فقتلونا فنودي من الهواء يا حسين دعه فإن له مرضعاً في الجنة ثم قال ورماه حصين بن تميم بسهم فوقع في شفتيه فجعل الدم يسيل من شفتيه وهو يبكي ويقول اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بي وبأخوتي وولدي وأهلي الخ وقال أبو مخنف ثم رجع بالطفل مذبوحاً ودمه يجري على صدره فألقاه في الخيمة وبكى عليه وأنشأ يقول:

يا رب لا تتركني وحيداً ... فقد ترى الكفار والجحودا
قد صيرونا بينهم عبيداً ... يرضون في فعالهم يزيدا
أما أخي فقد قضى شهيداً ... معفراً بدمه فريدا
في وسط قاع مفرداً بعيداً ... وأنت بالمرصاد يا مجيدا

وفي خبر استقبلته سكينة وقالت يا أبة لعلك سقيت أخي الماء فبكى الحسين عليه السلام وقال بنية هاك أخاك مذبوحاً بسهم الأعداء ولنعم ما قال الدمستاني في رثاء هذا الطفل:

أخت ايتيني بطفلي أراه قبل الفراق ... فأتت بالطفل لا يهدأ والدمع مراق
يتلظى ظمأ والقلب منه في احتراق ... غائر العينين طاوي البطن ذاوي الشفتين
فبكى لما رآه يتلظى بالأوام ... بدموع هاطلات تخجل السحب السجام
فأتى القوم وفي كفيه ذياك الغلام ... وهما من عطش قلباهما كالجمرتين
فدعا الأقوام يالله للخطب الفظيع ... نبئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع
لاحظوه فعليه شبه الهادي الشفيع ... لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين
عجّلوا نحوي بماء اسقه هذا الغلام ... فحشاه من ظمأ في احتراق واضطرام
فاكتفى القوم عن القول بتكليم السهام ... وإذا بالطفل قد خر ذبيح الودجين[1]
فالتقى مما همى من منحر الطفل دماً ... ورماه صاعداً يشكو إلى رب السما
وينادي يا حكيم أنت خير الحكماء ... فجع القوم بهذا الطفل قلب الوالدين

(تنبيه) نذكر بعض ما يتعلق بالرضيع حتى يزيد في الرقة والبكاء في هذه الفاجعة الموجعة: (منها) قال المرحوم الدربندي في الأسرار اعلم أن

---

(١) صريعاً للبدين. (نسخة بدل).

هذا النور النير والقمر المنير أعني علياً الأصغر أخذ ميراثاً من جده أمير المؤمنين عليه السلام وهو قطع القماط لما سمع إغاثة أبيه قطع القماط وألقى نفسه وبكى وضج مشيراً بذلك إلى إجابة دعوة أبيه وتلبية لإحرام الشهادة في حضنه وفوق يديه ونقل عن ثقة من الثقات أن الفاضل المحدث الحاج ملا رضا الاسترابادي (ره) نقل في كتابه ما حاصله أن ارتفعت العجة والضجة بين النسوان في الخيمة ورفعن الصوت بالبكاء ورجع الإمام عليه السلام إلى الخيام وسأل عن سبب تلك الحالة فأخبرته زينب عليها السلام بما صنع الطفل بعد استغاثته واستنصاره من أنه قطع القماط وألقى بنفسه وقال المرحوم الدربندي أن قطع الأصغر القماط وألقى نفسه من المهد مما استظهرته بالمكاشفات انتهى. روى ثقة الإسلام الكليني في كتاب الروضة من الكافي أن الكميت الشاعر دخل على الصادق عليه السلام فقال عليه السلام يا كميت أنشدني في جدي الحسين عليه السلام فلما أنشد كميت أبياتاً في مصيبة الحسين عليه السلام بكى الإمام عليه السلام بكاء شديداً وبكت النسوة وأهل حريمه وصحن في حجراتهن فبينما الإمام عليه السلام في البكاء والنحيب إذ خرجت جارية من خلف الستر من حجرات الحرم وفي يدها طفل صغير رضيع فوضعته في حجر الإمام فاشتد حينئذٍ بكاء الإمام في غاية الاشتداد وعلا صوته الشريف وعلت أصوات النساء الطاهرات خلف الأستار من الحجرات ومعلوم أن النساء الطاهرات ما كان مقصودهن من إنفاذهن ذلك الرضيع إلى حضرة الإمام عليه السلام إلا تشبيهاً برضيع الحسين عليه السلام ليشتد بذلك الرقة في الباكين والباكيات فسبحان الله ما أقسى قلب حرملة بن كاهل الأسدي حيث ما رق على ذلك الرضيع في (الأنوار المحمدية) تأليف يوسف بن إسماعيل النبهاني كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عاشوراء يدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة عليها السلام فيتفل في أفواههم ويقول للأمهات لا ترضعنهم إلى الليل فكان ريقه صلى الله عليه وآله يجزيهم رواه البيهقي.

في الحديث القدسي فلولا مشايخ ركع وأطفال رضع وبهائم رتع وشبان خشع لجعلت السماء فوقكم حديداً والأرض تحتكم رصاصاً والتراب رماداً ولا أنزلت عليكم من السماء قطرة ولا أنبتت لكم من الأرض نباتاً ولصببت عليكم العذاب صباً فببركة هؤلاء النفر يرحم الله

المذنبين والعاصين من عباده لأن هؤلاء مورد للترحم في كل حال بواسطة ضعفهم وعدم قدرتهم في الشدائد ولا سيما الرضيع ولذا إذا تخاصمت طائفتان فإذا غلبت وظفرت إحداهما على الأخرى وصارت الأخرى مقهورة ومغلوبة قدمت أطفالهم وصغارهم أمامهم وهذه كناية وإشارة إلى أنه إن لم ترحمونا فارحموا صغارنا فالحسين عليه السلام أخذ رضيعه وأقبل به إليهم وقال إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل الخ (فائدة) قال الصادق عليه السلام لإحدى أزواجه وهي أم إسحاق ترضع أحد ابنيها محمداً أو إسحاق فقال عليه السلام يا أم إسحاق لا ترضعيه من ثدي واحد وارضعيه من كليهما يكون أحدهما طعاماً والآخر شراباً من هذا يظهر أن الرضيع يحتاج إلى الماء كما أنه يحتاج إلى الطعام وممن قتل من أولاد الحسين عليهم السلام كما حكي عن الحدائق الوردية أنه ولد بالطف في يوم عاشوراء للحسين عليه السلام ابن في وقت صلاة الظهر عند المحاربة فؤتي به إلى الحسين عليه السلام وهو قاعد بباب الخيمة فأخذه في حجره وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ولباه بريقه وقبله وسماه إذ رماه عبد الله بن عقبة الغنوي بسهم في نحره فذبح في حجر الحسين عليه السلام وجعل عليه السلام يأخذ دمه ويرمي به إلى السماء قال الباقر عليه السلام لو وقعت منه على الأرض قطرة لنزل العذاب وإلى هذه المصيبة أشار السيد في قصيدته:

ومنعطفاً أهوى لتقبيل طفله ... فقبل منه قبله السهم منحرا
لقد ولدا في ساعة هو والردى ... ومن قبله فين حره السهم كبرا

قيل كانت أمه أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله كانت أولاً تحت الحسن عليه السلام فلما توفي الحسن عليه السلام تزوجها الحسين عليه السلام فولدت له فاطمة قيل هذا الولد كان منها وممن قتل من أولاد الحسين عليهم السلام ابن صغير قتل حين أن الحسين عليه السلام بقي على الأرض طريحاً جريحاً قال المرحوم الدربندي في الأسرار نقلاً عن أخبار الدول وآثار الأول أنه قد بقي سيد الشهداء عليه السلام زماناً على رمضاء كربلاء كلما انتهى إليه رجل منهم انصرف عنه ولن يتول قتله فحمل صبياً صغيراً من أولاده اسمه عبد الله وقبله وأخذه رجل من بني أسد فذبحه فتلقى الحسين عليه السلام دمه في يده وألقاه نحو السماء وقال يا رب أن تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعله لنا خيراً وانتقم من الظالمين

وممن قتل من أولاده ذلك الغلام الذي قتل عند باب الخيمة بعد شهادة علي الأكبر عليه السلام كما ذكره صاحب الناسخ.

في ذكر شهادة أولاد علي عليهم السلام

قال في «البحار» فأول من خرج منهم أبو بكر بن علي عليه السلام قيل لم يعرف اسمه وقيل اسمه عبيد الله وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد وقال شيخنا المفيد (ره) اسمه محمد الأصغر وكنيته أبو بكر وهو مع عبيد الله بن علي من أم واحدة وهما قتلا بيوم الطف والله العالم فتقدم أبو بكر بن علي عليه السلام وهو يرتجز ويقول:

شيخي علي ذو الفخار الأطول ... من هاشم الصدق الكريم المفضل
هذا حسين بن النبي المرسل ... عنه نحامي بالحسام المصقل
تفديه نفسي من أخ مبجل

فلم يزل يقاتل حتى قتله زجر بن بدر النخعي وقيل عبد الله بن قعبة بن الغنوي وقيل قتله رجل من همدان وقال ذكر المدائني أنه وجد في ساقية مقتولاً لا يدري من قتله قالوا ثم برز من بعده أخوه عمر بن علي وهو يقول:

خلوا عداة الله خلوا عن عمر ... خلوا عن الليث الحصور المكفهر
يضربكم بسيفه ولا يفر ... وليس فيها كالجبان المنجحر
يا زحر يا زحر تدان من عمر ... لعلك اليوم تبوء من سقر
شر مكان في حريق وسعر ... لأنك الجاحد يا شر البشر

ثم حمل على زحر قاتل أخيه فقتله واستقبل القوم وجعل يضرب بسيفه ضرباً منكراً ثم دخل حومة الحرب فلم يزل يقاتل حتى قتل هذا ما في «البحار» ولكن قد اشتهر بين أرباب المقاتل أن عمر لم يشهد مع أخيه الحسين عليه السلام بالطف ولم يسر معه إلى الكوفة وفي (القمقام) عن عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب ما ملخصه وتخلف عمر من أخيه

الحسين عليه السلام ولم يسر معه إلى الكوفة ولا يصح رواية من روى أن عمر حضر كربلاء بل كان بالمدينة وبلغه خبر قتل الحسين عليه السلام وبقي إلى خلافة مروان بن الحكم ووقعت المخاصمة بينه وبين الحسن الإمام المجتبى في صدقات أمير المؤمنين عليه السلام ومن أولاد أمير المؤمنين الذين قتلوا بيوم الطف على ما رواه الناسخ عون بن علي وأمه أسماء بنت عميس ذكره صاحب الناسخ قال إن أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب وأتت بعبد الله ثم صارت تحت أبي بكر فأتت بمحمد بن أبي بكر ثم صارت تحت أمير المؤمنين عليه السلام فأتت بعون فهؤلاء الثلاثة من آباء ثلاثة وأم واحدة وهم عبد الله بن جعفر الطيار ومحمد بن أبي بكر وعون بن أمير المؤمنين عليه السلام. وكان عون صبيحاً مليحاً شجاعاً استأذن أخاه الحسين عليه السلام فقال كيف تقاتل هذا الجمع الكثير والجم الغفير فقال من كان باذلاً فيك مهجته لم يبال بالكثرة والقلة فبكى الحسين عليه السلام وأذن له فحمل عون على القوم وقتل مقتلة عظيمة فاحتوشه ألفان من القوم ففرقهم يميناً وشمالاً وتخلل الصفوف مقبلاً إلى الحسين عليه السلام في رأسه ووجهه جراحات فقبله الحسين عليه السلام فقال له أحسنت لقد أصبت بجراحات كثيرة فاصبر هنيئة قال عون سيدي أردت أن أحظى منك وأتزود من رؤيتك مرة أخرى ولا ينبغي أن أعرض دونك وقد أجهدني العطش ائذن لي حتى أرجع وأفديك بروحي فأذن له ورجع وأمر الحسين عليه السلام بأن يركبوه جواداً غير الذي كان تحته فركب وحمل على القوم فاعترضه صالح بن سيار وكان صالح قد شرب خمراً في عهد أمير المؤمنين عليه السلام فأجرى عليه عون الحد بأمر أمير المؤمنين عليه السلام وقد كمن حقداً لعون في قلبه فانتهز الفرصة فرآه جريحاً ظمآناً وحمل على عون وشتمه فأجابه عون وحمل عليه وطعنه برمحه وأورده جهنم فأقبل إليه أخوه بدر بن سيار فألحقه عون بأخيه فحمل خالد بن طلحة بالسيف على عون وقد كمن منه فضربه بالسيف فخر عون صريعاً قائلاً بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله وقضى نحبه والحسين عليه السلام لما سقط من ظهر جواده قال بسم الله الخ.

في ذكر أولاد أم البنين

في كتاب عمدة الطالب أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال لأخيه عقيل وكان نسابة عالماً بأنساب العرب وأخبارهم انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً فقال له تزوج أم البنين الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها فتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام واسمها فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة وكانت عالمة ومن ذلك قال في (كنز المصائب) أن العباس أخذ علماً جماً في أوائل عمره عن أبيه وأمه وإخواته انتهى فتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له العباس وجعفراً وعبد الله وعثمان وكانوا من شجعان العرب وكلهم قتلوا في نصرة الحسين عليه السلام قدمهم العباس بين يديه فلما رأى العباس بن علي كثرة القتلى في أهله قال لأخوته من أمه وأبيه وهم بعد الله وجعفر وعثمان يا بني أمي تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله فإنه لا ولد لكم تقدموا بنفسي أنتم فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه فتقدموا جميعاً فصاروا أمام الحسين عليه السلام يتقون بوجوههم ونحورهم فتقدم عبد الله بن علي رحمة الله عليه وكان يومئذٍ ابن خمس وعشرين سنة وقاتل قتالاً شديداً وهو يرتجز ويقول:

أنا ابن ذي النجدة والأفضال ذاك علي الخير ذو الفعال
سيف رسول الله ذو النكال في كل يوم ظاهر الأحوال

وقتل أبطالاً ونكس فرساناً فاختلف هو وهاني بن ثبيت الحضرمي ضربتين فقتله هاني وتقدم بعده جعفر بن علي قائلاً:

إني أنا جعفر ذو المعالي ابن علي الخير ذي النوال
ذاك الوصي ذو السنا والوالي حسبي بعمي جعفر والخال
احمي حسيناً ذا الندى المفضال

فقاتل وقتل جمعاً كثيراً فشد عليه هاني بن ثبيت فقتله وفي خبر قتله خولى بن يزيد الأصبحي بعدما رماه بسهم فأصاب شقيقته أو عينه.

وكانت أم البنين بعد وقعة الطف تخرج إلى البقيع وتندب بنيها أشجى ندبة وأحرقها فيجتمع إليها الناس ويسمعون منها ويبكون رقة لها حتى كان مروان يجيء فيمن يجيء ويسمع ويبكي لبكائها وهي ترثي بنيها وتقول:

لا تدعوني ويك أم البنين ... تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي ادعى بهم ... واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نور الربى ... قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم ... فكلهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا ... بأن عباساً قطيع اليمين

ولها أيضاً:

أنبئت أن ابني أصيب ... برأسه مقطوع يد
ويل على شبلي أمال ... برأسه ضرب العمد
لو كان سيفك في ... يديك لما دنا منك أحد

في (الناسخ) أن أولاد أم البنين أربعة وكلهم ملقبون بالأكبر لأنهم أكبر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام بعد الحسنين عليهما السلام وابن الحنفية وهؤلاء الأربعة عبد الله الأكبر وعثمان الأكبر وجعفر الأكبر والعباس الأكبر وكلهم قتلوا في نصرة الحسين عليه السلام ولله در من قال بعثتهم النفوس الأبية علي مصادمة خيول أهل الغواية وحركتهم الحمية الهاشمية على اقتناص أرواح أهل الضلالة فكانوا كما وصفهم أهل البصائر بأنهم أمراء العساكر وخطباء المنابر:

نفوس أبت إلا تراث أبيهم ... فهم بين موتور لذاك وواتر
لقد ألفت أرواحهم حومة الوغى ... كما أنست أقدامهم بالمنابر

وأكبرهم العباس ثم عبد الله وهو ابن خمس وعشرين سنة ثم جعفر ابن ثلاث وعشرين سنة ثم عثمان وهو ابن إحدى وعشرين سنة وكتب ابن زياد لهم كتاب أمان لأن عبد الله بن أبي المحمل بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب كانت أم البنين عمته قال لابن زياد أصلح الله الأمير أن بني أختنا مع الحسين فإن رأيت أن تكتب لهم

أماناً فعلت قال نعم ونعمت عين فأمر كاتبه فكتب لهم أماناً فبعث به عبد الله بن أبي المحمل مع مولى له يقال له كرمان فلما قدم عليهم دعاهم فقال هذا أمان بعث به خالكم فقال له الفتية اقرىء خالنا السلام وقل له أن لا حاجة لنا في أمانكم أمان الله خير من أمان ابن سمية والمشهور أن شمر بن ذي الجوشن أخذ لهم أماناً من ابن زياد لأنه كان من بني كلاب وأم البنين كانت كلابية لما قبض من ابن زياد الكتاب أخذ أيضاً أماناً لهم وتوجه إلى كربلاء فلما ورد جاء حتى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام فقال أين بنو أختي أو أختنا عبد الله وجعفر والعباس وعثمان فقال الحسين عليه السلام أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنه بعض إخوانكم فقالوا له ما شأنك وما تريد فقال يا بني أختي أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد فقالت له الفتية أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له قال فرجع الشمر مغضباً إلى معسكره وفي (الأسرار) روى الدربندي أقبل زهير بن القين (ره) إلى عبد الله بن جعفر بن عقيل وقال له يا أخي ناولني الراية فقال عبد الله أترى فيّ قصوراً في حملها فقال لا ولكن لي حاجة إليها فأخذ الراية وأقبل وفي يده راية حتى وقف أمام العباس وقال يا ابن أمير المؤمنين أريد أن أحدثك بحديث وعيته فقال العباس حدث فقد حلا وقت الحديث حدث ولا حرج عليك فإنما تروي لنا متواتر الإسناد فقال له اعلم يا أبا الفضل أن أباك أمير المؤمنين لما أراد أن يتزوج بأمك أم البنين بعث إلى أخيه عقيل وكان عارفاً بأنساب العرب فقال يا أخي أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوي البيوت والحسب والنسب والشجاعة لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً عضداً ينصر ولدي الحسين عليه السلام ليواسيه بنفسه في ملف كربلاء وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصر عن حلائل أخيك وعن إخوانك قال فارتعد العباس وتمطى في ركابيه حتى قطعهما وقال يا زهير أتشجعني في مثل هذا اليوم والله لأريتك شيئاً ما رأيته قط ثم لا يخفى أن المرحوم الدربندي ذكر قصة أبي الفضل مع زهير في يوم عاشوراء وساق الحديث إلى أن قال ركض العباس بفرسه حتى توسط الميدان وقف ونادى يا عمر بن سعد إلى آخر ما في شهادته بيض الله وجهه ما قصر

أشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك فنعم الأخ المواسي لأخيه ولقد آثر وأبلى وفدى أخاه الحسين بنفسه حتى قطعت يداه وسقط على الأرض وقف عليه الحسين عليه السلام وقال جزاك الله عني يا أخي يا أبا الفضل خيراً وقال الصادق عليه السلام كان عمنا العباس بن علي عليه السلام نافذ البصيرة صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاء حسناً ومضى شهيداً ودم العباس في بني حنيفة وقتل عليه السلام وله أربع وثلاثون سنة وأمه وأم أخوته عبد الله وجعفر وعثمان أم البنين بنت حزام بن ربيعة وزوجته لبابة بنت عبيد الله بن العباس أتت بولدين فضل وعبيد الله وعقبة من عبيد الله.

وفي شهادة العباس قال المفيد (ره) وحملت الجماعة على الحسين بن علي عليه السلام فغلبوه على عسكره واشتد به العطش فركب المسناة يريد الفرات وبين يديه أخوه العباس فاعترضه خيل ابن سعد وفيهم رجل من بني دارم فقال لهم ويلكم حولوا بينه وبين الفرات ولا تمكنوه من الماء فقال الحسين عليه السلام اللهم أظمئه فغضب الدارمي ورماه بسهم فأثبته في حنكه فانتزع الحسين عليه السلام السهم وبسط يديه تحت حنكه فامتلأت راحتاه بالدم فرمى به ثم قال اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك وفي (نفس المهموم) قال وروى الحسن بن الطبرسي أن الحسين عليه السلام رماه رجل ملعون بسهم فأثبت في جبهته ونزع العباس قدس الله روحه ذلك السهم عن جبهة الحسين عليه السلام انتهى ثم إن الحسين عليه السلام رجع إلى مكانه وقد اشتد به العطش وأحاط القوم بالعباس فاقتطعوه عنه فجعل يقاتلهم وحده حتى قتل رضي الله عنه وكان المتولي لقتله زيد بن ورقاء الحنفي وحكيم بن الطفيل السنبسي بعد أن أثخنوه بالجراح فلم يستطع حراكاً.

هو العباس ليث بني نزار ... ومن قد كان للاجيء عصاما
هزبر أغلب تخذ اشتباك ... الرماح بحومة الهيجا أجاما
فمدت فوقه العقبان ظلا ... ليقربها جسومهم طعاما
أبي عند مس الضيم يمضي ... بعزم يقطع العصب الحساما

كان العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً جميلاً وسيماً يركب الفرس

المطهم ورجلاه تخطان في الأرض وكان جسوراً على الطعن والضرب في ميدان الكفاح والحرب ومن المعلوم أن أهل بيت الحسين عليه السلام الذين قتلوا معه كان جميعهم في أعلى درجة الشجاعة وأرفع مرتبة الشهامة إلا أن العباس بن علي عليه السلام كان له من قداحها المعلى ورتبته أرفع وأعلى منه يقتبس أنوارها ويقتطف ثمرها ونورها وناهيك بمن كان ضلعاً من أضلاع أشجع البرية ودوحة من الروضة العلوية وغصناً من أغصان الشجرة المباركة الزيتونية النورانية أبوه أمير المؤمنين عليه السلام سيد البرية وأخوه الحسين سيد أهل الأباء والحمية.

لك نفس من معدن اللطف صيغت ... جعل الله كل نفس فداها

ولا يقاس بشجاعته إلا شجاعة أبيه وأخيه وقد ادخره أبوه لينصر ولده الحسين عليه السلام بنفسه ويواسيه وسماه أمير المؤمنين عليه السلام بالعباس لعلمه بشجاعته وسطوته وصولته وعبوسته في قتال الأعداء وفي مقابلة الخصماء قيل عباس كشداد الأسد الضاري كانت الأعداء ترجف أبدانهم وترتعد مفاصلهم وتعبس وجوههم خوفاً إذا برز إليهم العباس عليه السلام.

عبست وجوه القوم خوف الموت ... والعباس فيهم ضاحك متبسم

قال الطريحي أن العباس كان مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام في الحروب والغزوات ويحارب شجعان العرب ويجادلهم كالأسد الضاري حتى يجد لهم صريعاً وفي يوم صفين كان العباس عوناً وعضداً لأخيه الحسين حين أن الحسين فتح الفرات وأخذ الماء من أصحاب معاوية وهزم أبا الأعور عن الماء ولنعم ما قيل:

بطل تورث من أبيه شجاعة ... فيه أنوف بني الضلالة ترغم

يلقى السلاح بشدة من بأسه ... فالبيض تثلم والرماح تحطم

وقال في (أبصار العين) حضر بعض الحروب مع أبيه فلم يأذن له أبوه بالنزال وقال الفاضل المتبحر العالم الحاج الشيخ محمد باقر البر جندي القائني في كتابه المسمى بالكبريت الأحمر أن العباس عليه السلام كان في

صفين يقاتل أهل الشام مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وقال قد روى بعض من أثق به بأن يوماً من أيام صفين خرج شاب من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام وعليه لثام وقد ظهرت منه آثار الشجاعة والهيبة والسطوة بحيث أن أهل الشام قد تقاعدوا عن حربه وجلسوا ينظرون وغلب عليهم الخوف والخشية فما برز إليه فدعا معاوية برجل من أصحابه يقال له ابن شعثاء وكان يعد بعشرة آلاف فارس وقال له معاوية اخرج إلى هذا الشاب وبارزه فقال يا أمير أن الناس يعدونني بعشرة آلاف فارس فكيف تأمرني بمبارزة هذا الصبي فقال معاوية فما نصنع قال يا أمير إن لي سبعة بنين ابعث إليه واحداً منهم ليقتله فقال له افعل فبعث إليه أحد أولاده فقتله الشاب وبعث إليه بآخر فقتله الشاب حتى بعث جميع أولاده فقتلهم الشاب فعند ذلك خرج ابن شعثاء وهو يقول أيها الشاب قتلت جميع أولادي والله لأثكلن أباك وأمك ثم حمل وحمل عليه الشاب فدارت بينهما ضربات فضربه الشاب ضربة قده نصفين وألحقه بأولاده فعجب الحاضرون من شجاعته فعند ذلك صاح أمير المؤمنين ودعاه وقال له ارجع يا بني فإني أخاف أن تصيبك عيون الأعداء فرجع وتقدم إليه أمير المؤمنين وأرخى اللثام عنه وقبل ما بين عينيه فنظروا إليه وإذا هو قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام ويكفي في شجاعته أن الأعداء إذا سمعوا باسم العباس ارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم واقشعرت جلودهم ومن ذلك أن عبيد الله بن زياد بعث إليه كتاب أمان وناهيك في شجاعته أن الحسين عليه السلام ما أجازه للقتال في يوم عاشوراء بل أرسله ليأتي بالماء وقيد يديه ورجليه بإتيان الماء وحمل القربة ومع ذلك لما ركب فرسه وأخذ رمحه والقربة وقصد الفرات وقد أحاط به أربعة آلاف وفي رواية ستة آلاف وفي (الأسرار) عشرة آلاف محارب فحمل عليهم العباس وقتل منهم شجعاناً ونكس منهم فرساناً وتفرقوا عنه هاربين كما يتفرق عن الذئب الغنم وصعد قوم على التلال والأكمات وأخذوا يرمونه بالسهام حتى قال إسحاق بن جثوة فثورنا عليه النبال كالجراد الطائر فصيرنا جلده كالقنفذ ومع ذلك كان كالجبل الأصم لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف فغاص العباس في أوساطهم وقتل منهم ثمانين فارساً

وقيل ثمانمائة فارس وقيل أكثر من ذلك وهو بينهم يرتجز ويقول:

لا أرهب الموت إذا الموت رقى حتى أواري في المصاليت لقا
نفسي لنفس المصطفى الطهر وقى إني أنا العباس اغدو بالسقا
ولا أخاف الشر يوم الملتقى

فتفرقوا عنه هاربين فكشفهم عن المشرعة ونزل فهجموا عليه فخرج إليهم وفرقهم ثم عاد إلى المشرعة فحملوا عليه ثانياً فكر عليهم العباس على ما في بعض الكتب منها الكبريت الأحمر إلى ست مرات وفي السادسة انصرفوا ولم يرجعوا فنزل وملأ القربة وأزاد أن يخرج نادى عمرو بن الحجاج دونكم العباس فقد حصل بأيديكم فكثرت عليه الرجال فلما رأى العباس وقد تسارعوا إليه حط القربة وخرج من المشرعة واستقبل القوم يضربهم بسيفه وكأنه النار في الأحطاب وهو يقتلهم ويحصدهم حصد السنبل يقول الرائي:

وقع العذاب على جيوش أمية من باسل هو في الوقائع معلم
ما راعهم إلا تقحم ضيغم غير أن يعجم لفظه ويدمدم
عبست وجوه القوم خوف الموت والعباس فيهم ضاحك متبسم
قلب اليمين على الشمال وغاص في الأوساط يحصد في الرؤوس ويحطم

وجعل عليه السلام يرتجز ويقول:

أقاتل القوم بقلب مهتد أذب عن سبط النبي أحمد
أضربكم بالصارم المهند حتى تحيدوا عن قتال سيدي
إني أنا العباس ذو التودد نجل علي المرتضى المؤيد

فقتل من ساداتهم وأبطالهم مائة ثم عاد إلى القربة فاحتملها على عاتقه وخرج يريد المخيم فركب عمر بن سعد وزحفت في إثره الاعلام ووصلت الخيل والرجال إلى العباس وقد أدركته الخيل والرماح كأجام القصب وجعل العباس ينادي يا أعداء الله لأن قتلنا فلقد قتلنا منكم أضعافاً وصار يضرب فيهم يميناً وشمالاً ويجدل الفرسان وينكس الأبطال وقتل

منهم خلقاً كثيراً والقربة على ظهره فلما نظر ابن سعد ذلك نادى ويلكم ارشقوا القربة بالنبل فوالله إن شرب الحسين الماء أفناكم عن آخركم أما هو الفارس بن الفارس البطل المداعس فحملوا عليه حملة منكرة وروى أنه قتل منهم مائة وثمانين فارساً.

ولم يزل عليه السلام يقاتل حتى قطعت يداه فانكب على السيف بفيه وأخذ الراية بساعديه وضمه إلى صدره وحمل عليهم ويقول هكذا أحامي عن حرم رسول الله ولم يزل يحامي حتى ضربوه بعمود من حديد ففلق هامته فسقط مخ رأسه على كتفيه وانصرع عفيراً.

وصرخت زينب وقالت واأخاه واعباسه واقلة ناصراه واضيعتاه من بعدك فقال الحسين عليه السلام أي والله من بعده واضيعتاه واانقطاع ظهراه فجعل النساء يبكين ويندبن عليه وبكى الحسين عليه السلام وأنشأ يقول:

أخي يا نور عيني يا شقيقي ... فلي قد كنت كالركن الوثيق
أيا ابن أبي نصحت أخاك حتى ... سقاك الله كأساً من رحيق
أيا قمراً منيراً كنت عوني ... على كل النوائب في المضيق
فبعدك لا تطيب لنا حياة ... سنجمع في الغداة على الحقيق
ألا لله شكوائي وصبري ... وما ألقاه من ظمأ وضيق

وكان عليه السلام فاضلاً عالماً عابداً زاهداً فقيهاً تقياً بل وأولاده وأحفاده كانوا جميعاً علماء فضلاء أبرار أتقياء وكلهم كانوا ذوي شأن عظيم ومقام كريم من الجلالة والعظمة والعلم والحلم والزهد والسخاوة والشجاعة والخطابة والشعر والسجاعة والناس يستفيدون من علومهم وكمالاتهم وعطاياهم نعم هؤلاء الأشبال من ذلك الأسد وهذه الأثمار من تلك الشجرة ومن أحفاده حمزة بن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام كنيته أبو يعلى ثقة جليل القدر نبيل الشأن وقبره الشريف على خمسة فراسخ من الحلة في قرية يقال لها خمرة قريباً من المزيدية يزار ويطلب منه الحوائج والكرامات المشاهدة من قبره أكثر من أن تحصى وأوفر من أن تستقصى وكان العباس عليه السلام في العبادة

وكثرة الصلاة والسجود بمرتبة عظيمة قال الصدوق في ثواب الأعمال كان يبصر بين عينيه أثر السجود وخبر ورود الرؤوس بالكوفة ورأس العباس مشهور وسيأتي إن شاء الله لكن وأي عبادة أزكى وأفضل من نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ وحماية بنات الزهراء وسقي ذراري رسول الله ﷺ قيل أن أصحاب الحسين عليه السلام باتوا ليلة العاشر من المحرم ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد لكن خصص العباس من بينهم بحفظ بنات رسول الله وأهل بيته كان راكباً جواده متقلداً سيفه آخذاً رمحه يطوف حول الخيم لأنه آخر ليلة أراد أن يوفي ما كان عليه ويرفع الوحشة عن قلوب الهاشميات حتى يجدن طيب الكرى وقد أحاطت بهن الأعداء وكانت عيون الفاطميات به قريرة وعيون الأعداء منه باكية ساهرة لأنهم خائفون مرعوبون من أبي الفضل وما تنام أعينهم خوفاً من بأسه وسطوته ونكال وقعته وانقلب الأمر ليلة الحادي عشر قرت عيون العسكر وبكت وسهرت عيون الفاطميات لنعم ما قيل:

اليوم نامت أعين بك لم تنم وتسهدت أخرى فعز منامها

وفي تأدبه عليه السلام أنه ما كان يجلس بين يدي الحسين عليه السلام إلا بإذنه كان كالعبد الذليل بين يدي المولى الجليل وكان ممتثلاً لأوامره ونواهيه مطيعاً له وكان له كما كان أبوه علي عليه السلام لرسول الله ﷺ ومن تأدبه لم يكن يخاطب الحسين عليه السلام إلا ويقول يا سيدي يا أبا عبد الله يا ابن رسول الله وما كان يخاطبه بالأخوة قيل في مدة عمره إلا مرة واحدة خاطب الحسين عليه السلام بالأخوة وهو الساعة التي ضربوه بعمود الخ وكان يلقب في زمان حياته بقمر بني هاشم ويكنى أبا الفضل ولقب في الطف بالسقاء ومن ألقابه الطيار لأن الله وهب له جناحين يطير بهما في الجنة ومن ألقابه باب الحوائج وكان لواء الحسين عليه السلام معه وكان أميراً وزيراً سفيراً وربما كان بالطف ركز لواءه أمام الحسين عليه السلام وحامي عن الأصحاب والأحباب أو استقى ماء وحامى عن أربعة من الأصحاب وهم عمرو بن خالد ومولاه سعد ومجمع بن عبد الله وجنادة بن الحارث فشدوا مقاتلين فأحاط القوم بهم فندب الحسين عليه السلام أخاه العباس لهم فحمل العباس وحده وضرب فيهم بسيفه حتى فرق القوم عنهم وخلصهم وأتى ربهم ولكنهم كانوا عازمين على

الشهادة وقد أصابتهم جراحات كثيرة فأبوا من الرجوع وقالوا يا أبا الفضل أين تذهب بنا ونحن نطلب الشهادة خل بيننا وبين القوم فعاودوا إلى القتال وحملوا والعباس يدفع عنهم حتى قتلوا في مكان واحد فجاء العباس إلى أخيه الحسين عليه السلام وأخبرهم بخبرهم وهو روحي له الفداء راية أخيه الحسين عليه السلام وكبش كتيبته وجعل نفسه الكريمة وقاية لأخيه الحسين عليه السلام حيث كان بين يديه.

وأما ما ذكر المجلسي (قده) في شهادة العباس هو هذا قال في (البحار) عن بعض تأليفات الأصحاب أن العباس لما رأى وحدته أتى أخاه وقال يا أخي هل من رخصة فبكى الحسين عليه السلام بكاء شديداً ثم قال يا أخي أنت صاحب لوائي وإذا مضيت تفرق عسكري فقال العباس عليه السلام قد ضاق صدري وسئمت من الحياة وأريد أن أطلب ثأري من هؤلاء المنافقين فقال الحسين عليه السلام فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء فذهب العباس ووعظهم وحذرهم فلم ينفعهم فرجع إلى أخيه فأخبره فسمع الأطفال ينادون العطش العطش فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة وقصد نحو الفرات فأحاط به أربعة آلاف ممن كانوا موكلين بالفرات ورموه بالنبال فكشفهم وقتل منهم على ما روى ثمانين رجلاً وجعل يقول: (لا أرهب الموت إذا الموت رقى) الخ. حتى إذا دخل الماء فلما أراد أن يشرب غرفة من الماء ذكر عطش الحسين عليه السلام وأهل بيته فرمى الماء وفي (المنتخب) قال والله لا أشربه وأخي الحسين عليه السلام وعياله وأطفاله عطاش لا كان ذلك أبداً انتهى وعن أبي مخنف وهو يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين شارب المنون ... وتشربين بارد المعين

هيهات ما هذا فعال ديني ... ولا فعال صادق اليقين

انتهى وملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن وتوجه نحو الخيمة فقطعوا عليه الطريق وأحاطوا به من كل جانب فحاربهم وفي التظلم فأخذوه بالنبال من كل جانب حتى صار درعه كالقنفذ من كثرة السهام فكمن له زيد

بن ورقاء من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي فضربه على يمينه فقطعها فأخذ السيف بشماله وحمل القربة على كتفه الأيسر وهو يرتجز ويقول:

والله إن قطعتموا يميني ... إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين ... نجل النبي الطاهر الأمين

فقاتل حتى ضعف فكمن له الحكيم بن الطفيل الطائي أو نوفل الأزرق فضربه بالسيف على شماله فقطع يده من الزند فحمل القربة بأسنانه وهو يقول:

يا نفس لا تخشي من الكفار ... وابشري برحمة الجبار
مع النبي السيد المختار ... قد قطعوا ببغيهم يساري
فأصلهم يا رب حر النار

وجاءه سهم وأصاب القربة وأريق ماؤها ثم جاءه سهم آخر فأصاب صدره فانقلب عن فرسه وفي خبر فضربه ملعون بعمود من حديد ففلق هامته فقتله ولما انقلب عن فرسه صاح إلى أخيه الحسين عليه السلام أدركني فلما أتاه رآه صريعاً فبكى وحمله إلى الخيمة ثم قالوا ولما قتل العباس قال الحسين عليه السلام الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي انتهى. وفي (أبصار العين) فخر صريعاً إلى الأرض فنادى بأعلى صوته أدركني يا أخي فانقض إليه أبو عبد الله كالصقر فرآه مقطوع اليمين واليسار مرضوخ الجبين مشكوك العين بسهم مرتثاً بالجراحة فوقف عليه منحنياً وجلس عند رأسه يبكي حتى فاضت نفسه ثم حمل القوم يضرب فيهم يميناً وشمالاً فيفرق من بين يديه كما تفر المعزى إذا شد فيها الذئب وهو يقول أين تفرون وقد قتلتم أخي أين تفرون وقد فتتم عضدي ثم عاد إلى موقفه منفرداً انتهى (أقول) ولنعم ما قيل:

بذلت أيا عباس نفساً نفيسة ... لنصر حسين عز بالجد عن مثل
أبيت التذاذ الماء قبل التذاذه ... فحسن فعال المرء فرع عن الأصل
فأنت أخو السبطين في يوم مفخر ... وفي يوم بذل المال أنت أبو الفضل

الآخر يقول:

لا تنس للعباس حسن مقامه ... بالطف عند الغارة الشعواء
واسى أخاه بها وجاد بنفسه ... في سقي أطفال له ونساء
رد الألوف على الألوف معارضاً ... حد السيوف بجبهة عراء

وفي (القمقام) للمرحوم فرهاد ميرزا لما قتل العباس وأقبل إليه الحسين عليه السلام قال الآن انكسر ظهري وانقطع رجائي وقال ابن شهرآشوب لما قتل العباس عليه السلام بكى الحسين عليه السلام بكاء شديداً وأنشأ يقول:

تعديتم يا شر قوم ببغيكم ... وخالفتم دين النبي محمد
أما كان خير الرسل أوصاكم بنا ... أما نحن من نسل النبي المسدد
أما كانت الزهراء أمي دونكم ... أما أنا من خير البرية أحمد

وقال في (الناسخ) أن الحسين عليه السلام رثاه بهذه الأبيات:

أحق الناس أن يبكي عليه ... فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده علي ... أبو الفضل المضرج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء ... وجاد له على عطش بماء

(تنبيه) قد اختلف أرباب المقاتل في وقت شهادة العباس ويظهر من القمقام أنه آخر من قتل ولم يقتل بعده أحد إلا سيدنا الحسين عليه السلام ويظهر من كلام صاحب الناسخ أن علي بن الحسين الأكبر آخر من قتل من بني هاشم وقتل العباس قبله وهذا كلامه لما قتل العباس لم يبق للحسين عليه السلام أحد إلا ولده علي الأكبر فبرز ويظهر من كلام أبي مخنف أن العباس أول من قتل كما ذكرنا ويظهر من كلام المجلسي (ره) أن العباس قتل قبل علي بن الحسين الأكبر وقتل قبل القاسم ويظهر من كلام المفيد وابن طاووس أن العباس آخر من قتل ولم يبق بعده أحد إلا سيدنا الحسين عليه السلام والله أعلم بحقائق الأمور.

نذكر بعض ما ظفرت به في كتب المقاتل مما يتعلق بالعباس عليه السلام ونذكر شيئاً من المقدمات الموجعة والمرققة للقلوب (منها) في معدن

الجواهر للكراجكي قال قال الحسن بن علي عليه السلام مصائب الحزن أربع موت الوالد وموت الولد وموت الأخ وموت الامرأة فموت الوالد قاصم الظهر وموت الولد صدع الفؤاد وموت الأخ قص الجناح وموت الامرأة حزن ساعة وفي بعض الكلمات من لا أخ له لا ظهر له و «منها» لما قدم لقمان من سفر له لقي غلامه في بعض الطريق فقال له يا غلام ما فعل أبي قال مات قال لقمان ملكت أمري قال ما فعلت زوجتي قال ماتت قال لقمان جدد فراشي قال ما فعلت أختي قال ماتت قال لقمان سترت عورتي قال ما فعل أخي قال مات قال لقمان الآن انكسر ظهري فإذاً لا يلام الحسين عليه السلام حين وقف على العباس وقال الآن انكسر ظهري. نظم قيل فيه عن لسان الحسين عليه السلام:

سأبكيك حتى يرتوي عاطش الثرى ... بصيب دمع ليس ينفك جاريا
وإن كان لا يجدي البكاء ولم يعن ... على الأسى من ذلك العهد ضاميا
فقدت أخاً براً وليثاً غضنفراً ... ورمحاً ردينياً وعضباً يمانيا

و «منها» قال ابن خلكان في وفيات الأعيان توفي السيد الرضي (ره) بكرة يوم الأحد سادس محرم وقيل سادس صفر سنة ست وأربعمائة ببغداد وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ببغداد ولما توفي مضى أخوه المرتضى إلى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه إذاً ساعد الله قلب الحسين عليه السلام يوم نظر إلى جسد أخيه العباس فرآه مقطوع اليمين والشمال الخ (أقول) ويعجبني كلام علي عليه السلام في الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقول عليه السلام:

السيف والخنجر ريحاننا ... أف على النرجس واليأس[1]
شرابنا من دم أعدائنا ... وكأسنا جمجمة الراس

وكأن شبوله تعلموا منه هذا المقال سيما قرة عينه أبي الفضل عليه السلام كان يستقبل السيوف والسهام والرماح بوجهه ونحره وصدره كأن كل سهم طاقة

---

(١) الآس. (نسخة).

ريحان من الحبيب إلى المحبوب نظم:

يلقى الرماح بنحره فكأنما في ظنه عود من الريحان
ويرى السيوف وصوت وقع حديدها عرساً تجليها عليه غواني

ولا يخفى أن الشهداء إذا أصابهم سهم كانوا يتمكنون من دفعه بأيديهم أو يخرجونه من أبدانهم بها فما حال من قطعت يمينه وشماله والرماة كانوا أربعة آلاف والسيد حيدر أشار بقوله:

وهل يملك الموتور قائم سيفه ليدفع عنه الضيم وهو بلا كف

وكل فارس إذا أراد الترجل يتلقى بإحدى يديه قبة السرج وبإحدى يديه الشكيمة ويترجل فما حال من يداه مقطوعتان وكل شهيد إذا سقط على الأرض استقبل الأرض بيديه فيهون عليه السقوط فما حال من كان جسيماً وبدنه كالقنفذ من كثرة السهام والنبال فواأسفاه عليك يا قمر بني هاشم فما حالك حين هويت إلى الأرض والسهام نابتة في أضالعك وصدرك وبدنك وفي بعض الكتب لما نادى يا أخاه أدرك أخاك ساق الريح صوت العباس إلى مسامع الحسين عليه السلام انتهى في (الأسرار) نقلاً عن بعض كتب المقاتل أنه إذا كان يوم القيامة واشتد الأمر على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين إلى فاطمة لتحضر مقام الشفاعة فيقول أمير المؤمنين عليه السلام يا فاطمة ما عندك من أسباب الشفاعة وما ادخرت لأجل هذا اليوم الذي فيه الفزع الأكبر فتقول فاطمة يا أمير المؤمنين كفانا لأجل هذا المقام اليدان المقطوعتان من ابني العباس وفيه أيضاً قال المرحوم الدربندي أخبرني جمع من الثقاة في هذا الزمان أن واحداً من مؤمني هذا العصر وهو الآن موجود كان يزور الحسين عليه السلام في كل يوم وما كان يزور العباس إلا في الأسبوع مرة وقد رأى في الطيف الصديقة الطاهرة عليها السلام وسلم عليها فأعرضت عنه فقال بأبي أنت وأمي لأي تقصير تعرضين مني قالت لإعراضك من زيارتك ابني قال أنا أزور ابنك في كل يوم قالت تزور ابني الحسين عليه السلام ولا تزور ابني العباس إلا قليلاً قال المرحوم ثم انظر إلى اسمه الشريف عند المخالف والمؤالف فإنه قد جعل قريباً من أسماء الأئمة والحجج ولا

تمضي ساعة إلا وقد وقع الحلف باسمه الشريف بل الرعب منه أكثر من غيره بحيث لا يحلفون باسمه كذباً خوفاً من الابتلاء وقد شاهدوا ذلك وقصة التوسل به في قضاء الحوائج بحيث لا يمضي أسبوع إلا وقد علا أحدهم على المنارة العباسية وينادي بأعلى الصوت رفع الله راية العباس وبيض الله وجهه فإنه قد قضيت حوائجنا بتوسلنا إليه وجعل أنفسنا دخيل بابه.

ومما يزيد في الرقة والبكاء على العباس أن الجراحات التي كانت في جسد العباس عليه السلام لا تعدو ولا تحصى وأكثر من جراحات سائر الشهداء لأن الإنسان يحفظ جسده وبدنه عن جميع الآفات باليدين والعين ينظر بعينه ويدفع بيده وأهل الكوفة أحاطوا بالعباس وقطعوا يديه أولاً ورموا عينه بسهم فوقف العباس بينهم مقطوع اليدين ومشكوك العين لا يرى شيئاً ولا يتمكن من دفع شيء وهم صنعوا به ما صنعوا وقيل إن الحسين لم يحمله إلى المخيم لأنه لم يتمكن من حمله من كثرة الجراح وما كان قابلاً للحمل والنقل في بعض الكتب أن العضاب بن الأسود الكندي رماه بسهم على عينه الشريفة وفي كتاب عدة الشهور لما كانت ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان وأشرف علي عليه السلام على الموت أخذ العباس وضمه إلى صدره الشريف وقال ولدي ستقر عيني بك في يوم القيامة ولدي إذا كان يوم عاشوراء ودخلت المشرعة إياك أن تشرب الماء وأخوك الحسين عطشان ومن معجزات أبي الفضل الذي ذكره المرحوم الدربندي في الأسرار قال ومن ذلك ما أخبرني السيد الأجل السيد أحمد من نجل السيد الأفخم العلامة السيد نصر الله المدرس الحائري بأني كنت مع جمع من الخدام قاعدين في الصحن الشريف للحضرة العباسية فبينما نحن كذلك فإذا برجل قد خرج من الحرم الشريف راكضاً عجلاً واضعاً إحدى يديه على أصل خنصرة يده الأخرى حتى أنه خرج من الصحن الشريف فقمنا مسرعين نحوه فلقيناه بعد أن خرج من الصحن فرفع يده من أصل الخنصرة فإذا خنصرته مقطوعة من أصلها يسيل الدم منها سيلان الماء من الميزاب فرجعنا مسرعين إلى الحرم الشريف فوجدنا خنصرته بين شبكات الضريح معلقة

عليها ولم تقطر قطرة دم منها كأنها عضو من أعضاء غير الحي ثم إن هذا الرجل قد مات بعد ليلة من ذلك اليوم وكان ذلك لأجل تقصير منه من مخالفة عهد أو نذر أو الإهانة ونحو ذلك.

مناقب الزهراء

المقدمة ٥

الفصل الأول
مناقب الزهراء عليها السلام

مولد الزهراء ١١
مكان ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ١٥
الأصل العريق ١٨
الزواج المبارك وثمرته ٢٩
رحلة الزهراء في الحياة ٣٥
فاطمة وسريّة الدعوة ٣٩
الرسول صلى الله عليه وآله يضرب بفاطمة المثل ٤٥
الزهراء ومحنة الحصار ٤٩
هجرة المصطفى صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام ٥٧
زواج الزهراء عليها السلام ٦١
فاطمة عليها السلام في بيتها ٦٧
الزهراء تشارك زوجها الجهاد ٧٠

مولد الحسن والحسين عليهما السلام ٧٣
حب الرسول صلى الله عليه وآله للزهراء وعلي وابنيهما عليهم السلام ٨٤
فاطمة الزهراء رأس آل البيت ٨٧
حجة الوداع وبكاء فاطمة الزهراء عليها السلام ٨٩
حرص فاطمة عليها السلام على رضا أبيها ٩٧
أخلاق الزهراء ١٠٠
فقه السيدة فاطمة عليها السلام ١٠٤
وصية الزهراء عليها السلام ١٠٧
مرض الزهراء ووفاتها عليها السلام ١٠٩
خصائص فاطمة الزهراء عليها السلام ١١١

الفصل الثاني
مناقب الحسن عليه السلام

الحسن بن علي عليهما السلام في بعض مناقبه وولادته عليه السلام ١١٧
في حب النبي إياه ١٢١
في علمه وعبادته عليه السلام ١٢٤
في جوده وسخائه ١٢٩
فيما جرى بينه وبين معاوية ١٣٢
فيما جرى عليه بعد ارتحال أمير المؤمنين عليه السلام ١٣٤
في رحلته وشهادته وقصته مع معاوية ١٣٧
في رحلته ووصاياه ١٤٩

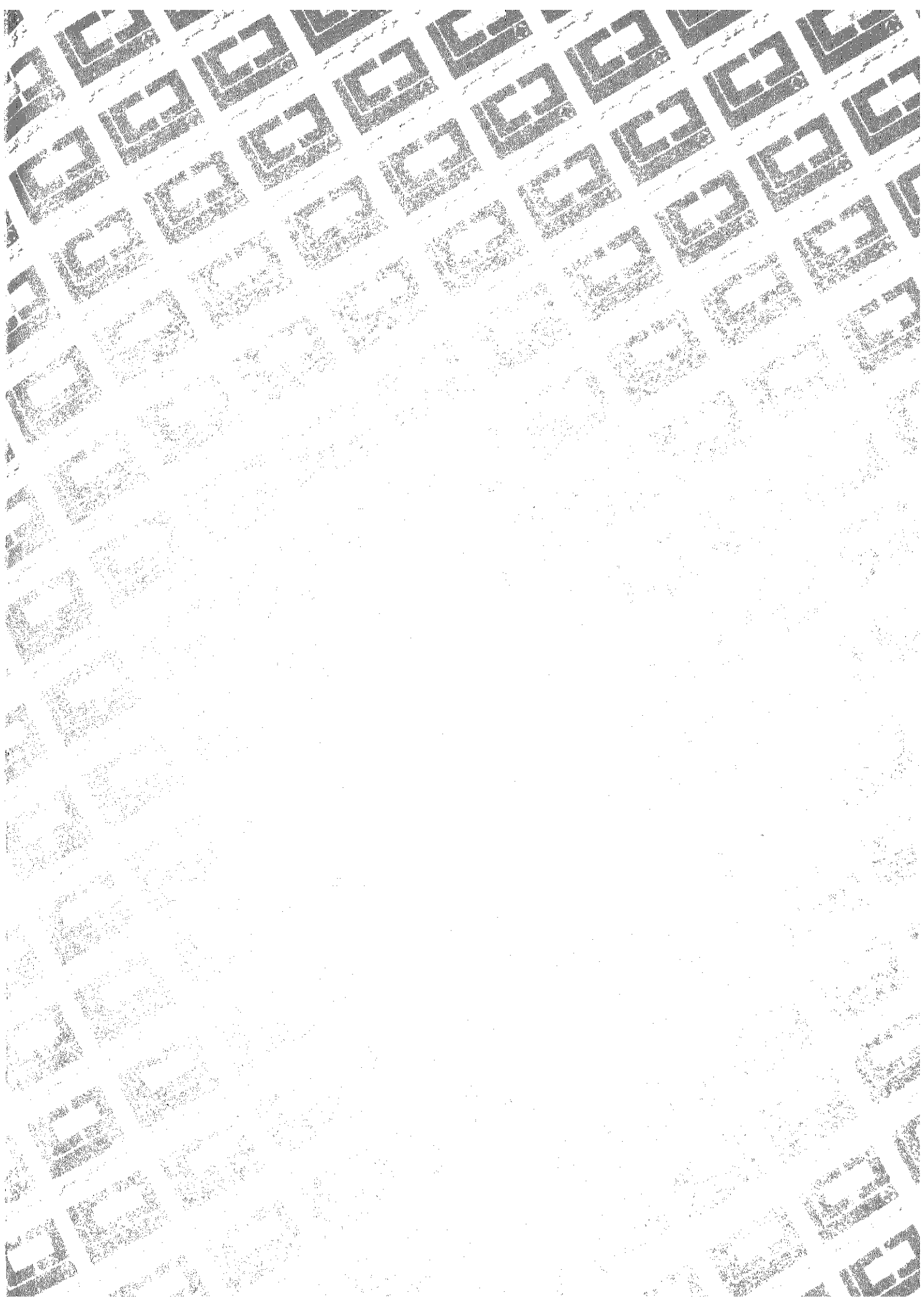
في تاريخ ولادته ومدة عمره وتاريخ شهادته وفضل زيارته وعدد أولاده وأزواجه عليه السلام ١٥٢

الفصل الثالث
الحسين بن علي عليه السلام

الحسين بن علي عليه السلام في بعض مناقبه وولادته عليه السلام ١٥٧
في ولادته ومعالي أموره ١٥٩
في بعض ما يتعلق بولادته ١٦٥
في حب النبي له ولأخيه الحسن ١٦٩
في حب النبي صلى الله عليه وآله له خاصة ١٧٧
في مناقبه عليه السلام ١٨١
في حلمه وعفوه وكظم غيظه ١٨٢
في جوده وكرمه ١٨٧
في بعض الحكايات المشجية ١٩١
وممن أُخبر بشهادة الحسين: رسول الله صلى الله عليه وآله ١٩٩
في فضل الشهداء معه عليه السلام ٢٠٣
في شؤونات مسلم ومقاماته ٢٢٣
في مقاتلة مسلم عليه السلام ٢٢٦
في وروده على ابن زياد ٢٢٩
شهادة هاني (ره) ٢٣١
في كتابه عليه السلام إلى أهل البصرة ٢٣٨
في يوم خروجه عليه السلام من مكة ٢٤١

من مسيره ٢٤٥
في نزوله عليه السلام بكربلاء ٢٦٠
في عطش أهل البيت عليهم السلام ٢٧٢
فيما جرى بينه وبين عمر بن سعد ٢٨١
في وقائع يوم التاسع ٢٨٤
في وقائع ليلة عاشوراء ٢٨٧
في وقائع صبيحة عاشوراء ٢٩٧
في شهادة أولاد عقيل ٣٣٧
في شهادة علي بن الحسين عليه السلام ٣٣٩
في شهادة علي الأصغر عليه السلام ٣٥٠
في ذكر شهادة أولاد علي عليه السلام ٣٥٥
في ذكر أولاد أم البنين ٣٥٧

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٤٦٩٦
التاريخ / ٥ / ٢٠١٧




موسوعة
الإمام علي (ع)
مناقب علي والحسنين وفاطمة الزهراء (ع)